سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٥٤٣)

ضعف اليقين

الداء والدواء

في كتب التراث

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"فسموا هذا النور إيمانا، وذلك جائز في اللغة؛ وعلى هذا التأويل قول الحسن رحمه الله (غير مستكمل الإيمان)، أي لم يستكمل النور؛ فوجدنا التبحر في العلم بالله بحسن المعرفة يملأ القلب نوراً، يحرق ذلك النور جميع نيران النفس، من الشهوات الهاوية في القلب إلى الإخلاد والتمكث، فلذلك تراه في الآخرة يطفئ نوره نيران الآخرة والتمكث على الجسر، وهكذا صفة المؤمن يومئذ على الجسر. قلنا كان أصل هذا الأمر، والمدار عليه، هو الإيمان به، وحسن المعرفة له، كما وصفنا، من السكون والطمأنينة، والثقة به، والركون إليه، على قدر ضعف اليقين وقوته، كما ذكرنا بديا؛ امتحن الله تعالى بفرائضه وحدوده وأمره ونهيه، ونهاهم عن أشياء، وشهوات تلك الأشياء مركبة فيهم، وأمرهم بأمور، فثقل عليهم إتيانها، وحد لهم حدوداً، فمد هواهم إلى مجاوزتها، وإلى التقصير فيها، والقعود عن إتمامها، ليظهر ما في ضمائرهم، ومقادير إيمانهم في الضعف والقوة، لخلقه من في السموات والأرض." (١)

"والملائكة وسائر الخلق، لكي إذا رفع بعضهم فوق بعض في الدرجات، لم ير أحد من خلقه من الملائكة والسموات والأرض وسائر الخلق أحكامه بين عباده إلا جميلاً؛ وابتلاهم بالطاعة، وبالحدود والفرائض، والأمر والنهي، فقال: (ولنبلونهم حتنعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم). أي يستخرج أسرار ضمائرهم، حتى يكون عذري يوم القيامة قائماً، وأمري ظاهراً، فلا يرى خلقي مني ذلك إلا حسناً جميلاً ومعروفاً؛ فلما علم أنهم يضيعون حدوده وفرائضه، من أجل الشهوات المركبة فيهم، وضعف الإيمان، وقلة اليقين، علم أنه سيكون من هذا الخلق أمور تحدث أسبابها من الهوى والشهوات، وقلة المعرفة بأمور ربه، وضعف اليقين، وزجرهم عن أشياء رحمة منه عليهم، وتعظيماً لهم، لأن من آمن ودخل في ولايته وحزبه صار سعيداً بجنته، فحرم." (٢)

"قال الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – وقد روي عن عبد الرحمن بن بزرج قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين "٣١ – أخبرنا علي بن أحمد بن عبدان، حدثنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا أحمد بن بشر المرثدي، حدثنا أحمد بن عيسى، حدثنا عبد الله بن وهب، حدثنا سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الرحمن بن بزرج. . .، فذكره " وهذا أيضا يدل على تفاوتهم في اليقين، وأما قول الله عز وجل: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] وما ورد في معناه فإنه لا –[١٣٥]– يمنع من قولنا بزيادة الإيمان ونقصانه لأن معنى قوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ [المائدة: ٣] أي أكملت لكم وضعه فلا أفرض عليكم من بعد ما لم أفرضه عليكم إلى اليوم، ولا أضع عنكم بعد اليوم ما قد فرضته قبل اليوم فلا تغليظ من الآن ولا تخفيف، ولا نسخ ولا تبديل، وليس معناه أنه أكمل لنا ديننا من قبل أفعالنا لأن ذلك لو كان كذلك لسقط عن المخاطبين بالآية الدوام على الإيمان لأن الدين قد كمل، وليس

(١) أدب النفس، الترمذي، الحكيم ص/٩٠

(٢) أدب النفس، الترمذي، الحكيم ص/٩١

بعد الكمال شيء، فإذا كان الدوام على الإيمان مستقبلا وهو إيمان فكذلك الطاعات الباقية التي تجب شيئا فشيئا كلها إيمان، والكمال راجع إلى إكمال الشرع والوضع لا إلى إكمال أداء المؤدين له وقيام القائمين به والله أعلم "." (١)

"٢٠٣ – أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإمام، أخبرنا أبو بكر أحمد بن –[٣٨٣]– إبراهيم بن إسماعيل، أخبرنا علي بن روحان العسكري، حدثنا علي بن محمد بن مروان السدي، حدثنا أبي، حدثنا عمرو بن قيس الملائي، ح وأخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي، أخبرنا محمد بن يزيد، أخبرنا محمد بن خلف وكيع، حدثنا علي بن شعيب، حدثنا موسى بن بلال، حدثنا أبو عبد الرحمن السدي، عن عمرو بن قيس الملائي، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره، إن الله بحكمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط " " محمد بن مروان ضعيف، وروي ذلك عن ابن مسعود من قوله مرة، ومرفوعا أخرى أما المرفوع فما "." (٢)

"٤٦٥ – أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول في معنى الحديث الذي روي جبلت القلوب على حب من أحسن إليها، وبغض من أساء إليها فقال: "كيف لا تحب واجدك، وما انفككت من تواتر نعمته قط، ولا تنفك أبدا، ولكن ضعف اليقين، وكدورة المعرفة، ونقص الإيمان حجبك عن محبته والميل إليه "." (٣)

"أين الأحبة والجيران ما فعلوا ... أين الذين هم كانوا لها سكناسقاهم الموت كأسا غير صافية ... صيرهم تحت أطباق الثرى رهناقوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) وقرأ ابن مسعود والأعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي" لنثوينهم" بالثاء مكان الباء من الثوي وهو الإقامة، أي لنعطينهم غرفا يثوون فيها. وقرأ رويس عن يعقوب والجحدري والسلمي" ليبوئنهم" بالياء مكان النون. الباقون" لنبوئنهم" أي لننزلنهم." غرفا" جمع غرفة وهي العلية المشرفة. وفي صحيح مسلم عن سهل «١» بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم" قالوا: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال:" بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين" وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها" فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال:" هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام" وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب" التذكرة" والحمد لله. قوله تعالى: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) أسند الواحدي عن يزيد بن هرون، قال: حدثنا حجاج بن المنهال عن الزهري– وهو عبد الرحمن بن عطاء– عن

---

(١) شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر ١٣٤/١

(٢) شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر ٣٨٢/١

(٣) شعب الإيمان، البيهقي، أبو بكر ٣٨/٢

عطاء عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر [ويأكل «٢»] فقال" يا بن عمر مالك لا تأكل" فقلت لا أشتهيه يا رسول الله فقال" لكني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة لم أذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال: والله ما برحنا حتى نزلت:" وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم".______________(١). هذه رواية أبي سعيد الخدري، كما في صحيح مسلم.(٢). الزيادة من كتاب" أسباب النزول" للواحدي.." (١)

"الله صلى الله عيه وسلم قال: (يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي). قال علماؤنا رحمة الله عليهم: يحتمل قوله (يستجاب لأحدكم) الإخبار عن [وجوب «١»] وقوع الإجابة، والإخبار عن جواز وقوعها، فإذا كان بمعنى الإخبار عن الوجوب والوقوع فإن الإجابة تكون بمعنى الثلاثة الأشياء المتقدمة. فإذا قال: قد دعوت فلم يستجب لي، بطل وقوع أحد هذه الثلاثة الأشياء وعري الدعاء من جميعها. وإن كان بمعنى جواز الإجابة فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصة، ويمنع من ذلك قول الداعي: قد دعوت فلم يستجب، لي، لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط. قلت: ويمنع من إجابة الدعاء أيضا أكل الحرام وما كان في معناه، قال صلى الله عليه وسلم: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك) وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء من هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشيء المدعو به. فمن شرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنبا لأكل الحرام، وألا يمل من الدعاء. ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الأمور الجائزة الطلب والفعل شرعا، كما قال: (ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم. وقال سهل بن عبد الله التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال. وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح. فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الأسحار، وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه______________(١). زيادة عن الموطأ يقتضيها السياق.." (٢)

"أبي أويس وداود بن سعيد بن زنبوعة، وهو ضعيف دليلا، فإن الله سبحانه قد أخبر بسهمهم فيها نصا فكيف يخلفون عنه استقراء وسبرا. والصحيح الاجتهاد في قدر الأجرة، لأن البيان في تعديد الأصناف إنما كان للمحل لا للمستحق، على ما تقدم. واختلفوا في العامل إذا كان هاشميا، فمنعه أبو حنيفة لقوله عليه السلام: (إن الصدقة لا تحل لآل محمد إنما

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٥٩/١٣

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣١١/٢

هي أوساخ الناس). وهذه صدقة من وجه، لأنها جزء من الصدقة فتلحق بالصدقة من كل وجه كرامة وتنزيها لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غسالة الناس. وأجاز عمله مالك والشافعي، ويعطى أجر عمالته، لأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب مصدقا، وبعثه عاملا إلى اليمن على الزكاة، وولى جماعة من بني هاشم وولى الخلفاء بعده كذلك. ولأنه أجير على عمل مباح فوجب أن يستوي فيه الهاشمي وغيره اعتبارا بسائر الصناعات. قالت الحنفية: حديث علي ليس فيه أنه فرض له من الصدقة، فإن فرض له من غيرها جاز. وروي عن مالك. الحادية عشرة- ودل قوله تعالى:" والعاملين عليها" على أن كل ما كان من فروض الكفايات كالساعي والكاتب والقسام والعاشر وغيرهم فالقائم به يجوز له أخذ الأجرة عليه. ومن ذلك الإمامة، فإن الصلاة وإن كانت متوجهة على جميع الخلق فإن تقدم بعضهم بهم من فروض الكفايات، فلا جرم يجوز أخذ الأجرة عليها. وهذا أصل الباب، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (ما تركت بعد نفقة نسائي «١» ومئونة عاملي فهو صدقة) قاله ابن العربي. الثانية عشرة- قوله تعالى: لا ذكر للمؤلفة قلوبهم في التنزيل في غير قسم الصدقات، وهم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. قال الزهري: المؤلفة من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنيا. وقال بعض المتأخرين: اختلف في صفتهم، فقيل: هم صنف من الكفار_______________(١). في ابن العربي: (عيالي). [.....]." (١)

"أنه مرزوق بجلده، ولا يتصور العاجز أنه ممنوع من الرزق بعجزه.(وهو السميع) الذي يسمع كل مسموع (العليم) بكل معلوم.أخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، قال السيوطي: بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر و يأكل، قال لي: مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين؟ قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت:." (٢)

"ورده إليه لا الاستنباء، إذ قد ثبت قبل بقوله تعالى ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبقى إلى الفلك المشحون﴾ بخلاف ما نحن فيه، كذا قيل، فليتأمل. وأما أقوال العترة فقد أسلفنا قول الأمير «لابد للناس» الخ وأيضا روى في الكافي ما قال الأمير لأصحابه «لا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل، فإني لست آمن أن أخطئ» (رحمه الله١) والحمل على المشورة الدنيوية يأباه الصدر كما لا يخفى. وأيضا روى صاحب الفصول عن أبي مخنف (رحمه الله٢) أنه قال: كان الحسين يبدي الكراهة من صلح أخيه الحسن مع معاوية ويقول: لو جز (رحمه الله٣) أنفي كان أحب إلي مما فعله أخي. (رحمه الله٤) وإذا خطأ أحد المعصومين الآخر ثبت خطأ أحدهما بالضرورة لامتناع اجتماع النقيضين.وأيضا في الصحيفة الكاملة (رحمه الله٥) للسجاد «وقد ملك الشيطان عناني في سوء الظن وضعف اليقين، وإني أشكو سوء مجاورته لي وطاعة نفسي له» فظاهر أنه – على الصدق والكذب – مناف للعصمة. (رحمه الله٦)ومن أدلتهم على العصمة أن الإمام لو لم يكن معصوما لزم التسلسل. بيان

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ١٧٨/٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٤/١٠

الملازمة أن المحوج للنصب هو جواز الخطأ للأمة، فلو جاز الخطأ عليه أيضا لافتقر إلى آخر وهكذا، فيتسلسل. (رحمه الله٧)ويجاب بمنع أن المحوج ما ذكر، بل المحوج تنفيذ الأحكام ودرء المفاسد وحفظ بيضة الأسلام مثلا، ولا حاجة في ذلك إلى العصمة، بل الاجتهاد والعدالة كافيان. ولما لم يكن إثم على التابع إذ ذاك استوى جواز الخطأ وعدمه. سلمنا لكن التسوية ممتنعة بل تنتهي السلسلة إلى النبي. سلمنا لكنه منقوض بالمجتهد النائب عن الإمام في الغيبة عند الإمامية، (رحمه الله٨) وليس بمعصوم إجماعا فيلزم ما لزم، والجواب هو الجواب.ومن الأدلة أيضا أنه حافظ للشريعة (رحمه الله٩) فكيف الخطأ؟ ويجاب بالمنع، بل هو مروج، والحفظ بالعلماء لقوله تعالى ﴿الربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾ (رحمه الله١٠) وقوله تعالى ﴿كونوا ربانيين بما كنتم تدرسون﴾. وأيضا إذا كان الحفظ بالعلماء زمن الفترة وفي الغيبة على ما في كشكول الكرامة للحلي (رحمه الله١١) ففي الحضور كذلك. سلمنا، لكن الحفظ بالكتاب والسنة والإجماع، لا بنفسه، ويمتنع الخطأ في هذه الثلاثة،رحمه الله_____________(رحمه الله١) الكافي: ٨/ ٣٥٨؛ نهج البلاغة (بشرح ابن أبي الحديد): ١١/ ١٠١.(رحمه الله٢) أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد الأزدي الكوفي الأخباري، عده الطوسي من رجال علي ومن أصحاب الحسن والحسين – رضي الله عنهم – ا (فهرست الطوسي: ص ٣٨١)، ولكن الحلي ومحققي الإمامية قالوا إن الراجح أن الطوسي يعني أباه يحيى (الخلاصة: ص ١٣٦).(رحمه الله٣) في كتب الإمامية (حزّ).(رحمه الله٤) الأربلي، كشف الغمة عن معرفة الأئمة: ٢/ ٣٥.(رحمه الله٥) قال عنها الطهراني: «الصحيفة السجادية الأولى المنتهى سندها إلى الإمام زين العابدين المعبر عنها (أخت القرآن) و (إنجيل أهل البيت) و (زبور آل محمد) ... وهي من المتواترات عند الأصحاب ... ». الذريعة: ١٥/ ١٨.(رحمه الله٦) السجاد هو علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.(رحمه الله٧) قال نصير الدين الطوسي: «وامتناع التسلسل يوجب عصمته، ولأنّه حافظ للشرع، لوجوب الإنكار عليه لو أقدم على المعصية فيضاد أمر الطاعة، ويفوت الغرض من نصبه، ولانحطاط درجته عن أقل العوام». كشف المراد في شرح صحيح الاعتقاد: ص ٢٦٤.(رحمه الله٨) ويسمى عند الإمامية المرجع الديني أو آية الله أو الحجة، وهو بمثابة الحكومة أو الحاكم، فقد جاء: «اتقوا الحكومة، فإن الحكومة إنما هي للإمام العالم بالقضاء العادل في المسلمين أو للنبي أو وصي نبي». الكافي: ٧/ ٤٠٦؛ من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٥. قال الشوشتري: «فإن المأذون من قبلهما [النبي أو الوصي] ينطبق عليه عنوان الوصي ولو عناية كوكيل الوصي، فيكون المجتهد ممن عهد إليه هذا المنصب، وظاهر الرواية المتقدمة نفي الولاية العرضية عن غير النبي والإمام عليهما السلام لا نفي الولاية الطولية الحاصلة بالأذن». منتهى الدراية: ٨/ ٤٠٩.(رحمه الله٩) قال المجلسي: «فلو لم يجعل لهم قيما حافظا لما جاء به الرسول، فسدوا على نحو ما بينّا، وغُيرت الشرائع والسنن والأحكام والإيمان، وكان ذلك فساد الخلق أجمعين». بحار الأنوار: ٢٣/ ١٩.(رحمه الله١٠) قال القرطبي: «الربانيون وأحدهم رباني منسوب إلى الرب والرباني الذي يربى الناس بصغار العلم قبل كباره وكأنه يقتدي بالرب سبحانه في تيسير الأمور». الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٢٢. وقال المجلسي: «الربانيون الذين علت درجتهم في العلم والأحبار العلماء الكبار ﴿بما استحفظوا﴾ أي بما استودعوا من كتاب الله وبما أمروا

بحفظ ذلك والقيام به وترك تضييعه». بحار الأنوار: ١٣/ ٢٠٢.(رَحِمَهُ اللَّهُ١١) جمال الدين أبي منصور الحسن بن يوسف بن علي الحلي (ت ٧٢٦). الذريعة: ١٨/ ٧٣.." [١]

"(وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم) وهذا هو الأمر الأول، وهو أساس لما قبله ولما بعده، فالدين يمكن فيما بينهم، فلا يكون ثمة ما يسوغ ضعف اليقين، بل تبقى الحجة للقرآن وحده، ويدركه الناس في دعة واستقرار، ولا يوجد إيذاء ولا استخذاء ولا استهزاء، ولا تهكم على المؤمنين، ولا يستطيعون كما فعلوا من قبل (. . . وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي. . .)، والثاني بينه سبحانه وتعالى بقوله: (وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا)، أي يجعل الله تعالى من بعد الخوف المستمر من المشركين أمنا دائما مستقرا، وكان التنكير لبيان عظيم الأمن، وإنه أمن مستقر ثابت، ولقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: " ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " (رَحِمَهُ اللَّهُ١)، وهنا إشارة بيانية في قوله تعالى: (دينهم الذي ارتضى لهم)، أي الذي ارتضاه سبحانه واختاره لهم، ففي هذا إشارة أولا: إلى كمال نعمته عليهم بهذا الدين، وثانيا: بأنه اختاره وارتضاه لهم، وثالثا: بأنه الحق الذي لا ريب فيه.وقال سبحانه مبينا خاصة هذا الدين الحق، وشعار الذين بدلهم سبحانه من بعد خوفهم أمنا، فقال: (يعبدونني لا يشركون بي شيئا)، أي يعبدونني وحدي في عامة أمورهم، لا يشركون بي شيئا في عبادة ولا طاعة ولا عمل، فعبادتهم له سبحانه وطاعتهم له وحده، فلا يطيعون حاكما ويتركون طاعة الله، وإذا خيروا بين عصيان الحاكم، وعصيان الله اختاروا عصيان الحاكم، فإن استمروا على ذلك استمر لهم السلطان في الأرض.وقوله تعالى: (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون)، أي من كفر وخالف وعصى الله بعد التمكين والأمن والاستقرار (فأولئك هم الفاسقون)، أي الخارجون الجائرون البائرون فلا يكون كفرهم مجرد جحود، بل هو الضياع لا محالة، واعتبررَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) جزء من حديث رواه البخاري: المناقب – علامات النبوة في الإسلام (٣٣٤٣)، أبو داود: الجهاد (٢٢٧٨). من رواية لخباب بن الأرت رضي الله عنه.." [٢]

"كم من ملوك مضى ريب الزمان بهم ... قد أصبحوا عبرا فينا وأمثالاوقال أيضا:ألا من لمهموم الفؤاد حزينه ... إذا ابتز منه العزم ضعف يقينهوإذ هو لا يدري لعل كتابه ... سيعطاه منشورا بغير يمينهويلتمس الإحسان بعد إساءة ... فلا تحسبن الله غير معينهإذا ما اتقى الله امرؤ في أموره ... وكان إلى الفردوس جل حنينهسعى يبتغي عونا على البر والتقى ... ليبتاعه من ماله بثمينهفصف الخدين ما استطعت من القذى ... ألا إنما كل امرئ بخدينهوخير قرين أنت مقترن به ... قرين نصيح منصف لقرينهوكل امرئ فيه وفيه فداره ... على ذاك واحمل غثه لسمينهلكل مقام قائم لا يجوزه ... فدع غي قلب خائض في فتونهوأفضل هدي هدي سمت محمد ... نبي تنقاه الإله لدينهعليه السلام كان في النصح رحمة ... وفي بره بالعالمين ولينهإمام هدى ينجاب عن وجهه الدجى ... كأن الثريا علقت بجبينهوقال أيضا:أتدري أي ذل السؤال ... وفي بذل الوجوه إلى الرجاليعز على التنزه من رعاه ... ويستغني العفيف بغير مالإذا كان النوال ببذل وجهي ... فلا قربت من

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية، الألوسي، محمود شكري ص/١٢١

(٢) زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة ١٠/٥٢٢١

ذاك النوالمعاذ الله من خلق دنيء ... يكون الفضل فيه علي لا ليتوق يدا تكون عليك فضلا ... فصانعها إليك عليك عاليد تعلو يدا بجميل فعل ... كما علت اليمين على الشمال." (١)

" حدثنا سليمان قال ثنا محمد بن عبدالله الحضرمي قال ثنا عباد بن أحمد العرزمي قال ثنا عمي عن أبيه عن عمرو بن شمر عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول ثلاثة يوم القيامة على كثبان من المسك لا يحزنهم الفزع الأكبر ولا يكترثون للحساب رجل قرأ القرآن محتسبا ثم أم به قوما ورجل أذن محتسبا ومملوك أدى حق الله وحق مواليه غريب من حديث عمرو تفرد به عمرو بن شمر

حدثنا القاضي أبو احمد محمد بن احمد قال ثنا محمد بن الحسين بن حفص قال ثنا علي بن محمد بن مروان قال ثنا أبي عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على مالم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره اليك حرص حريص ولا يرده كره كاره ان الله جعل الروح والفرج في الرضى واليقين وجعل وجعل الهم والحزن في الشك والسخط غريب من حديث عمرو تفرد به علي بن محمد بن مروان عن أبيه

حدثنا محمد بن حميد قال ثنا حامد بن شعيب قال ثنا الحسين بن محمد ١ قال ثنا محمد بن الحسن بن أبي يزيد عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وفضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه

حدثنا محمد بن اسحاق بن أيوب قال ثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال ثنا منجاب بن الحارث قال ثنا ابراهيم بن يوسف قال ثنا زياد بن عبدالله البكائي قال ثنا محمد بن إسحاق قال ثنا عمرو بن قيس عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قتل أبي يوم أحد فبلغني ذلك فأقبلت فإذا هو بين يدي رسول الله صلى الله عليه و سلم مسجى فتناولت الثوب عن وجهه وأصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم ينهوني كراهية أن أرى ما به من المثلة ورسول الله صلى ." (٢)

" الحواري قال شكوت إلى أبي سليمان الوسواس فقال إني أرى قد غمك يا أبا الحسن إن أردت أن يقطع عنك فإن أحسست بها فافرح بها فإنك إذا فرحت بها انقطع عنك فإنه لس شيء أبغض اليه من سرور المؤمن وإن اغتممت منها ذادك

حدثنا إسحاق بن أحمد ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول إنما يجيء الوسواس وكثرة الرؤيا إلى كل ضعيف فإذا أخلص انقطع عنه الرؤيا وكثرة الوسواس قال أبو سليمان وربا أقمت سنين لا أرى الرؤيا

حدثنا إسحاق بن أحمد ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان الداراني يقول العيال يضعفون يقين الرجل إنه إذا كان وحده فجاع قنع وإذا كان له عيال طلب لهم وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين

---

(١) مجموعة القصائد الزهديات، عبد العزيز السلمان ٢/٢٨٤

(٢) حلية الأولياء، ٥/١٠٦

حدثنا إسحاق ثنا إبراهيم بن يوسف ثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سلميان يقول إذا جاءت الدنيا إلى القلب ترحلت الآخرة منه وإذا كانت الدنيا في القلب لم تجئ الآخة تزحمها لأن الدنيا لئيمة والآخرة عزيزة

حدثنا إسحاق بن إبراهيم ثنا أحمد قال سمعت أبا سليمان يقول يلبس أحدهم عباءة قيمتها ثلاثة دراهم ونصف وشهوته في قلبه خمسة دراهم أفما يستحي أن تجاوز شهوته لباسه قال أبو سليمان وإذا لم يبق في قلبه من الشهوات شيء جاز له أن يتدرع عباءة ويلزم الطريق لأن العباءة علم من أعلام الزهد ولو انه ستر زهده بثوبين أبيضين بخلطة الناس كان أسلم له

حدثنا إسحاق ثنا إبراهيم ثنا أحمد قال حدثني أبو سليمان قال شهدت مع أبي الأشهب جنازة بعبادان فسمعته يقول أوحى الله تعالى إلى داود عليه اسلام يا داود حذر فأنذر أصحابك أكل الشهوات فإن القلوب المتعلقة بشهوات الدنيا عقولها محجوبة عني قال أبو سليمان فكتبته في رقعة وارتحلت ما معي حديث غيره ." (١)

" فأيقنوا واستبصروا ونظروا بأعين الوجوه إلى الدنيا فاعتبروا وانزجروا فاستصغروا ما أحاطت به أعين الوجوه من الدنيا واستعظموا ما أحاظت به عين القلوب من ملك الآخرة

حدثنا أبو محمد بن حيان ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال قرأت على عبدالعزيز بن محمد الدمشقي عن أحمد بن عاصم الأنطاكي قال إني أدركت من الأزمنة زمانا عاد فيه الإسلام غريبا كما بدأ وعاد وصف الحق فيه غريبا كما بدأ إن نزعت فيه الى عالم وجدته مفتونا بالدنيا يحب التعظيم والرياسة وإن نزعت الى عابد وجدته جاهلا في عبادته مجذوعا صريع عدوه إبليس قد صعد به إلى أعلى سطح في العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها وسائر ذلك من الرعاع فقبيح أعوج وذئاب مختلسة وسباع ضارية وثعالب جارية هذا وصف عيون مثلك في زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة وذلك أني لست أرى عالما إلا مغلوبا على عقله بعيدا غور فطنته لمضرت لأمور دنياه متبعا هواه معجبا برأيه شحيحا على دنياه سمحا بدينه منعزما بمذموم القضاء معانقا لهواه فيما يرضى غير منتقل عما يكره الله تعالى منه بل مستزيدا من أنواع الفتنة والبلاء محتملا شقاء الدنيا بالشهوة قاسيا قلبه عظيما غفلته عما خلق له مستبطئا لما يدعى مما قد ضمن له غير واثق بالله مفقود منه خوف ما قد استوجب به النار معترض للموت فيما يستقبل مشغوف بدنياه غافل عن آخرته عاشق للذهب والفضة زاهد فيما ندب اليه من اشوق فكا انه ضعف يقينه فيما يتشوق اليه كذلك كان أنه عند الوعيد فعندها كان ناسيا لذنوبه ذاكرا محاسنه قد صيرها نصب عينينه وآثامه تحت قدميه داخلا فيما لا يعنيه مشغوفا بالدنيا لا يقنعه قليلها ولا يشبعه كثيرها ولا يسعى ولا يكدح الا لها ولا يفرح ولا يتزين إلا لها ولا يرضى ويسخط إلا لها راض بحظه بقليل حظه المتروك النتقل عنه من كثير حظه من آخرته بل راض بحظه من المخلوقين من حظه من خالقه خائف من فقر بدأ به آمن من معاص قد ." (٢)

---

(١) حلية الأولياء، ٩/٢٦٠

(٢) حلية الأولياء، ٩/٢٨٦

" العبد بأعمال الطاعات لله ومن سحق عقله ضعف يقينه ومن ضعف يقينه فقد منه خوفه وظهر منه أمنه ومن ظهر منه أمنه كثرت غفلته ومن كثرت منه غفلته قسا منه قلبه ومن قسا منه قلبه لم ينجح فيه موعظة وغلب عليه حب دنياه وكثرت فيه أعمال آخرته بلا حقيقة خوف والله المستعان

حدثنا أبي قال سمعت عثمان بن محمد بن يوسف يقول سمعت أبي محمد بن يوسف يقول قال أحمد بن عاصم كتب رجل إلى أخيه أما بعد فاطلب ما يعنيك بترك مالا يعنيك فإن في ترك مالا يعنيك درك لما يعنيك قال وكتب رجل الى أخيه أما بعد فالله اسمع أحدثك عنه انه لم يرفع المتواضعين بقدر تواضعهم ولكن بقدر كرمه وجوده ولم يفرح المحزونين بقدر حزنهم ولكن بقدر رأفته ورحمته فما ظنك بالتواب الرحيم الذي يتودد الى من يؤذى به فكيف بمن يؤذى فيه وما ظنك بالتواب الرحيم الكريم الذي يتوب على من يعاديه فكيف بمن يعادي فيه والذي يتفضل على من يسخطه ويؤذيه فكيف بمن يترضاه ويختار سخط العباد فيه

حدثنا سليمان بن أحمد ثنا أحمد بن محمد بن موسى الأنطاكي قال سمعت أبا عبدالله أحمد بن عاصم الأنطاكي يقول أشر مكنة الرجل البذاء وهو الوقيعة منه وهي الغيبة وذلك أنه لا ينال بذلك منفعة في الدنيا ولا في الآخرة بل يبغضه عليه والمتقون يهجره الغافلون وتجتنبه الملائكة وتفرح به الشياطين ويقال إنها تفطر الصائم وتنقض الوضوء وتحبط الأعمال وتوجب المقت والغيبة والنميمة قرينتان مخرجهما من طريق البغي والتمام قاتل والمغتاب آل الميتة والباغي مستكبر ثلاثتهم واحد وواحدهم ثلاثة فإذا عود نفسه ذلك رفعه الى درجة البهتان فيصير مغتابا مباهتا كذابا فإذا ثبت فيه الكذب والبهتان صار مجانبا للإيما قال أحمد بن عاصم ولا يكسب بالغيبة تعجيل ثناء ولا يبلغ به رئاسة ولا يصل به الى مزية في دنيا من مطعم أو ملبس ولا مال وهو عند العقلاء منقوص وعند العامة سفيه وعند الأمناء خائن وعند الجهال مذموم ولا يحتمله في نقص الا من كان في ." (١)

" الدنيا والآخرة إلا من كان محرما لهم وأما غيرهم فلا إلا منتقبين من وراء حجبهم قال وقرئ عند أبي يزيد يوما يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا قال فهاج ثم قال من كان عنده فلا يحتاج أن يحشر لأن جليسه أبدا وقيل لأبي يزيد أيصل العبد إليه في ساعة واحدة قال نعم ولكن يرد بالفائدة والربح على قدر السفر قال الشيخ رحمه الله تعالى اقتصرنا على هذا القدر من كلامه لما فيه من الإشارات العميقة التي لا يصل إلى الوقوف على مودعها إلا من غاص في بحره وشرب من صافي أمواج صدره وفهم نافثات سره المتولدة المنتشرة من سكره فأما الرواية عنه فغير محفوظة غير أني رأيت من ورائه شيخا واعظا لقيته ببغداد وبالبصرة يعرف بأبي الفتح بن الحمصي أحمد بن الحسين بن محمد ابن سهل فذكر أن علي بن جعفر البغدادي حدثهم قال قال أبو موسى الدؤلي ثنا أبو يزيد البسطامي ثنا أبو عبدالرحمن السندي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على مالم يؤذك به الله إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص ولا يرده كره كاره وإن الله تعالى بحكمه وجلاله جعل الفرح والروح في الرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله وهذا

(١) حلية الأولياء، ٢٩١/٩

الحديث مما ركب على أبي يزيد والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه وحدثنا بهذا الحديث القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم ثنا محمد بن الحسين بن حفص ثنا علي بن محمد بن مروان وهو السري ثنا أبي ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن من ضعف اليقين فذكر مثله قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله أما شموس أهل المشرق وأعلامهم فقد عنى بذكرهم الشيخ أبو عبدالرحمن السلمي النيسابوري في كتابه المترجم ." (١)

" فرقة أخرى زهد المحب في الجنة دون الدنيا حذرا من أن يقول له حبيبه يا محب أي شيء تركت لي فيقول تركت لك الدنيا فيقول وما قدر الدنيا فيقول يا رب قدرها جناح بعوضة فيلحقه من الحياء من الله أن يقول له تركت لك ما قدره جناح بعوضة ولكن تعلم يا رب أني لم أعبدك إلا بثواب الجنة فقط لا أريد منك غير ذلك وما الجنة مع ذكرك فزهد المحب الصادق في الدنيا هو الزهد في الإخوان الذين يشغلون عن الله فقد زهد فيهم لعلمه بما يلحقه من الآفات عند مشاهدتهم فزهده فهيم على علم بهم

أخبرنا محمد بن أحمد وحدثني عنه عثمان بن محمد قبل أن لقيته ثنا أبو العباس بن مسروق قال سمعت الحارث بن أسد يقول من عدم الفهم عن الله فيما وعظ لم يحسن أن يستجلب وعظ حكيم ومن خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به الخطا إلى مواطن الهلكة فكشفت عنه ستر العدالة وفضحته شواهد العزة فلا يرى جميلا يرغب فيه ولا قبيحا يأنف عنه فتبسط نفسه إلى ري الشهوات ولا تميل إلى لذيذ الراحات فيستولي عليه الهوى فينقص قدره عند سيده ويشين إيمانه ويضعف يقينه

أخبرنا محمد بن أحمد وحدثني عنه عثمان ثنا أبو العباس بن مسروق قال سئل الحارث بن أسد عن الزهد في الدنيا قال هو عندي العزوف عن الدنيا ولذاذتها وشهواتها فتنصرف النفس ويتعزز الهم وانصراف النفس ميلها إلى ما دعا الله إليها بنسيان ما وقع به من طباعها واعتزاز الهم الانقطاع إلى خدمة المولى يضن بنفسه عن خدمة الدنيا مستحيا من الله أن يراه خادما لغيره فانقطع إلى خدمة سيده وتعزز بملك ربه فترحل الدنيا عن قلبه ويعلم أن في خدمة الله شغلا عن خدمة غيره فيلبسه الله رداء عمله ويعتقه من عبوديتها واعتز أن يكون خادما للدنيا لعزة العزيز الذي أعزه بالإعتزاز عنها فصار غنيا من غير مال وعزيزا من غير عشيرة ودرت ينابيع الحكمة من قلبه ونفذت بصيرته وسمت همته ووصل بالوهم إلى منتهى أمنيته فترقى وارتفع ووصل إلى روح الفرج من هموم الأطماع وعذاب ." (٢)

" ٣٠ – أخبرنا أبو عبد الله الحافظ ثنا أبو منصور محمد بن القاسم العتكي ثنا الفضل بن محمد الشعراني ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثني مالك . ح

---

(١) حلية الأولياء، ١٠/٤١

(٢) حلية الأولياء، ١٠/٨٥

و أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الله الأديب أنبأ أبو بكر الإسماعيلي أخبرني الحسن بن سفيان ثنا هارون بن سعيد الأيلي حدثنا عبد الله بن وهب حدثني مالك عن عمرو بن يحيى المازني أخبرني أبي عن أبي سعيد الخدري : أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال :

يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء برحمته و يدخل أهل النار النار ثم يقول : انظروا من وجدتم في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فأخرجوه فيخرجون منها حمما قد امتحشوا و يلقون في نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها تخرج صفراء ملتوية ؟

هذا لفظ حديث ابن وهب رواه البخاري في الصحيح عن ابن أبي أويس و رواه مسلم عن هارون بن سعيد

قال الحليمي ـ رحمه الله تعالى ـ :

و وجه هذا أن يكون في قلب واحد توحيد ليس معه خوف غالب على القلب فيردع و لا رجاء حاضر له فيطمع بل يكون صاحبه ساهيا قد أذهلته الدنيا عن الآخرة فإنه إذا كان بهذه الصفة انفرد التوحيد في قلبه عن قرائنه التي لو كانت أبوابا من الإيمان تتكثر بالتوحيد و يتكثر التوحيد بها إذ كانت تصديقا و التصديق من وجه واحد أضعف من التصديق من وجوه كثيرة فإذا كان ذلك خف وزنه و إذا تتابعت شهاداته ثقل وزنه

و له وجه آخر : و هو أن يكون إيمان واحد في أدنى مراتب اليقين حتى إن تشكك تشكك و إنما آخر في أقصى غايات اليقين فهذا يثقل وزنه و الأول يخف وزنه

و له وجه آخر :

و هو أن يكون إيمان واحد ناشئا عن استدلال قوي و نظر كامل و إيمان آخر واقع عن الخبر و الركون إلى المخبر به على ما النبي

ذكره فيكون الأول أثقل وزنا و الثاني أخف وزنا و هذا الخبر يدل على تفاوت الناس في إيمانهم

قال الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي ـ رحمه الله ـ و قد روي عن عبد الرحمن بن بزرج قال سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين ." (١)

" ٢٠٧ – أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإمام أنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل أنا علي بن روحان العسكري ثنا علي بن محمد بن مروان السدي ثنا أبي حدثنا عمرو بن قيس الملائي

و أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي أنا محمد بن يزيد أنا محمد بن خلف وكيع ثنا علي بن شعيب ثنا موسى بن بلا ثنا أبو عبد الرحمن السدي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم :

---

(١) شعب الإيمان، ٦٢/١

إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله و أن تحمدهم على رزق الله و أن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص و لا يرده كره كاره إن الله بحكمه و جلاله جعل الروح و الفرح في الرضا و اليقين و جعل الغم و الحزن في الشك و السخط

محمد بن مروان ضعيف

و روي ذلك عن ابن مسعود من قوله مرة و مرفوعا أخرى أما المرفوع فما ." (١)

" ٤٦٦ – أخبرنا أبو عبد الرحمن السلمي قال : سمعت أبا الحسين الفارسي يقول : سمعت ابن العطاء يقول في معنى الحديث الذي روى : جبلت القلوب على حب من أحسن إليها و بغض من أساء إليها فقال : كيف لا تحب و أجدك وما انفككت من تواتر نعمته قط و لا تنفك أبدا و لكن ضعف اليقين أو كدورة المعرفة و نقص الإيمان حجبك عن محبته و الميل إليه ." (٢)

"(شيئا حتى أفارق الدنيا) وإنما امتنع من الأخذ مطلقا وإن كان مباركا لسعة الصدر مع عدم الإشراف مبالغة في الاحتراز إذ مقتضى الجبلة الإشراف والحرص والنفس شرافة ومن حام حول الحمى يوشك أن يواقعه، (فكان) بالفاء ولابن عساكر وكان (أبو بكر) الصديق –رضي الله عنه– (يدعو حكيما ليعطيه العطاء فيأبى) أي يمتنع (أن يقبل منه شيئا ثم إن عمر) –رضي الله عنه– (دعاه ليعطيه فأبى أن يقبل) زاد أبو ذر عن الكشميهني منه (فقال): أي عمر (يا معشر المسلمين إني أعرض عليه حقه الذي قسم الله له من هذا الفيء فيأبى أن يأخذه) وإنما فعل ذلك عمر ليبرئ ساحته بالإشهاد عليه (فلم يرزأ حكيم أحدا من الناس) زاد أبو ذر عن الكشميهني شيئا (بعد النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى توفي) –رضي الله عنه–.٣١٤٤ – حدثنا أبو النعمان حدثنا حماد بن زيد عن أيوب عن نافع "أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– قال: يا رسول الله إنه كان على اعتكاف يوم في الجاهلية، فأمره أن يفي به. قال: وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة، قال فمن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على سبي حنين، فجعلوا يسعون في السكك، فقال عمر: يا عبد الله انظر ما هذا؟ فقال: من رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على السبي؛ قال: اذهب فأرسل الجاريتين. قال نافع: ولم يعتمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم– من الجعرانة، ولو اعتمر لم يخف على عبد الله".وزاد جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر وقال: "من الخمس".ورواه معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر في النذر ولم يقل "يوم".وبه قال: (حدثنا أبو النعمان) محمد بن الفضل السدوسي قال: (حدثنا حماد بن زيد) هو ابن درهم (عن أيوب) السختياني (عن نافع) مولى ابن عمر (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: يا رسول الله)كذا رواه حماد عن أيوب عن نافع مرسلا لم يذكر ابن عمر ويأتي في المغازي أن البخاري نقل أن بعضهم رواه عن حماد موصولا (إنه كان علي اعتكاف يوم) ولا منافاة بين ما في كتاب الاعتكاف أنه نذر ليلة لجواز اجتماع نذرهما (في الجاهلية) قبل الإسلام وفي رواية جرير بن حازم عند مسلم أن سؤاله لذلك وقع بالجعرانة بعد أن رجع من الطائف (فأمره) –صلى الله عليه وسلم–(أن يفي به)

---

(١) شعب الإيمان، ٢٢١/١

(٢) شعب الإيمان، ٣٨١/١

بالاعتكاف (قال): أي نافع (وأصاب عمر) -رضي الله عنه- (جاريتين) لم يسميا (من سبي حنين فوضعهما في بعض بيوت مكة قال): أي نافع فيما أرسله (فمن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على سبي حنين) أي أطلقهم (فجعلوا يسعون في السكك فقال عمر) لابنه: (يا عبد الله انظر ما هذا) أي فنظر وسأل عن سبب سعيهم في السكك (فقال): ولأبي ذر قال: (من) أي أطلق (رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على السبي) وفي رواية ابن عيينة عند الإسماعيلي قلت ما هذا؟ قالوا: السبي أسلموا فأرسلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- (قال): أي عمر لابنه (اذهب فأرسل الجاريتين) بهمزة قطع في فأرسل ويستفاد منه العمل بخبر الواحد (قال نافع): مولى ابن عمر (ولم يعتمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الجعرانة) بسكون العين كذا رواه أبو النعمان مرسلا ووصله مسلم وابن خزيمة (ولو اعتمر) عليه السلام منها (لم يخف على عبد الله) قال السفاقسي الذي ذكره جماعة أنه اعتمر من الجعرانة حين فرغ من حنين والطائف وليس في قول نافع حجة لأن ابن عمر لم يحدث بكل شيء علمه ولا كل ما علمه حدث به نافعا ولا كل ما حدث به نافعا حفظه نافع.(وزاد جرير بن حازم عن أيوب) السختياني (عن نافع عن ابن عمر قال): ولأبي ذر وقال: (من الخمس) أي كانت الجاريتان من الخمس وهذا موصول، لكن قال الدارقطني: حماد أثبت من جرير في أيوب.(ورواه) أي حديث الاعتكاف (معمر) بميمين مفتوحتين بينهما عين مهملة ساكنة ابن راشد (عن أيوب) السختياني (عن نافع عن ابن عمر في) حديث (النذر ولم يقل) فيه (يوم) بالجر والتنوين على الحكاية ولأبي ذر يوم بالنصب على الظرفية.٣١٤٥ - حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا الحسن قال: حدثني عمرو بن تغلب -رضي الله عنه- قال: "أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوما ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه فقال: إني أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب، فقال عمرو بن تغلب، ما أحب أن لي بكلمة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حمر النعم". زاد أبو عاصم عن جرير قال: سمعت الحسن يقول: "حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أتي بمال -أو بسبي- فقسمه ... بهذا".وبه قال: (حدثنا موسى بن إسماعيل) المنقري قال: (حدثنا جرير بن حازم) بالحاء المهملة والزاي قال: (حدثنا الحسن) البصري (قال: حدثني) بالإفراد (عمرو بن تغلب) بفتح العين وإسكان الميم وتغلب بمثناة فوقية مفتوحة فغين معجمة ساكنة وبعد اللام المكسورة موحدة غير منصرف (-رضي الله عنه-) أنه (قال: أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قوما ومنه آخرين فكأنهم عتبوا عليه) قال الخليل: حقيقة العتاب مخاطبة الإدلال ومذاكرة الموحدة (فقال) عليه السلام:(إني أعطي قوما أخاف ضلعهم) بفتح الضاد المعجمة واللام أي مرض قلوبهم وضعف يقينهم كذا في الفرع بالضاد الساقطة، وفي بعض الأصول بالظاء المعجمة والمشالة وهو الذي." (١)

"الإجابة وذلك بإتيان المعروف واجتناب المنكر وغير ذلك من مراعاة أركان الدعاء وآدابه حتى تكون الإجابة على القلب أغلب من الرد أو المراد ادعوه معتقدين وقوع الإجابة لأن الداعي إذا لم يكن متحققا في الرجاء لم يكن رجاؤه صادقا وإذا لم يصدق رجاؤه لم يكن الرجاء خالصا والداعي مخلصا فإن الرجاء هو الباعث على الطلب ولا يتحقق الفرع إلا بتحقيق الأصل وهذا الحديث رواه البخاري وأبو داود عن القعنبي عن مالك به وهو في الصحيحين من حديث أنس بنحوه

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٢٤/٥

(مالك عن ابن شهاب عن أبي عبيد) بضم العين وتنوين الدال واسمه سعد بسكون العين ابن عبيد ثقة من كبار التابعين وقيل له إدراك مات بالمدينة سنة ثمان وتسعين (مولى ابن أزهر) بفتح الهمزة والهاء بينهما زاي ساكنة آخره راء عبد الرحمن الزهري المدني صحابي صغير (عن أبي هريرة أن رسول الله قال يستجاب لأحدكم ما لم يعجل) بفتح التحتية والجيم بينهما عين ساكنة من الاستجابة بمعنى الإجابة قال الشاعر فلم يستجبه عند ذاك مجيب أي يجاب دعاء كل واحد منكم لأن الاسم المضاف مفيد للعموم على الأصح

(فيقول) بالفاء بيان لقوله ما لم يعجل (قد دعوت فلم يستجب لي) بضم التحتية وفتح الجيم

قال الباجي يحتمل أن يريد بقوله يستجاب الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة أي تحقق وقوعها أو الإخبار عن جواز وقوعها فإن أريد الوجوب فهو بأحد ثلاثة أشياء تعجيل ما سأله أو يكفر عنه به أو يدخر له فإذا قال دعوت الخ بطل وجوب أحد هذه الثلاثة وعرى الدعاء عن جميعها وإن أريد الجواز فيكون الإجابة بفعل ما دعا به ومنعه قوله دعوت فلم يستجب لأنه من ضعف اليقين والتسخط

وفي مسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل قيل وما الاستعجال قال يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء

ويستحسر بمهملات استفعال من حسر إذا أعيا وتعب وتكرار دعوت للاستمرار أي دعوت مرارا كثيرة

قال المظهري من له ملالة من الدعاء لا يقبل دعاؤه لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا ليعطى عوضه في الآخرة وإما أن يؤخر القبول ليلح ويبالغ في ذلك فإن الله يحب الملحين في الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له

". (١)

" ٢٩٧٦ - حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا الحسن قال حدثني عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال

: أعطى رسول الله صلى الله عليه و سلم قوما ومنع آخرين فكأنهم عتبوا عليه فقال (إني أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغناء منهم عمرو بن تغلب) . فقال عمرو

بن تغلب ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه و سلم حمر النعم

وزاد أبو عاصم عن جرير قال سمعت الحسن يقول حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله صلى الله عليه و سلم أتي بمال أو بسبي فقسمه بهذا

[ر ٨٨١]

---

(١) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، ٤٨/٢

[ش (ظلعهم) أصل الظلع الاعوجاج والميل والمراد هنا مرض القلب وضعف اليقين . (والغناء) وهو الكفاية وفي رواية (والغنى) ضد الفقر . (بهذا) الذي ذكر في الحديث] ." (١)

" صفحة رقم ٦٠٦ والحسد من جهة أنه شر كله ، ومن جهة أنه أخفى من غيره ، وكان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة ، وهن أعرف في كل من هذه الصفات وأرسخ ، وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالغ وجمع وأنث ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى : (النفاثات) أي النفوس الساحرة سواء كانت نوفس الرجال أو نفوس النساء أي التي تبالغ في النفث وهو التفل وهو النفخ مع بعض الريق - هكذا في الكشاف ، وقال صاحب القاموس : وهو كالنفخ وأقل من التفل ، وقال : تفل : بزق ، وفي التفسير عن الزجاج أنه التفل بلا ريق ،) في العقد) أي تعقدها للسحر في الخيوط وما أشبهها ، وسبب نزول ذلك أن يهوديا سحر النبي (صلى الله عليه وسلم) فمرض كما ياتي تخريجه ، فإن السحر يؤثر بإذن الله تعالى المرض ويصل إلى أن يقتل ، فإذا أقر الساحر أنه قتل بسحره وهو مما يقتل غالبا قتل بذلك عند الشافعي ، ولا ينافي قوله تعالى :٧٧ ( ) والله يعصمك من الناس ( ) ٧[المائدة : ٦٧] كما مضى بيانه في المائدة ، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في وصفه (صلى الله عليه وسلم) بأنه مسحور ، فإنهم ما أرادوا إلا الجنون أو ما يشبهه من فساد العقل واختلاله ، والمبالغة في أن كل ما يقوله لا حقيقه له كما أن ما ينشأ عن المسحور يكون مختلطا لا تعرف حقيقته .ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد ، وهو تمني زوال نعمة المحسود :وداريت كل الناس إلا لحاسد مداراته عزت وشق نوالها وكيف يداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالهاقال تعالى : (ومن شر حاسد) أي ثابت الاتصاف بالحسد معرق فيه ، ونكره لأنه ليس كل حاسد مذموما ، وأعظم الحسدة الشيطان الذي ليس له دأب إلا السعي في إزالة نعم العبادات عن الإنسان بالغفلات .ولما كان الضار من الحسد إنما هو ما أظهر وعمل بمقتضاه بالإصابة بالعين أو غيرها قال مقيدا له : (إذا حسد) أي حسد بالفعل بعينه الحاسدة ، وأما - إذا لم يظهر الحسد فإنه لا يتأذى به إلا الحاسد لاغتمامه بنعمة غيره ، وفي إشعار الآية الدعاء بما يحسد عليه من نعم الدارين لأن خير الناس من عاش محسودا ومات محسودا ، ولمن لم يلق بالا للدعاء بذلك ويهتم بتحصيل ما يحسد عليه ضحك منه إبليس إذا تلا هذه الآية لكونه ليس له فضيلة يحسد عليها ، ولعله عبر بأداة التحقيق إشعارا بأن من كلان ثابت الحسد متمكنا من الاتصاف به بما أشعر به التعبير بالوصف تحقق منه إظهاره ، ولم يقدر." (٢)

"والحسد من جهة أنه شر كله ، ومن جهة أنه أخفى من غيره ، وكان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة ، وهن أعرف في كل من هذه الصفات وأرسخ ، وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالغ وجمع وأنث ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى : ﴿النفاثات﴾ أي النفوس الساحرة سواء كانت نوفس الرجال أو نفوس النساء أي التي تبالغ في النفث وهو

---

(١) صحيح البخاري-ن، ١١٤٦/٣

(٢) نظم الدرر . (- ت: عبدالرزاق غالب)، ٦٠٦/٨

التفل وهو النفخ مع بعض الريق – هكذا في الكشاف ، وقال صاحب القاموس : وهو كانفخ وأقل من التفل ، وقال : تفل : بزق ، وفي التفسير عن الزجاج أنه التفل بلا ريق ، ﴿في العقد *﴾ أي تعقدها للسحر في الخيوط وما أشبهها ، وسبب نزول ذلك أن يهوديا سحر النبي صلى الله عليه وسلم فمرض كما ياتي تخريجه ، فإن السحر يؤثر بإذن الله تعالى المرض ويصل إلى أن يقتل ، فإذا أقر الساحر أنه قتل بسحره وهو مما يقتل غالبا قتل بذلك عند الشافعي ، ولا ينافي قوله تعالى : ﴿والله يعصمك من الناس﴾ [المائدة : ٦٧] كما مضى بيانه في المائدة ، ولا يوجب ذلك صدق الكفرة في وصفه صلى الله عليه وسلم بأنه مسحور ، فإنهم ما أرادوا إلا الجنون أو ما يشبهه من فساد العقل واختلاله ، والمبالغة في أن كل ما يقوله لا حقيقه له كما أن ما ينشأ عن المسحور يكون مختلطا لا تعرف حقيقته.ولما كان أعظم حامل على السحر وغيره من أذى الناس الحسد ، وهو تمني زوال نعمة المحسود : وداريت كل الناس إلا لحاسد مداراته عزت وشق نوالها وكيف يداري المرء حاسد نعمة إذا كان لا يرضيه إلا زوالهاقال تعالى : ﴿ومن شر حاسد﴾ أي ثابت الاتصاف بالحسد معرق فيه ، ونكره لأنه ليس كل حاسد مذموما ، وأعظم الحسدة الشيطان الذي ليس له دأب إلا السعي في إزالة نعم العبادات عن الإنسان بالغفلات.جزء : ٨ رقم الصفحة : ٦٠٣." (١)

"""""""" صفحة رقم ٥٩٧ """""""ولم يخبر عمر بما أخبر به الأنصارى ولا شكاه ، لعلمه أنه لم يقصد للأخبار بخلاف القصة ، وإنما هو وهم جرى عليه . وفى قوله : (أستأنس) استنزال السلطان والاستئناس بين يديه بالحديث ، وأخذ إذنه فى الكلام ، وفى تبسم النبى لعمر حين ذكر غلبة قريش لنسائها وتحكم نساء الأنصار عليهم : دليل أن المعنيين ليسا بمحرمين ، وفيه الجلوس بين يدى السلطان وإن لم يأمر بذلك إذا استؤنس منه إلى انبساط خلق . وفيه : أنه لا يجب أن يتسخط أحد حاله ولا ما قسم الله له ، ولا يستحقر نعمة الله عنده ، ولا سابق فضله ؛ لأنه يخاف عليه ضعف يقينه ، وفيه أن المتقلل من الدنيا ليرفع طيباته إلى دار البقاء خير حالا ممن تعجلها فى الدنيا الفانية ، والمتعجل لها أقرب إلى السفه ، وفيه الاستغفار من السخط وقله الرضا ، وفيه سؤال النبى (صلى الله عليه وسلم) الاستغفار ، وكذلك يجبب أن يسأل أهل الفضل والخير الدعاء و الاستغفار . وفيه : أن المرأة تعاقب على إفشاء سر زوجها ، وعلى التحيل عليه بالأذى ، والمنع من موافقته وشهواته بالتوبيخ لها بالقول ، كما وبخ الله أزواج النبى على تظاهرهما عليه وإفشاء سره ، وعاقبهن النبى بالإيلاء والاعتزال والهجران كما قال تعالى : (واهجروهن فى المضاجع (وفيه أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما ، فإنما يجرى فيه على الأهلة التى جعلها الله مواقيت للناس فى آجالهم .." (٢)

"""""""" صفحة رقم ٩٥ """""""ووضح خطأ من حمل وحده على عسكر من المشركين وله إلى ترك ذلك سبيل مع خوفه على نفسه ، وبان فساد قول من زعم أنه من استجن بجنة فى حرب أو لجأ إلى حصن من عدو غالب أو أتخذ غلقا لباب من لص أو أعد زادا لسفر أنه قد برىء من التوكل ، لأن الضر والنفع بيد الله وقد أمر الله نبيه بالدخول فى الغار ولاختفاء فيه من شرار خلقه ، وكان من التوكل على ربه فى الغاية العليا . وفيه الدليل الواضح على فساد قول من زعم أن

---

(١) نظم الدرر . ، ٩٠٣/٨

(٢) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٥٩٧/٦

من خاف شيئا سوى الله فلم يوقن بالقدر ، وذلك أن الصديق قال لرسول الله : (لو أن أحدكم رفع قدمه لأبصرنا) . حذرا أن يكون ذلك من بعضهم فيلحقه ورسول الله من مكروه ، ذلك ماحذره وبذلك أخبر الله تعالى – عنه فى كتابه بقوله : (إلا تنصروه فقد نصره الله (فلم يصفه الله و لا رسوله بذلك من قوله بضعف اليقين ، بل كان من اليقين لقضاء الله وقدرة فى أعلى المنازل ، ولكن قال ذلك إشفاقا على رسول الله ، وكان حزنه بذلك مع علمه أن الله بالغ أمره فيه وفى رسوله وفى نصر دينه ، فجمع الله له بذلك صدق اليقين ، وأجر الجزع على الدين ، وثواب الشفقة على الرسول ، ليضعف له بذلك الأجر ، وكان ذلك منه مثل ماكان من موسى نبى الله إذ أوجس فى نفسه خيفة مما أتت به السحرة ، حين خيل إليه أن حبالهم وعصيهم تسعى ، فقال الله له : (لا تخف إنك أنت الأعلى) ولا شك أن موسى كان من العلم بالله وصدق اليقين بنفوذ قضائه فيه ما لا يلتبس أمره على ذى عقل يؤمن بالله ورسوله ، وكذلك الذى كان من أمر أبى بكر .." (١)

"فشلنا فى صبغ العالم بها يرجع إلى سؤ عرضنا وفشل أسلوبنا..! "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم.. " . وقد ختمت السورة بشرح حالة الأعراب الذين دخلوا فى الإسلام دون أن يتقيدوا بآدابه أو يلتزموا بأحكامه. إنهم نموذج لأقوام ورثوا الإسلام عنوانا ولم يحملوه موضوعا، فكانت قلوبهم خالية من اليقين، وكانت أعمالهم بعيدة عن الصلاح. ص ـــ٤٠٦" قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم... " . وقد نبه الله هؤلاء إلى أن عملهم هو الذى يحكم لهم أو عليهم. " وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا... ". فإذا خذلوا الإسلام حين يتطلب النصرة أو تركوا شمائله حين يتطلب الأدب أو ضعف يقينهم حين تعرض الأزمات، فليسوا بمسلمين! " إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون" . وفى هذا العصر نجد من عامة المسلمين وخاصتهم من يشبهون أعراب الأمس البعيد، فهم ينتمون إلى الإسلام ولا يلبون له نداء أو يؤازرونه فى محنة. ص ـــ٤٠٧." (٢)

"يسأل عما أعقب به فى كل الموضعين وما وجه تخصيصه وهل يجوز وقوع كل منهما فى موضع الآخر ؟والجواب : ان قوله تعالى : "وانها لكبيرة.....الآية.وقوله فى الآية الثانية : "إن الله مع الصابرين ".كلا الإخبارين مناسب لقوله : "واستعينوا بالصبر والصلاة " فلا سؤال فى هذا وإنما يسأل عن تخصيص كل من الموضعين بما خص به اتباعا ؟والجواب عن ذلك أن قوله تعالى : "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " مشير إلى التثاقل عنها والتكاسل الجاريين فى الغالب والأكثر مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بنى إسرائيل ممن ذكرت فى الآيات قبل ألا ترى قوله تعالى فى المنافقين وإنما أكثرهم من يهود : "ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ".وقوله : "وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى " فلما كان قوله تعالى فى الآية الأولى : "واستعينوا بالصبر والصلاة " مكتنفا بأمر بني إسرائيل ونهيهم ناسب هذا قوله تعالى : "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " ولما كانت الآية الثانية معقبا بها أمر المؤمنين فى قوله تعالى : "يا أيها الذين ءآمنوا استعينوا بالصبر

---

(١) شرح صحيح البخارى . لابن بطال، ٩/٩٥

(٢) نحو تفسير موضوعي، ١/٤٠٥

والصلاة " وحال من وسم بالإيمان حال رضى واستقامة ناسبهم وصفهم بالصبر إذ بالصبر على الطاعات حصول الدرجات فجاء كل على ما يناسب ولم يكن ليلائم واحدا من الموضعين غير ما أعقب به. والله أعلم بما أراد.." [١]

" ٣٣٤١ – الفضل بن موسى السيناني بمهملة مكسورة ونونين ذكره بن حجر قوله ملبقة بسمن أي مخلوطة بسمن ولبن وهذا الحديث مخالف لسيرته صلى الله عليه و سلم وقد أخرج مخرج التمني ومن ثم أنكره أبو داود كذا في المجمع والعكة بضم عين وتشديد كاف وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل وهي بالسمن أخص وقيل القربة الصغيرة انجاح الحاجة ١ قوله

٣٣٤٥ – الاشطر شعير في رف لي شطر الشيء نصفه الا ان الحديث ليس فيه مقدار يكون ما أشار اليه نصفه وكأنها أشارت الى جزء مبهم أي شيء من شعير والرف بفتح الراء وتشديد الفاء خشبة عريضة يغرز طرفاها في الجدار ويوضع شيء عليها وهو يشبه الطاق وقولها فكلته ففني فيه ان البركة أكثر ما يكون في المجهولات والمبهمات وحكمته ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف يقينه و في تركه متكل على الله تعالى وهو مظنة البركة وحديث كيلوا طعامكم يبارك لكم قالوا أراد ان يكيله عند الإخراج منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقي مجهولا كذا في المجمع إنجاح ٢ قوله

٣٣٤٦ – ما شبع ال محمد صلى الله عليه و سلم يحتم ان لفظ ال مقحم زائد والمراد ذاته صلى الله عليه و سلم كما في قوله جل ذكره اصطفى ال إبراهيم وآل عمران على العالمين وهذا محمول على زهده وسخائه صلى الله عليه و سلم فإنه قد كثرت الفتوحات بعد فتح خيبر ولكن كان يجود بها على ذوي القربى واليتامى والمساكين وان كان المراد من ال محمد صلى الله عليه و سلم أهل بيته فياول هذا الحديث على هذا النمط أيضا والا فكان النبي صلى الله عليه و سلم يعطي أزواجه قوت سنة مائة وسق من تمر وشعير والله أعلم إنجاح ٣ قوله

٣٣٤٨ – واحتذى المخصوف الحذو قطع النعل وتقديرها والباس الغير نعلا والاحتذاء لبسه نعلا قال في القاموس حذا النعل حذوا وحذاء قدرها وقطعها وارجل نعلا البسه إياها كاحذاه انتهى وفي المجمع الاحتذاء لبس الحذاء وهو النعل انتهى والمخصوف النعل والخف المرقع أي لبس النعل المرقع والخشن الغليظ من اللباس والبشع ككتف من الطعام الكريه فيه جفوف ومرارة إنجاح ٤ قوله

(باب الإقتصاد في الأكل الإقتصاد من القصد وأصل القصد الإستقامة في الطريق كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر)

ثم استعير في التوسط في الأمور ومن قوله صلى الله عليه و سلم القصد القصد أي عليكم القصد من الأمور في القول والفعل والتوسط بين طريقي الافراط والتفريط وحديث عليكم هديا قصدا أي طريقا معتدلا وحديث ما عال من اقتصد أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر إنجاح ٥ قوله

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ٣٨/١

٣٣٥٠ - تجشأ رجل التجشئ بالهمزة في الاخر تنفس المعدة كالتجشئة والاسم كهمزة كذا في القاموس وفي المجمع الجشاء بوزن العطاس صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع انتهى قلت هو صوت يخرج منها عند سوء الهضم وأحيانا يخرج من اجتماع الرياح في المعدة والمذموم هو الأول إنجاح ٦ قوله

٣٣٥٢ - ان من السرف الخ السرف الصرف في غير المحل غير مرضاة الله تعالى والوعيد ثابت في حقه في التنزيل انه لا يحب المسرفين إنجاح ٧ قوله

٣٣٥٣ - فإنها ما نفرت عن قوم قط الخ تأنيث الضمير باعتبار الخبزة أو الكسرة المراد بها الرزق أي ان الرزق ما نفر وذهب عن قوم بسبب كفرانهم الا ولم يعد إليهم الى آخر العمر يعني ان الرزق لا يعود إليهم بعد النفور عنهم بسبب كفرانهم قال الله تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وروى اكرمي الخبز فانها نزلت من بركات السماء والله أعلم إنجاح ٨ قوله

٣٣٥٤ - فإنها بئست البطانة البطانة بكسرالموحدة ما يكون تحت الثوب والثوب الفوقاني الظهارة ويطلق على الرفيق الخالص كما في قول الله عز و جل لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا قال في المجمع بطانة الرجل صاحب سره وداخلة امره الذي يشاوره في أحواله فإنها بئست البطانة هو ضد الظهارة واصله في الثوب فاتسع فيما يستبطن الرجل من امره انتهى إنجاح ٩ قوله

٣٣٥٥ - فإن تركه يهرم قال الشوكاني حديث تعش ولو بكف من خشف فإن ترك العشاء مهرمة رواه الترمذي من حديث أنس مرفوعا وقال حديث منكر لا نعرفه الا من هذا الوجه وعنبسة ضعيف في الحديث وعبد الملك بن علاق مجهول قلت واما رواة بن ماجة فكلهم مأمونون الا إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الله بن باباه فإنه ضعيف إنجاح ١ قوله

٣٣٥٦ - أسرع الى البيت الذي يغشى ببناء المفعول أي يغشاه الضيفان غشية يغشاه غشيانا إذا جاء ومن في قوله من الشفرة تفضيليته متعلقة بأسرع والشفرة محركة سكين عريض نبه سرعة وصول الخير الى البيت الذي تناوبه الضيفان بسرعة وصول السكين الى السنام لأنه أول ما يقطع بعد النحر ويوكل لاستلذاذه كذا في المجمع والمرقاة إنجاح ١١ قوله

٣٣٥٨ - من السنة أي من العادة القائمة أو من سنتي وطريقي ان يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الداروردي البيهقي أيضا هذا الحديث في شعب الإيمان عن أبي هريرة وعن بن عباس وقال في إسناده ضعف فخر ١٢ قوله ." (١)

"(أخسر الناس صفقة) أي أشد المؤمنين خسرانا وأعظمهم حسرة يوم القيامة (رجل) يعني مكلفا وذكر الرجال غالبي (أخلق) أي أتعب (يديه) أفقرهما بالكد والجهد وخصهما لأن المزاولة بهما غالبا (في) بلوغ (آماله) جمع أمل وهو الرجاء (ولم تساعده) أي تعاونه (الأيام) أي الأوقات (على) بلوغ (أمنيته) أي على الظفر بمطلوبه من نحو مال ومنصب وجاه (فخرج من الدنيا) بالموت (بغير زاد) يوصله إلى المعاد وينفعه يوم يقوم الأشهاد (وقدم على الله تعالى بغير حجة) أي معذرة يعتذر بها وبرهان يتمسك به على تفريطه (ابن النجار في تاريخه) تاريخ بغداد (عن عامر بن ربيعة) العنزي البدري (وهو مما بيض له الديلمي) لعدم وقوفه على سنده(أخشى ما خشيت على أمتي) أي أخوف ما

---

(١) شرح سنن ابن ماجه - السيوطي وآخرون، ص/٢٤٠

خفت عليهم (كبر البطن) يعني الانهماك في الأكل والشرب الذي يحصل منه كبرها (ومداومة النوم) المفوت للعقوق المطلوبة شرعا الجالب لبغض الرب وقسوة القلب (والكسل) أي التقاعس عن النهوض إلى معاظم الأمور وكفايات الخطوب والفتور عن العبادات (وضعف اليقين) استيلاء الظلمة على القلب المانعة من ولوج النور فيه (قط في) كتاب (الأفراد) بفتح الهمزة وكذا الديلمي (عن جابر) بن عبد الله(أخضبوا) اصبغوا ندبا (لحاكم) بكسر اللام أفصح أي بغير سواد (فإن الملائكة تستبشر) أي تسر (بخضاب المؤمن) لما فيه من اتباع السنة وامتثال الأمر ومخالفة أهل الكتاب (عد عن ابن عباس) بإسناد ضعيف." (١)

"(ان من ضعف اليقين) بفتح الضاد لغة تميم وضمها في لغة قريش (أن ترضي الناس بسخط الله تعالى) إذ لولا ضعفه لما تجرأت على ذلك (وأن تحمدهم) أى تصفهم بالجميل (على رزق الله) أى على ما وصل إليك على يدهم من رزق الله (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) أي على إمساكهم ما بأيديهم عنك مع أن المانع هو الله وهم مأمورون (ان رزق الله لا يجره) إليك (حرص حريص) أي اجتهاد مجتهد متهافت على تحصيل ذلك لك (ولا يرده) عنك (كراهة كاره) حصوله لك فما لم يقدر لك لم يأتك بكل حال وما قدر لك خرق الحجب وطرق عليك الباب (وأن الله بحكمته) أي بإحاطته بالكليات والجزئيات (وجلاله) عظمته التي لا تتناهى (جعل الروح) بفتح الراء الراحة (والفرح) السرور والنشاط والانبساط (في الرضا) بالقضاء (واليقين) فمن أوتي يقينا شاهد به قل كل من عند الله قر قلبه وسكن فلم يضطرب (وجعل الهم والحزن في الشك) أي التردد في أن الكل بإرادته وتقديره (والسخط) أي عدم الرضا بالقضاء ومن هذا حاله لم يرض بمكروه فلا يزال ساخطا للقضاء جازعا عند البلاء ولا يفيده ذلك شيئا (حل هب عن أبي سعيد) الخدري (بإسناد ضعيف)(ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) أي جعله بارا صادقا في يمينه لكرامته عليه ضمن على معنى العزم أي أقسم عازما على الله أن يفعل (حم ق د ن هـ عن أنسان من فقه الرجل) يعني الإنسان أي من علامة معرفتهبالأحكام الشرعية (تعجيل فطره) إذا كان صائما بأن يوقعه عقب تحقق الغروب (وتأخير سحوره) إلى قبيل الفجر بحيث لا يوقع التأخير في شك فهما سنتان مؤكدتان (ص عن مكحول) الدمشقي (مرسلا) (بإسناد صحيح)." (٢)

"(كلم الله موسى ببيت لحم) أي كلمه الله فيه (ابن عساكر عن أنس(كلم المجذوم) أي من أصابه الجذام (وبينك وبينه قيد) بكسر فسكون أي قدر (رمح أو رمحين) لئلا يعرض لك جذام فتظن أنه أعداك مع إن ذلك لا يكون إلا بتقدير الله وذا خطاب لمن ضعف يقينه ووقف نظره عند الأسباب (ابن السني وأبو نعيم في الطب) النبوي (عن عبد الله بن أبي أوفى) بإسناد واه(كل الثوم نيأ) أمر إباحة (فلولا إني أناجي الملك لأكلته) عورض بحديث النهي عن أكل الثوم وأجيب بأن هذا حدبث لا يصح فلا يقاوم الصحيح وبان الأمر بعد النهي للإباحة (حل وأبو بكر في الغيلانيات عن علي) بإسناد واه(كل الجنين في بطن الناقة) التي ذكيتها فإن ذكاتها ذكاته (قط عن جابركل معي) أيها المجذوم (بسم

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ٩٩/١

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير . للمناوى، ٧١٠/١

الله ثقة بالله) أي اثق ثقة بالله (وتوكلا على الله) أي وأتوكل توكلا عليه هذا درجة من قوى توكله واطمأنت نفسه على مشاركة الأسباب فلا تعارض (٤ حب ك عن جابر) بإسناد حسن وتصحيح ابن حبان والحاكم قال ابن حجر فيه نظر(كل فلعمري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق) قاله لمن رقى معتوها في القعود بالفاتحة ثلاثا غدوة وعشية وجمع بزاقة فنفل فشفى فأعطوه جعلا فقال لا حتى أسأل المصطفى فذكره (حم د ك عن عم خارجة قال ك صحيح وأقروه(كل ما أصميت) أي ما أسرعت إزهاق روحه من الصيد (ودع ما أنميت) أي ما أصبته بنحو سهم أو كلب فمات وأنت تراه والإنماء أن يصيب إصابةغير قاتلة حالا أما لو أصابه فغاب ومات ولا يدري حاله فلا يأكله (طب عن ابن عباس) وإسناده ضعيف(كل من السمك ما طفا) أي علا (على البحر) وهو الذي يموت في الماء ثم يعلو فوق وجهه فأفاد حل ميتة البحر مطلقا (ابن مردوية عن أنس) بن مالك." (١)

"(ما أحسن القصد) أي التوسط بين التفريط والافراط (في الغنى) بالكسر والقصر فانه اذا اقتصد في غناء لم يندرع في الانفاق فيقع في الاسراف المذموم (ما أحسن القصد في الفقر) ولذلك لما رأى المصطفى رجلا في ثياب وسخة فقال أما يملك هذا ما يغسل به ثيابه (وأحسن القصد في العبادة) فانه اذا اقتصد لا يمل فلا ينقطع روى الحكيم ان المصطفى قال في قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا قال من كان فيه ثلاث خصال فقد أوتى ما أوتى آل داود خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر وكلمة العدل في الرضا والغضب وكان المصطفى ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ يربط الحجر على بطنه من الجوع ولا يترك التطيب وكان يتعاهد نفسه ولا تفارقه المرآة والسواك والمقراض حضرا ولا سفرا والقصد في الاصل الاستقامة في الطريق ثم استعير للتوسط في الامور (البزار عن حذيفة) بن اليمان اسناده حسن أو صحيح(ما أحسن عبد الصدقة) بان دفعها عن طيب قلب من أطيب ماله (الا أحسن الله الخلافة في تركته) أي على أولاده والمراد انه تعالى يخلفه في أولاده وعياله بحسن الخلافة من الحفظ لهم وحراسة مالهم أو أراد بالبركة المال واحسان خلافته دوام ثواب ما أوجده له من وجوه البر (ابن المبارك) في الزهد (عن ابن شهاب) الزهري (مرسلا) واسناده صحيح(ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق) لما فيه من قطع حبل الوصلة المأمور بالمحافظة على توثيقه (د عن محارب بن دثار مرسلا) هو السدوسي الكوفي (ك عن ابن عمر) باسناد صحيح(ما أخاف على أمتي الاضعف اليقين) لان سبب ضعفه ميل القلب الى المخلوق وبقدر ميله له يبعد عن ربهوبقدر بعده عنه يضعف يقينه (طس هب عن أبي هريرة) باسناد صحيح(ما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من النساء والخمر) لانهما أعظم مصايد الشيطان والنساء اعظم فتنة وخوفا (يوسف الخفاف في مشيخته عن علي) أمير المؤمنين." (٢)

" ٨١٦ – أنا يزيد بن هارون أنا أبو العطوف الجراح بن منهال الجزري عن الزهري عن رجل عن بن عمر قال : خرجت مع النبي صلى الله عليه و سلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا بن عمر ما لك لا تأكل قال قلت يا رسول الله لا أشتهيه قال لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ٢/٤٣١

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ٢/٦٥٨

شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم وبضعف اليقين فوالله ما برحنا ولا أرمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم إن الله عز و جل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا اتباع الشهوات فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما رزقا لغد ." (١)

"(٢٨٣/١)ويسأل، ولا فائدة في سؤال الخلق إذ لا يملكون نفعا ولا ضرا لأنفسهم فضلا عن غيرهم، وما أحسن قول الأستاذ أبي الحسن الشاذلي: أيست من نفع نفسي لنفسي؟ فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي، وإنما يميل القلب إلى المخلوق ويركن إليه لضعف يقينه ووقوعه في الغفلة عن حقائق الأشياء، وبقدر بعده من مولاه يكون ركونه لمن سواه.ولما نجا من تلك الهوة وتيقظ من تلك الغفلة أصحاب التوكل واليقين أعرضوا عن السوري، وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرم وجود المولى، لأنه المتكفل لكل متوكل بما يحب ويتمنى، قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق:٣) (وإذا استعنت) أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدارين (فاستعن با) لأنه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء، فمن أعانه تعالى فهو المعان ومن خذله فهو المخذول، ومن ثم كانت «لا حول ولا قوة إلا با» كنزا من كنوز الجنة لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها، إلى حوله وقوته. وكتب الحسن إلى عمربن عبد الغزيز: لا تستعن بغيره تعالى يكلك الله إليه. (واعلم أن الأمة) المراد بها هنا سائر المخلوقين كما صرحت به رواية أحمد «فلو أن الخلق جميعا أرادوك الخ». وأما مدلولها وضعا فالجماعة وأتباع الأنبياء، والرجل الجامع للخير المقتدي به. والدين والملة نحو ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ (الزخرف:٢٣) والزمان نحو ﴿وادكر بعد أمة﴾ (يوسف:٤٥) والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله : «يبعث زيدبن عمرو بن نفيل أمة وحده» فالأمة لفظ مشترك ومن جملة معانيه الأم كهذه أمة زيد أي أم زيد (لو اجتمعت) لو هنا بمعنى إن، إذ المعنى على الاستقبال، ونكتة العدول أن اجتماعهم على الإمداد من المستحيلات بخلاف اجتماعهم على الأذى فإنه ممكن (على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن) عبر بها بدل لو تفننا في التعيير (اجتمعوا على أن(٢٨٤/١)." (٢)

"(٤١٢/٤)(أحب إلي من الذي أعطي) وجه حبه لذلك المعطي له فقال ذلك المندرج فيهم نصيبه منها، فلذا أتى بأفعل، ويحتمل كونه فيه بمعنى أصل الفعل نظرا إلى عدم كمال إيمان ذلك حتى يعتد به (ولكني أعطي أقواما لما) أي للذي (أرى) أي أعلمه (في قلوبهم) والعائد مفعول أول والظرف مفعول ثان (من الجزع) بالجيم والزاي والعين المهملة، قال في «النهاية»: هو الحزن الخوف. وقال في «المصباح» جزع الرجل جزءا من باب تعب تعبا: إذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبرا ومن بيانية لما (والهلع) هكذا في نسخ الرياض تبعا لبعض نسخ البخاري وسيأتي معناه، وفي نسخة أخرى منه «الضلع» بالضاد المعجمة: أي الميل والاعوجاج وفي أخرى بالظاء المثالة المفتوحة مع ما يليها: أي مرض القلب وضعف اليقين (وأكل) أفوض (أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغناء) بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية، وفي رواية

---

(١) مسند عبد بن حميد، ص/٢٥٩

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ٢٨٩/١

الكشميهني بكسر أوله والقصر: ضد الفقر (والخير منهم عمرو بن تغلب) هذا آخر الخبر المرفوع وقوله: (فوا ما أحب أن لي بكلمة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حمر النعم) الباء للبدلية والمراد من الكلمة معناها اللغوي وما قاله فيه: أي بدل ما قاله فيه من إدخاله إياه في أهل الخير والغني وقيل: المراد التي قالها في حق غيره، فالمعنى: لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي، أو أن يكون لي ذلك وقال: تلك الكلمة في حق.." (١)

"ويسأل، ولا فائدة في سؤال الخلق إذ لا يملكون نفعا ولا ضرا لأنفسهم فضلا عن غيرهم، وما أحسن قول الأستاذ أبي الحسن الشاذلي: أيست من نفع نفسي لنفسي؟ فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي، وإنما يميل القلب إلى المخلوق ويركن إليه لضعف يقينه ووقوعه في الغفلة عن حقائق الأشياء، وبقدر بعده من مولاه يكون ركونه لمن سواه.ولما نجا من تلك الهوة وتيقظ من تلك الغفلة أصحاب التوكل واليقين أعرضوا عن السوري، وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرم وجود المولى، لأنه المتكفل لكل متوكل بما يحب ويتمنى، قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق:٣) (وإذا استعنت) أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدارين (فاستعن با) لأنه القادر على كل شيء وغيره عاجز عن كل شيء، فمن أعانه تعالى فهو المعان ومن خذله فهو المخذول، ومن ثم كانت «لا حول ولا قوة إلا با» كنزا من كنوز الجنة لتضمنها براءة النفس من حولها وقوتها، إلى حوله وقوته. وكتب الحسن إلى عمربن عبد الغزيز: لا تستعن بغيره تعالى يكلك الله إليه. (واعلم أن الأمة) المراد بها هنا سائر المخلوقين كما صرحت به رواية أحمد «فلو أن الخلق جميعا أرادوك الخ». وأما مدلولها وضعا فالجماعة وأتباع الأنبياء، والرجل الجامع للخير المقتدي به. والدين والملة نحو ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ (الزخرف:٢٣) والزمان نحو ﴿وادكر بعد أمة﴾ (يوسف:٤٥) والرجل المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه أحد كقوله : «يبعث زيدبن عمرو بن نفيل أمة وحده» فالأمة لفظ مشترك ومن جملة معانيه الأم كهذه أمة زيد أي أم زيد (لو اجتمعت) لو هنا بمعنى إن، إذ المعنى على الاستقبال، ونكتة العدول أن اجتماعهم على الإمداد من المستحيلات بخلاف اجتماعهم على الأذى فإنه ممكن (على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن) عبر بها بدل لو تفننا في التعبير (اجتمعوا على أن." (٢)

"(أحب إلي من الذي أعطي) وجه حبه لذلك المعطي له فقال ذلك المندرج فيهم نصيبه منها، فلذا أتى بأفعل، ويحتمل كونه فيه بمعنى أصل الفعل نظرا إلى عدم كمال إيمان ذلك حتى يعتد به (ولكني أعطي أقواما لما) أي للذي (أرى) أي أعلمه (في قلوبهم) والعائد مفعول أول والظرف مفعول ثان (من الجزع) بالجيم والزاي والعين المهملة، قال في «النهاية»: هو الحزن الخوف. وقال في «المصباح» جزع الرجل جزءا من باب تعب تعبا: إذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبرا ومن بيانية لما (والهلع) هكذا في نسخ الرياض تبعا لبعض نسخ البخاري وسيأتي معناه، وفي نسخة أخرى منه «الضلع» بالضاد المعجمة: أي الميل والاعوجاج وفي أخرى بالظاء المثالة المفتوحة مع ما يليها: أي مرض القلب وضعف اليقين (وأكل أفوض (أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغناء) بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية، وفي رواية الكشميهني

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين لـ ابن علان الصديقى، ٢/١٠٠

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ١/٢٨٤

بكسر أوله والقصر: ضد الفقر (والخير منهم عمرو بن تغلب) هذا آخر الخبر المرفوع وقوله: (فوا ما أحب أن لي بكلمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حمر النعم) الباء للبدلية والمراد من الكلمة معناها اللغوي وما قاله فيه: أي بدل ما قاله فيه من إدخاله إياه في أهل الخير والغني وقيل: المراد التي قالها في حق غيره، فالمعنى: لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي، أو أن يكون لي ذلك وقال: تلك الكلمة في حق. وفي «المصباح»: وحمر النعم بضم المهملة وسكون الميم: كرائمها وهو مثل في كل نفيس ويقال: إنه جمع أحمر وإن أحمر من أسماء الجنس (رواه البخاري) في مواضع من «صحيحه» منها في الجهاد والتوحيد وانفرد به عن باقي الستة (الهلع هو أشد الجزع) بمعناه قوله في «الصحاح» أفحش الجزع، ومقتضى كلام «المصباح» عدم اعتبار الأفضلية فيه (وقيل: الضجر) وفي «المشارق» للقاضي عياض: الجزع والهلع هما بمعنى، وقيل: الهلع قلة الصبر، وقيل: الحرص، يقال:." (١)

" ٨٨٦٩ - حدثنا مقدام بن داود ثنا علي بن معبد نا عبد الله بن وهب [ص ٣٥٩] عن سعيد بن أبي أيوب عن عبد الرحمن بن بزرج قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين ." (٢)

"٤٤٦ - (ش) : قوله A يستجاب لأحدكم يحتمل معنيين : أحدهما أن يكون معنى قوله يستجاب الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة ، والثاني الإخبار عن جواز وقوعها فإذا كانت في معنى الإخبار عن الوجوب فإن الإجابة تكون لإحد الثلاثة أشياء إما أن يعجل ما سأل فيه وإما أن يكفر عنه به وإما أن يدخر له فإذا قال قد دعوت فلم يستجب لي بطل وجوب أحد هذه الثلاثة الأشياء وعرى الدعاء من جميعها وإذا كان بمعنى جواز الإجابة فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصة ويمنع من ذلك قول الداعي قد دعوت فلم يستجب لي لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط .." (٣)

"قال أبو الدرداء : إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به ، وقال ابن مسعود : إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط(١) ، فالراضي لا يتمنى غير ما هو عليه من شدة ورخاء ، كذا روي عن عمر وابن مسعود وغيرهما(٢) . وقال عمر بن عبد العزيز : أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر .فمن وصل إلى هذه الدرجة ، كان عيشه كله في نعيم وسرور ، قال الله تعالى :﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ (٣) قال بعض السلف : الحياة الطيبة : هي الرضا والقناعة(٤) . وقال عبد الواحد بن زيد : الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين(٥) ._____________(١) أخرجه : الطبراني في " الكبير " (١٠٥١٤) ، وأبو نعيم في " الحلية " ٧/١٣٠ و٤/١٢١ ، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١١١٦) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٨) ، مرفوعا ، وإسناده تالف لا يصح .وأخرجه : ابن أبي الدنيا في " اليقين " (٣٢

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، ٤/٤١٣

(٢) المعجم الأوسط، ٨/٣٥٨

(٣) المنتقى - شرح الموطأ، ١/٤٩٨

) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٩) ، موقوفا .(٢) أخرجه : البيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٧) عن أبي سعيد الخدري ، به . وزاد في أوله((إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله)) .(٣) النحل : ٩٧ .(٤) أخرجه : الطبري في " تفسيره " (١٦٥٢٦) عن علي ، به .وأخرجه : الطبري في " تفسيره " (١٦٥٢٧) عن الحسن البصري ، به .وأخرجه : الحاكم ٣٥٦/٢ عن ابن عباس ، به .(٥) أخرجه : أبو نعيم في " الحلية " ١٥٦/٦ .." [(١)]

"لكن لما أصبحت المرأة تسيء الظن بالله-- عز وجل -- وأصبحت المخاوف ، وكل يوم يأتي شيء جديد أنه يقع كذا ويحدث كذا وأصبحت المرأة كل شهر تفحص وكل أسبوع تفحص وكل ثلاثة أيام ولو كان بيدها كل يوم وكل ساعة تفحص ؛ وكل ذلك من ضعف اليقين والإيمان بالله ليس معنى هذا أن نترك الطب وفوائد الطب ؛ ولكن المراد أن لا نغلوا وأن لا نتوسع في هذه الأمور وأن لا نعظم الأسباب حتى يحس الإنسان أن الأمور مقيدة بالأسباب ، وأنه إذا كان عنده عشرة من الولد و بعد خمس سنوات أو ستة سنوات يكون عنده خمسة أو ستة من الولد من الذي سيصرف على دراستهم وطعامهم ولباسهم وشرابهم هذا التفكير وهذا الإغراق في مثل هذه الأمور لا ينبغي لمسلم ، ينبغي عليه أن يحسن الظن بالله وأن يعلم أن الله تكفل بأمره وتكفل برزقه وأن عليه أن يفكر في شيء واحد وهو الإيمان بالله والثقة بالله-- سبحانه وتعالى --:﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(١) :﴿ الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾(٢) ليس بيد الناس أن يرزقوا ولكن اللقمة لا تستطيع أن ترفعها إلى فمك ولا إلى فيك ولا أن تطعم نفسك إلا أن يطعمك الله :((يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم)) الغني الثري الذي عنده الملايين ومئات الألوف تجدها معه وتمد له السفرة فيها عشرات الألوان من الطعام وهو يجلس على صحن واحد منها منعه الأطباء من كلها ؛ لأن الله لم يطعمه ما كتب الله له طعما والفقير تجده في آخر عمره في السبعين والثمانين يأكل ما لذ وطاب من الطعام كل الطعام يأكله ولا يمنع من شيء من قوة وعافية ، فالأرزاق بيد الله والطعام من الله والشراب من الله .." [(٢)]

"أكثر المفسرين ذهبوا إلى أن قوله : ﴿فى عبادى﴾ الآية ، نزلت فيمن كان مقيما بمكة ؛ أمروا بالهجرة عنها إلى المدينة ، أي جانبوا أهل الشرك ، واطلبوا أهل الإيمان. وقال أبو العالية : سافر والطلب أوليائه. وقال ابن جبير ، وعطاء ، ومجاهد ، ومالك بن أنس : الأرض التي فيها الظلم والمنكر تترتب فيها هذه الآية ، ويلزم الهجرة عنها إلى بلد حق. وقال مطرف بن الشخير : ﴿إن أرضى واسعة﴾ عدة بسعة الرزق في جميع الأرض. وقيل : أرض الجنة واسعة أعطيكم. وقال مجاهد : سافروا لجهاد أعدائه. ﴿فإياى فاعبدون﴾ ، من باب الاشتغال : أي فإياي اعبدوا فاعبدون. وقال الزمخشري : فإن قلت : ما معنى الفاء في فاعبدون ، وتقدم المفعول ؟ قلت : الفاء جواب شرط محذوف ، لأن المعنى : إن أرضي واسعة ، فإن لم تخلصوا العبادة في أرض ، فاخلصوها في غيرها. ثم حذف الشرط وعوض من حذفة تقديم المفعول ، مع إفادة تقديمه معنى الاختصاص والإخلاص. انتهى. ويحتاج هذا الجواب إلى تأمل.ولما أخبر تعالى بسعة أرضه ، وكان ذلك إشارة

---

(١) جامع العلوم والحكم محقق، ٣٣/٢١

(٢) شرح الترمذي للشنقيطي، ١٩/٥٩

إلى الهجرة ، وأمر بعبادته ، فكأن قد يتوهم متوهم أنه إذا خرج من أرضه التي نشأ فيها لأجل من حلها من أهل الكفر إلى دار الإسلام ، لا يستقيم له فيها ما كان يستقيم له في أرضه ، وربما أدى ذلك إلى هلاكه. أخبر أن كل نفس لها أجل تبلغه ، وتموت في أي مكان حل ، وأن رجوع الجمع إلى أجزائه يوم القيامة. وقرأ علي : ﴿ترجعون﴾ ، مبنيا للفاعل ؛ والجمهور : مبنيا للمفعول ، بتاء الخطاب. وروى عن عاصم : بياء الغيبة. وقرأ أبو حيوة : ﴿ذآاقة﴾ ، بالتنوين ؛ ﴿الموت﴾ : بالنصب. وقرأ : ﴿لنبوئنهم﴾ ، من المباءة. وقرأ علي ، وعبد الله ، والربيع بن خيثم ، وابن وثاب ، وطلحة ، وزيد بن علي ، وحمزة ، والكسائي : من الثواء ؛ وبوأ يتعدى لاثنين. قال تعالى : ﴿وبشر المؤمنين﴾ مقاعد للقتال ، وقد جاء متعدي بالام. قال تعالى : ﴿وإذ بوأنا لابراهيم مكان البيت﴾ ، والمعنى : ليجعلن لهم مكان مباءة ، أي مرجعا يأوون إليه. ﴿غرفا﴾ : أي علالي ، وأما ثوى فمعناه : أقام ، وهو فعل لازم ، فدخلت عليه همزة التعدية فصار يتعدى إلى واحد ، وقد قرىء مشددا عدى بالتضعيف ، فانتصب غرفا ، إما على إسقاط حرف الجر ، أي في غرف ، ثم اتسع فحذف ، وإما على تضمين الفعل معنى التبوئة ، فتعدى إلى اثنين ، أو شبه الظرف المكاني المختص بالمبهم يوصل إليه الفعل. ورو ي عن ابن عامر : غرفا ، بضم الراء. وقرأ ابن وثاب : فنعم ، بالفاء ؛ والجمهور : بغير فاء.جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨﴿الذين صبروا ﴾ : أي على مفارقة أوطانهم والهجرة وجميع المشاق ، من امتثال الأوامر واجتناب المناهي. ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ : هذان جماع الخير كله ، الصبر وتفويض الأمور إلى الله تعالى.١٥٧ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أسلم بمكة بالهجرة ، خافوا الفقر فقالوا : غربة في بلاد لا دار لنا ، ولا فيه عقار ، ولا من يطعم. فمثل لهم بأكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ، ولا تروي في رزقها ، ولا تحمل رزقها ، من الحمل : أي لا تنقل ، ولا تنظر في إدخار ، قاله مجاهد ، وأبو مجلز ، وعلي بن الأقمر. والإدخار جاء في حديث : "كيف بك إذا بقيت في حثالة من حثالة الناس يخبئون رزق سنة لضعف اليقين ؟" قيل : ويجوز أن يكون من الحمالة التي لا تتكفل لنفسها ولا تروى. وقال الحسن : ﴿لا تحمل رزقها﴾ : لا تدخر ، إنما تصبح فيرزقها الله. وقال ابن عباس : لا يدخر إلا الآدمي والنمل والفأرة والعقعق ، وقيل : البلبل يحتكر في حضنيه ، ويقال : للعقعق مخابىء ، إلا أنه ينساها. وانتفاء حملها لرزقها ، إما لضعفها وعجزها عن ذلك ، وإما لكونها خلقت لا عقل لها ، فيفكر فيما يخبؤه للمستقبل : أي يرزقها على ضعفها. ﴿وإياكم﴾ : أي على قدرتكم على الاكتساب ، وعلى التحيل في تحصيل المعيشة ، ومع ذلك فرازقكم هو الله ، ﴿وهو السميع﴾ لقولكم : نخشى الفقر ، ﴿العليم﴾ بما انطوت عليه ضمائركم.ثم أعقب تعالى ذلك بإقرارهم بأن مبدع العالم ومسخر النيرين هو الله. وأتبع ذلك ببسط الرزق وضيقه ، فقال : ﴿الله يبسط الرزق لمن يشآء﴾ أن يبسطه ، ﴿ويقدر﴾ لمن يشاء أن يقدره. والضمير في له ظاهره العود على من يشاء ، فيكون ذلك الواحد يبسط له في وقت ، ويقدر في وقت. ويجوز أن يكون الضمير عائدا عليه في اللفظ ، والمراد لمن يشاء آخر ، فصار نظير : ﴿وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره﴾ : أي من عمر معمر آخر. وقولهم : عندي درهم ونصفه : أي ونصف درهم آخر ، فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق. وقرأ علقمة الحمصي : ويقدر : بضم الياء وفتح القاف وشد الدال ، ﴿عليم﴾ : يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم.جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٣٨." (١)

---

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، /

"والربي عابد الرب. وكسر الراء من تغيير النسب ، كما قالوا : أمسي في النسبة إلى أمس ، قاله : الأخفش. أو الجماعة قاله : أبو عبيدة. أو منسوب إلى الربة وهي الجماعة ، ثم جمع بالواو والنون قاله : الزجاج. أو الجماعة الكثيرة قاله : يونس بن حبيب. وربيون منسوب إليها. قال قطرب : جماعة العلماء على قول يونس ، وأما المفسرون فقال ابن مسعود ، وابن عباس : هم الألوف ، واختاره الفراء وغيره. عدد ذلك بعض المفسرين فقال : هم عشرة آلاف. وقال ابن عباس في رواية ، ومجاهد ، وعكرمة ، والضحاك ، وقتادة ، والسدي ، والربيع : هم الجماعات الكثيرة ، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن عباس في رواية الحسن : هم العلماء الأتقياء الصبر على ما يصيبهم. واختاره اليزيدي والزجاج. وقال ابن زيد : الاتباع ، والربانيون الولاة. وقال ابن فارس : الصالحون العارفون بالله. وقيل : وزراء الأنبياء. وقال الضحاك : الربية الواحدة ألف ، والربيون جمعها. وقال الكلبي : الربية الواحدة عشرة آلاف. وقال النقاش : هم المكثرون العلم من قولهم : ربا الشيء بربو إذا كثر. وهذا لا يصح لاختلاف المادتين ، لأن ربا أصوله راء وباء وواو ، وأصول هذا راء وباء وباء. وقرأ الجمهور بكسر الراء. وقرأ علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وأبو رجاء ، وعمرو بن عبيد ، وعطاء بن السائب بضم الراء ، وهو من تغيير النسب. كما قالوا : دهري بضم الدال ، وهو منسوب إلى الدهر الطويل. وقرأ ابن عباس فيما روى قتادة عنه : بفتح الراء. قال ابن جني : هي لغة تميم ، وكلها لغات والضمير في وهنوا عائد على الربيين ، إن كان الضمير في قتل عائدا على النبي. وإن كان ربيون مسندا إليه الفعل مبنيا للفاعل ، فكذلك أو للمفعول ، فالضمير يعود على من بقي منهم ، إذ المعنى يدل عليه. إذ لا يصح عوده على ربيون لأجل العطف بالفاء ، لما أصابهم في سبيل الله بقتل أنبيائهم أو ربيبهم.وقرأ الجمهور : وهنوا بفتح الهاء. وقرأ الأعمش ، والحسن ، وأبو السمال بكسرها. وهما لغتان ، وهن يهن كوعد يعد ، ووهن يوهن كوجل يوجل. وقرأ عكرمة وأبو السمال أيضا : وهنوا بإسكان الهاء كما قالوا نعم في نعم ، وشهد في شهد. وتميم تسكن عين فعل.وما ضعفوا عن الجهاد بعد ما أصابهم ، وقيل : ما ضعف يقينهم ، ولا انحلت عزيمتهم. وأصل الضعف نقصان القوة ، ثم يستعمل في الرأي والعقل. وقرىء ضعفوا بفتح العين وحكاها الكسائي لغة.وما استكانوا قال ابن إسحاق : ما قعدوا عن الجهاد في دينهم. وقال السدي : ما ذلوا. وقال عطاء : ما تضرعوا. وقال مقاتل : ما استسلموا. وقال أبو العالية : ما جبنوا. وقال المفضل : ما خشعوا. وقال قتادة والربيع : ما ارتدوا عن نصرتهم دينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بربهم. وكل هذه أقوال متقاربة. وهذا تعريض لما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم ، حين أراد بعضهم أن يعتضد بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان٧٤من أبي سفيان.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٦٤واستكان ظاهره أنه استفعل من الكون ، فتكون أصل ألفه واوا أو من قول العرب : مات فلان بكينة سوء ، أي بحالة سوء. وكأنه يكينه إذا خضعه قال هذا : الأزهري وأبو علي. فعلى قولهما أصل الألف ياء. وقال الفراء وطائفة من النحاة : أنه افتعل من السكون ، وأشبعت الفتحة فتولد منها ألف. كما قال : أعوذ بالله من العقراب ، يريد من العقرب. وهذا الإشباع لا يكون إلا في الشعر. وهذه الكلمة في جميع تصاريفها بنيت على هذا الحرف تقول : استكان يستكين فهو مستكين ومستكان له ، والإشباع لا يكون على هذا الحد.﴿والله يحب الصابرين﴾ أي على قتال عدوهم قاله : الجمهور. أو على دينهم وقتال الكفار. والظاهر العموم لكل صابر على ما أصابه من قتل في سبيل الله ، أو جرح ، أو بلاء ، أو

أذى يناله بقول أو فعل أو مصيبة في نفسه ، أو أهله أو ماله ، أو ما يجري مجرى ذلك. وكثيرا ما تمدحت العرب بالصبر وحرصت عليه كما قال طرفة بن العبد : وتشكي النفس ما أصاب بهافاصبري إنك من قوم صبرإن تلاقي منفسيا لاتلفنافرح الخير ولا نكبو لضر." (١)

" وكأين من دابة الاية تحريض على الهجرة لان بعض المؤمنين فكر فى الفقر والجوع الذى يلحقه فى الهجرة وقالوا غربة فى بلد لادار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم فمثل لهم بأكثر الدواب التى لا تتقوت ولا تدخر ثم قال تعالى الله يرزقها وإياكم فقوله لا تحمل يجوز ان يريد من الحمل اي لا تنتقل ولا تنظر فى ادخاره قاله مجاهد وغيره قال ع والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لابن عمر كيف بك اذا بقيت فى حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز ان يريد من الحمالة اي لا تتكفل لنفسها قال الداودى وعن على بن الأقمر لا تحمل رزقها اي لا تدخر شيأ لغد انتهى وفى الترمذى عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا قال ابو عيسى هذا حديث حسن صحيح انتهى ثم خاطب تعالى فى امر الكفار واقامة الحجة عليهم بأنهم ان سئلوا عن الأمور العظام التى هى دلائل القدرة لم يكن لهم الا التسليم بأنها لله تعالى ويوفكون معناه يصرفون

وقوله تعالى وما هذه الحيوة الدنيا الا لهو ولعب وصف الله تعالى الدنيا فى هذه الاية بأنها لهو ولعب اي ما كان منها لغير وجه الله تعالى واما ما كان لله تعالى فهو من الاخرة واما امور الدنيا التى هى زائدة على الضرورى الذى به قوام العيش والقوة على الطاعات فإنما هى لهو ولعب وتأمل ذلك فى الملابس والمطاعم والأقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر ان حالة الغني والفقير من الامور الضرورية واحدة كالتنفس فى الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد هذه عظم امر العيش والحيوان والحياة بمعنى والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال اصله حييان فأبدلت احداهما واوا لاجتماع المثلين ثم وقفهم تعالى على حالهم فى البحر عند الخوف العظيم ." (٢)

" العبد نفسه من اولى ما عليه وآكده اذا لا يعرف ربه الا من عرف نفسه قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون وغير ما آية في ذلك ثم قال ولا ينكر عاقل وجود الروح من نفسه وان كان لم يدرك حقيقته كذلك لا يقدر ان ينكر وجود الباري سبحانه الذي دلت افعاله عليه وان لم يدرك حقيقته انتهى وقوله سبحانه وفي السماء رزقكم قال مجاهد وغيره هو المطر وقال واصل الاحدب اراد القضاء والقدر أي الرزق عند الله ياتي به كيف شاء سبحانه لا رب غيره وتوعدون يحتمل ان يكون من الوعد ويحتمل ان يكون من الوعيد قال الضحاك المراد من الجنة والنار وقال مجاهد المراد الخير والشر وقال ابن سيرين المراد الساعة ثم اقسم سبحانه بنفسه على صحة هذا القول والخبر وشبهه في اليقين به بالنطق من الانسان وهو عنده في غاية الوضوح وما زائدة تعطى تاكيدا والنطق في هذه الآية هو الكلام بالحروف والاصوات في ترتيب المعاني وروي ان بعض الاعراب الفصحاء سمع هذه الآية فقال من احوج الكريم الى ان يحلف والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبي وسبل

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ٥٩/٣

(٢) تفسير الثعالبي، ١٩٦/٣

الخيرات وروي ان النبي ص – قال قاتل الله قوما اقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه وروى ابو سعيد الخدري ان النبي ص – قال لو فر احدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت واحاديث الرزق كثيرة ومن كتاب القصد الى الله سبحانه للمحاسبي قال قلت لشيخنا من اين وقع الاضطراب في القلوب وقد جاءها الضمان من الله عز و جل قال من وجهين احدهما قلة المعرفة بحسن الظن والقاء التهم من الله عز و جل والوجه الثاني ان يعارضها خوف الفوت فتستجيب النفس للداعي ويضعف اليقين ويعد الصبر فيظهر الجزع قلت شيء غير هذا قال نعم ان الله عز و جل وعد الارزاق وضمن وغيب الاوقات ليختبر اهل العقول ولولا ذلك لكان كل المومنين راضين صابرين متوكلين لكن الله عز و جل اعلمهم انه ." (١)

"﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٦) ﴾يقول الله تعالى بعد ذكر (١) المشركين المستكبرين عن مجالسة (٢) الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم (٣) مثلا برجلين، جعل الله ﴿ لأحدهما جنتين ﴾ أي: بستانين من أعناب، محفوفتين بالنخل (٤) المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجود؛ ولهذا قال: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها ﴾ أي: خرجت ثمرها ﴿ ولم تظلم منه شيئا ﴾ أي: ولم تنقص منه شيئا ﴿ وفجرنا خلالهما نهرا ﴾ أي: والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا.﴿ وكان له ثمر ﴾ قيل: المراد به: المال. روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: الثمار وهو أظهر هاهنا، ويؤيده القراءة الأخرى: "وكان له ثمر" بضم الثاء وتسكين الميم، فيكون (٥) جمع ثمرة، كخشبة وخشب، وقرأ آخرون: ﴿ ثمر ﴾ بفتح الثاء والميم.فقال –أي صاحب هاتين [الجنتين] (٦) –﴿ لصاحبه وهو يحاوره ﴾ أي: يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس: ﴿ أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ﴾ أي: أكثر خدما وحشما وولدا.قال قتادة: تلك –والله–أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر.وقوله: ﴿ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ﴾ أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿ قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا ﴾ وذلك اغترار منه، لما رأى فيها (٧) من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف (٨) وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة (٩) ؛ ولهذا قال: ﴿ وما أظن الساعة قائمة ﴾ أي: كائنة ﴿ ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا ﴾ أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني محظى (١٠) عند ربي، ولولا كرامتي (١١) عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى ﴾ [فصلت:٥٠]، وقال ﴿ أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا ﴾ [مريم:٧٧] أي: في الدار الآخرة، تألى على الله، عز__________(١) في ت، ف: "ذكره".(٢) في ت: "مجالسهم".(٣) في ت، ف، أ: "لهم ولهم".(٤) في ف، أ: "بالنخيل".(٥) في ت: "فيك".(٦) زيادة من ف.(٧) في ف: "فيهما".(٨) في ت: "و لايسلم".(٩) في ت: "بالأخرى".(١٠) في ت، ف: "محض".(١١) في ت: "إكرامى".." (٢)

---

(١) تفسير الثعالبي، ٢٠٨/٤

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ١٥٧/٥

"وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟" . قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت : ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما، ولا أخبئ رزقا لغد (١) " (٢) .وهذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف.وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض، خرجوا وهم بيض فإذا رآهم أبواهم كذلك، نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه، فيقيض الله له طيرا (٣) صغارا كالبرغش فيغشاه فيتقوت منه تلك الأيام حتى يسود ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق، ولهذا قال الشاعر: يا رازق النعاب (٤) في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض ...وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر، كقول النبي صلى الله عليه وسلم "سافروا تصحوا وترزقوا".قال البيهقي أخبرنا إملاء أبو الحسن علي بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن غالب، حدثني محمد بن سنان، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن رداد -شيخ من أهل المدينة -حدثنا عبد الله بن دينار (٥) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تصحوا وتغنموا" . قال: ورويناه عن ابن عباس (٦) .وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن عبد الرحمن بن حجيرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا" (٧) .وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا، وعن معاذ بن جبل موقوفا (٨) . وفي______________(١) في ت: "إلى غد".(٢) ورواه البغوي في تفسيره (٢٥٣/٦) من طريق إسماعيل بن زرارة عن الجراح بن المنهال به - وقال الشوكاني في فتح القدير (٢١٣/٤) : "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة، وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف". أ هـ مستفادا من حاشية تفسير البغوي.(٣) في ت: "طيورا".(٤) في ت: "البغاب" وفي أ: "النعام".(٥) في ت: "وروى البيهقي بسنده"(٦) السنن الكبرى (١٠٢/٧) ورواه ابن عدي في الكامل (١٩٠/٦) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن رواد به، وقال: "لا أعلم يرويه غير الرواد هذا، وعامة ما يرويه غير محفوظ" وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٠٦/٢): "سألت أبي عن هذا الحديث فقال: هذا حديث منكر".(٧) المسند (٣٨٠/٢) وفيه ابن لهيعة ودراج ضعيفان.(٨) أما حديث ابن عباس، فرواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٢/٧) من طريق بسطام بن حبيب عن القاسم عن أبي حازم عن ابن عباس مرفوعا، ورواه ابن عدي في الكامل (٥٧/٧) من طريق نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، مرفوعا. وقال: "هذه الأحاديث كلها عن الضحاك غير محفوظة". ولم أجده عن معاذ موقوفا، وسيأتي مرفوعا، وجاء من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا. ورواه ابن عدي في الكامل (٤٥٤/٣) عن سوار بن مصعب، عن عطية، عن أبي سعيد، مرفوعا وقال: "سوار هذا عامة ما يرويه غير محفوظ".." (١)

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢٩٣/٦

"وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد (١) شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق.وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم (٢)كما قال في أمثالهم الشاعر (٣) :أفي السلم أعيارا (٤) جفاء وغلظة ... وفي الحرب أمثال النساء العوارك ...أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ﴾ أي: سهلا هينا عنده.﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (٢٠) ﴾ .وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور، ﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا ﴾ بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم ﴿ وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ﴾ أي: ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون (٥) حاضرين معكم في المدينة بل في البادية، يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم ، ﴿ ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا ﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) ﴾ .هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي (٦) صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ .ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم، وجعله العاقبة حاصلة لهم في______________(١) في أ: "فقد".(٢) في ت: "فيهم".(٣) البيت لهند بنت عتبة، وهو في السيرة النبوية لابن هشام (٦٥٦/١).(٤) في ت: "أعيار".(٥) في ت: "لا يكونوا".(٦) في ت: "برسول الله".." (١)

"١٨٢٦٣- حدثنا محمد بن عبد الرزاق الهروي، ويزيد بن هارون، ثنا الجراح بن المنهال الجزوي، عن الزهري، عن ابن عمر، قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين دخلنا على بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل، فقال لي:"يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟"، قال: قلت: يا رسول الله، لا أستسيغه، قال:"لا كل، أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده وإن شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين"، فوالله ما برحنا مكاننا حتى نزلت " وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم " ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات يريد به حياة باقية، وإن الحياة بيد الله تبارك وتعالى، ألا وإني لا أكنز دينارا، أو درهما ولا أخبئ رزقا بعد".١٨٢٦٤- حدثنا

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٩١/٦

حجاج بن حمزة، ثنا شبابة، ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: " وكأين من دابة لا تحمل " ، قال:"والبهائم لا تحمل رزقا".." (١)

"" صفحة رقم ٨٠ " والسدي ، والربيع : هم الجماعات الكثيرة ، واختاره ابن قتيبة . وقال ابن عباس في رواية الحسن : هم العلماء الأتقياء الصبر على ما يصيبهم . واختاره اليزيدي والزجاج . وقال ابن زيد : الاتباع ، والربانيون الولاة . وقال ابن فارس : الصالحون العارفون بالله . وقيل : وزراء الأنبياء . وقال الضحاك : الربية الواحدة ألف ، والربيون جمعها . وقال الكلبي : الربية الواحدة عشرة آلاف . وقال النقاش : هم المكثرون العلم من قولهم : ربا الشيء بربو إذا كثر . وهذا لا يصح لاختلاف المادتين ، لأن ربا أصوله راء وباء وواو ، وأصول هذا راء وباء وباء . وقرأ الجمهور بكسر الراء . وقرأ علي ، وابن مسعود ، وابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، وأبو رجاء ، وعمرو بن عبيد ، وعطاء بن السائب بضم الراء ، وهو من تغيير النسب . كما قالوا : دهري بضم الدال ، وهو منسوب إلى الدهر الطويل . وقرأ ابن عباس فيما روى قتادة عنه : بفتح الراء . قال ابن جني : هي لغة تميم ، وكلها لغات والضمير في وهنوا عائد على الربيين ، إن كان الضمير في قتل عائدا على النبي . وإن كان ربيون مسندا إليه الفعل مبنيا للفاعل ، فكذلك أو للمفعول ، فالضمير يعود على من بقي منهم ، إذ المعنى يدل عليه . إذ لا يصح عوده على ربيون لأجل العطف بالفاء ، لما أصابهم في سبيل الله بقتل أنبيائهم أو ربيبهم .وقرأ الجمهور : وهنوا بفتح الهاء . وقرأ الأعمش ، والحسن ، وأبو السمال بكسرها . وهما لغتان ، وهن يهن كوعد يعد ، ووهن يوهن كوجل يوجل . وقرأ عكرمة وأبو السمال أيضا : وهنوا بإسكان الهاء كما قالوا نعم في نعم ، وشهد في شهد . وتميم تسكن عين فعل .وما ضعفوا عن الجهاد بعد ما أصابهم ، وقيل : ما ضعف يقينهم ، ولا انحلت عزيمتهم . وأصل الضعف نقصان القوة ، ثم يستعمل في الرأي والعقل . وقرىء ضعفوا بفتح العين وحكاها الكسائي لغة .وما استكانوا قال ابن إسحاق : ما قعدوا عن الجهاد في دينهم . وقال السدي : ما ذلوا . وقال عطاء : ما تضرعوا . وقال مقاتل : ما استسلموا . وقال أبو العالية : ما جبنوا . وقال المفضل : ما خشعوا . وقال قتادة والربيع : ما ارتدوا عن نصرتهم دينهم ، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بربهم . وكل هذه أقوال متقاربة . وهذا تعريض لما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله (صلى الله عليه وسلم)) ، وبضعفهم عند ذلك من مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم ، حين أراد بعضهم أن يعتضد بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الأمان من أبي سفيان .واستكان ظاهره أنه استفعل من الكون ، فتكون أصل ألفه واوا أو من قول العرب : مات فلان بكينة سوء ، أي بحالة سوء . وكأنه يكينه إذا خضعه قال هذا : الأزهري وأبو علي . فعلى قولهما أصل الألف ياء . وقال الفراء وطائفة من النحاة : أنه افتعل من السكون ، وأشبعت الفتحة فتولد منها ألف . كما قال : أعوذ بالله من العقراب ، يريد من العقرب . وهذا الإشباع لا يكون إلا في الشعر . وهذه الكلمة في جميع تصاريفها بنيت على هذا الحرف تقول : استكان بستكين فهو مستكين ومستكان له ، والإشباع لا يكون على هذا الحد .(والله يحب الصابرين (أي على قتال." (٢)

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، ٤٦٥/١١

(٢) تفسير البحر المحيط. (الكتب العلمية)، ٨٠/٣

"" صفحة رقم ١٥٤ " غربة في بلاد لا دار لنا ، ولا فيه عقار ، ولا من يطعم . فمثل لهم بأكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ، ولا تروي في رزقها ، ولا تحمل رزقها ، من الحمل : أي لا تنقل ، ولا تنظر في إدخار ، قاله مجاهد ، وأبو مجلز ، وعلي بن الأقمر . والإدخار جاء في حديث : (كيف بك إذا بقيت في حثالة من حثالة الناس يخبئون رزق سنة لضعف اليقين ؟) قيل : ويجوز أن يكون من الحمالة التي لا تتكفل لنفسها ولا تروى . وقال الحسن :) لا تحمل رزقها (: لا تدخر ، إنما تصبح فيرزقها الله . وقال ابن عباس : لا يدخر إلا الآدمي والنمل والفأرة والعقعق ، وقيل : البلبل يحتكر في حضنيه ، ويقال : للعقعق مخابيء ، إلا أنه ينساها . وانتفاء حملها لرزقها ، إما لضعفها وعجزها عن ذلك ، وإما لكونها خلقت لا عقل لها ، فيفكر فيما يخبؤه للمستقبل : أي يرزقها على ضعفها .) وإياكم (: أي على قدرتكم على الاكتساب ، وعلى التحيل في تحصيل المعيشة ، ومع ذلك فرازقكم هو الله ، (وهو السميع (لقولكم : نخشى الفقر ، (العليم (بما انطوت عليه ضمائركم .ثم أعقب تعالى ذلك بإقرارهم بأن مبدع العالم ومسخر النيرين هو الله . وأتبع ذلك ببسط الرزق وضيقه ، فقال :) الله يبسط الرزق لمن يشاء (أن يبسطه ، (ويقدر (لمن يشاء أن يقدره . والضمير في له ظاهره العود على من يشاء ، فيكون ذلك الواحد يبسط له في وقت ، ويقدر في وقت . ويجوز أن يكون الضمير عائدا عليه في اللفظ ، والمراد لمن يشاء آخر ، فصار نظير :) وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره (: أي من عمر معمر آخر . وقولهم : عندي درهم ونصفه : أي ونصف درهم آخر ، فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق . وقرأ علقمة الحمصي : ويقدر : بضم الياء وفتح القاف وشد الدال ، (عليم (: يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم .ولما أخبر بأنهم مقرون بأن موجد العالم ، ومسخر النيرين ، ومحيي الأرض بعد موتها هو الله ، كان ذلك الإقرار ملزما لهم أن رازق العباد إنما الله هو المتكفل به . وأمر رسوله بالحمد له تعالى ، لأن في إقرارهم توحيد الله بالإبداع ونفي الشركاء عنه في ذلك ، وكان ذلك حجة عليهم ، حيث أسندوا ذلك إلى الله وعبدوا الأصنام .) بل أكثرهم لا يعقلون (، حيث يقرون بالصانع الرازق المحيي ، ويعبدون غيره .(وما هاذه الحيواة الدنيا (: الإشارة بهذه ازدراء للدنيا وتصغير لأمرها ، وكيف لا ؟ وهي لا تزن عند الله جناح بعوضة ، أي ما هي في سرعة زوالها عن أهلها وموتهم عنها ، إلا كما يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون . والحيوان ، والحياة بمعنى واحد ، وهو عند الخليل وسيبويه مصدر حيي ، والمعنى : لهي دار الحياة ، أي المستمرة التي لا تنقطع . قال مجاهد : لا موت فيها . وقيل : الحيوان : الحي ، وكأنه أطلق على الحي اسم المصدر . وجعلت الدار الآخرة حيا على المبالغة بالوصف بالحياة ، وظهور الواو في الحيوان وفي حيوة ، علم لرجل استدل به من ذهب إلى أن الواو في مثل هذا التركيب تبدل ياء لكسر ما قبلها ، نحو : شقي من الشقوة . ومن ذهب إلى أن لام الكلمة لامها ياء ، زعم أن ظهور الواو في حيوان وحيوة بدل من ياء شذوذا ، وجواب لو محذوف ، أي لو كانوا يعلمون ، لم يؤثروا دار الفناء عليها . وجاء بنا مصدر حي على فعلان ، لأنه يدل على الحركة والاضطراب ، كالغليان ، والنزوان ، واللهيان ، والجولان ، والطوفان . والحي : كثير الاضطراب والحركة ، فهذا البناء فيه لكثرة الحركة .ولما ذكر تعالى أنهم مقرون بالله إذا سئلوا : من خلق العالم ؟) ومن نزل من السماء ماء (؟ ذكر أيضا حالة أخرى يرجعون فيها إلى الله ، ويقرون بأنه هو الفاعل لما يريد ، وذلك

حين ركوب البحر واضطراب أمواجه واختلاف رياحه . وقال الزمخشري : فإن قلت : بم اتصل قوله :) فإذا ركبوا فى الفلك (؟ قلت : بمحذوف." (١)

"الأعداء وفارقوا الأهل والأقرباء ابتغاء وجه الله ورجاء ما عنده وتصديق موعوده قال ابن أبي حاتم رحمه الله حدثنا أبي أخبرنا صفوان المؤذن أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا معاوية بن سلام عن أخيه زيد بن سلام عن جده أبي سلام الأسود حدثني أبو معاوية الأشعري أن أبا مالك الأشعري حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثه أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام وتابع الصلاة والصيام وقام بالليل والناس نيام " وعلى ربهم يتوكلون " في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم .وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم (٦٠)وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليمثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار ولهذا قال تعالى " وكأين من دابة لا تحمل رزقها " أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد " الله يرزقها وإياكم " أي يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والطير في الهواء والحيتان في الماء .قال تعالى " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين " وقال ابن أبي حاتم حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي حدثنا يزيد يعني ابن هارون حدثنا الجراح بن منهال الجزري - هو أبو العطوف - عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي " يا ابن عمر ما لك لا تأكل ؟ " قال قلت لا أشتهيه يا رسول الله قال " لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين ؟ " قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت " وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع٥٢٧@@@." (٢)

"سلقوكم بألسنة حداد " أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة وهم يكذبون في ذل وقال ابن عباس رضي الله عنهما " سلقوكم " أي استقبلوكم وقال قتادة أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوءه مقاسمة أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق وهم مع ذلك أشحة على الخير أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير فهم كما قال في أمثالهم الشاعر :أفي السلم أعيار جفاء وغلظة وفي ... الحرب أمثال النساء العواركأي في حال المسالمة كأنهم الحمر والأعيار جمع عير وهو الحمار وفي الحرب كأنهم النساء الحيض ولهذا قال تعالى " أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا " أي سهلا هينا عنده .يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما

---

(١) تفسير البحر المحيط . (الكتب العلمية)، ١٥٤/٧

(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٥٢٦/١٠

قاتلوا إلا قليلا (٢٠)يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاوهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف " يحسبون الأحزاب لم يذهبوا " بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم " وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم " أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم" ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا " أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم .لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١)لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراهذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في١٣٤@@@." [1]

"ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥)ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبداوقوله " ودخل جنته وهو ظالم لنفسه " أي بكفره وتمرده أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد قال " ما أظن أن تبيد هذه أبدا " وذلك اغترار منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها وكفره بالآخرة .وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٦)وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلباولهذا قال " وما أظن الساعة قائمة " أي كائنة " ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا " أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا كما قال في الآية الأخرى " ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى " وقال " أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا " أي في الدار الآخرة تألى على الله عز وجل .وكان سبب نزولها في العاص بن وائل كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله وبه الثقة وعليه التكلان .قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧)قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلايقول تعالى مخبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار " أكفرت بالذي خلقك من تراب " الآية وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين كما قال تعالى : "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم " الآية أي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية كل أحد يعلمها من نفسه فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما ثم وجد وليس وجوده من نفسه ولا مستندا إلى شيء من المخلوقات لأنه١٣٨@@@." [2]

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٣٣/١١

(٢) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٣٧/٩

"الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال مآ أظن أن تبيد هذه أبدا ومآ أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين، أي بستانتين من أعناب، محفوفتين بالنخيل، المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، ولهذا قال: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أي أخرجت ثمرها، ﴿ولم تظلم منه شيئا﴾ أي ولم تنقص منه شيئا، ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ أي والأنهار متفرقة فيهما ههنا وههنا، ﴿وكان له ثمر﴾ قيل: المراد به المال، روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقيل: الثمار، وهو أظهر ههنا ويؤيده القراءة الأخرى ﴿وكان له ثمر﴾ بضم الثاء وتسكين الميم، فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب. وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم، فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره، أي يجادله، ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ أي أكثر خدما وحشما وولدا، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر.وقوله: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكار المعاد ﴿قال مآ أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ وذلك اغترارا منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، ذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿ومآ أظن الساعة قائمة﴾ أي كائنة ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ وقال ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ أي في الدار الآخرة تألى على الله عز وجل. وكان سبب نزولها في العاص بن وائل، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.﴿قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكن هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا ولولآ إذ دخلت جنتك قلت ما شآء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السمآء فتصبح صعيدا زلقا أو يصبح مآؤها غورا فلن تستطيع له طلبا﴾يقول تعالى مخبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن، واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار ﴿أكفرت بالذي خلقك من تراب﴾ الآية، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود ربه الذي خلقه، وابتدأ خلق الإنسان من طين وهو آدم، ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين، كما قال تعالى: ﴿كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم﴾ الآية، أي كيف تجحدون ربكم ودلالته عليكم ظاهرة جلية، كل أحد يعلمها من نفسه، فإنه ما من أحد من المخلوقات إلا ويعلم أنه كان معدوما، ثم وجد وليس وجوده من نفسه." (١)

"وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار، ولهذا قال تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ١٠٣/٣

وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء. قال تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾.وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي، حدثنا يزيد يعني ابن هارون، حدثنا الجراح بن منهال الجزري – هو أبو العطوف – عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: "يا ابن عمر ما لك لا تأكل ؟" قال: قلت لا أشتهيه يا رسول الله، قال: " لكني أشتهيه، وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين ؟" قال: فو الله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد" هذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف، وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض، فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه فيقيض الله تعالى طيرا صغارا كالبرغش، فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق، ولهذا قال الشاعر:يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيضوقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "سافروا تصحوا وترزقوا" قال البيهقي: أخبرنا إملاء أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن غالب، حدثني محمد بن سنان، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن رداد شيخ من أهل المدينة، حدثنا عبد الله بن دينار عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تصحوا وتغنموا" قال: ورويناه عن ابن عباس: وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، أخبرنا ابن لهيعة عن دراج عن عبد الرحمن بن حجيرة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تربحوا وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا" وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا، وعن معاذ بن جبل موقوفا، وفي لفظ "سافروا مع ذوي الجد والميسرة" قال: ورويناه عن ابن عباس: وقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ أي السميع لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم.﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشآء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السمآء مآء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾يقول تعالى مقررا أنه لا إله إلا هو، لأن المشركين الذين يعبدون معه غيره معترفون بأنه المستقل بخلق السموات والأرض والشمس والقمر وتسخير الليل والنهار، وأنه الخالق الرازق لعباده ومقدر آجالهم." (١)

"﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبآئكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ بل هم

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٠٩/٣

قريب منهم وإن لهم عودة إليهم ﴿وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم﴾ أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم، والله سبحانه وتعالى العالم بهم.﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين، ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله صلى الله عليه وسلم، ولهذا قال تعالى: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾.ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم وجعله العاقبة حاصلة لهم في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة: يعنون قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب، ولهذا قال تعالى: ﴿وصدق الله ورسوله﴾. وقوله تعالى: ﴿وما زادهم إلا إيمانا وتسليما﴾ دليل على زيادة الإيمان وقوته بالنسبة إلى الناس وأحوالهم، كما قال جمهور الأئمة: إنه يزيد وينقص، وقد قررنا ذلك في أول شرح البخاري، ولله الحمد والمنة، ومعنى قوله جلت عظمته ﴿وما زادهم﴾ أي ذلك الحال والضيق والشدة ﴿إلا إيمانا﴾ بالله ﴿وتسليما﴾ أي انقيادا لأوامره وطاعة لرسوله صلى الله عليه وسلم.﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شآء أو يتوب عليهم إن الله كان غفورا رحيما﴾لما ذكر عز وجل عن المنافقين أنهم نقضوا العهد الذي كانوا عاهدوا الله عليه لا يولون الأدبار، وصف المؤمنين بأنهم استمروا على العهد والميثاق ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه﴾ قال." (١)

" ١٢٥٩ - (أفضل الصدقة) أي من أفضلها : وكذا يقال فيما يأتي (جهد) روي بضم الجيم وفتحها فبالضم الوسع والطاقة وهو الأنسب هنا وبالفتح المشقة والمبالغة والغاية (المقل) بضم فكسر أي مجهود وقليل المال : يعني قدرته واستطاعته وإنما كان ذلك أفضل لدلالته على الثقة بالله والزهد فصدقته أفضل الصدقة وهو أفضل الناس بشهادة خبر : أفضل الناس رجل يعطي جهده والمراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله الآتي : أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى أو يقال الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين فالمخاطب بهذا الحديث أبو هريرة وكان مقلا متوكلا على الله فأجابه بما يقتضيه حاله والمخاطب بالحديث الآتي حكيم بن حزام وكان من أشراف قريش وعظمائها وأغنيائها ووجوهها

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٧٤/٣

في الجاهلية والإسلام (وابدأ) بالهمز وتركه (بمن تعول) أي بمن تلزمك مؤنته وجوبا فقدمه على التصدق تقديما للواجب على المندوب ولا يتناول ترفه العيال وإطعامهم لذيذ المطاعم بما زاد على كفايتهم لأن من لم تندفع حاجته أولى بالصدقة ممن اندفعت حاجته في مقصود الشارع

(د) في الزكاة وسكت عليه وأقره المنذري [ص ٣٧] (ك) فيها (عن أبي هريرة) وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي ." (١)

" ١٢٦٠ - (أفضل الصدقة) قال الراغب : ما يخرج من المال تقربا كالزكاة لكن الصدقة في الأصل للمتطوع به والزكاة للواجب وقيل يسمى الواجب صدقة إذا تحرى الصدق في فعله (ما كان عن ظهر غنى) أي ما كان عفوا قد فضل عن غنى فزاد لفظ ظهرا إشباعا للكلام وتمكينا وقيل هذا عبارة عن تمكن المتصدق عن غنى ما كقولهم هو على ظهر سير أي متمكن منه وتنكير غنى ليفيد أنه لا بد للمتصدق من غنى ما إما غنى النفس وهو الاستغناء عما بذل بسخاء نفس ثقة بالله كما كان للصديق وإما غنى مال حاصل في يده والأول أفضل اليسارين للخبر الآتي : ليس الغنى عن كثرة المال والعرض وإلا لما ندب له التصدق بجميع ماله ويترك نفسه وعياله في الجوع والشدة (واليد العليا) المعطية وقيل المتعففة (خير من السفلى) أي الآخذة ومحصول ما في الآثار إعلاء الأيدي المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ثم الآخذة بلا سؤال وأسفل الأيدي المانعة والسائلة وقد تقرر أنه لا تدافع بين ذا وما قبله لأن في الصابرين على الإضافة المؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة والثاني فيمن ليس كذلك (وابدأ بمن تعول) قال الطيبي : يشمل النفقة على العيال وصدقتي الواجب والتطوع وأن يكون ذلك الإنفاق من الربح لا من صلب المال فعليه كان الظاهر أن يؤتى بألف فعدل إلى الواو ومن الجملة الإخبارية إلى الإنشائية تفويضا للترتيب إلى الذهن واهتماما بشأن الانفاق وفيه أن تبقية بعض المال أفضل من التصدق بكله ليرجع كلا على الناس إلا لأهل اليقين كالصديق وأضرابه ومحصوله أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين كما مر (٢) قال الزمخشري : أصل العليا اسم لمكان مرتفع وليست بتأنيث الأعلى بدليل انقلاب الواو ياء ولو كانت صفة لقيل العلوى كالعشوى والقنوى والحذرى في تأنيث أفعالها ولأنها استعملت منكرة وأفعل التفضيل ومؤنثه ليسا كذلك

(حم م ن عن حكيم بن حزام) ولد في جوف الكعبة وعاش مئة وعشرين سنة : ستين في الجاهلية وستين في الإسلام القرشي الشريف جاهلية وإسلاما ." (٣)

" ٢٣٨٤ - (إن للشيطان لمة) بالفتح قرب وإصابة من الإلمام وهو القرب (يابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق) فإن الملك والشيطان يتعاقبان تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهارا كله وآخر بضده قال القاضي : والرواية الصحيحة إيعاد على زنة إفعال في الموضعين (فمن

---

(١) فيض القدير، ٣٦/٢

(٢) تنبيه

(٣) فيض القدير، ٣٧/٢

وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) أي لمة الشيطان (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ ﴿ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ﴾ اه قال القاضي : والإيعاد وإن اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد وعدا شرا إلا أنه استعمل في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده اه ونسب لمة الملك إلى الله تعالى تنويها بشأن الخير وإشادة بذكره في التمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها كما قاله العارف السهروردي ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا ومالها وجاهها وطلب المنزلة والرفعة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لم يفرق وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن كل من أكل من الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام [1] قال الغزالي : الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر سميت به لأنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركة للإرادات وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى [ص ٥٠٠] الخير أي ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والمذموم يسمى وسواسا وهذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الأسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود علم أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذا الأنوار في القلب وظلماته سببان فسبب الخاطر الداعي للخير يسمى ملكا والداعي للشر شيطانا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول لمة الملك يسمى توقيفا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول وسواس الشيطان إغواءا وخذلانا فإن المعاني مختلفة إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعيد بالشر والأمر بالفحشاء فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه يشير بآية ﴿ ومن كل شيء خلقنا زوجين ﴾ والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة وآثار الشياطين صلاحا متساويا لكن يترجح أحدهما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والإعراض عنها ومخالفتها واعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داعي إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داعي إلى الخير فلا يشك كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز بينهما غامض فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور اليقين وغزارة العلم ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ﴾

---

(١) تنبيه

(ت ن) كلاهما في التفسير (حب عن ابن مسعود) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص وسندهما سند مسلم إلا عطاء بن السائب فلم يخرج له مسلم إلا متابعة ." (١)

" ٢٤٩٣ - (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله تعالى) إذ لولا ضعفه لما فعل ذلك لأن من قوي بيقينه علم أن الله تعالى هو النافع الضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لأحد غيره من الأمر شيء فلا يهاب أحدا ولا يخشاه حتى يرضيه لخوف لحوق ضرر منه إليه (وأن تحمدوهم) أي تصفهم بالجميل (على رزق الله) أي على ما وصل إليك على يدهم من رزق الله لأن الله هو الرزاق وحده (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) أي على ما منعهم ما بأيديهم عنك مع أن المانع إنما هو الله لا هم فإنهم مأمورون مسخرون . (إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص) أي اجتهاد مجتهد متهالك على تحصيله قالوا : والحرص الشح على الشيء أن يضيع أو يتلف (ولا يرده) عنك (كراهة كاره) حصوله لك فما لم يقدر لك لم يأتك على كل حال وما قدر لك خرق الحجاب وطرق عليك الباب (وإن الله بحكمته) أي بإحاطته بالكليات والجزئيات بأسرها وإتقان صنعها ووضعها في مواضعها اللائقة بها (وجلاله) أي عظمته التي لا تتناهى (جعل الروح) بفتح الراء أي الراحة وطيب النفس قال في الصحاح وغيره الروح بالفتح من الاستراحة وكذا الراحة (والفرح) أي السرور والنشاط والانبساط قالوا : والفرح لذة القلب بنيل ما يشتهى (في الرضى واليقين) فمن أوتي يقينا استحضر به قوله تعالى ﴿ قل كل من عند الله ﴾ فشاهد الخير عيانا فقر وسكن ولم يضطرب فما سمع بأذنه من خبر ربه أبصره بعين قلبه وبصر القلب هو اليقين فمن تيقن أن الكل من الله وبالله ولله نال الثواب ورضي عن الله وBه ولم يلتفت لغيره (وجعل الهم والحزن في الشك) أي التردد وعدم الجزم بأن الكل بإرادته تعالى وتقديره (والسخط) أي عدم الرضى بالقضاء ومن كان بهذه الحالة لم يصبر على ضيق ولم يرضى بمكروه فما ترى إلا ساخطا للقضاء جازعا عند البلاء فيحبط عمله ولا يغني عنه ذلك شيئا

(حل هب عن أبي سعيد) الخدري وظاهر صنيع المصنف أن البيهقي خرجه وأقره والأمر بخلافه بل تعقبه بقوله محمد بن مروان السدي أي أحد رجاله ضعيف انتهى وفيه أيضا عطية العوفي أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال ضعفوه وموسى بن بلال قال الأزدري ساقط ." (٢)

" ٢٧٩٢ - (أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته) أي في باطنه وظاهره والقصد الوصية بإخلاص التقوى وتجنب الرياء فيها قال حجة الإسلام : وإذا أردنا تحديد التقوى على موضع علم السر نقول الحد الجامع تبرئة القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير كذلك وقاية بينك وبين كل شر قال : وهنا أصل أصيل وهو أن العبادة شطران اكتساب وهو فعل الطاعات واجتناب وهو تجنب السيئات وهو التقوى وشطر الاجتناب أصلح وأفضل وأشرف للعبد من الاكتساب يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم واشتغل المتنبهون أولو البصائر والاجتناب إنما همتهم حفظ القلوب عن الميل لغيره تعالى والبطون عن الفضول والألسنة عن اللغو والأعين عن النظر إلى ما لا يعنيهم (وإذا أسأت

---

(١) فيض القدير، ٤٩٩/٢

(٢) فيض القدير، ٥٣٩/٢

فأحسن) ﴿ إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ (ولا تسألن أحدا) من الخلق (شيئا) من الرزق ارتقاء إلى مقام التوكل فلا تعلق قلبك بأحد من الخلق بل بوعد الله وحسن كفايته وضمانه ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ وقد قال أهل الحق : ما سأل إنسان الناس إلا لجهله بالله تعالى وضعف يقينه بل إيمانه وقلة صبره وما تعفف متعفف إلا لوفور علمه بالله وتزايد معرفته به وكثرة حيائه منه (ولا تقبض أمانة) وديعة أو نحوها مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين ثم استعمل في الأعيان مجازا فقيل الوديعة أمانة ونحو ذلك والنهي للتحريم إن عجز عن حفظها وللكراهة إن قدر ولم يثق بأمان نفسه وإن وثق بأمانة نفسه فإن قدر ووثق ندب بل إن تعين وجب (ولا تقض بين اثنين) لخطر أمر القضاء وحسبك في خطره خير من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين والخطاب لأبي ذر وكان يضعف عن [ص ٧٦] ذلك كما صرح به في الحديث

(حم عن أبي ذر) قال الهيثمي : رجاله رجال الصحيح وفيه قضية اه . وقضية كلام المصنف أن هذا هو الحديث بتمامه والأمر بخلافه بل سقط منه بعد ولا تسأل أحدا وإن سقط سوطك هكذا هو ثابت في رواية أحمد وكأنه سقط من القلم ." (١)

" [ص ٥٣٣] ٤٢٢٨ - (دعوه) أي المريض (يئن (١)) أي يستريح بالأنين أي يقول آه ولا تنهوه عنه (فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى) أي لفظ آه من أسمائه لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن وأسماؤه تعالى توقيفية (يستريح إليه العليل) فيه رد لما رواه أحمد عن طاوس أن أنين المريض شكوى وقول جمع شافعية منهم أبو الطيب وابن الصباغ أنين المريض وتأوهه مكروه رده النووي بأنه ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مخصوص وهذا لم يثبت فيه بل ثبت الأذن فيه نعم استعماله بالذكر أولى وكثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين ومشعرة بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء أما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا وحكى ابن جرير في كتابه الآداب الشريفة والأخلاق الحميدة خلافا للسلف أن أنين المريض هل يؤخذ به ثم رجح الرجوع فيه إلى النية فإذا نوى به تسخط قضاء ربه أوخذ به أو استراحة من الألم جاز

(الرافعي) إمام الدين في تاريخ قزوين (عن عائشة) قالت : دخل علينا رسول الله صلى الله عليه و سلم وعندنا عليل يئن فلنا له : اسكت فذكره

---

(١) قال في المصباح : أن الرجل يئن بالكسر أنينا وأنا بالضم صوت فالذكر آن على وزن فاعل والأنثى آنة اه ". (٢)

" [ص ٤١] ٦٣٨٠ - (كلم المجذوم) أي من أصابه الجذام (وبينك وبينه قيد) بكسر فسكون (رمح أو رمحين) لئلا يعرض لك جذام فتظن أنه أعداك مع أن ذلك لا يكون إلا بتقدير الله وهذا خطاب لمن ضعف يقينه ووقف نظره

---

(١) فيض القدير، ٧٥/٣

(٢) فيض القدير، ٥٣٣/٣

عند الأسباب وما رواه الخطيب عن أنس كنت عند النبي صلى الله عليه و سلم على بساط فأتاه مجذوم فأراد أن يدخل عليه فقال : يا أنس اثن البساط لا يطأ عليه بقدمه اه . فلعله كان بحضرة من قصر نظره ووقف عند السبب

(ابن السني وأبو نعيم) معا (في) كتاب (الطب) النبوي (عن عبد الله بن أبي أوفى) قال ابن حجر في الفتح : وسنده واه ." (١)

" ٦٣٨٣ - (كل) معي أيها المجذوم (بسم الله ثقة بالله) أي كل معي أثق ثقة بالله (وتوكلا على الله) أي وأتوكل توكلا عليه فالفعل المقدر منصوب على الحال والثقة الاعتماد هذا درجة من قوي توكله واطمأنت نفسه على مشاركة الأسباب وليس من هذا القبيل من ضعف يقينه ووقف مع الأسباب فإن مباعدته للمجذوم واتقاءه إياه أولى فلا تناقض بين الأخبار كما زعمه بعض الضالين

(٤) في الطب (حب ك) في الأطعمة (عن جابر) قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه و سلم بيد مجذوم فوضعها في قصعة ثم ذكره قال ابن حجر : حديث حسن وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وفيه نظر اه . وقال ابن الجوزي : تفرد به المفضل بن فضالة وليس بذلك ولا يتابع عليه إلا من طريق لين ." (٢)

" ٧٧٩٥ - (ما أخاف على أمتي) أمة الإجابة (إلا ضعف اليقين) لأن سبب ضعفه ميل القلب إلى المخلوق وبقدر ميله له يبعد عن مولاه وبقدر بعده عنه يضعف يقينه واليقين استقرار العلم الذي لا يتغير في القلب والسكون إلى الله ثقة به ورضى بقضائه وذلك صعب عسير على من شاء الله . قال القشيري : حرام على قلب شم رائحة اليقين وفيه سكون لغير الله . واليقين استقرار الفؤاد وقد وصف الله المؤمنين بالإيمان بالغيب والإيمان التصديق ولا يصدق الإنسان بالخبر حتى يتقرر عنده فيصير كالمشاهدة والمشاهدة بالقلب هو اليقين فإذا ضعف البصر لم يعاين الشيء كما هو ولم يبصر الغيب الذي يجب الإيمان به من توحيد الله وإجلاله وهيبته فلا تكون عبادته لربه كأنه يراه ولم يبصر الدار الآخرة التي هي المنقلب ولم يبصر الثواب والعقاب الباعثين على الطاعة والمعصية فمن لم يبصر هذا بقلبه لم يتيقنه وإن أقر بلسانه وصدق من جهة الخبر فهو في حيرة وعمى فاستبان أنه إذا ضعف اليقين ضعف الإيمان

(طس هب عن أبي هريرة) قال الهيثمي : رجاله ثقات ." (٣)

"﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (٢٠) ﴾يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد الأحزاب إلى "المدينة" لتمنى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن "المدينة" بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.." (٤)

---

(١) فيض القدير، ٤١/٥

(٢) فيض القدير، ٤١/٥

(٣) فيض القدير، ٤١٤/٥

(٤) التفسير الميسر، ٣٣٠/٧

" " لما نزلت هذه الآية انك ميت وانهم ميتون قلت : يا رب أيموت الخلائق كلهم ؟ وتبقى الانبياء ؟ نزلت كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون

– قوله تعالى : وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتم من نزل من السماء ماءا فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلون

أخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : خرجت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال " يا ابن عمر مالك لا تأكل ! قلت : لا أشتهيه يا رسول الله

قال : لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم ويضعف اليقين ؟ قال : فو الله ما برحنا ولارمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ان الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات إلا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أدخر رزقا لغد "

وأخرج الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال : الطير والبهائم

وأخرج ابن أبي شيبه وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي بن الاقمر في قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال : لا تظفر شيئا لغد

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي مجلز في الآية قال : من الدواب لا يستطيع أن يدخر لغد يوفق رزقه كل يوم حتى يموت ." (١)

" وأخرج ابن أبي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال : وضع لقمان عليه السلام جرابا من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفذ الخردل فقال : يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطر فتفطر ابنه

وأخرج ابن أبي حاتم والحاكم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم " قال لقمان لابنه وهو يعظه : يا بني إياك والتقنع فانها مخوفة بالليل ومذلة بالنهار "

وأخرج العسكري في الأمثال والحاكم والبيهقي في شعب الايمان عن أنس

أن لقمان عليه السلام كان عبدا لداود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده فجعل لقمان عليه السلام يتعجب ويريد أن يسأله وتمنعه حكمته أن يسأله فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال : نعم درع الحرب هذه

فقال لقمان : الصمت من الحكمة وقليل فاعله كنت أردت أن أسألك فسكت حتى كفيتني

---

(١) الدر المنثور، ٤٧٥/٦

وأخرج أحمد والبيهقي في شعب الايمان عن عون بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره وخف الله مخافة لا تيأس بها من رحمته فقال : يا أبتاه وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد ؟ قال : المؤمن كذا له قلبان

قلب يرجو به

وقلب يخاف به

وأخرج البيهقي عن سليمان التيمي رضي الله تعالى عنه قال : قال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني أكثر من قول : رب اغفر لي

فان لله ساعة لا يرد فيها سائل

وأخرج البيهقي والصابوني في المائتين عن عمران بن سليم رضي الله عنه قال : بلغني ان لقمان عليه السلام قال لابنه : يا بني حملت الحجارة والحديد والحمل الثقيل فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء يا بني اني قد ذقت المر كله فلم أذق شيئا أمر من الفقر

وأخرج ابن أبي الدنيا في اليقين عن الحسن رضي الله عنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني ان العمل لا يستطاع إلا باليقين ومن يضعف يقينه يضعف عمله يا بني اذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فاغلبه باليقين والنصيحة واذا جاءك ." (١)

"التنفس اختلف في جواز إطلاق النفس على الله وإضافتها إلى الله فقيل يجوز لقوله تعالى حكاية عن كلام عيسى ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾ [المائدة: ١١٦] ولقوله في الحديث القدسي "وإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي" وقيل لا يجوز إلا للمشاكلة كما في الآية والحديث القدسي والظاهر الجواز ولا عبرة بأصل مأخذ الكلمة من التنفس فالنفس الذات قال تعالى ﴿يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها﴾ [النحل: ١١١]. وتطلق النفس على روح الإنسان وإدراكه ومنه قوله تعالى ﴿تعلم ما في نفسي﴾ وقول العرب قلت في نفسي أي في تفكري دون قول لفظي، ومنه إطلاق العلماء الكلام النفسي على المعاني التي في عقل المتكلم التي يعبر عنها باللفظ.و"ادارأتم" افتعال، وادارأتم أصله تدارأتم تفاعل من الدرء وهو الدفع لأن كل فريق يدفع الجناية عن نفسه فلما أريد إدغام التاء في الدال على قاعدة تاء الافتعال مع الدال والذال جلبت همزة الوصل لتيسير التسكين للإدغام.وقوله ﴿والله مخرج﴾ جملة حالية من ﴿ادارأتم﴾ أي تدارأتم في حال أن الله سيخرج ما كتمتموه فاسم الفاعل فيه للمستقبل باعتبار عامله وهو ﴿ادارأتم﴾ .والخطاب هنا على نحو الخطاب في الآيات السابقة المبني على تنزيل المخاطبين منزلة أسلافهم لحمل تبعتهم عليهم بناء على ما تقرر من أن خلق السلف يسري إلى الخلف كما بيناه فيما مضى وسنبينه إن شاء الله تعالى عند قوله ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾ [البقرة: ٧٥]وإنما تعلقت إرادة الله تعالى بكشف حال قاتلي هذا القتيل مع أن دمه ليس بأول دم طل في الأمم إكراما لموسى عليه السلام أن يضيع دم في قومه وهو بين أظهرهم وبمرآى منه ومسمع لا سيما وقد قصد القاتلون استغفال موسى ودبروا المكيدة في إظهارهم

(١) الدر المنثور، ٥١٣/٦

المطالبة بدمه فلو لم يظهر الله تعالى هذا الدم في أمة لضعف يقينها برسولها ولكان ذلك مما يزيدهم شكا في صدقه فينقلبوا كافرين فكان إظهار هذا الدم كرامة لموسى ورحمة بالأمة لئلا تضل فلا يشكل عليكم أنه قد ضاع دم في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم كما في حديث حويصة ومحيصة الآتي لظهور الفرق بين الحالين بانتفاء تدبير المكيدة وانتفاء شك الأمة في رسولها وهي خير أمة أخرجت للناس.وقوله: ﴿كذلك يحيي الله الموتى﴾ الإشارة إلى محذوف للإيجاز أي فضربوه فحيي فأخبر بمن قتله أي كذلك الإحياء يحيي الله الموتى فالتشبيه في التحقق وإن كانت كيفية." (١)

"جبنا، واليقين شكا، ولذلك نهوا عنه. وأما الحزن فهو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار. والوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة. فالنهي عن الوهن والحزن في الحقيقة نهي عن سببهما وهو الاعتقاد، كما ينهى أحد عن النسيان، وكما ينهى أحد عن فعل غيره في نحو لا أرين فلانا في موضع كذا أي لا تتركه يحل فيه، ولذلك قدم على هذا النهي قوله: ﴿قد خلت من قبلكم سنن﴾ [آل عمران: ١٣٧] الخ... وعقب بقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.وقوله: ﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾ الواو للعطف، وهذه بشارة لهم بالنصر المستقبل، فالعلو هنا مجازي وهو علو المنزلة.والتعليق بالشرط في قوله: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان إذ قد علم الله أنهم مؤمنين ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه فقيل لهم: إن علمتم من أنفسكم الإيمان، وجيء بإن الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها، إنما ما لهذا المقصد.﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين[١٤٠] وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ [١٤١].﴿إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾.تسلية عما أصاب المسلمين يوم أحد من الهزيمة بأن ذلك غير عجيب في الحرب، إذ لا يخلو جيش من أن يغلب في بعض مواقع الحرب، وقد سبق أن العدو غلب. والمس هنا الإصابة كقوله في سورة البقرة [٢١٤] ﴿مستهم البأساء والضراء﴾ . والقرح بفتح القاف في لغة قريش الجرح، وبضمها في لغة غيرهم، وقرأ الجمهور: بفتح القاف، وقرأه حمزة، والكسائي، وأبو بكر، عن عاصم، وخلف: بضم القاف، وهو هنا مستعمل في غير حقيقته، بل هو استعارة للهزيمة التي أصابتهم، فإن الهزيمة تشبه بالثلمة وبالانكسار، فشبهت هنا بالقرح حين يصيب الجسد، ولا يصح أن يراد به الحقيقة لأن الجراح التي تصيب الجيش لا يعبأ بها إذا كان معها النصر، فلا شك أن التسلية وقعت عما أصابهم من الهزيمة.والقوم هم مشركو مكة ومن معهم.." (٢)

"حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيبوقال تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ [الفتح:٢٩].وقوله:﴿يجاهدون في سبيل الله﴾صفة ثالثة، وهي من أكبر العلامات الدالة على صدق الإيمان.والجهاد:إظهار الجهد، أي الطاقة في دفاع العدو، ونهاية الجهد التعرض للقتل، ولذلك جيء به على صيغة مصدر فاعل لأنه يظهر جهده لمن يظهر له مثله.وقوله: ﴿ولا يخافون لومة لائم﴾ صفة رابعة، وهي عدم الخوف من الملامة، أي في أمر الدين، كما هو

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٤٣/١

(٢) التحرير والتنوير، ٢٢٨/٣

السياق.واللومة الواحدة من اللوم.وأريد بها هنا مطلق المصدر، كاللوم لأنها لما وقعت في سياق النفي فعمت زال منها معنى الوحدة كما يزول معنى الجمع في الجمع المعمم بدخول ال الجنسية لأن"لا"في عموم النفي مثل"ال"في عموم الإثبات، أي لا يخافون جميع أنواع اللوم من جميع اللائمين إذ اللوم منه:شديد، كالتقريع، وخفيف؛ واللائمون:منهم اللائم المخيف، والحبيب:فنفى عنهم خوف جميع أنواع اللوم.ففي الجملة ثلاثة عمومات:عموم الفعل في سياق النفي، وعموم المفعول، وعموم المضاف إليه.وهذا الوصف علامة على صدق إيمانهم حتى خالط قلوبهم بحيث لا يصرفهم عنه شيء من الإغراء واللوم لأن الانصياع للملام آية ضعف اليقين والعزيمة.ولم يزل الإعراض عن ملام اللائمين علامة على الثقة بالنفس وأصالة الرأي.وقد عد فقهاؤنا في وصف ا لقاضي أن يكون مستخفا باللائمة على أحد تأويلين في عبارة المتقدمين، واحتمال التأويلين دليل على اعتبار كليهما شرعا.وجملة ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ تذييل.واسم الإشارة إشارة إلى مجموع صفات الكمال المذكورة.و﴿واسع﴾ وصف بالسعة، أي عدم نهاية التعلق بصفاته ذات التعلق، وتقدم بيانه عند قوله تعالى: ﴿قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ في سورة آل عمران[٧٣].[٥٥.٥٦] ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾.." (١)

"[الأعراف:]٢٧.فكان معنى الابتلاء ملازما لها.والمعنى:وظنوا أن الله لا يصيبهم بفتنة في الدنيا جزاء على ما عاملوا به أنبياءهم، فهنالك مجرور مقدر دال عليه السياق، أي ظنوا أن لا تنزل بهم مصائب في الدنيا فأمنوا عقاب الله في الدنيا بعد أن استخفوا بعذاب الآخرة، وتوهموا أنهم ناجون منه، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة.فمن بديع إيجاز القرآن أن أومأ إلى سوء اعتقادهم في جزاء الآخرة وأنهم نبذوا الفكرة فيه ظهريا وأنهم لا يراقبون الله في ارتكاب القبائح، وإلى سوء غفلتهم عن فتنة الدنيا وأنهم ضالون في كلا الأمرين.ودل قوله: ﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾ على أنهم لو لم يحسبوا ذلك لارتدعوا، لأنهم كانوا أحرص على سلامة الدنيا منهم على السلامة في الآخرة لانحطاط إيمانهم وضعف يقينهم.وهذا شأن الأمم إذا تطرق إليها الخذلان أن يفسد اعتقادهم ويختلط إيمانهم ويصير همهم مقصورا على تدبير عاجلتهم، فإذا ظنوا استقامة العاجلة أغمضوا أعينهم عن الآخرة، فتطلبوا السلامة من غير أسبابها، فأضاعوا الفوز الأبدي وتعلقوا بالفوز العاجل فأساؤوا العمل فأصابهم العذابان العاجل بالفتنة والآجل.واستعير ﴿عموا وصموا﴾ للإعراض عن دلائل الرشاد من رسلهم وكتبهم لأن العمى والصمم يوقعان في الضلال عن الطريق وانعدام استفادة ما ينفع.فالجمع بين العمى والصمم جمع في الاستعارة بين أصناف حرمان الانتفاع بأفضل نافع، فإذا حصل الإعراض عن ذلك غلب الهوى على النفوس، لأن الانسياق إليه في الجبلة، فتجنبه محتاج إلى الوازع، فإذا انعدم الوازع جاء سوء الفعل، ولذلك كان قوله: ﴿فعموا وصموا﴾ مرادا منه معناه الكنائي أيضا، وهو أنهم أساءوا الأعمال وأفسدوا، فلذلك استقام أن يعطف عليه قوله: ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ وقد تأكد هذا المراد بقوله في تذييل الآية ﴿والله بصير بما يعملون﴾.وقوله: ﴿ثم تاب الله عليهم﴾ أي بعد ذلك الضلال والإعراض عن الرشد وما أعقبه من سوء العمل والفساد في الأرض.وقد استفيد من قوله: ﴿ألا تكون فتنة﴾ وقوله:

---

(١) التحرير والتنوير، ٥/١٣٧

﴿ثم تاب الله عليهم﴾ أنهم قد أصابتهم الفتنة بعد ذلك العمى والصمم وما نشأ عنها عقوبة لهم، وأن الله لما تاب عليهم رفع عنهم الفتنة، ﴿ثم عموا وصموا﴾، أي عادوا إلى ضلالهم القديم وعملهم الذميم، لأنهم مصرون على حسبان أن لا تكون فتنة فأصابتهم فتنة." (١)

"الاستقرار في المكان وهو هنا مستعار للإبطاء، أي ما أبطاوا بالسعي في الفتنة ولا خافوا أن تؤخذ بيوتهم. والمعنى: لو دخلت جيوش الأحزاب المدينة وبقي جيش المسلمين خارجها – أي مثلا لأن الكلام على الفرض والتقدير – وسأل الجيش الداخل الفريق المستأذنين أن يلقوا الفتنة في المسلمين بالتفريق والتخزيل لخرجوا لذلك القصد مسرعين ولم يثبطهم الخوف على بيوتهم أن يدخلها اللصوص أو ينهبها الجيش: إما لأنهم آمنون من أن يلقوا سوءا من الجيش الداخل لأنهم أولياء له ومعاونون، فهم منهم وإليهم، وإما لأن كراهتهم الإسلام تجعلهم لا يكترثون بنهب بيوتهم.والاستثناء في قوله: ﴿إلا يسيرا﴾ يظهر أنه تهكم بهم فيكون المقصود تأكيد النفي بصورة الاستثناء. ويحتمل أنه على ظاهره، أي إلا ريثما يتأملون فلا يطيلون التأمل فيكون المقصود من ذكره تأكيد قلة الثلبت، فهذا هو التفسير المنسجم مع نظم القرآن أحسن انسجام.وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر ﴿لأتوها﴾ بهمزة تليها مثناة فوقية، وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف ﴿لآتوها﴾ بألف بعد الهمزة على معنى: لأعطوها، أي لأعطوا الفتنة سائليها، فإطلاق فعل ﴿أتوها﴾ مشاكلة لفعل ﴿سئلوا﴾ .[١٥] ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤولا﴾هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة وهم الذين قال فريق منهم ﴿إن بيوتنا عورة﴾ [الأحزاب: ١٣] واستأذن النبيء صلى الله عليه وسلم، أي كانوا يوم أحد جبنوا ثم تابوا وعاهدوا النبيء صلى الله عليه وسلم أنهم لا يولون الأدبار في غزوة بعدها، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما﴾ [آل عمران: ١٢٢]؛ فطرأ على نفر من بني حارثة نفاق وضعف في الإيمان فذكرهم الله بذلك وأراهم أن منهم فريقا قلبا لا يرعى عهدا ولا يستقر لهم اعتقاد وأن ذلك لضعف يقينهم وغلبة الجبن عليهم حتى يدعوهم إلى نبذ عهد الله. وهذا تنبيه للقبيلين ليزجروا من نكث منهم. وتأكيد هذا الخبر بلام القسم وحرف التحقيق وفعل كان، مع أن الكلام موجه إلى المؤمنين تنزيلا للسامعين منزلة من يتردد في أنهم عاهدوا الله على الثبات.." (٢)

"وأهلوهم، فأخبر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بما بيتوه في قلوبهم وفضح أمرهم من قبل أن يعتذروا. وهذه من معجزات القرآن بالأخبار التي قبل وقوعه.فالجملة مستأنفة استئنافا ابتدائيا لمناسبة ذكر الإيفاء والنكث، فكمل بذكر من تخلفوا عن الداعي للعهد. والمعنى: أنهم يقولون ذلك عند مرجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة معتذرين كاذبين في اعتذارهم.والمخلفون بفتح اللام هم الذين تخلفوا. وأطلق عليهم المخلفون أي غيرهم خلفهم وراءه، أي تركهم خلفه، وليس ذلك بمقتض أنهم مأذون لهم بل المخلف هو المتروك مطلقا. يقال: خلفنا فلانا، إذا مروا به وتركوه لأنهم اعتذروا من قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم فعذرهم بخلاف الأعراب فإنهم تخلف أكثرهم بعد أن استنفروا ولم يعتذروا حينئذ.والأموال:

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٧/٥

(٢) التحرير والتنوير، ٢١١/٢١

الإبل.وأهلون: جمع أهل على غير قياس لأنه غير مستوفي لشروط الجمع بالواو والنون أو الياء والنون، فعد مما ألحق بجمع المذكر السالم.ومعنى فاستغفر لنا: اسأل لنا المغفرة من الله إذ كانوا مؤمنين فهو طلب حقيقي لأنهم كانوا مؤمنين ولكنهم ظنوا أن استغفار النبي صلى الله عليه وسلم لهم يمحو ما أضمروه من النكث وذهلوا عن علم الله بما أضمروه كدأب أهل الجهالة فقد قتل اليهود زكريا مخافة أن تصدر منه دعوة عليهم حين قتلوا ابنه يحيى ولذلك عقب قولهم هنا بقوله تعالى ﴿بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ الآية.وجملة ﴿يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم﴾ في موضع الحال.ويجوز أن تكون بدل اشتمال من جملة ﴿سيقول لك المخلفون﴾والمعنى: أنهم كاذبون فيما زعموه من الاعتذار، وإنما كان تخلفهم لظنهم أن النبي صلى الله عليه وسلم يقصد قتال أهل مكة أو أن أهل مكة مقاتلوه لا محالة وأن الجيش الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يستطيعون أن يغلبوا أهل مكة، فقد روي أنهم قالوا: يذهب إلى قوم غزوه في عقر داره١ بالمدينة يعنون غزوة الأحزاب وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه لا ينقلب إلى المدينة وذلك من ضعف يقينهم.﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا﴾ـ١ العقر بضم العين وفتحها: الأصل والمكان.." (١)

"و منها أن النبي صلى الله عليه و سلم لما اشتدّ الأذى على المسلمين في مكة و أمرهم بالخروج إلى المدينة قال بعضهم كيف نخرج إليها و ليس لنا بها دار و لا مال فمن يطعمنا و يسقينا فأنزل الله الآية الأخيرة. و منها أنها نزلت في جماعة تخلّفوا عن الهجرة من مكة تحسبا من الموت و العوز و الضيق في أرض الغربة. و منها حديث رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر جاء فيه: «أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه و سلم بستانا من بساتين الأنصار فجعل رسول الله صلى الله عليه و سلم يلقط الرطب بيده و يأكل فقال: كل يا ابن عمر، قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: و لكنّي أشتهيه، و هذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاما و لم أجده، فقلت: إنّا لله، الله المستعان. قال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل كسرى و قيصر أضعافا مضاعفة و لكني أجوع يوما و أشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت و بقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين.قال: فو الله ما برحنا و لا رمنا حتى نزلت وَ كَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ ... إلخ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم: إنّ الله عزّ و جلّ لم يأمرني بكنز الدنيا و لا باتباع الشهوات فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإنّ الحياة بيد الله. ألا و إني لا أكنز دينارا و لا درهما و لا أخبئ رزقا لغد» «١». و حديث ابن عمر و القول الذي قبله يقتضيان أن تكون الآيات أو الآية [٥٩] مدنية نزلت لحدّتها مع أنه ليس هناك رواية ما بذلك فيما اطلعنا عليه.و قد قيل مثل القول الذي قبل الحديث في مناسبة الآيات الأولى من السورة و أوردناه و علقنا عليه. و الحديث لم يرد في كتب الأحاديث الصحيحة. و الأقوال الأخرى محتملة الصحة على ما يلهمه فحوى الآيات و روحها أيضا حيث يلهمان أنها نزلت في ظرف اشتدت فيه الأزمة على المسلمين في مكة. و قد تضمنت________________________________.)"(٢)

(١) التحرير والتنوير، ١٣٦/٢٦

(٢) التفسير الحديث، ص/٣٤١٤

"روى أبو داود عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من بني مخزوم على الصدقة.والنص على العامل في الآية يدل على أن أخذ الزكاة إلى الإمام ، ويجب دفعها له ، ولا يجزي رب المال أن يعطيها إلى المستحقين ، ويؤكده قوله تعالى : خذ من أموالهم صدقة [التوبة ٩/ ١٠٣].لكن يعارض ذلك قوله تعالى : والذين في أموالهم حق معلوم ، للسائل والمحروم [المعارج ٧٠/ ٢٥- ٢٤] والحق يجوز لمن يجب عليه دفعه للسائل والمحروم مباشرة. لذا فصل العلماء فقالوا : أ- إن كان مال الزكاة خفيا (باطنا) كالنقود : فيجوز بالإجماع للمالك أن يفرقه بنفسه أو أن يدفعه إلى الإمام.ب- وإن كان مال الزكاة ظاهرا كالماشية والزرع والثمر : فيجب دفعه إلى الإمام في رأي الجمهور لأن حق المطالبة فيه للإمام ، فيدفع إليه كالخراج والجزية.وقال الشافعي في الجديد : يجوز للمالك توزيعه بنفسه لأنه زكاة كزكاة المال الخفي.٤- المؤلفة قلوبهم : وهم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام ، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. وهم نوعان : مسلمون وكفار ، يعطون ليتقوى إسلامهم.أما الكفار حال كونهم كفارا : فيعطون من الزكاة في مذهب الحنابلة والمالكية ، ترغيبا في الإسلاملأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم « أعطى المؤلفة قلوبهم من المسلمين والمشركين » « ١ » .______________(١) نيل الأوطار : ٤/ ١٦٦ [.....]ج ١٠ ، ص : ٢٧٠." (١)

"و الرجلان أخوان أو صديقان أو شريكان من بني إسرائيل ، أحدهما : كافر مغتر بدنياه ، والثاني : مؤمن موحد بالله.والقصد من هذا المثل العظة والعبرة ، فقد آل حال الكافر المغرور إلى الدمار والإفلاس ، لكفران النعم وعصيان الله ، وظل المؤمن الفقير على طاعة الله ، بالرغم من معاناته الشدائد والمتاعب ، فآتاه الله الخلود في الجنة.كلتا الجنتين آتت أكلها أي أخرجت الجنتان ثمرهما.ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص منه شيئا في كل عام.وفجرنا خلالهما نهرا أي وشققنا وأجرينا وسط الجنتين نهرا ، تتفرع عنه عدة جداول ، لسقي جميع الجوانب.وكان له ثمر أي وكان لصاحب البستانين أنواع أخرى من المال من النقدين (الذهب والفضة) بسبب التجارة وتنمية ثمار الأرض.وأدى به هذا الغنى إلى الزهو والكبرياء والاغترار بالمال ، شأن كل غني مغرور. فقال لصاحبه وهو يحاوره : أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أي فقال صاحب هاتين الجنتين لصاحبه المؤمن الفقير ، وهو يجادله ويخاصمه ويحاوره الحديث ، ويفتخر عليه : أنا أكثر منك ثروة ، وأعز نفرا ، أي أكثر خدما وحشما وولدا ، وأقوى عشيرة ورهطا يدافعون عني.وازداد به الغرور ظنه استمرار تلك الثروة وعدم فنائها لقلة عقله وضعف يقينه بالله ، وهذا ما حكاه القرآن عنه : ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ... أي ودخل هذا الثري المترف بستانه ذا ج ١٥ ، ص : ٢٥٣." (٢)

"قد يسبح الله أمام الساري٢٣٧فرجع الرجل بعياله.والآية تدل على أن الفرار من الطاعون حرام في تلك الشريعة ، كما حرم في شرعنا ، وروى عبد الرحمن بن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " إذا سمعتم هذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا منه ". قلت : وقد اختلف الأئمة في حكم الفرار والقدوم : فمنهم من

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٧٣/١٠

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦٧/١٥

شهر المنع فيهما تمسكا بظاهر الحديث ، ومنهم من شهر الكراهة ، والمختار في الفرار : التحريم ، وفي القدوم : التفصيل ، فمن قوي يقينه ، وصفا توحيده ، حل له القدوم ، ومن ضعف يقينه ، بحيث إذا أصابه شيء نسب التأثير لغير الله حرم عليه القدوم.وفي حديث عائشة – رضي الله عنها – قلت : يا رسول الله ، ما الطاعون ؟ قال : " غدة كغدة البعير ، المقيم فيه كالشهيد ، والفار منه كالفار من الزحف " قال ابن حجر : كون المقيم فيه له أجر شهيد إنما بشرط أن يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له ، وأن يسلم إليه أمره ويرضى بقضائه ، وأن يبقى في مكانه ولا يخرج منه بقصد الفرار ، فإذا اتصف الجالس بهذه القيود حصل له أجر الشهادة ، ودخل تحته ثلاث صور ، الأولى : من اتصف بذلك فوقع له الطاعون ومات فهو شهيد. والثانية : من وقع به ولم يمت به فهو شهيد وإن مات بعد ذلك. والثالثة : من لم يقع به أصلا ومات بغيره عاجلا أو آجلا فهو شهيد ، إذا حصلت فيه القيود الثلاثة ، ومن لم يتصف بالقيود الثلاثة فليس بشهيد ، ولو مات بالطاعون ، والله أعلم. هـ.جزء : ١ رقم الصفحة : ٢٣٧." (١)

"بكم﴾ أي : ينتظرون بكم الدوائر ، أي : ما يدور به الزمان والدهر عليكم ، وهم المنافقون ، ﴿فإن كان لكم فتح من الله﴾ كالنصر والغنيمة ﴿قالوا﴾ للمؤمنين : ﴿ألم نكن معكم﴾ على دينكم ، فأعطونا مما غنمتم ، ﴿وإن كان للكافرين نصيب﴾ ؛ دولة أو ظهور على المسلمين ، ﴿قالوا﴾ لهم : ﴿ألم نستحوذ عليكم﴾ أي : نغلبكم ونتمكن من قتلكم ، وأبقينا عليكم فمنعناكم من قتل المسلمين لكم ، بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به عزيمتهم عليكم ، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم ، فأشركونا مما أصبتم. وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا ، وظفر الكافرين نصيبا ؛ لخسة حظه ، فإنه حظ دنياوي ، استدراجا ومكرا ، بخلاف ظفر المسلمين ، فإنه إظهار الدين ، وإعانة بالغنيمة للمسلمين.﴿فالله يحكم بينهم يوم القيامة﴾ ؛ فيدخل أهل الحق الجنة ، ويدخل أهل الخوض النار ، ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾ أي : حجة ، أو غلبة في الدنيا والآخرة ، وفيه دليل على عدم صحة ملك الكافر للمسلم ، فيباع عليه إن اشتراه ، ويفسخ نكاحه إن تزوج مسلمة. والله تعالى أعلم.الإشارة : (المرء مع من أحب) ؛ من أحب قوما حشر معهم ، فمن أحب أهل الخوض حشر مع الخائضين ، ومن أحب أهل الصفا حشر مع المخلصين ، وإن كان مذبذبا يميل مع كل ريح ؛ حشر مع المخلصين ، وهو من خف عقله وضعف يقينه ، إن رأى بأهل النسبة من الفقراء عزا ونصرا وفتحا انحاز إليهم ، وقال : ألم نكن معكم ، وإن رأى لأهل الإنكار من العوام صولة وغلبة رجع إليهم ، وقال : ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من دعاء الصالحين عليكم ، فما لهذه عند الله من خلاق. وفي الحديث : " ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها " فالله يحكم بينهم يوم القيامة ، فيرفع أهل الصفا مع المقربين ، ويسقط أهل الخوض مع الخائضين ، وليس لأهل الخوض من أهل الإنكار سبيل ولا حجة على أهل الصفا من الأبرار ، ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [النحل : ١٢٨].." (٢)

"وفي الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين " وإنما يكون برؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة ، وتربية اليقين وصحته إنما تكتسب بصحبة أهل اليقين واستماع كلامهم

---

(١) البحر المديد. ، ٣٠٥/١

(٢) البحر المديد. ، ١٦٧/٢

، والتودد إليهم وخدمتهم. وفي بعض الأخبار : (تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين) ، وفي رواية : " فإني أتعلمه " ، والحاصل : أن الخير كله في صحبة العارفين الراسخين في عين اليقين. أو حق اليقين ، وما عداهم يجب اعتزالهم ، كيفما كانوا ، إلا بقصد الوعظ والتذكير ، ثم يغيب عنهم ، وإلى هذا أشار ابن الفارض رضي الله عنه بقوله : جزء : ٢ رقم الصفحة : ٣٠٠يقول الحق جل جلاله : ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ عند ذبحه ، ولا تتورعوا منه ، ﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾ ، فإن الإيمان يقتضي استباحة ما أحل الله تعالى ، واجتناب ما حرمه ، ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾ أي : ما يمنعكم منه ، وأي غرض لكم في التحرج عن أكله ؟ . ﴿وقد فصل لكم﴾ في الكتاب ، أو فصل الله لكم ﴿ما حرم عليكم﴾ مما لم يحرم بقوله : ﴿حرمت عليكم الميتة...﴾ [المائدة : ٣] الآية ﴿إلا ما اضطررتم إليه﴾ مما حرم عليكم ؛ فإنه حلال حال الضرورة.﴿وإن كثيرا ليضلون﴾ بتحليل الحرام وتحريم الحلال ﴿بأهوائهم﴾ أي : بمجرد أهوائهم ﴿بغير علم﴾ ولا دليل ، بل بتشهي أنفسهم ، ﴿إن ربك هو أعلم بالمعتدين﴾ المجاوزين الحق إلى الباطل ، والحلال إلى الحرام ، ﴿وذروا﴾ أي : اتركوا ﴿ظاهر الإثم وباطنه﴾ أي : سره وعلانيته ، أو ما يتعلق بالجوارح والقلب ، ﴿إن الذين يكسبون الإثم﴾ سرا أو علانية ، ﴿سيجزون بما كانوا يقترفون﴾ ؛ يكتسبون.." (١)

"قال القشيري : إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله ، ولو أنهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طائف الشيطان ، فإن الشيطان لا يقرب قلبا في حال شهوده الله ؛ لأنه يخنس عند ذلك ، ولكل عازم فترة ، ولكل عالم هفوة ، ولكل عابد شدة ، ولكل قاصد فترة ، ولكل سائر وقفة ، ولكل عارف جحبة. قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " الحدة تعتري خيار أمتي " فأخبر بأن خيار الأمة ، وإن جلت رتبتهم ، لا يتخلصون عن حدة تعتريهم في بعض أحوالهم ، فتخرجهم عن دوام الحلم. هـ. وكأنه يشير إلى أن طائف الشيطان يمس الواصلين والسائرين ، وهو كذلك بدليل أول الآية في٤٣٢ قوله : ﴿وإما ينزغنك...﴾ الآية ، ومسه للسائر أو الواصل زيادة به ، وترقية له ، وتحويش له إلى ربه ، والله تعالى أعلم.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣١يقول الحق جل جلاله : ﴿وإذا لم تأتهم﴾ أي : الكفار ، ﴿بآية﴾ ؛ بمعجزة مما اقترحوا ، أو من القرآن حين يتأخر الوحي ، ﴿قالوا لولا﴾ ؛ هلا ﴿اجتبيتها﴾ أي : تخيرتها وطلبتها من ربك ، أو هلا اخترعتها وتقولتها من نفسك كسائر ما تقرأ ؟ ﴿قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي﴾ فلا أطلب منه آية ، ﴿فمن شآء فليؤمن ومن شآء فليكفر﴾ [الكهف : ٢٩] ، أو : لا أخترع القرآن من عند نفسي ، بل أتبع ما يوحى إلي من ربي.﴿هذا﴾ القرآن ﴿بصائر﴾ للقلوب ﴿من ربكم﴾ ، أي : من عند ربكم ، بها تبصر الحق وتدرك الصواب ، ﴿وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ؛ وإرشاد أو طمأنينة لقلوب المؤمنين.الإشارة : قد تقدم مرارا ما في طلب الآيات من ضعف اليقين ، وعدم الصدق بطريق المقربين ، وإنما على الأولياء أن يقولوا : ﴿هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ بطريق المخصوصين. وبالله التوفيق.جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤٣٢." (٢)

---

(١) البحر المديد. ، ٢/٤١٩

(٢) البحر المديد. ، ٢/٥٩٨

"ولعذاب الآخرة أشق ؛ حيث يسقط بضعف يقينه عن درجة المقربين على سبيل الدوام ، وما لهم من الله من واق يقيهم من غم الحجاب ، وعدم اللحوق بالأحباب الذين ترقوا إلى القرب من الحبيب. والله تعالى أعلم.جزء : ٣ رقم الصفحة : ٣٤٣قلت : (مثل الجنة) : مبتدأ. قال سيبويه : الخبر محذوف ، أي فيما يتلى عليكم صفة الجنة. وقال الفراء : الخبر هو : (تجري...) إلخ ، وعلى قول سيبويه يكون (تجري) : حالا من العائد المحذوف ، أي : التي وعدها المتقون حال كونها تجري... إلخ. والمراد بالمثل هنا : الصفة ، لا ضرب المثل. و(ظلها) : مبتدأ حذف خبره ، وظلها كذلك ، والأكل بضم الهمزة ، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها ، وأما الأكل بالفتح فمصدر.يقول الحق جل جلاله : صفة الجنة التي وعدها المتقون هي غرف وقصور ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ من ماء وخمر وعسل ولبن ، ﴿أكلها دائم﴾ ؛ ما يؤكل من ثمارها وأنواع أطعمتها لا ينقطع ، ﴿وظلها﴾ دائم ، لا ينسخ بالشمس كظلال الدنيا ، ﴿تلك﴾ الجنة٣٤٤الموصوفة بهذه الأوصاف هي ﴿عقبى الذين اتقوا﴾ الشرك والمعاصي ، وهي مآلهم وعاقبة استقرارهم ، ﴿وعقبى الكافرين النار﴾ لا محيد عنها ، وهي مآلهم وإليها رجوعهم. وفي ترتيب العقبيين إطماع للمتقين ، وإقناط للكافرين.الإشارة : مثل جنة المعارف التي وعدها المتقون لكل ما يشغل عن الله هي حضرة مقدسة ، يتنعم فيها أسرار العارفين ، تجري من تحت قلوبهم أنهار العلوم والحكم ، لذتها وقوت الأرواح فيها دائم ، وهي الفكرة في ميادين أنوار التوحيد ، وجولان الروح في فضاء أسرار التفريد ، وظل روحها وريحانها دائم ، وهو : سكون القلب إلى الله ، وفرح الروح بشهود الله. وإليه أشار ابن الفارض بقوله ، رحمه الله ، في صف خمرتها : وإن خطرت يوما على خاطر امرئأقامت به الأفراح وارتحل الهم." (١)

"وحاصل افتتاح السورة : أن الوحي الخاص إلى محمد هو منزل من الله العزيز ، الذي عز عن الافتراء عليه ، وأعز بالوحي من تمسك به ، الحكيم في تنزيله وحيه ، مرشدا لعباده لما فيه صلاحهم وهداهم ، ومن حكمته : أن خلق السموات والأرض دالا بذلك على توحيده ، وكماله في أوصافه وتدابيره ، المقتضية لترتب دار الجزاء على دار العمل ، بحيث لا يسوي بين مبطل ومحق ، فأرشد بخلق الأشياء إلى حكمته دلالة ، ثم بإنزال الوحي٨١بذلك قالة ، ومع وضوح الأمر في دلالتهما أعرض الذين كفروا من غير دليل عقلي ولا نقلي متواتر ولا آحاد ، على أن ما اقتضاه الوحي إلى محمد من التوحيد ، والجزاء المرتب على الإخلاص له ، والصدق في عبودية الله ، والدعاء إلى محاسن الأخلاق ، مما اجتمعت عليه الرسل قبله ، فليس بمدع من عنده. هـ. من الحاشية.الإشارة : ﴿حم﴾ يا حبيب ممجد ، قد مجدناك بإنزال كتابنا ، وعززناك برسالتنا ، ما خلقنا الكائنات إلا ملتبسة بأسرار الحق ، وأهل الغفلة معرضون عن هذا.قال القشيري : حميت قلوب أهل عنايتي ، فصرفت عنها خواطر التجويز ، ورميتها في مشاهد اليقين بنور التحقيق ، فيها شواهد برهانهم ، أي : برهان العيان – فأضفنا إليها لطائف إحساننا ، فكملت منالها من عين الوصلة ، وغديناهم بنسيم الأنس في ساحات القربة. ﴿العزيز﴾ المعز للمؤمنين بإنزال الكتب ، ﴿الحكيم﴾ لكتابه عن التبديل والتحويل. هـ. وخواطر التجويز هي خواطر الشك في المقدور

---

(١) البحر المديد. ، ٤٧٥/٣

، يجوز الوقوع وعدمه بسبب ضعف اليقين ، فإذا انتفى عن القلب خواطر التجويز ، دخله السكون والطمأنينة ، وارتاح في ظل برد الرضا والتسليم. والله تعالى أعلم.جزء : ٧ رقم الصفحة : ٨١." (١)

"وقوله : ما لفخر إلا لأهل العلم... الخ ، يعني : لو كان الفخر مباحا ما أبيح إلا لهم ، وإلا فهم أولى بالتواضع ، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قال : " من تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره " فما رفع الله قدر العلماء إلا بتواضعهم حتى يناهم الشريف والوضيع ، الصغير والكبير ، والقوي والضعيف ، فمن لم يكن هكذا فليس بعالم ؛ لن الخشية تحمل على التواضع ، ومن لم يخش فليس لعالم حقيقة. قال تعالى : ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ [فاطر : ٢٨].جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٧٤وقوله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ اعلم أن نصيب كل عبد من الله تعالى على قدر تقواه ، وتقواه على قدر توجهه إلى الله ، وتوجهه على قدر تفرغه من الشواغل ، وتفرغه على قدر زهده ، وزهده ، على قدر محبته ، ومحبته على قدر علمه بالله ، وعلمه على قدر يقينه ، ويقينه على قدر كشف الحجاب عنه ، وكشف الحجاب على قدر جذب العناية ، وجذب العناية على قدر السابقة ، وهي سر القدر الذي لم يكشف في هذه الدار. وسقوط العبد من عين الله على قدر قلة تقواه ، وقلة تقواه على قدر ضعف توجهه ، وضعف توجهه على قدر تشعب همومه ، وتشعب همومه على قدر حرصه ورغبته في الدنيا ، ورغبته في الدنيا على قدر ضعف محبته في الله ، وضعف محبته على قدر جهله به ، وجهله على قدر ضعف يقينه ، وضعف اليقين من كثافة الحجاب ، وكثافة الحجاب من عدم جذب العناية ، وعدم جذب العناية من علامة الخذلان السابق ، الذي هو سر القدر. والله تعالى أعلم.جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٧٤." (٢)

"﴿وبشروه بغلام عليم﴾ وهو نتيجة المعرفة ، من اليقين الكبير ، والطمأنينة العظمى ، فأقبلت النفس تصيح ، وتقول : أألد هذا الغلام ، من هذا القلب ، وقد كبر على ضعف اليقين ، وأنا عجوز ، شخت في العوائد ، عقيم من علوم الأسرار ؟ ! فتقول القدرة : ﴿كذلك قال ربك﴾ هو علي هين ، أتعجبين من قدرة الله ، " من استغرب أن ينقذه الله من شهوته ، وأن يخرجه من وجود غفلته ، فقد استعجز القدرة الإلهية ، وكان الله على كل شيء مقتدرا " إنه هو الحكيم في ترتيب الفتح على كسب المجاهدة ، العليم بوقت الفتح ، وبمن يستحقه. قال إبراهيم القلب أو الروح : فما خطبكم أيها الجليات ، أو الواردات الإلهية ، ﴿قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ وهم جند النفس ، ﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾ مسومة عند ربك للمسرفين ، وهم الأذكار والأوراد والمجاهدات والرياضات والمعاملات المهلكة للنفس وأوصافها ، ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين﴾ ، سالمين من الهلاك ، وهو ما كان لها من الأوصاف الحميدة ، والعلوم الرسمية ، إذا لا تخرج المجاهدة إلا من كان مذموما ، فما وجدنا فيها من ذلك إلا النذر القليل ؛ إذ معاملة النفس جلها مدخولة ، وتركنا فيها آية من تزكية النفس ، وتهذيب أخلاقها ، ﴿للذين يخافون العذاب الأليم﴾ ، فيشتغلون بتزكيتها ؛ لئلا يلحقهم ذلك العذاب.٢١١جزء : ٧ رقم الصفحة : ٢٠٩قلت : ﴿وفي موسى﴾ : عطف على ﴿وفي الأرض﴾ ، أو على قوله : ﴿وتركنا

---

(١) البحر المديد. ، ١١٥/٧

(٢) البحر المديد. ، ٢٥٤/٧

فيها آية﴾ على معنى : وجعلنا في موسى آية ، كقوله : علفتها تبنا وماء بارداو ﴿إذ أرسلناه﴾ : منصوب بآيات ، أو : بمحذوف ، أي : كائنة وقت إرسالنا ، أو بتركنا.." (١)

"الإشارة : من أسمائه تعالى الجليل والجميل ، فوكل بتنفيذ اسمه الجليل جنودا يجرون الناس إلى أسباب جلاله ، من الكفر والعصيان ، ووكل بتنفيذ اسمه الجميل جنودا يجرون الناس إلى أسباب جماله من الهدى والطاعة ، وما جعل ذلك إلا اختبارا واتبلاء ، لمن يدبر عنه أو يقبل عليه ، وما جعلنا أصحاب نار القطيعة إلا ملائكة ، وهم حراس الحضرة يملكون النفس ، ويقذفونها في هاوية الهوى ، وما جعلنا عدتهم تسعة عشر ١٨٠ حجابا كما تقدم ، إلا فتنة لأهل الغفلة ، الكافرين بوجود الخصوصية ، اختبارا لمن يقف معها ، فتحجبه عن ربه ، ولمن يتخلص منها ، فينفذ إلى ربه ، ليستيقن أهل العلم بالله حين يطهروا منها ، ويزداد السائرون إيمانا بمجاهدتهم في التخلص منها ، ولا يبقى في القلب ريب ولا وهم ، وليقول الذين في قلوبهم مرض من ضعف اليقين : ماذا أراد الله بخلق هذه الأمراض في قلوب العباد ؟ فيقال : أراد بذلك إضلال قوم عن حضرته ، بالوقوف مع تلك الحجب ، وهداية قوم ، بالنفوذ عنها ، وما يعلم جنود ربك القاطعة عنه بقهره تعالى ، والموصلة إليه برحمته ، إلا هو. وقال الورتجبي : جنوده : عظمته وكبرياؤه وسلطانه وقهره ، الذي صدرت منه جنود السموات والأرض ، وله جنود قلوب العارفين ، وأرواح الموحدين ، وأنفاس المحبين ، التي يستهلك بها كل جبار عنيد ، وكل قهار عتيد. قيل : قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم : إنكم لا تقفون على المخلوقات ، فكيف تقفون على الأسامي والصفات ؟ !. هـ.جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٧٨ ثم حذر من سقر الحظوظ ، والسقوط في مهاوي اللحوظ ، وأقسم أنها من الدواهي الكبر لمن ابتلي بها ، حتى سقط في الحضيض الأسفل من الناس ، فمن شاء فليتقدم إلينا بالهروب منها ، ومن شاء فليتأخر بالسقوط فيها ، والغرق في بحرها. والعياذ بالله.جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٧٨." (٢)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٢ ، ص : ٢٧٣ فيه من أخطاء فإن الإيمان يوجب قوة القلب ، وصدق العزيمة ، والصمود في وجه الأعداء ، والإصرار على قتالهم حتى تكون كلمة الله هي العليا.والتعليق بالشرط في قوله إن كنتم مؤمنين المراد منه التهييج لنفوسهم حتى يكون تمسكها بالإيمان أشد وأقوى ، إذ قد علم الله – تعالى – أنهم مؤمنون ، ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن بسبب ما أصابهم في أحد صاروا بمنزلة من ضعف يقينه ، فقيل لهم : إن كنتم مؤمنين حقا فاتركوا الوهن والحزن وجدوا في قتال أعدائكم ، فإن سنة الله في خلقه اقتضت أن تصيبوا من أعدائكم وأن تصابوا منهم إلا أن العاقبة ستكون لكم.فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على الجهاد والصبر ، وتشجيع على القتال وتسلية لهم عما أصابهم ، وبشارة بأن النصر في النهاية سيكون حليفهم.ثم أضاف – سبحانه – إلى ذلك تسلية جديدة لهم ، فأخبرهم بأن ما أصابهم من جراح وآلام قد أصيب أعداؤهم بمثله فقال – تعالى – : إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله.فقال الفخر الرازي : واعلم أن هذا من تمام قوله – تعالى – ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون فبين – تعالى – أن الذي يصيبهم من القرح لا يصح أن يزيل جدهم واجتهادهم في جهاد العدو ، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك ، فإذا

---

(١) البحر المديد . ، ٣٠٧/٧

(٢) البحر المديد . ، ٢٧٤/٨

كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب ، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى « ١ ».والمراد بالمس هنا : الإصابة بالجراح ونحوها.والقرح - بفتح القاف - الجرح الذي يصيب الإنسان ، والقرح - بضم القاف - الألم الذي يترتب على ذلك وقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو الجرح وأثره.والمعنى : إن تكونوا - أيها المؤمنون - قد أصابتكم الجراح من المشركين في غزوة أحد ، فأنتم قد أنزلتم بهم من الجراح في غزوة بدر مثل ما أنزلوا بكم في أحد ، ومع ذلك فإنهم بعد بدر قد عادوا لقتالكم ، فأنتم أولى بسبب إيمانكم ويقينكم ألا تهنوا وألا تحزنوا لما أصابكم في أحد وأن تعقدوا العزم على منازلتهم حتى يظهر أمر الله وهم كارهون.وقيل : إن المعنى إن تصبكم الجراح في أحد فقد أصيب القوم بجراح مثلها في هذه المعركة ذاتها.______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ١٤.." [١]

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٢ ، ص : ٢٨٤و قوله ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا الغرض منه تأكيد الوعيد ، لأن كل عاقل يعلم أن الله - تعالى - لا يضره كفر الكافرين.أى : ومن ينقلب على عقبيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر والضلال ، فلن يضر الله شيئا من الضرر وإن قل ، إنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب ، وبحرمانها من الأجر والثواب.ثم أتبع - سبحانه - هذا الوعيد بالوعد فقال : وسيجزي الله الشاكرين أى : وسيثيب الله - تعالى - الثابتين على الحق والصابرين على الشدائد الشاكرين له نعمه في السراء والضراء ، سيثيبهم على ذلك بالنصر في الدنيا وبرضوانه في الآخرة.وعبر هنا بالشاكرين ولم يعبر بالصابرين مع أن الصبر في هذا الموطن أظهر ، وذلك لأن الشكر في هذا المقام هو أسمى درجات الصبر ، لأن هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين وقفوا إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة ، لم يكتفوا بتحمل البلاء معه فقط ، بل تجاوزوا حدود الصبر إلى حدود الشكر على هذه الشدائد التي ميزت الخبيث من الطيب ، فالشكر هنا صبر وزيادة ، وقليل من الناس هو الذي يكون على هذه الشاكلة ، ولذا قال تعالى وقليل من عبادي الشكور فالآية الكريمة قد تضمنت عتابا وتوبيخا لأولئك المسلمين الذين ضعف يقينهم ، وفترت همتهم ، عند ما أرجف المرجفون في غزوة أحد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل.كما تضمنت الثناء الجزيل على أولئك الثابتين الصابرين الذين لم تؤثر في قوة إيمانهم تلك الأراجيف الكاذبة ، بل مضوا في جهادهم وثباتهم بدون تردد أو تزعزع ولقد كان الثابتون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد كثيرين ومن بينهم أنس بن النضر - رضى الله عنه - ، فقد روى البخاري عن أنس - رضى الله عنه - قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله. غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ، لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع.فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون. قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المسلمين - . وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعنى المشركين - .ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ. فقال : يا سعد بن معاذ!! الجنة ورب النضر إنى لأجد ريحها من دون أحد.قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع.قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢/٢٧٣

ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٣ ، ص : ٢٢٢و الاستفهام في قوله - تعالى - ألم تر للتعجيب من حال أولئك الذين كانوا يظهرون التشوق إلى القتال فلما فرض عليهم جبنوا عنه.وقوله كفوا أيديكم من الكف بمعنى الامتناع أى : امتنعوا عن مباشرة القتال إلى أن تؤمروا به.والمعنى : ألم ينته علمك يا محمد أو ألم تنظر بعين الدهشة والغرابة إلى حال أولئك الذين كانوا يظهرون شدة الحماسة للقتال ، فقيل لهم كفوا أيديكم أى : عن القتال لأنكم لم تؤمروا به بعد وأقيموا الصلاة فإن الصلاة تخلص النفس من أدران المآثم ، وتجعلها تتجه إلى الله وحده وآتوا الزكاة فإن الزكاة تطهر النفوس من الشح والبخل ، وتربط بينالناس برباط المحبة والتعاون.ثم بين - سبحانه - حالهم بعد أن فرض عليهم القتال فقال : فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية.أى : فحين فرض عليهم القتال وأمروا بمباشرته بعد أن صارت للمسلمين دولة بالمدينة ، حين حدث ذلك ، إذا فريق منهم - وهم الذين قل إيمانهم ، وضعف يقينهم ، وارتابت قلوبهم - يخشون الناس أى يخافونهم خوفا شديدا كخشية الله أو أشد خشية أى : يخافون من الكفار أن يقتلوهم كما يخافون من الله أن ينزل بهم بأسه ، أو أشد من ذلك.فالمراد بالناس في قوله يخشون الناس أولئك الأعداء الذين كتب الله على المؤمنين قتالهم.." (٢)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١١ ، ص : ١٨الدين الباطل ، ودخوله في الدين الحق جعل فتنة الناس له أى جعل عذابهم له ، وإيذاءهم إياه كعذاب الله أى بمنزلة عذاب الله في الشدة والألم ، فيترتب على ذلك أن يتزلزل إيمانه ، ويضعف يقينه ، بل ربما رجع إلى الكفر بعد الإيمان.وفي جعل هذا البعض فتنة الناس كعذاب الله دليل واضح على ضعف إيمانه ، وفساد تفكيره ، لأن عذاب الناس له دافع ، أما عذاب الله فلا دافع له ، ولأن عذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم ، أما عذاب الله فهو بسبب غضب الله - سبحانه - على من عصاه ، ولأن عذاب الناس معروف أمده ونهايته أما عذاب الله فلا يعرف أحد مداه أو نهايته.ثم بين - سبحانه - حال هذا الفريق إذا ما من الله - تعالى - على المؤمنين الصادقين بنصر ، فقال : ولئن جاء نصر من ربك ، ليقولن إنا كنا معكم.والضمير في قوله : ليقولن بضم اللام يعود إلى من في قوله : من يقول.باعتبار معناها ، كما أن إفراد الضمائر العائدة إليها باعتبار لفظها ، أى : هكذا حال ضعاف الإيمان ، عند الشدائد يساوون عذاب الناس بعذاب الله ، ولا يثبتون على إيمانهم أما إذا جاءكم النصر - أيها الرسول الكريم - فإن هؤلاء الضعاف في إيمانهم ، يقولون بكل ثقة وتأكيد : إنا كنا معكم مشايعين ومؤيدين ، ونحن إنما أكرهنا على ما قلنا ، ومادام الأمر كذلك فأشركونا معكم فيما ترتب على النصر من مغانم وخيرات.وقوله - سبحانه - : أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين رد عليهم في دعواهم الإيمان ، وفي قولهم للمؤمنين : إنا كنا معكم والاستفهام لإنكار ما زعموه ، ولتقرير علم الله - تعالى - الشامل للسر والعلانية.أى : إن الله - تعالى - عالم بما في صدور العالمين جميعا من

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٨٤/٢

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٢٢/٣

خير وشر ، وإيمان وكفر. وإن هؤلاء الذين يقولون آمنا ، ليس الله – تعالى – في حاجة إلى قولهم ، فهو – سبحانه – يعلم السر وأخفى وليعلمن الله – تعالى – علما تاما الذين آمنوا به حق الإيمان وليعلمن حال المنافقين ، علما لا يخفى عليه شيء من حركاتهم وسكناتهم. وسيجازيهم بما يستحقون من عقاب. وأكد – سبحانه – علمه بلام القسم وبنون التوكيد ، للرد على دعاوى ضعاف الإيمان بأقوى أسلوب ، وأبلغه ، حتى يقلعوا عن نفاقهم ، ويتبعوا المؤمنين الصادقين في ثباتهم.ثم حكى – سبحانه – بعد ذلك ما زعمه أئمة الكفر من دعاوى باطلة ، ورد عليها فقال : و قال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم.أى : وقال الذين كفروا للذين آمنوا على سبيل التضليل والإغراء : اتبعوا سبيلنا أى." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١١ ، ص : ٨٨و التعبير بإذا الفجائية في قوله إذا هم يقنطون ، للإشارة إلى سرعة يأسهم من رحمة الله – تعالى – حتى ولو كانت المصيبة هينة بسيرة ، وذلك لضعف يقينهم وإيمانهم. إذ القنوط من رحمة الله ، يتنافى مع الإيمان الحق.ثم عقب – سبحانه – على أحوالهم هذه ، بالتعجيب من شأنهم ، وبالتقريع لهم على جهلهم ، فقال : أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.أى : أجهل هؤلاء الناس الذين لم يخالط الإيمان قلوبهم ، ولم يشاهدوا بأعينهم أن الله – تعالى – بمقتضى حكمته ، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده. ويضيقه على من يشاء منهم ، لا راد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل.إن واقع الناس يشهد ويعلن : أن الله – تعالى – يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، فما لهؤلاء القوم ينكرون هذا الواقع بأفعالهم القبيحة ، حيث إنهم يبطرون عند السراء ، ويقنطون عند الضراء؟ فالمقصود بالآية الكريمة توبيخهم على عدم فهمهم لسنن الله في خلقه.ثم ختم – سبحانه – الآية بقوله : إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أى : إن في ذلك الذي ذكرناه لكم من أحوال الناس ، ومن قدرتنا على كل شيء لآيات واضحات ، وعبر بينات ، لقوم يؤمنون بما أرشدناهم إليه ، ويعملون بما يقتضيه إيمانهم.ثم بين – سبحانه – بعد ذلك ما يجب على المسلم بالنسبة للمال الذي وهبه الله إياه ، فقال – تعالى – : [سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣٨ الى ٤٠]فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨) وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (٣٩) الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون (٤٠)." (٢)

"و في قوله تعالى : « و لا يستخفنك الذين لا يوقنون » . إشارة لافتة إلى ما قد يرد على النبي . صلوات الله وسلامه عليه . من تلك الخواطر التي تساور بعض النفوس ، من المؤمنين الذين اشتدت عليهم وطأة البلاء ، وطال بهم الانتظار لملاقاة ما وعدهم الله من نصر ، ففى ساعات الضيق والعسرة ، قد يتسرب إلى بعض المؤمنين شى ء من القلق ، وربما شى ء من الشك والريب ، ذلك أن للنفس البشرية حدا من الاحتمال والصبر على المكاره ، إذا بلغته زايلتها القدرة على الاحتمال ، وآذنها الصبر بالرحيل ، وعندئذ تنحل العزيمة ، ويضعف اليقين ، وتبرد حرارة الإيمان ، وفي هذا يقول الله تعالى : «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة و لما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء و الضراء و زلزلوا حتى يقول الرسول

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١٨/١١

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٨٨/١١

و الذين آمنوا معه متى نصر الله؟ » (٢١٤ : البقرة) .. فهذه حال تعرض المؤمنين ، ولن يعصمهم منها إلا التحصن بالإيمان ، واللياذ باليقين الذي يدفع كل شك في قدرة الله ، وفي تحقيق ما وعد المؤمنين به ، من نصر ، وعافية مما هم فيه من بلاء.فقوله تعالى : « و لا يستخفنك الذين لا يوقنون » دعوة للمؤمنين أن يوثقوا إيمانهم بالله ، وأن يمتحنوا هذا الإيمان على محك الشدائد والمحن ، فعلى هذا المحك يظهر معدن الإيمان ، وتعرف حقيقته ..والاستخفاف : أصله من الخفة ، والمراد به التحول من حال إلى حال ، والانتقال من وضع إلى وضع ، عند كل خاطرة ، ولأية مسة .. فإن التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص : ٥٥١الخفيف من الشي ء ، هدف سهل لكل عارض يعرض له ، ويريد زحزحته عن موضعه الذي هو عليه ..والآية ، إذ تدعو المؤمنين إلى أن يكونوا من الموقنين بالله ، والمستيقنين بنصره ، فإنها تدعو النبي إلى أن يثبت في موقفه من الإيمان بربه ، والثقة فيما وعده به ، حتى ترتد عنه العوارض التي تعرض له داخل نفسه أو خارجها ، حين تجده جبلا راسخا ، لا تصادف أية خفة في أي جانب منه .. وقد كان صلوات الله وسلامه عليه على هذا اليقين الذي تزول الجبال ولا يزول .. حتى ليقول لعمه أبى طالب ، وقد جاء يدعوه إلى مهادنة قومه ، على أن يحتكم بما شاء فيهم ، من مال أو سلطان ، فيقول : «و الله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالى على أن أترك هذا الأمر ، ما تركته ، أو أهلك دونه » .. التفسير القرآني للقرآن ، ج ١١ ، ص : ٥٥٢." (١)

"دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت : لا أشتهيه يا رسول الله ، قال : لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر اذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال : فو الله ما برحنا ولازمنا حتى نزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات إلا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أدخر رزقا لغد.وأخرج الفريابي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ قال : الطير والبهائم.وأخرج ابن أبي شيبه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم عن علي بن." (٢)

"وأخرج ابن أبي الدنيا في اليقين عن الحسن رضي الله عنه قال : قال لقمان لابنه : يا بني ان العمل لا يستطاع إلا باليقين ومن يضعف يقينه يضعف عمله يا بني اذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فاغلبه باليقين والنصيحة واذا جاءكمن قبل الكسل والسآمة فاغلبه بذكر القبر والقيامة واذا جاءك من قبل الرغبة والرهبة فاخبره أن الدنيا مفارقة متروكة.وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب التقوى عن وهب رضي الله تعالى عنه قال : قال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني اتخذ تقوى الله تجارة يأتك الربح من غير بضاعة.وأخرج ابن أبي الدنيا في الرضا عن سعيد بن المسيب قال : قال لقمان عليه السلام لابنه : يا بني لا ينزلن بك أمر رضيته أو كرهته إلا جعلت في الضمير منك ان ذلك خير لك ، قال : أهذه فلا أقدر أعطيكها دون أن أعلم ما قلت كما قلت قال : يا بني فان الله قد بعث نبيا ، هلم حتى تأتيه فصدقة ، قال :

---

(١) التفسير القرآني للقرآن، ١/٩٤

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٦٨/١١

اذهب يا أبت ، فخرج على حمار وابنه على حمار وتزودا ثم سارا أياما وليالي حتى تلقتهما مفازة فأخذا أهبتهما لها فدخلاها فسارا ما شاء الله حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر ونفد الماء والزاد واستبطآ حماريهما فنزلا فجعلا يشتدان على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان أمامه فاذا هم بسواد ودخان فقال في نفسه : السواد : الشجر.." (١)

"أى ضعف جسمى .وهو هنا مجاز عن خور العزيمة ، وضعف الإرادة ، وانقلاب الرجاء يأساً والشجاعة جبنا ، واليقين شكا ، ولذلك نهوا عنه .وقوله ﴿ تَحْزَنُوا ﴾ من الحزن وهو ألم نفسى يصيب الإنسان عند فقد ما يحب أو عدم إدراكه ، أو عند نزول أمر يجعل النفس فى هم وقلق .والمقصود من النهى عن الوهن والحزن ، النهى عن سببهما وعن الاسترسال فى الألم مما أصابهم فى غزوة أحد .والمعنى : لا تسترسلوا – أيها المؤمنون – فى الهم والألم مما أصابكم فى يوم أحد ، ولا تضعفوا عن جهاد أعدائكم فإن الضعف ليس من صفات المؤمنين ، ولا تحزنوا على من قتل منكم فإن هؤلاء القتلى من الشهداء الذين لهم منزلتهم السامية عند الله .وقوله ﴿ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ جملة حالية من ضمير الجماعة فى ولا تهنوا ولا تحزنوا والمقصوح بها بشارتهم وتسليتهم وإدخال الطمأنينة على قلوبهم .أى لا تضعفوا ولا تحزنوا والحال أنكم أنتم الأعلون الغالبون دون عدوكم فأنتم قد أصبتم منهم فى غزوة بدر أكثر مما أصابوا منكم فى غزوة أحد . وأنتم تقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله وهم يقاتلون فى سبيل الطاغوت .وأنتم سيكون لكم النصر عليهم فى النهاية ، لأن الله – تعالى – قد وعدكم بذلك فهو القائل : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والذين آمَنُواْ فِي الحياة الدنيا وَيَوْمَ يَقُومُ الأشهاد ﴾ وقوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ جملة شرطية ، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله .أى : إن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا بل اعتبروا بمن سبقكم ولا تعودوا لما وقعتم فيه من أخطاء يوجب قوة القلب ، وصدق العزيمة ، والصمود فى وجه الأعداء ، والإصرار على قتالهم حتى تكون كلمة الله هى العليا .والتعليق بالشرط فى قوله ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ المراد منه التهييج لنفوسهم حتى يكون تمسكها بالإيمان أشد وأقوى ، إذ قد علم الله – تعالى – أنهم مؤمنون ، ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن بسبب ما أصابهم فى أحد صاروا بمنزلة من ضعف يقينه ، فقيل لهم : إن كنتم مؤمنين حقا فاتركوا الوهن والحزن وجدوا فى قتال أعدائكم ، فإن سنة الله فى خلقه اقتضت أن تصيبوا من أعدائكم وأن تصابوا منهم إلا أن العاقبة ستكون لكم .فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على الجهاد والصبر ، وتشجيع على القتال وتسلية لهم عما أصابهم ، وبشارة بأن النصر فى النهاية سيكون حليفهم .ثم أضاف – سبحانه – إلى ذلك تسلية جديدة لهم ، فأخبرهم بأن ما أصابهم من جراح وآلام قد أصيب أعداؤهم بمثله فقال – تعالى – : ﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القوم قَرْحٌ مِّثْلُهُ ﴾ .فقال الفخر الرازى : واعلم أن هذا من تمام قوله – تعالى – ﴿ وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ فبين – تعالى – أن الذين يصيبهم من القرح لا يصح أن يزيل جدهم واجتهادهم فى جهاد العدو ، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك ، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك فى الحرب ، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى .." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١١/٦٣٢

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٧٤٨

"﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشكور ﴾ فالآية الكريمة قد تضمنت عتابا وتوبيخا لأولئك المسلمين الذين ضعف يقينهم ، وفترت همتهم ، عندما أرجف المرجفون فى غزوة أحد بأن الرسول A قد قتل .كما تضمنت الثناء الجزيل على أولئك الثابتين الصابرين الذين لم تؤثر فى قوة إيمانهم تلك الأراجيف الكاذبة ، بل مضوا فى جهادهم وثباتهم بدون تردد أو تزعزع ولقد كان الثابتون حول رسول الله A فى غزوة أحد كثيرين ومن بينهم أنس بن النضر – رضى الله عنه – ، فقد ورى البخارى عن أنس – رضى الله عنه – قال : غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال : يا رسول الله . غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين ، لئن أشهدنى الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع .فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون . قال : اللهم إنى أعتذر إليك مما صنع هؤلاء – يعنى المسلمين – . وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء – يعنى المشركين – .ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ . فقال : يا سعد بن معاذ!! الجنة ورب النضر إنى لأجد ريحها من دون أحد .قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع .قال أنس : فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم ، ووجدناه قد قتل ، وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته ببنانه .قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفى أشباهه : ﴿ مِّنَ المؤمنين رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَاهَدُواْ الله عَلَيْهِ ﴾ كما تضمنت الآية الكريمة التحذير عن الارتداد عن دين الله بعد وفاة الرسول A وبيان أنه بشر من البشر ، وأنه يموت كما يموت سائر البشر ، وأن رسالته هى الخالده الباقية ، فمن تمسك بها فقد سعد وفاز . ومن أعرض عنها فلن يضر الله شيئاً .ثم بين – سبحانه – أن الآجال بيد الله وحده . وأنه – سبحانه – قد جعل لكل أجل وقتا محددا لا يعدوه فقال – تعالى – ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ الله كِتَاباً مُّؤَجَّلاً ﴾ .أى : ما كان الموت حاصلا لنفس من النفوس مطلقا ، لأى سبب من الأسباب ، إلا بمشيئة الله وأمره وإذنه ، فهو – سبحانه – الذى كتب لكل نفس عمرها كتابا مؤقتا بوقت معلوم لا يتقدم ولا يتأخر .المراد بالنفس هنا . جنسها . أى كل نفس لا تموت إلا بإذن الله .والمراد بإذنه – : أمره ومشيئته ، فكل نفس لا تحيا إلا بأمره ، ولا تموت إلا بإذنه .و ﴿ كَانَ ﴾ نقاصة وقوله ﴿ أَنْ تَمُوتَ ﴾ في محل رفع اسمها وقوله ﴿ لِنَفْسٍ ﴾ متعلق بمحذوف وقع خبرا لها . والاستثناء مفرغ من أعم الأحوال والأسباب .." (١)

"والإستفهام فى قوله – تعالى – ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ للتعجيب من حال أولئك الذين كانوا يظهرون التشوق إلى القتال فلما فرض عليهم جبنوا عنه .وقوله ﴿ كفوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ من الكف بمعنى الامتناع أى : امتنعوا عن مباشرة القتال إلى أن تؤمروا به .والمعنى : ألم ينته علمك يا محمد أو ألم تنظر بعين الدهشة والغرابة إلى حال أولئك الذين كانوا يظهرون شدة الحماسة للقتال ، فقيل لهم ﴿ كفوا أَيْدِيَكُمْ ﴾ أى : عن القتال لأنكم لم تؤمروا به بعد ﴿ وَأَقِيمُواْ الصلاة ﴾ فإن الصلاة تخلص النفس من أدران المآثم ، وتجعلها تتجه إلى الله وحده ﴿ وَآتُواْ الزكاة ﴾ فإن الزكاة تطهر النفوس من الشح والبخل ، وتربط بين الناس برباط المحبة والتعاون .ثم بين – سبحانه – حالهم بعد أن فرض عليهم القتال فقال : ﴿ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتال إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ الناس كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ .أى : فحين فرض عليهم القتال وأمروا بمباشرته بعد أن صارت للمسلمين دولة بالمدينة ، حين حدث ذلك ، إذا فريق منهم – وهم الذين قل إيمانهم ، وضعف يقينهم ، وارتابت قلوبهم –

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٧٥٨

﴿ يَخْشَوْنَ الناس ﴾ أى يخافونهم خوفا شديدا ﴿كَخَشْيَةِ الله أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ أى : يخافون من الكفار أن يقتلوهم كما يخافون من الله أن ينزل بهم بأسه ، أو أشد من ذلك .فالمراد بالناس فى قوله ﴿ يَخْشَوْنَ الناس ﴾ أولئك الأعداء الذين كتب الله على المؤمنين قتالهم .وعبر عن هؤلاء الأعداء بقوله ﴿ الناس ﴾ زيادة فى توبيخ أولئك الذين خافوا منهم هذا الخوف الشديد ، لأنهم لو كانوا مؤمنين حقا ، لاستقبلوا ما فرضه الله عليهم بالسمع والطاعة ، ولما خافوا هذا الخوف الشديد من أناس مثلهم .وقوله ﴿كَخَشْيَةِ الله ﴾ مفعول مطلق ، أي يخشونهم خشية كخشية الله .وهو بيان لشدة خورهم وهلعهم ، ولفساد تفكيرهم ، حيث جعلوا خشيتهم للناس فى مقابل خشيتهم لله ، الذى يجب أن تكون خشيته - سبحانه - فوق كل خشية .وقوله ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ معطوف على ما قبله . وأشد حال من خشية لأن نعت النكرة إذا تقدم عليها أعرب حالا .وفى هذه الجملة الكريمة زيادة فى توبيخهم وذمهم؛ وترق فى توضيح حالتهم القبيحة ، لأنه إذا كان من المقرر أنه لا يجوز للعاقل ان يجعل خشيته للناس كخشيته لله ، فمن باب أولى لا يجوز له أن يجعل خشيته للناس أشد من خشيته لله - تعالى - .قال الفخر الرازى ما ملخصه : فإن قيل : ظاهر ﴿ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ﴾ يوهم الشك . وذلك على علام الغيوب محال . أجيب بأن ﴿ أَوْ ﴾ بمعنى بل . أو هى للتنويع . على معنى أن خشية بعضهم كخشية الله وخشية بعضهم أشد منها أو هى للإبهام على السامع . على معنى أنهم على إحدى الصفتين من المساواة والشدة .." (١)

"وقوله - سبحانه - : ﴿ وَمِنَ الناس مَن يِقُولُ آمَنَّا بالله . . . ﴾ بيان لحال قوم ضعف إيمانهم ، واضطراب يقينهم ، بعد بيان حال المؤمنين الصادقين فى قوله : ﴿ والذين آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصالحات لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصالحين ﴾ قال القرطبى : قوله - تعالى - : ﴿ وَمِنَ الناس مَن يِقُولُ آمَنَّا بالله . . . ﴾ قال مجاهد : نزلت فى ناس من المنافقين بمكة ، كانوا يؤمنون ، فإذا أوذوا رجعوا إلى الشرك ، وقال عكرمة : كان قوم قد أسلموا فأكرههم المشركون على الخروج إلى در ، فقُتل بعضهم .والمعنى : ﴿ وَمِنَ الناس مَن يِقُولُ ﴾ بلسانه دون أن يواطئ هذا القول قلبه ﴿ آمَنَّا بالله ﴾ .وقوله ﴿ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي الله جَعَلَ فِتْنَةَ الناس كَعَذَابِ الله ﴾ بيان لحال هذا البعض من الناس عندما تنزل بهم المصائب والنكبات .أى : فإذا أوذى هذا البعض - بعد قوله آمنا بالله - من أجل هذا القول ومن أجل تركه الدين الباطل ، ودخوله فى الدين الحق ﴿ جَعَلَ فِتْنَةَ الناس ﴾ له أى جعل عذابهم له ، وإيذاءهم إياه ﴿كَعَذَابِ الله ﴾ أى بمنزلة عذاب الله فى الشدة والألم ، فيترتب على ذلك أن يتزلزل إيمانه ، ويضعف يقينه ، بل ربما رجع إلى الكفر بعد الإيمان .وفى جعل هذا البعض ﴿ فِتْنَةَ الناس كَعَذَابِ الله ﴾ دليل واضح على ضعف إيمانه ، وفساد تفكيره ، لأن عذابا لناس له دافع ، أما اعذاب الله فلا دافع له ، ولأن عذاب الناس لا يترتب عليه ثواب عظيم ، أما عذاب الله فهو بسبب غضب الله - سبحانه - على من عصاه ، ولأن عذاب الناس معروف أمده ونهايته أما عذاب الله فلا يعرف أحد مداه أو نهايته .ثم بين - سبحانه - حال هذا الفريق إذا ما مَنَّ الله - تعالى - على المؤمنين الصادقين بنصر ، فقال : ﴿ وَلَئِنْ جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ .والضمير فى قوله : ﴿ لَيَقُولُنَّ ﴾ بضم اللام يعود إلى ﴿ مَن ﴾ فى قوله : ﴿ مَن يِقُولُ ﴾ . باعتبار معناها ، كما أن إفراد الضمائر العائدة إليها باعتبار لفظها ، أى : هكذا حال ضعاف الإيمان ، عند الشدائد يساوون عذاب الناس بعذاب الله ، ولا

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/١٠٠٣

يثبتون على إيمانهم أما إذا جاءكم النصر – أيها الرسول الكريم – فإن هؤلاء الضعاف فى إيمانهم ، يقولون بكل ثقة وتأكيد : إنا كنا معكم مشايعين ومؤيدين ، ونحن إنما أُكرهنا على ما قلنا ، وما دام الأمر كذلك فأشركوننا معكم فيما ترتب على النصر من مغانم وخيرات .وقوله – سبحانه – : ﴿ أَوَ لَيْسَ الله بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ العالمين ﴾ رد عليهم فى دعواهم الإيمان ، وفى قولهم للمؤمنين : ﴿ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ﴾ والاستفهام لإنكار ما زعموه ، ولتقدير علم الله – تعالى – الشامل للسر والعلانية .أى : إن الله – تعالى – عالم بما فى صدور العالمين جميعا من خير وشر ، وإيمان وكفر .." (١)

"فالمراد بالفرح هنا : الجحود والكفران للنعم ، وليس مجرد السرور بالحصول على النعم . ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ شدة أو مصيبة ﴿ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ أى : بسبب شؤم معاصيهم ، وإهمالهم لشكر الله – تعالى – على نعمه ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ أى : أسرعوا باليأس من رحمة الله ، وقنطوا من فرجه ، واسودت الدنيا فى وجوههم ، شأن الذين لا يعرفون سنن الله – تعالى – فى خلقه ، والذين يعبدون الله على حرف ، فهم عند السراء جاحدون مغرورون . . وعند الضراء قانطون يائسون .وعبر – سبحانه – فى جانب الرحمة بإذا ، وفى جانب المصيبة بأن ، للإشعار بأن رحمته – تعالى – بعباده متحققة فى كل الأحوال . وأن ما ينزل بالناس من مصائب ، هو بسبب ما اجترحوه من ذنوب .ونسب – سبحانه – الرحمة إلى ذاته فقال : ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا الناس رَحْمَةً ﴾ دون السيئة فقد قال : ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ لتعليم العباد الأدب مع خالقهم – D – وإن كان الكل بيده – سبحانه – وبمشيئته ، وشبيه بهذا قوله – تعالى – : ﴿ وَأَنَّا لاَ ندري أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الأرض أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَداً ﴾ والتعبير بإذا الفجائية فى قوله ﴿ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴾ ، للإشارة إلى سرعة يأسهم من رحمة الله – تعالى حتى ولو كانت المصيبة هينة يسيرة ، وذلك لضعف يقينهم وإيمانهم . إذ القنوط من رحمة الله ، يتنافى مع الإيمان الحق .ثم عقب – سبحانه – على أحوالهم هذه ، بالتعجيب من شأنهم ، وبالتقريع عليهم على جهلهم ، فقال : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ الله يَبْسُطُ الرزق لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ﴾ .أى : أجهل هؤلاء الناس الذين لم يخالط الإيمان قلوبهم ، ولم يشاهوا بأعينهم أن الله – تعالى – بمقتضى حكمته ، يسوع الرزق لمن يشاء من عباده . ويضيقه على من يشاء مهم ، لاراد لقضائه ، ولا معقب لحكمه ، ولا يسأل عما يفعل .إن واقع الناس يشهد ويعلن : أن الله – تعالى – يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ، فما لهؤلاء القوم ينكرون هذا الواقع بأفعالهم القبيحة ، حيث إنهم يبطرون عند السراء ، ويقنطون عند الضراء؟ فالمقصود بالآية الكريمة توبيخهم على عدم فهمهم لسنن الله فى خلقه .ثم ختم – سبحانه – الآية بقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ أى : إن فى ذلك الذى ذكرناه لكم من أحوال الناس ، ومن قدرتنا على كل شئ ﴿ لآيَاتٍ ﴾ واضحات ، وعبر بينات ، لقوم يؤمنون بما أرشدناهم إليه ، ويعلمون بما يقتضيه إيمانهم .ثم بين – سبحانه – بعد ذلك ما يجب على المسلم بالنسبة للمال الذى وهبه الله إياه ، فقال – تعالى – : ﴿ فَآتِ ذَا القربى حَقَّهُ . . . عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ .." (٢)

""" صفحة رقم ٢٨٩ "كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ، ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبؤون رزق سنة ويضعف اليقين) ، فنزلت على رسول الله (عليه السلام) :) وكأين

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٢٩٧

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٣٤٣

من دابة لا تحمل رزقها (. . . الآية .أخبرني ابن فنجويه ، حدثنا ابن حنيش ، حدثنا أبو يعلى الموصلي ، حدثنا يحيى من معين ، حدثنا يحيى بن اليمان ، عن سفيان ، عن علي بن الأرقم) وكأين من دابة لا تحمل رزقها (قال : لا تدخر شيئا لغد .قال سفيان : ليس شيء مما خلق الله يخبيء إلا الإنسان والفأرة والنملة .العنكبوت : (٦١ – ٦٤) ولئن سألتهم من . . . . .) ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان (يعني الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها .) لو كانوا يعلمون (ولكنهم لا يعلمون ذلك .العنكبوت : (٦٥ – ٦٦) فإذا ركبوا في . . . . .) فإذا ركبوا في الفلك (وخافوا الغرق والهلاك) دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ليكفروا بما آتيناهم (ليجحدوا نعمه في إنجائه إياهم وسائر الآية) وليتمتعوا (جزم لامه الأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأيوب ، واختلف فيه عن عاصم ونافع وابن كثير ، الباقون بكسر اللام واختاره أبو عبيد ليكفروا لكون الكلام نسقا . ومن جزم احتج بقراءة أبي بن كعب) يمتعوا (.) فسوف يعلمون (.أخبرني أبو محمد عبد الله بن حامد فيما أذن لي روايته عنه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي سعيد ، قال : حدثنا محمد بن الحسن بن أسكت ، قال : حدثنا عقال ، قال : حدثنا جعفر بن سلمان قال : حدثنا ملك بن دينار ، قال : سمعت أبو العالية قرأ) ليكفروا بما أتيناهم فتمتعوا فسوف يعلمون (بالياء ، فالكسر على كي والجزم على التهديد .العنكبوت : (٦٧) أو لم يروا . . . . .) أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل (بالأصنام) يؤمنون وبنعمة الله (يعني الإيمان) يكفرون ﴾العنكبوت : (٦٨) ومن أظلم ممن . . . . .) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (فزعموا أن لله شريكا ، وقالوا إذا فعلوا فاحشة ،) قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها (..." [١]

"" " صفحة رقم ٣٧٣ " " ويسقينا ؟ فأنزل الله تعالى : (وكأين من دابة (وكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء و) لا تحمل رزقها (لضعفها ، كالقمل والبرغوث والدود) الله يرزقها وإياكم (حيث ما كنتم " وهو السميع " لأقوالكم : ما نجد ما ننفق بالمدينة ،) العليم بما في قلوبكم) .قال سفيان : ليس شيء مما خلق الله نجبا إلا الإنسان والفأرة والنملة روى بن عمر قال : " دخلت مع رسول الله – (صلى الله عليه وسلم) – حائطا من حوائط الأنصار فجعل رسول الله – (صلى الله عليه وسلم) – يلقط الرطب بيده ويأكل ، فقال : كل يا ابن عمر ، (قلت : لا أشتهيها يا رسول الله قال : لكني أشتهيه ، وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاما ولم أجده) فقلت : إنا لله المستعان قال يا ابن عمر : لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في أمر الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت : (وكأين من دابة لا تحمل رقها (الآية ، وقال عليه (الصلاة و) السلام " لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا ، وتروح بطانا " (ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشآء من عباده ويقدر له إن

---

(١) الكشف والبيان . ، ٢٨٩/٧

الله بكل شيء عليم ولئن سألتهم من نزل من السمآء مآء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيآ إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (قوله تعالى : " ولئن سألتهم " يعني كفار مكة) من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون (أي هم يعتقدون هذا فكيف يصدفون عن عبادة الله مع أن من علم عظمته وجب خدمته ولا عظم فوق السماوات والأرض ، ولا حاقرة فوق حقارة الجماد ؛ لأن الجماد دون الحيوان والحيوان دون الإنسان ، والإنسان دون سكان السماوات فكيف يتركون عبادة أعظم الموجودات ويشتغلون بعبادة أخس الموجودات ؟فصللما بين أمر المشرك مخاطبا معه ، (ولم ينتفع به ، وأعرض عنه ، وخاطب." (١)

"بضم الغين والراء ثم وصفهم تعالى بالصبر والتوكل وهاتان جماع الخير كله أي الصبر على الطاعات وعن الشهوات .قوله عز وجل في سورة العنكبوت من ٦٠ : ٦٣"كأين " بمعنى كم وهذه الآية أيضا تحريض على الهجرة لأن بعض المؤمنين فكر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة وقالوا غربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار ولا من يطعم فمثل لهم بأكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر ولا تروي في رزقها المعنى فهو يرزقكم أنتم ففضلوا طاعته على كل٣٢٥شيء وقوله تعالى " لا تحمل " يجوز أن يريد من الحمل أي لا تستقل ولا تنظر في ادخار وقاله ابن مجلز ومجاهد وعلي بن الأقمر .قال الفقيه الإمام القاضي والادخار ليس من خلق الموقنين وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين ويجوز أن يريد من الحمالة أي لا تتكفل لنفسها ولا تروي فيه ثم خاطبه تعالى بأمر الكفار وإقامة الحجة عليهم بأنهم إن سئلوا عن الأمور العظام التي هي دلائل القدرة لم يكن لهم إلا التسليم بأنها لله تعالى و " يؤفكون " معناه يصرفون ونبه تعالى على خلق السماوات وخلق الأرض وتسخير الكواكب وذكر عظمها فاقتضى ذلك ما دونه ثم نبه على بسط الرزق وقدره لقوم وإنزال المطر من السماء وهذه عبر كفيلة لمن تأمل بالنجاة والمعتقد الأقوم ثم أمر تعالى نبيه بحمده على جهة التوبيخ لعقولهم وحكم عليهم بأن " أكثرهم لا يعقلون " ولا يتسدد منهم نظر .قوله عز وجل في سورة العنكبوت من ٦٧ : ٦٤وصف الله تعالى " الدنيا " في هذه الآية بأنها (لهو ولعب) أي ما كان منها لغير وجه الله تعالى فأما ما كان لله فهو من الآخرة وأما أمور الدنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فإنما هو " لهو ولعب " وتأمل ذلك في المطاعم والملابس والأقوال والمكتسبات وغير ذلك وانظر أن حالة الغني والفقير في الأمور الضرورية واحدة كالتنفس في الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد وهذه عظم أمر العيش و " الحيوان " و " الحياة " بمعنى واحد وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن ويقال أصله حييان فبدلت إحداهما واوا لاجتماع المثلين ثم وقفهم تعالى على حالهم في البحر عند الخوف العظيم فإن كل بشر ينسى كل صنم وغيره ويتمسك بالدعاء والرغبة إلى الله تعالى وقوله " إذا هم يشركون " أي يرجعون إلى ذكر." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٧٣/١٥

(٢) المحرر الوجيز . ، ٣٧٨/٤

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٢٦٤حيث صار المياه كلها عليهم دماء حتى كان القبطي والسبطى الإسرائيلي يجتمعان على اناء واحد فيصير ما يلي القبطي دما وما يلي الإسرائيلي السبطى ماء ويمص القبطي ماء من فم السبطى فيصير دما وانما أرسلنا عليهم هذه البليات لتكون آيات أى دلائل وعلامات دالة على كمال قدرتنا مفصلات مبينات موضحات مميزات بين الهداية والضلالة والحق والباطل والرشد والغي فاستكبروا عنها مع وضوحها وسطوعها واعرضوا عن مدلولاتها وأصروا على ما هم عليه وكانوا قوما مجرمين مستحقين بالعذاب والعقاب فلم ينفعهم الآيات والنذر لخبث طينتهم ورداءة فطرتهمو هم قد كانوا لما وقع عليهم الرجز وحين حل عليهم البلاء والمصيبة قالوا متضرعين متفزعين يا موسى الداعي للخلق إلى الحق ادع لنا ربك الذي رباك بأنواع الكرامات بما عهد عندك من اجابة دعواتك وقبول حاجاتك والله لئن كشفت عنا الرجز بدعائك لنؤمنن لك مصدقين نبوتك ورسالتك ولنرسلن معك بني إسرائيل بلا ممانعة ولا مماطلةفلما كشفنا عنهم الرجز بدعاء رسولنا موسى وبلغ الزمان إلى أجل هم بالغوه أى عينوه وقدروه لإيمانهم وارسالهم ليتأملوا ويتفكروا فيها إذا هم ينكثون أى بعد ما وصل وقت الوفاء والإيفاء بالعهود والمواثيق بادروا إلى النكث والنقض ثم لما بالغوا في النكث وخالفوا أمرنا وكذبوا بنبينافانتقمنا منهم أى أردنا انتقامهم وأخذهم فأغرقناهم في اليم أى البحر العميق لانهماكهم في بحر الغفلة والطغيان كل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا الدالة الموصلة إلى وحدتنا الذاتية وكانوا بسبب استغراقهم في بحر الغفلة والضلال عنها غافلين محجوبين لا يهتدون بهداية الرسل والأنبياءو بعد ما أغرقناهم في يم العدم واستأصلناهم عن قضاء الوجود بالمرة أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالقهر والغلبة سيما بقتل الأبناء واستحياء النساء مشارق الأرض المعهودة أى مصر ومشارقها الشام ونواحيها ومغاربها الصعيد ونواحيها التي باركنا فيها كثرنا فيها الخير والبركة وسعة الأرزاق وطيب العيش من جميع الجهات وبعد ما اورثناهم قد تمت أى كملت وحقت كلمت ربك الحسنى يا موسى بإنجاز الوعد والنصر وايراث الديار والأموال وغير ذلك على بني إسرائيل بما صبروا أى بسبب ما صبروا على اذياتهم المتجاوزة عن الحد ودمرنا أى خربنا وهدمنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الابنية الرفيعة والقصور المشيدة وما كانوا يعرشون عليها مترفهين بطرين كمسرفي زماننا هذا احسن الله أحوالهم.ثم أشار سبحانه إلى قبح صنيع بنى إسرائيل وخبث طينتهم وجهلهم المركوز في جبلتهم وسخافة طبعهم وركاكة فطنتهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكيرا للمؤمنين ليحذروا عن أمثال ما اتى به هؤلاء فقال وجاوزنا ببني إسرائيل أى عبرناهم سالمين غانمين البحر الذي قد أهلك عدوهم فأتوا أى مروا في طريقهم على قوم من بقية العمالقة يعكفون ويعبدون على أصنام تماثيل كانت معبودات لهم من دون الله قالوا أى بنوا إسرائيل من قساوة قلوبهم وضعف يقينهم بالله المنزه عن الأشباه والأمثال يا موسى المبعوث المرسل إلينا من الله الواحد الأحد اجعل لنا إلها أى تمثالا واحدا مشابها لله نعبده ونتقرب نحوه كما لهم آلهة يعبدونها ويتقربون نحوها ونحن كيف نعبد وندعو إلى إله موهوم لا نراه ولا نشاهده وكيف نتضرع اليه ونتوجه نحوه ونستحيي منه ونخاف عنه ثم لما تفرس منهم موسى." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ١ ، ص : ٤٦٤على الكفران والنسيان ووسعنا له طرق معاشه أعرض عنا وانصرف عن شكر نعمنا وعن الالتجاء والارتجاء بنا عنادا واستكبارا وصار من افراط عتوه إلى حيث نأى وتباعد بجانبه

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٢٦٤/١

عنا أي طوى كشحه ولوى عنقه وعطفه منا كأنه مستغن في ذاته مستقل في امره بحيث لا يخطر بباله احتياجه إلينا ولهذا تجبر واستعلى وبالغ في الجدال والمراء إلى ان قال انا ربكم الأعلى وإذا مسه الشر وأزعجه البلاء وهجم عليه الشدة والعناء وترادفت عليه الوقائع والمصيبات قد كان من قلة تصبره وضعف يقينه وتدبره يؤسا عن روح الله شديد القنوط عن سعة لطفه ورحمته والطرفان أي افراط الاستغناء والاستكبار وتفريط اليأس والقنوط كلاهما مذمومان محظوران عقلا وشرعاقل يا أكمل الرسل كلاما ناشئا عن محض الحكمة منبئا عن الاستقامة والعدالة مبنيا عليهما كل من المحق والمبطل والهادي والضال يعمل ويقتدى على شاكلته وطريقته التي تشاكل وتشابه حاله ووقته إياها إذ كل ميسر موفق من لدنا لما خلق له سواء كان من رشد أو غي او ضلالة او هداية ولا علم لكم يا بنى آدم على حقيقة الأمر والحال فربكم أعلم بعلمه الحضوري بمن هو أهدى منكم وأقوم سبيلا وأوضح منهجا واسد طريقا فيوفقه على جهته ووجهته ومن هو على خلافه فعلى خلافه. ثم قال سبحانه تأييدا لحبيبه صلى الله عليه وسلم وتعليماو يسئلونك يا أكمل الرسل فرق النصارى واليهود وجميع اهل الزيغ والضلال عن الروح المتعلق بالأجساد المحيي لها ومحركها بالإرادة والاختيار وإذا انفصل وافترق عنها ماتت ولم تتحرك وانقطع الشعور والإدراك عنها أي يسئلونك عن كميته وكيفية تعلقه وارتباطه بالأجسام وكيفية انفصاله عنها قل الروح نفسه وحقيقته وكيفية تعلقه بالأجسام وكيفية انفصاله عنها كلها صادرة ناشئة من أمر ربي أى من جملة ما حصل بامره الدال على تكوين المكونات وإيجاد الموجودات وهو قول كن الدال على سرعة نفوذ قضائه سبحانه واما كمية المقضى وكيفية حصوله وانفصاله فأمر قد استأثر الله به في غيبه ولم يطلع أحدا عليه لذلك قال وما أوتيتم يا ابن آدم من العلم المتعلق بالروح إلا قليلا الا وهو انيته وتحققه دون كميته وحقيقته لان اطلاع الإنسان انما هو بقدر قابليته واستعداده وليس في وسعه وطاقته ان يعلم حقيقة الخردلة وكيفية حصوله وتكونه فكيف حقيقة الروح وكيفية تعلقه بالبدن غاية ما في الباب ان المكاشفين من ارباب الأذواق ينكشفون بكيفية سريان الهوية الذاتية الإلهية التي هي منبع الروح على صفائح المكونات سريان الروح في البدن وسريان نور الشمس على مطلق الأضواء ويتفطنون منها ان ظهور الأشياء وحياتها ومنبع نشأها ونماءها انما هي تلك السراية هذا نهاية ما يمكن التكلم والتفوه عنه واما الاطلاع على كنهها فأمر لا يسعه مقدرة البشر.ثم قال سبحانه ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك أى والله ان شئنا وأردنا اذهاب القرآن المرشد لقاطبة الأنام لحككناه من المصاحف ومحوناه من الصدور والخواطر أيصا ثم بعد اذهابنا ومحونا لا تجد لك به علينا وكيلا أى لا تجد ظهيرا معينا لك يطالبنا بمجيئهإلا رحمة ناشئة من ربك يا أكمل الرسل نازلة إليك ان سألت منه سبحانه رده يرده إليك تلطفا وعطفا إن فضله سبحانه قد كان عليك كبيرا كثيرا مثل اصطفائك من بين البرية وارسالك إلى كافة الخليقة وتأييدك في عموم الأوقات ونصرك على جميع الأعادي وغير ذلك ثم لما قال بعض المعاندين من الكفار الطاعنين في القرآن القاد حين به وبشأنه لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن الذي أنت جئت به يا محمد." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٩٨أحسن الذي كانوا يعملون يعنى احسن واولى وأوفر من الجزاء الذي يستحقون بأعمالهم بعد ايمانهم وأزيد منه بل بأضعافه وآلافه تفضلا منا إياهم وإحسانا عليهم وبعد ما قد حثهم

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٤٦٤/١

سبحانه على الايمان والعمل الصالح اوصى لهم وأمرهم ببر الوالدين وبحسن المعاشرة معهما والتحنن نحوهما إذ هما من اقرب أسباب ظهورهم في نشأة الشهادة والبروز بمقتضى سنة الله سبحانه فقالو وصينا الإنسان بعد ما كلفناهم بالإيمان والعمل الصالح من ان يأتى كل منهم ويعمل بوالديه حسنا أى معاملة ذات حسن يستحسنها العقل والشرع ويرتضيها الحق وتقتضيها الفتوة بحيث لا يحوم حولها شائبة من ولا أذى ولا استخفاف ولا استحقار بل يتذللون لهما ويتواضعون معهما على وجه الانكسار التام والتذلل المفرط وعليكم أيها المكلفون امتثال عموم أوامرهما ونواهيهما سوى الشرك بالله والطغيان على الله والعدوان معه سبحانه ومع أنبيائه ورسله وخلص عباده وإن جاهداك أيها المؤمن المأمور على بر الوالدين ابواك وبالغا في حقك مقدمين أشد اقدام والحا عليك ابلغ إلحاح وأتم إبرام لتشرك بي شيأ من مظاهري ومصنوعاتى سيما ما ليس لك به علم يعنى ليس علمك ويقينك متعلقا بألوهيته وربوبيته واستحقاقه للعبادة ولياقته للرجوع اليه في الخطوب والمهمات فلا تطعهما ولا تقبل منهما أمرهما المتعلق بالإضلال والإشراك ولا تمتثل بقولهما هذا بل اعرض عنهما وعن قولهما وأمرهما هذا ولا تمض على دينهما وملتهما إذ إلي مرجعكم ورجوعكم جميعا أصلا وفرعا مؤمنا وكافرا موحدا ومشركا وبعد رجوعكم الى فأنبئكم وأخبركم بما كنتم تعملون في دار الاختبار أحاسب عليكم أعمالكم واجازيكم على مقتضاها ان خيرا فخير وان شرا فشرو الذين آمنوا منكم في دار الاختبار مخلصين وعملوا الصالحات تكميلا لإيمانهم وتتميما له بما هو من لوازمه ومتمماته لندخلنهم حين رجوعهم إلينا في السعداء الصالحين المقبولين الآمنين المستبشرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا منكم في النشأة الأولى وأصروا على الكفر والشرك والجحود والإنكار العياذ بالله ولم يرجعوا عنه سيما مع بعثة الرسل ونزول الكتب وورود الزواجر والروادع الكثيرة فيها لنعذبنهم البتة عذابا شديدا ولندخلنهم يوم يعرضون عليها في زمرة الأشقياء المردودين المغضوبين الذين لا نجاة لهم من النار ولا يرجى خلاصهم منها ابداو من الناس المجبولين على التزلزل والتذبذب من يقول خوفا من عذاب الله آمنا بالله بلا تمكن له واطمئنان في قلبه فإذا أوذي في سبيل الله من اعداء قد انقلب على كفره وحيث جعل فتنة الناس وإذا هم في شدة كعذاب الله القادر المقتدر بالقدرة الكاملة والقوة الشاملة على انواع المحن والابتلاءات وبالجملة هم يسوون بين خوف الله وخوف الناس فكما يؤمنون بالله من خوف عذابه يكفرون به من خوف عذاب الناس وتقريعهم وتشنيعهم بلا تفاوت بين الخوفين والعذابين بل يرجحون خوف الناس على خوف الله لذلك يختارون الكفر على الايمان من ضعف يقينهم وعدم رسوخهم وتمكنهم على الايمان وذلك من عدم ترقيهم من حضيض الجهل والتقليد إلى ذروة المعرفة والتوحيد ومن غاية تزلزلهم وتلونهم لئن جاء نصر وعون للمؤمنين الباذلين مهجهم في سبيل الله من ربك يا أكمل الرسل وصاروا غالبين على اعداء الله بنصر الله إياهم وفازوا بالفتح والغنائم وانواع الكرامات ليقولن أولئك المذبذبون المتزلزلون مبالغين في دعوى الموافقة والمواخاة إنا كنا معكم ومن عدادكم موافقين ظاهرا وباطنا وفي دين الإسلام متمكنين مطمئنين سرا وجهرا." (١)

"الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية ، ج ٢ ، ص : ٥٢٦و السيادة المبعدة له عن كنف مولاه لشديد قوى مبالغ فيه مباه به حريص في طلبه متعب نفسه في تحصيله وحبه وما هذا الا من غاية كفرانه بنعم الله وحرمانه عن مقتضى كرمه

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٩٨/٢

سبحانه وضعف يقينه بفضل الله وموائد انعامه وإحسانها فلا يعلم ولا يدرك ولا يشعر الإنسان الكفور الكنود المحب للجاه والمال وقت إذا بعثر أى بعث ونشر وحشر ما في القبور من الموتى حصل أى جمع وميز ما في الصدور من المكنونات والمضمرات خيرا كان او شراإن ربهم الذي أظهرهم من كتم العدم ورباهم بأنواع الكرم بهم وبعموم ما جرى عليهم من شئونهم وتطوراتهم يومئذ وهو يوم القيامة التي فيها تبلى السرائر وتكشف الضمائر لخبير وبصير بعموم ما جرى عليهم في نشأة الاختبار خيرا كان او شرا فيجازيهم على مقتضى علمه وخبرته بلا فوت شي ء من ذلك ومع علمه سبحانه بهم وبما صدر عنهم يعملون عملا سيئا يؤاخذون عليه. نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالناخاتمة سورة العادياتعليك أيها الإنسان الكامل المجبول على حكمة المعرفة والإيقان ان تشمر ذيلك إلى ما جبلت لأجله وتخلى خلدك عن مطلق الاشغال العائقة عن التوجه الحقيقي نحو الحق فلك ان ترى يوم الجزاء بين يديك ونصب عينيك وبالجملة لا تغفل عن الله فانه يرقبك في أولاك وأخراك وفي عموم أوقاتك وازمانك وحالاتك[سورة القارعة]فاتحة سورة القارعةلا يخفى على الموقنين المنكشفين بسرائر النشأتين ان النشأة الأولى ما هي الا لاكتساب المعارف والحقائق الكامنة في مطاوى التكاليف الإلهية المكنونة في سرائر أوامره ونواهيه وحكمه وأحكامه والثانية انما هي للجزاء المترتب على تلك المعارف والحقائق ولا شك ان من تهاون وتقاصر عن ما لزمه في الأولى فقد ضل وغوى واستحق الويل واللظى ولحق بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يجازون بمقتضاها وللتهويل على أصحاب الغفلة وتقريعهم على ترك ما أوجب عليهم وأمرهم سمى سبحانه يوم القيامة بالقارعة وابهمها تفظيعا وتهويلا فقال بعد التيمن بسم الله المتصف بالقهر واللطف حسب النشأتين الرحمن على عموم المطيعين من عباده في النشأة الأولى الرحيم على المخلصين منهم في النشأة الاخرى يوصلهم إلى أقصى درجات النعيم[الآيات]القارعة أى الساعة الموعودة المعهودة التي تقرع الأسماع من هولها وهيبتها وتدهش العقول من شدتها وصولتها ثم ابهمها سبحانه تهويلا فقالما القارعة المذكورة واية شي ء هي ثم ابهمها مرة اخرى مخاطبا لحبيبه صلى الله عليه وسلم تأكيدا لتهويلها ومبالغة على تفظيعها فقالو ما أدراك وأعلمك يا أكمل الرسل ما القارعة العجيبة الشأن الفظيعة العظيمة الهائلة المهولة ثم عد سبحانه لوازمها وما يترتب عليها لينتقل منها إليها وانما أشار سبحانه بهذه الطريقة أيصا إلى شدة هولها وفظاعتها فيكون تهويلا وتأكيدا على تأكيد ومبالغة غب مبالغة اذكر يا أكمل الرسل لمن تذكر واتعظيوم يكون الناس من نهاية افزاعهم واخوافهم كالفراش المبثوث أى كالطير المتهافت المتساقط على النار من شدة اضطرابه يعنى يكون الناس." (١)

"يقول تعالى بعد ذكره المشركين ، المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين ، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم ، فضرب لهم مثلاً برجلين ، جعل الله لأحدهما جنتين ، أي بستانين من أعناب محفوفتين بالنخيل المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع ، وكل من الأشجار والزروع ، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة . ولهذا قال : ﴿ كِلْتَا الجنتين آتَتْ أُكُلَهَا ﴾ أي أخرجت ثمرها ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئاً ﴾ أي لم تنقص منه شيئاً ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً ﴾ أي والأنهار متفرقة فيها هاهنا وهاهنا ﴿ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ ﴾ قيل ، والمراد به المال ، وقيل : الثمار ، وهو أظهر هاهنا ، ﴿ فَقَالَ ﴾ أي صاحب هاتين الجنتين ﴿ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ ﴾ أي يجادله ويخاصمه ، يفتخر عليه ويترأس ﴿ أَنَا أَكْثَرُ

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، ٢/٥٢٦

مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ أي أكثر خدماً وحشماً وولداً ، قال قتادة : تلك والله أمنية الفاجر ، كثرة المال ، وعزة النفر . وقوله : ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ﴾ أي بكفره وتمرده وتجبره وإنكار المعاد ، ﴿ وَمَآ أَظُنُّ الساعة قَآئِمَةً ﴾ وذلك اغترار منه ، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهارالمطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف ، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها ، وكفره بالآخرة ، ولهذا قال ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إلى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْراً مِّنْهَا مُنْقَلَباً ﴾ أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكوننَّ لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي ، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا ، كما قال في الآية الأخرى ﴿ وَلَئِن رُّجِعْتُ إلى ربي إِنَّ لِي عِندَهُ للحسنى ﴾ [فصلت : ٥٠] ، وقال : ﴿ أَفَرَأَيْتَ الذي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنَّ مَالاً وَوَلَداً ﴾ [مريم : ٧٧] .." (١)

"« عن ابن عمر قال : خرجت مع رسول الله A حتى دخل حيطان المدينة ، فجعل يلتقط من التمر ويأكل ، فقال لي : » يا ابن عمر مالك لا تأكل؟ « قال ، قلت : لا أشتهيه يا رسول الله ، قال : » لكني أشتهيه وهذا صبح رابعةٍ منذ لم أذق طعاماً ، ولم أجده ، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ، فكيف بك يا بان عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟ « قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لاَّ تَحْمِلُ رِزْقَهَا الله يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السميع العليم ﴾ ، فقال رسول الله A : » إن الله عزَّ وجلَّ لم يأمرني بكنز الدنيا ، ولا باتباع الشهوات ، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية ، فإن الحياة بيد الله ، ألا وإني لا أكنز ديناراً ولا درهماً ولا أخبأ رزقاً لغد « ، وعن أبي هريرة قال ، قال رسول الله A : » سافروا تربحوا ، وصوموا تصحوا واغزوا تغنموا « وقوله : ﴿ وَهُوَ السميع العليم ﴾ أي السميع لأقوال عباده ﴿ العليم ﴾ بحركاتهم وسكناتهم .." (٢)

"وهذا أيضاً من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف ، ﴿ يَحْسَبُونَ الأحزاب لَمْ يَذْهَبُواْ ﴾ بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم ، ﴿ وَإِن يَأْتِ الأحزاب يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الأعراب يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ ﴾ أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة ، بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم ، ﴿ وَلَوْ كَانُواْ فِيكُمْ مَّا قاتلوا إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلاّ قليلاً ، لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم .." (٣)

"والتعليق بالشرط في قوله : ﴿ إن كنتم مؤمنين ﴾ قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان إذ قد علم الله أنهم مؤمنون ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة ، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه فقيل لهم : إن علمتم من أنفسكم الإيمان ، وجيء بإن الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها ، إتماما لهذا المقصد. أ هـ ﴿التحرير والتنوير حـ ٣ صـ ٢٢٧ . ٢٢٨﴾فوائد لغويةقال ابن عادل :قوله ﴿ولا تهنوا﴾الأصل : توهنوا ، فحذفت الواو ؛ لوقوعها بين تاء وكسرة في الأصل ، ثم أجريت حروف المضارعة مجراها في ذلك ، ويقال : وهن – بالفتح في الماضي – يهن – بالكسر في المضارع.ونقل أنه

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/١٥١١

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/١٩٥٣

(٣) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٢٠١٨

يقال : وهن ، ووهن – بضم الهاء وكسر في الماضي – و" وهن " يستعمل لازما ومتعديا ، تقول : وهن زيد ، أي : ضعف ، قال تعالى : ﴿ وهن العظم مني ﴾ [مريم : ٤] ، ووهنته وأضعفته ، ومنه الحديث : " وهنتهم حمى يثرب " ، والمصدر على الوهن – بفتح الهاء وسكونها.وقال زهير : [البسيط].................. فأصبح الحبل منها واهنا خلقاأي : ضعيفا.قوله : ﴿ وأنتم الأعلون ﴾ جملة حالية من فاعل ﴿ تهنوا ﴾ ، أو ﴿ تحزنوا ﴾ ، والاستئناف فيها غير ظاهر ، و﴿ الأعلون ﴾ جمع أعلى ، والأصل : أعليون ، فتحركت الياء ، وانفتح ما قبلها ، فقلبت ألفا فحذفت لالتقاء الساكنين ، وبقيت الفتحة لتدل عليها.وإن شئت قلت : استثقلت الضمة على الياء ، فحذفت ، فالتقى ساكنان أيضا – الياء والواو – فحذفت الياء ؛ لالتقاء الساكنين ، وإنما احتجنا إلى ذلك ؛ لأن واو الجمع لا يكون ما قبلها إلا مضموما ، لفظا ، أو تقديرا. وهذا من مثال التقدير. أ هـ ﴿تفسير ابن عادل حـ ٥ صـ ٥٥١ ﴾." (١)

"ثم لما خالطهم بعد ذلك من لم يكن له مثل بصائرهم وخلوص ضمائرهم خفف الله تعالى عن الجميع فقال : ﴿ الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ﴾ ومعلوم أنه لم يرد ضعف قوى الأبدان ولا عدم السلاح ؛ لأن قوى أبدانهم كانت باقية وعددهم أكثر وسلاحهم أوفر ؛ وإنما أراد به أنه خالطهم من ليس له قوة البصيرة مثل ما للأولين ؛ فالمراد بالضعف ههنا ضعف النية ؛ وأجرى الجميع مجرى واحدا في التخفيف ؛ إذ لم يكن من المصلحة تمييز ذوي البصائر منهم بأعيانهم وأسمائهم من أهل ضعف اليقين وقلة البصيرة ، ولذلك قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوم اليمامة حين انهزم الناس : " أخلصونا أخلصونا " يعنون المهاجرين والأنصار. أ هـ ﴿أحكام القرآن للجصاص حـ ٢ صـ ٣٢٦ . ٣٢٧﴾." (٢)

"قولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة الْعَلِيمُ بما فى قلوبكم من ضعف اليقين أخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف وكذا ذكر البغوي عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الأنصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال يا ابن عمر كل فقلت لا أشتهيها يا رسول الله قال لكنى أشتهيها وهذه صبح رابعة منذ لم اطعم طعاما ولم أجده فقلت انا لله المستعان قال يا ابن عمر لو سالت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر رض إذا عمرت وبقيت فى قوم يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين قال فو الله ما برحنا ولارمنا حتى نزلت وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ الآية . عن انس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغد. رواه الترمذي وصححه وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغذ وخماصا وتروح بطانا – رواه الترمذي وابن ماجة وعن ابن مسعود – قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا قد أمرتكم به وليس من شي يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه وان روح

(١) جامع لطائف التفسير، ٢٥/١٧

(٢) جامع لطائف التفسير، ٢٦٠/١٧

القدس نعت فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوا بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته – رواه البغوي فى شرح السنة وذكره فى المعالم – .." (١)

"إن قال قائل ما وجه هذا ونحن نعلم أنه جاء بعد الحجاج عمر ابن عبد العزيز فبسط العدل وصلح الزمان فالجواب أن الكلام خرج على الغالب فكل عام تموت سنة وتحيا بدعة ويقل العلم ويكثر الجهال ويضعف اليقين وما يأتي من الزمان الممدوح نادر قليل١٦٨٧ ٢٠٨٨ – وفي الحديث الرابع والسبعين شهدنا بنت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وهي تدفن فقال ((هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة)) فقال أبو طلحة أنا فأنزل في قبرها هذه البنت هي رقية وقد أفصح بذلك أنس فيما روي عنه وقد غلط الخطابي فقال يشبه أن تكون هذه الميتة لبعض بنات رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ فنسبت إليه وفي هذا الحديث تفسير يقارف عن بضع الرواة وهو فليح فإنه قال أراه يعني الذنب وهذا ليس بشيء لثلاثة أوجه أحدها أنه قد روي ما يمنع هذا فأخبرنا ابن الحصين قال أنبأنا ابن المذهب قال أنبأنا أحمد بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن أحمد قال حدثني أبي قال حدثنا عفان قال حدثنا حماد قال حدثنا ثابت عن أنس أن رقية لما ماتت قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ((لا يدخل القبر رجل قارف أهله الليلة)) وأخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقنديقال أخبرنا محمد بن هبة الله الطبري قال أخبرنا محمد بن الحسن ابن الفضل قال أخبرنا عبد الله بن جعفر بن درستويه قال حدثنا يعقوب بن سفيان قال حدثني محفوظ بن أبي توبة قال حدثنا عفان قال حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس قال لما ماتت رقية بنت رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ قال رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ ((لا يدخلن القبر أحد قارف أهله البارحة)) قال فتنحى عثمان بن عفان والثاني أنه لو أراد الذنب كان رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ وكبار المهاجرين أحق بذلك والثالث أن يكون أبو طلحة قد مدح نفسه بهذا ولم يكن ذلك من خصالهم وإنما المراد الوطء يقال قارف الرجل امرأته إذا جامعها والقريب العهد بالشيء يتذكره فلهذا طلب من لم يقرب عهده بذلك." (٢)

"سألهما عن سبب الذود فذكرتا أنا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك . ﴿ وابونا شيخ ﴾ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ، وهذه الضرورة هي التي سوغت لنبي الله شعيب أن رضي لابنتيه بسقي الماشية على أن الأمر في نفسه ليس بمحظور ، ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا للمروءة . وزعم بعضهم أن أباهما هو ثيرون ابن أخي شعيب وشعيب مات بعدما عمي وهو اختيار أبي عبيد ينميه إلى ابن عباس . وعن الحسن أنه رجل مسلم قبل الدين من شعيب . أما قوله ﴿ فسقى لهما ﴾ فمعناه فسقى غنمهما لأجلهما وفيه قولان : أحدهما أنه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء في الحوض ودعا بالبركة ، ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما . والثاني أنه عمد إلى البئر وعليها صخرة لا يقلها إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة –أقوال– فأقلها وحده وسقى أغنامهما ، كل ذلك في شمس وحر . ﴿ ثم تولى إلى الظل ﴾ ظل شجرة ﴿ فقال

---

(١) تفسير المظهرى، ص/٥٠٧٧

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ص/٨٦٤

رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ ذهب أكثر المفسرين الظاهريين ومنهم ابن عباس إلى أنه طلب من الله طعاما يأكله . وعدي ﴿ فقير ﴾ باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب . وعن الضحاك أنه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما إلا بقل الأرض وإن خضرته تتراءى في بطنه من الهزال ، ويه دليل على أنه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة ربانية . وقال بعض أهل التحقيق : أراد إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين ، وذلك أنه كان عند فرعون في ملك وثروة فأظهر الرضا بهذا الذل شكرا لله . يروى أنهما لما رجعتا إلى ابيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما : ما أعجلكما؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا . فقال لإحداهما : اذهبي فادعيه لي وذلك قوله سبحانه ﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياء ﴾ قيل : من جملة حيائها أنها قد استترت بكم درعها ثم ﴿ قالت إن أبي يدعوك ﴾ عن عطاء بن السائب أنه حين قال ﴿ رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ﴾ رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ﴿ ليجزيك أجر ما سقيت لنا ﴾ وضعفت الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبي . وقد روي أنها حين قالت : ليجزيك كره ذلك . ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال : إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا .سؤال : كيف ساغ لموسى أن يعمل بقول امرأة وأن يمشي معها وهي أجنبية؟ الجواب : العمل بقول الواحد حرا أو عبدا ذكرا كان أو أنثى سائغ في الأخبار ، والمشي مع الأجنبية لا بأس به في حال الاضطرار مع التورع والعفاف ، ويؤيده ما روي أن موسى تبعها فأزلقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لهاك امشي خلفي وانعتي لي الطريق .." (١)

"جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٠٠وفي "التأويلات" : رب آدم وأولاده ورب الآباء العلوية. وقال محمد بن علي الباقر قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم وأكثر. وذكر الشيخ ابن العربي قدس سره في "الفتوحات المكية" في باب حدوث الدنيا حديثا ضعيفا أنه انقضى قبل آدم مائة ألف آدم ، وجرى له كشف وشهود في طواف الكعبة أنه شاهد رجالا تمثلوا له من الأرواح فسألهم من أنتم ، فأجابوه أنهم من أجداده الأول قبل آدم بأربعين ألف سنة.قال الشيخ : فسألت عن ذلك إدريس النبي عليه السلام ، فصدقني في الكشف والخبر. وقال : نحن معاشر الأنبياء نؤمن٥٤٠بحدوث العالم كله ، ولم نعلم أوله. والحق تعالى متفرد بأوائل الكائنات.﴿بل هم فى شك﴾ : (لكه ايشان درشك اند) ؛ أي : مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في إقرارهم بأنه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما.﴿يلعبون﴾ : لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان ، بل مخلوطا بهزؤ ولعب ، وهو خبر آخر. وفي "كشف الأسرار" : (دركمان خويش بازى ميكنند). فالظرف متعلق بالفعل ، أو بل هم حال كونهم في شك مستقر في قلوبهم يلعبون كما في قوله : فهم في ريبهم يترددون. وفيه إشارة إلى أن من استولت عليه الغفلة أداه ذلك إلى الشك ، ومن لزم الشك كان بعيدا من عين الصواب.قال بعضهم : وصف أهل الشك والنفاق باللعب ، وذلك لترددهم وتحيرهم في أمر الدين واشتغالهم بالدنيا واغترارهم بزينتها. قال أويس القرني رضي الله عنه : أف لهذه القلوب قد خالطها الشك ، فما تنفعها العظة. وعن الشيخ فتح الموصلي قدس سره ، قال : رأيت في البادية غلاما لم يبلغ الحنث يمشي ويحرك شفتيه ، فسلمت عليه فرد الجواب ، فقلت له : إلى أين يا غلام؟ فقال

---

(١) تفسير النيسابوري، ١٤٢/٦

: إلى بيت الله الحرام. قلت : فيماذا تحرك شفتيك؟ قال : بالقرآن. قلت : فإنه لم يجر عليك قلم التكليف. قال : رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سنا ، فقلت : خطوك قصير وطريقك بعيد ، فقال : إنما علي نقل الخطا وعلى الله الإبلاغ ، فقلت : فأين الزاد والراحلة ، فقال : زادي يقيني وراحلتي رجلاي : سدره توفيق بود كرد علايقخواهى كه بمنزل برسى راحله بكذارقلت : أسألك عن الخبز والماء ، قال : يا عماه أرأيت لو أن مخلوقا دعاك إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك ، فقلت : لا. قال : إن سيدي دعا عباده إلى بيته ، وأذن لهم في زيارته ، فحملهم ضعف يقينهم على حمل زادهم ، وإني استقبحت ذلك ، فحفظت الأدب معه أفاره يضيعني ، فقلت : كلا وحاشا ، ثم غاب عن عيني ، فلم أره إلا بمكة ، فلما رآني ، قال : يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف في اليقين : جزء : ٨ رقم الصفحة : ٤٠٠ سيراب كن زبحر يقين جان تشنه رازين بيش خشك لب منشين برسراب ريب﴿بل هم فى شك يلعبون * فارتقب يوم تأتى السمآء بدخان مبين * يغشى الناسا هاذا عذاب أليم * ربنا اكشف عنا العذاب إنا﴾ . ﴿فارتقب﴾ : الارتقاب : (جشم داشتن) يعني : (منتظر شدن).والمعنى : فانتظر يا محمد لكفار مكة على أن اللام للتعليل. وبالفارسية : (بس تو منتظر باش براى ايشان). ﴿يوم تأتى السمآء بدخان مبين﴾ ظاهر لا شك فيه ويوم مفعول ارتقب. والباء : للتعدية يعني : (آن روزكه آسمان دودى آرد آشكارا). ويجوز أن يكون ظرفا له ، والمفعول محذوف ؛ أي : ارتقب وعد الله في ذلك اليوم أطلق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع على سبيل الكناية ، أو المجاز المرسل.والمعنى : فانتظر لهم يوم شدة ومجاعة ، فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان ، إما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار ، وكثرة الغبار. ولذا يقال لسنة القحط السنة الغبراء ، كما قالوا عام الرمادة. والظاهر أن السنة الغبراء ما لا تنبت الأرض فيها شيئا. وكانت الريح إذا هبت ألقت ترابا كالرماد ، أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخانا ، وإسناد الإتيان إلى السماء ؛ لأن ذلك يكفها عن الأمطار ، فهو من قبيل إسناد الشيء إلى سببه. وذلك أن قريشا لما بلغوا في الأذية له عليه السلام. دعا عليهم ، فقال : اللهم اشدد وطأتك على مضر ؛ أي : عقابك الشديد يعني : خذهم أخذا شديدا واجعلها عليهم سنينا كسني يوسف" ، وهي السبع الشداد ، فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة ؛ أي : قحط حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام٤٠٦والعلهز ، وهو الوبر والدم ؛ أي : يخلط الدم بأوبار الإبل ، ويشوى على النار كان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان من الجوع. وكان يحدث الرجل ، ويسمع كلامه ، ولا يراه من الدخان. وذلك قوله تعالى : ." (١)

"٢٩١٢ – حديث عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام بعدها موحدة وهو النمري بفتح النون والميم .قوله : (أخاف ظلعهم)بفتح الظاء المعجمة المشالة واللام وبالمهملة أي اعوجاجهم(وجزعهم)بالجيم والزاي بوزنه ، وأصل الظلع الميل ، وأطلق هنا على مرض القلب وضعف اليقين .قوله : (والغناء)بفتح المعجمة ثم النون ومد وهو الكفاية ، وفي رواية الكشميهني بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر ،وقوله " بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ")أي التي قالها في حقه وهي إدخاله إياه في أهل الخير والغناء ، وقيل المراد الكلمة التي قالها في حق غيره ، فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي أو يكون لي ذلك ، وتقال تلك الكلمة في حقي .قوله : (زاد أبو

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٨/٣١٤

عاصم عن جرير)هو ابن حازم ، وقد تقدم موصولا في أواخر الجمعة عن محمد بن معمر عن أبي عاصم ، وهو من المواضع التي تمسك بها من زعم أن البخاري قد يعلق عن بعض شيوخه ما بينه وبينهم فيه واسطة مثل هذا ، فإن أبا عاصم شيخه وقد علق عنه هذا هنا ، ولما ساقه موصولا أدخل بينه وبين أبي عاصم واسطة .قوله : (أو بسبي)في رواية الكشميهني " بشيء " وهو أشمل .." (١)

"قوله : (باب ما رخص للمريض أن يقول إني وجع أو وارأساه أو اشتد بي الوجع ، وقول أيوب عليه السلام : مسني الضر وأنت أرحم الراحمين)أما قوله " إني وجع " فترجم به في كتاب الأدب المفرد وأورده فيه من طريق هشام بن عروة عن أبيه قال " دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء – يعني بنت أبي بكر وهي أمهما – وأسماء وجعة ، فقال لها عبد الله :كيف تجدينك ؟ قالت : وجعت " الحديث . وأصرح منه ما روى صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال " دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه ، فسلمت عليه وسألته :كيف أصبحت ؟ فاستوى جالسا ، فقلت : أصبحت بحمد الله بارئا ؟ قال : أما إني على ما ترى وجع " فذكر القصة ، أخرجه الطبراني . وأما قوله " وارأساه " فصريح في حديث عائشة المذكور في الباب ، وأما قوله " اشتد بي الوجع " فهو في حديث سعد الذي في آخر الباب ، وأما قول أيوب عليه السلام فاعترض ابن التين ذكره في الترجمة فقال : هذا لا يناسب التبويب ، لأن أيوب إنما قاله داعيا ولم يذكره للمخلوقين . قلت : لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع ردا على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم ، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعا ، بل فيه زيادة عبادة ، لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم وأثنى الله عليه بذلك وأثبت له اسم الصبر مع ذلك ، وقد روينا في قصة أيوب في فوائد ميمونة وصححه ابن حبان والحاكم من طريق الزهري عن أنس رفعه " أن أيوب لما طال بلاؤه رفضه القريب والبعيد ، غير رجلين من إخوانه ، فقال أحدهما لصاحبه : لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين ، فبلغ ذلك أيوب – يعني فجزع من قوله – ودعا ربه فكشف ما به " . وعند ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد بن نمير موقوفا عليه نحوه وقال فيه " فجزع من قولهما جزعا شديدا ثم قال : بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني ، وسجد ، فما رفع رأسه حتى كشف عنه " . فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله ، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر ، والله أعلم . قال القرطبي : اختلف الناس في هذا الباب ، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على رفعه ، والنفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه ، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر ، وأما مجرد التشكي فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور ، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه ، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر ، والله أعلم . وروى أحمد في " الزهد " عن طاوس أنه قال : أنين المريض شكوى ، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه ، وتعقبه النووي فقال : هذا ضعيف أو باطل ، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود ، وهذا لم يثبت فيه ذلك . ثم احتج بحديث عائشة في الباب ، ثم قال : فلعلهم أرادوا

(١) فتح الباري لابن حجر، ٤١٣/٩

بالكراهة خلاف الأولى ، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى ا هـ . ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين ، وتشعر بالتسخط للقضاء ، وتورث شماتة الأعداء . وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا .." (١)

"قوله : (باب الجذام)بضم الجيم وتخفيف المعجمة ، هو علة رديئة تحدث من انتشار المرة السوداء في البدن كله فتفسد مزاج الأعضاء ، وربما أفسد في آخره إيصالها حتى يتأكل . قال ابن سيده : سمي بذلك لتجذم الأصابع وتقطعها .قوله : (وقال عفان)هو ابن مسلم الصفار . وهو من شيوخ البخاري لكن أكثر ما يخرج عنه بواسطة ، وهو من المعلقات التي لم يصلها في موضع آخر ، وقد جزم أبو نعيم أنه أخرجه عنه بلا رواية ، وعلى طريقة ابن الصلاح يكون موصولا . وقد وصله أبو نعيم من طريق أبي داود الطيالسي وأبي قتيبة مسلم بن قتيبة كلاهما عن سليم بن حيان شيخ عفان فيه ، وأخرجه أيضا من طريق عمرو بن مرزوق عن سليم لكن موقوفا ولم يستخرجه الإسماعيلي . وقد وصله ابن خزيمة أيضا . وسليم بفتح أوله وكسر ثانيه ، وحيان بمهملة ثم تحتانية ثقيلة .قوله : (لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر)كذا جمع الأربعة في هذه الرواية ، ويأتي مثله سواء بعد عدة أبواب في " باب لا هامة " من طريق أبي صالح عن أبي هريرة ، ويأتي بعد خمسة أبواب من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة مثله لكن بدون قوله : " ولا طيرة " وأعاده بعد أبواب كثيرة بزيادة قصة ، وبعد عدة أبواب في " باب لا طيرة " من طريق عبيد الله بن عتبة عن أبي هريرة " لا طيرة " حسب ، وفي " باب لا عدوى " من طريق سنان بن أبي سنان عن أبي هريرة بلفظ " لا عدوى " حسب ، ولمسلم من طريق محمد بن سيرين عن أبي هريرة بلفظ " لا عدوى ولا هامة ولا طيرة " ، وأخرج مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة مثل رواية أبي سلمة وزاد " ولا نوء " ويأتي في " باب لا عدوى " من حديث ابن عمر ، ومن حديث أنس " لا عدوى ولا طيرة " ، ولمسلم وابن حيان من طريق ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرا بلفظ " لا عدوى ولا صفر ولا غول " وأخرج ابن حبان من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس مثل رواية سعيد بن ميناء وأبي صالح عن أبي هريرة وزاد فيه القصة التي في رواية أبي سلمة عن أبي هريرة ، وهو في ابن ماجه باختصار . فالحاصل من ذلك ستة أشياء : العدوى والطيرة والهامة والصفر والغول والنوء ، والأربعة الأول قد أفرد البخاري لكل واحد منها ترجمة فنذكر شرحها فيه وأما الغول فقال الجمهور : كانت العرب تزعم أن الغيلان في الفلوات ، وهي جنس من الشياطين تتراءى للناس وتتغول لهم تغولا أي تتلون تلونا فتضلهم عن الطريق فتهلكهم ، وقد كثر في كلامهم " غالته الغول " أي أهلكته أو أضلته ، فأبطل صلى الله عليه وسلم ذلك . وقيل : ليس المراد إبطال وجود الغيلان ، وإنما معناه إبطال ما كانت العرب تزعمه من تلون الغول بالصور المختلفة ، قالوا : والمعنى لا يستطيع الغول أن يضل أحدا . ويؤيده حديث " إذا تغولت الغيلان فنادوا بالأذان " أي ادفعوا شرها بذكر الله . وفي حديث أبي أيوب عند قوله : "كانت لي سهوة فيها تمر ، فكانت الغول تجيء فتأكل منه " الحديث ، وأما النوء فقد تقدم القول فيه في كتاب الاستسقاء ، وكانوا يقولون " مطرنا بنوء كذا " فأبطل صلى الله عليه وسلم ذلك بأن المطر إنما يقع بإذن الله لا بفعل الكواكب ، وإن كانت العادة جرت بوقوع المطر في ذلك الوقت ، لكن بإرادة الله تعالى

(١) فتح الباري لابن حجر، ١٦٤/١٦

وتقديره ، لا صنع للكواكب في ذلك ، والله أعلم .قوله (وفر من المجذوم كما تفر من الأسد)لم أقف عليه من حديث أبي هريرة إلا من هذا الوجه ، ومن وجه آخر عند أبي نعيم في الطب ، لكنه معلول . وأخرج ابن خزيمة في "كتاب التوكل " له شاهدا من حديث عائشة ولفظه " لا عدوى ، وإذا رأيت المجذوم ففر منه كما تفر من الأسد " وأخرج مسلم من حديث عمرو بن الشريد الثقفي عن أبيه قال : "كان في وفد ثقيف رجل مجذوم ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنا قد بايعناك ، فارجع " قال عياض : اختلفت الآثار في المجذوم ، فجاء ما تقدم عن جابر " أن النبي صلى الله عليه وسلم أكل مع مجذوم وقال : ثقة بالله وتوكلا عليه " قال فذهب عمر وجماعة من السلف إلى الأكل معه ورأوا أن الأمر باجتنابه منسوخ . وممن قال بذلك عيسى بن دينار من المالكية ، قال : والصحيح الذي عليه الأكثر ويتعين المصير إليه أن لا نسخ ، بل يجب الجمع بين الحديثين وحمل الأمر باجتنابه والفرار منه على الاستحباب والاحتياط ، والأكل معه على بيان الجواز ا هـ . هكذا اقتصر القاضي ومن تبعه على حكاية هذين القولين ، وحكى غيره قولا ثالثا وهو الترجيح ، وقد سلكه فريقان : أحدهما سلك ترجيح الأخبار الدالة على نفي العدوى وتزييف الأخبار الدالة على عكس ذلك مثل حديث الباب فأعلوه بالشذوذ ، وبأن عائشة أنكرت ذلك ، فأخرج الطبري عنها " أن امرأة سألتها عنه فقالت : ما قال ذلك ، ولكنه قال : لا عدوى ، وقال : فمن أعدى الأول ؟ قالت : وكان لي مولى به هذا الداء فكان يأكل في صحافي ويشرب في أقداحي وينام على فراشي " وبأن أبا هريرة تردد في هذا الحكم كما سيأتي بيانه فيؤخذ الحكم من رواية غيره ، وبأن الأخبار الواردة من رواية غيره في نفي العدوى كثيرة شهيرة بخلاف الأخبار المرخصة في ذلك ، ومثل حديث " لا تديموا النظر إلى المجذومين " وقد أخرجه ابن ماجه وسنده ضعيف ، ومثل حديث عبد الله بن أبي أوفى رفعه "كلم المجذوم وبينك وبينه قيد رمحين " أخرجه أبو نعيم في الطب بسند واه ، ومثل ما أخرجه الطبري من طريق معمر عن الزهري " أن عمر قال لمعيقيب : اجلس مني قيد رمح " ومن طريق خارجة بن زيد كان عمر يقول نحوه ، وهما أثران منقطعان ، وأما حديث الشريد الذي أخرجه مسلم فليس صريحا في أن ذلك بسبب الجذام ، والجواب عن ذلك أن طريق الترجيح لا يصار إليها إلا مع تعذر الجمع ، وهو ممكن ، فهو أولى . الفريق الثاني سلكوا في الترجيح عكس هذا المسلك ، فردوا حديث لا عدوى بأن أبا هريرة رجع عنه إما لشكه فيه وإما لثبوت عكسه عنده كما سيأتي إيضاحه في " باب لا عدوى " قالوا : والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج وأكثر طرقا فالمصير إليها أولى ، قالوا : وأما حديث جابر " أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال : كل ثقة بالله وتوكلا عليه " ففيه نظر ، وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه ورجح وقفه على عمر ، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أكل معه ، وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة ، قاله الكلاباذي في " معاني الأخبار " . والجواب أن طريق الجمع أولى كما تقدم ، وأيضا فحديث لا عدوى ثبت من غير طريق أبي هريرة فصح عن عائشة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وجابر وغيرهم ، فلا معنى لدعوى كونه معلولا ، والله أعلم . وفي طريق الجمع مسالك أخرى :أحدها : نفي العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم ، لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته ، ونحوه حديث " لا تديموا النظر إلى المجذومين " فإنه محمول على هذا المعنى .ثانيها : حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين ، فحيث جاء " لا عدوى " كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى ، كما يستطيع أن يدفع

التطير الذي يقع في نفس كل أحد ، لكن القوي اليقين لا يتأثر به ، وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها ، وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصعة وسائر ما ورد من جنسه ، وحيث جاء " فر من المجذوم "كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه ، ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى ، فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سببا لإثباتها . وقريب من هذا كراهيته صلى الله عليه وسلم الكي مع إذنه فيه كما تقدم تقريره ، وقد فعل هو صلى الله عليه وسلم كلا من الأمرين ليتأسى به كل من الطائفتين .ثالث المسالك : قال القاضي أبو بكر الباقلاني : إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى ، قال : فيكون معني قوله : " لا عدوى " أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلا ، قال : فكأنه قال لا يعدي شيء شيئا إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى . وقد حكى ذلك ابن بطال .رابعها : أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء ، بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة ، وهذه طريقة ابن قتيبة فقال : المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته ، وكذا يقع كثيرا بالمرأة من الرجل وعكسه ، وينزع الولد إليه ، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثر بالرائحة لأنها تسقم من واظب اشتمامها ، قال : ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : " لا يورد ممرض على مصح " لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير ، فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها وصل إليها بالماء الذي يسيل منه ، وكذا بالنظر نحو ما به . قال : وأما قوله : " لا عدوى " فله معنى آخر ، وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه ، لأن فيه نوعا من الفرار من قدر الله .المسلك الخامس : أن المراد بنفي العدوى أن شيئا لا يعدي بطبعه نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله ، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي ، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها ، ففي نهيه إثبات الأسباب ، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل ، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا ، وإن شاء أبقاها فأثرت ، ويحتمل أيضا أن يكون أكله صلى الله عليه وسلم مع المجذوم أنه كان به أمر يسير لا يعدي مثله في العادة ، إذ ليس الجذمى كلهم سواء ، ولا تحصل العدوى من جميعهم بل لا يحصل منه في العادة عدوى أصلا كالذي أصابه شيء من ذلك ووقف فلم يعد بقية جسمه فلا يعدي . وعلى الاحتمال الأول جرى أكثر الشافعية ، قال البيهقي بعد أن أورد قول الشافعي ما نصه : الجذام والبرص يزعم أهل العلم بالطب والتجارب أنه يعدي الزوج كثيرا ، وهو داء مانع للجماع لا تكاد نفس أحد تطيب بمجامعة من هو به ولا نفس امرأة أن يجامعها من هو به ، وأما الولد فبين أنه إذا كان من ولده أجذم أو أبرص أنه قلما يسلم ، وإن سلم أدرك نسله . قال البيهقي : وأما ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا عدوى " فهو على الوجه الذي كانوا يعتقدونه في الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى . وقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به شيء من هذه العيوب سببا لحدوث ذلك ، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم : " فر من المجذوم فرارك من الأسد " وقال : " لا يورد ممرض على مصح " وقال في الطاعون " من سمع به بأرض فلا يقدم عليه " وكل ذلك بتقدير الله تعالى . وتبعه على ذلك ابن الصلاح في الجمع بين الحديثين ومن بعده وطائفة ممن قبله .المسلك

السادس : العمل بنفي العدوى أصلا ورأسا ، وحمل الأمر بالمجانبة على حسم المادة وسد الذريعة لئلا يحدث للمخالط شيء من ذلك فيظن أنه بسبب المخالطة فيثبت العدوى التي نفاها الشارع ، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد وتبعه جماعة فقال أبو عبيد : ليس في قوله : " لا يورد ممرض على مصح " إثبات العدوى ، بل لأن الصحاح لو مرضت بتقدير الله تعالى ربما وقع في نفس صاحبها أن ذلك من العدوى فيفتتن ويتشكك في ذلك ، فأمر باجتنابه . قال : وكان بعض الناس يذهب إلى أن الأمر بالاجتناب إنما هو للمخافة على الصحيح من ذوات العاهة ، قال : وهذا شر ما حمل عليه الحديث ، لأن فيه إثبات العدوى التي نفاها الشارع ، ولكن وجه الحديث عندي ما ذكرته . وأطنب ابن خزيمة في هذا في "كتاب التوكل " فإنه أورد حديث " لا عدوى " عن عدة من الصحابة وحديث " لا يورد ممرض على مصح " من حديث أبي هريرة وترجم للأول " التوكل على الله في نفي العدوى " وللثاني " ذكر خبر غلط في معناه بعض العلماء ، وأثبت العدوى التي نفاها النبي صلى الله عليه وسلم " ثم ترجم " الدليل على أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يرد إثبات العدوى بهذا القول " فساق حديث أبي هريرة " لا عدوى ، فقال أعرابي : فما بال الإبل يخالطها الأجرب فتجرب ؟ قال : فمن أعدى الأول " ثم ذكر طرقه عن أبي هريرة ، ثم أخرجه من حديث ابن مسعود ، ثم ترجم " ذكر خبر روي في الأمر بالفرار من المجذوم قد يخطر لبعض الناس أن فيه إثبات العدوى وليس كذلك " وساق حديث " فر من المجذوم فرارك من الأسد " من حديث أبي هريرة ومن حديث عائشة ، وحديث عمرو بن الشريد عن أبيه في أمر المجذوم بالرجوع ، وحديث ابن عباس " لا تديموا النظر إلى المجذومين " ثم قال : إنما أمرهم صلى الله عليه وسلم بالفرار من المجذوم كما نهاهم أن يورد الممرض على المصح شفقة عليهم ، وخشية أن يصيب بعض من يخالطه المجذوم الجذام ، والصحيح من الماشية الجرب فيسبق إلى بعض المسلمين أن ذلك من العدوى فيثبت العدوى التي نفاها صلى الله عليه وسلم فأمرهم بتجنب ذلك شفقة منه ورحمة ليسلموا من التصديق بإثبات العدوى ، وبين لهم أنه لا يعدي شيء شيئا . قال : ويؤيد هذا أكله صلى الله عليه وسلم مع المجذوم ثقة بالله وتوكلا عليه ، وساق حديث جابر في ذلك ثم قال : وأما نهيه عن إدامة النظر إلى المجذوم فيحتمل أن يكون لأن المجذوم يغتم ويكره إدمان الصحيح نظره إليه ، لأنه قل من يكون به داء إلا وهو يكره أن يطلع عليه ا هـ . وهذا الذي ذكره احتمالا سبقه إليه مالك ، فإنه سئل عن هذا الحديث فقال : ما سمعت فيه بكراهية ، وما أدري ما جاء من ذلك إلا مخافة أن يقع في نفس المؤمن شيء . وقال الطبري : الصواب عندنا القول بما صح به الخبر ، وأن لا عدوى ، وأنه لا يصيب نفسا إلا ما كتب عليها . وأما دنو عليل من صحيح فغير موجب انتقال العلة للصحيح ، إلا أنه لا ينبغي لذي صحة الدنو من صاحب العاهة التي يكرهها الناس ، لا لتحريم ذلك ، بل لخشية أن يظن الصحيح أنه لو نزل به ذلك الداء أنه من جهة دنوه من العليل فيقع فيما أبطله النبي صلى الله عليه وسلم من العدوى . قال : وليس في أمره بالفرار من المجذوم معارضة لأكله معه ، لأنه كان يأمر بالأمر على سبيل الإرشاد أحيانا وعلى سبيل الإباحة أخرى ، وإن كان أكثر الأوامر على الإلزام ، إنما كان يفعل ما نهى عنه أحيانا لبيان أن ذلك ليس حراما . وقد سلك الطحاوي في " معاني الآثار " مسلك ابن خزيمة فيما ذكره فأورد حديث " لا يورد ممرض على مصح " ثم قال : معناه أن المصح قد يصيبه ذلك المرض فيقول الذي أورده لو أني ما أوردته عليه لم يصبه من هذا المرض شيء ، والواقع أنه لو لم يورده لأصابه لكون الله تعالى قدره ، فنهى عن إيراده لهذه العلة التي لا يؤمن غالبا من وقوعها في قلب المرء ثم ساق الأحاديث في ذلك فأطنب ، وجمع بينها

بنحو ما جمع به ابن خزيمة . ولذلك قال القرطبي في " المفهم " : إنما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن إيراد الممرض على المصح مخافة الوقوع فيما وقع فيه أهل الجاهلية من اعتقاد العدوى ، أو مخافة تشويش النفوس وتأثير الأوهام ، وهو نحو قوله : " فر من المجذوم فرارك من الأسد " وإن كنا نعتقد أن الجذام لا يعدي ، لكنا نجد في أنفسنا نفرة وكراهية لمخالطته ، حتى لو أكره إنسان نفسه على القرب منه وعلى مجالسته لتأذت نفسه بذلك ، فحينئذ فالأولى للمؤمن أن لا يتعرض إلى ما يحتاج فيه إلى مجاهدة ، فيجتنب طرق الأوهام ، ويباعد أسباب الآلام ، مع أنه يعتقد أنه لا ينجي حذر من قدر ، والله أعلم . قال الشيخ أبو محمد بن أبي جمرة : الأمر بالفرار من الأسد ليس للوجوب ، بل للشفقة ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان ينهى أمته عن كل ما فيه ضرر بأي وجه كان ، ويدلهم على كل ما فيه خير . وقد ذكر بعض أهل الطب أن الروائح تحدث في الأبدان خللا فكان هذا وجه الأمر بالمجانبة ، وقد أكل هو مع المجذوم ، فلو كان الأمر بمجانبته على الوجوب لما فعله . قال : ويمكن الجمع بين فعله وقوله بأن القول هو المشروع من أجل ضعف المخاطبين ، وفعله حقيقة الإيمان ، فمن فعل الأول أصاب السنة وهي أثر الحكمة ، ومن فعل الثاني كان أقوى يقينا لأن الأشياء كلها لا تأثير لها إلا بمقتضى إرادة الله تعالى وتقديره ، كما قال تعالى : (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) فمن كان قوي اليقين فله أن يتابعه صلى الله عليه وسلم في فعله ولا يضره شيء ، ومن وجد في نفسه ضعفا فليتبع أمره في الفرار لئلا يدخل بفعله في إلقاء نفسه إلى التهلكة . فالحاصل أن الأمور التي يتوقع منها الضرر وقد أباحت الحكمة الربانية الحذر منها فلا ينبغي للضعفاء أن يقربوها وأما أصحاب الصدق واليقين فهم في ذلك بالخيار . قال : وفي الحديث أن الحكم للأكثر لأن الغالب من الناس هو الضعف ، فجاء الأمر بالفرار بحسب ذلك . واستدل بالأمر بالفرار من المجذوم لإثبات الخيار للزوجين في فسخ النكاح إذا وجده أحدهما بالآخر ، وهو قول جمهور العلماء . وأجاب فيه من لم يقل بالفسخ بأنه لو أخذ بعمومه لثبت الفسخ إذا حدث الجذام ولا قائل به ، ورد بأن الخلاف ثابت ، بل هو الراجح عند الشافعية ، وقد تقدم في النكاح الإلمام بشيء من هذا . واختلف في أمة الأجذم : هل يجوز لها أن تمنع نفسها من استمتاعه إذا أرادها ؟ واختلف العلماء في المجذومين إذا كثروا هل يمنعون من المساجد والمجامع ؟ وهل يتخذ لهم مكان منفرد عن الأصحاء ؟ ولم يختلفوا في النادر أنه لا يمنع ولا في شهود الجمعة .." (١)

"لطائف الإشارات ، ج ٣ ، ص : ٣٣و قيل يفرق بينه وبين أليفه.وقيل يشتت عليه وقته.وقيل يلزمه خدمة أقرانه.والأولى في هذا أن يقال من العذاب الشديد كيت وكيت ، وألا يقطع بشيء دون غيره على وجه القطع.فمن العذاب الشديد أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة. ومن ذلك أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه ويوكل إلى حوله ونفسه ، ومن ذلك أن يمتحن بالحرص في الطلب ثم يحال بينه وبين مقصوده ومطلوبه. ومن العذاب الشديد الطمع في اسم العذر ثم لا يرتفع «١».ومن ذلك سلب القناعة ، ومنه عدم الرضا بما يجرى. ومن ذلك توهم الحدثان وحسبان شيء من الخلق.ومن ذلك الحاجة إلى الأخسة من الناس. ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير ومن ذلك صحبة الأضداد والابتلاء بمعاشرتهم. ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر.ومن ذلك التباس طريق الرشد. ومنه حسبان الباطل بصفة الحق ، والتباس

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢٢٥/١٦

الحق في صورة الباطل. ومنه أن يطالب بما لا تتسع له ذات يده. ومنه الفقر في الغربة.قوله جل ذكره :[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبإ بنبإ يقين (٢٢) إني وجدت امرأة تملكهم و أوتيت من كل شيء و لها عرش عظيم (٢٣)فلم يلبث الهدهد أن جاء ، وعلم أن سليمان قد تهدده ، فقال : أحطت علما بما هو عليك خاف ، «وجئتك من سبإ بنبإ يقين» ثم ذكر حديث بلقيس ، وأنها ملكتهم ، وأن لها من المال والملك والسرير العظيم______________(١) عاد القشيري إلى الآية نفسها في رسالته حيث يقول : وقيل في قوله تعالى : لأعذبنه عذابا شديدا - يعنى لأسلبنه القناعة ولأبتلينه بالطمع يعنى أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك (الرسالة - ص ٨٢)..." (١)

"والثاني : أن الذكر نفسه من خصال الإيمان ، فيزداد الإيمان بكثرة الذكر ، فإن جمهور أهل السنة على أن الطاعات كلها من الإيمان فرضها ونفلها ، وإنما أخرج النوافل من الإيمان قليل منهم .قال البخاري : وقال ابن مسعود : اليقين : الإيمان كله .هذا الأثر : رواه الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن علقمة ، عن ابن مسعود (١) . واليقين : هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال ، فيوجب قوة التصديق حتى ينفي الريب ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه به، وقد جعله ابن مسعود الإيمان كله . وكذا قال الشعبي - أيضا .وهذا مما يتعلق به من يقول : إن الإيمان مجرد التصديق (٢) ، حيث جعل اليقين : الإيمان كله ، فحصره في اليقين ، ولكن لم يرد ابن مسعود أن ينفي الأعمال من الإيمان ، إنما مراده : أن اليقين هو أصل الإيمان كله ، فإذا أيقن القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر انبعثت الجوارح كلها للاستعداد للقاء الله تعالى بالأعمال الصالحة فنشأ ذلك كله عن اليقين .قال الحسن البصري : ما طلبت الجنة إلا باليقين ولا هرب من النار إلا باليقين ، ولا أديت الفرائض إلا باليقين ، ولا صبر على الحق إلا باليقين (٣) . وقال سفيان الثوري : لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا إلى الجنة وخوفا من النار (٤) .ويذكر عن لقمان قال : العمل لا يستطاع إلا باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله (٥). قال عبد الله بن عكيم : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفهما .قال البخاري : وقال ابن عمر : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر .قال زين الدين ابن رجب : هذا الأثر لم أقف عليه إلى الآن في غير كتاب البخاري (٦) ، وقد روي معناه مرفوعا. وموقوفا على أبي الدرداء . فخرج الترمذي ، وابن ماجه من حديث عطية السعدي ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس " (٧) وفي إسناده بعض مقال . وروى ابن ابي الدنيا بإسناد منقطع ، عن أبي الدرداء قال : تمام التقوى : أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما ، حجابا بينه وبين الحرام (٨).______________(١) أخرجه البيهقي في " الزهد " (ص/٣٦١) مرفوعا ، ثم أورد الموقوف : وقال : " هذا هو الصواب موقوف " وأخرجه الخطيب مرفوعا في " التاريخ " (٢٢٦/١٣) ، " وأشار" في " الحلية ")٣٤/٥) إلي إعلاله ورجح الحافظ وقفه في " التغليق " (٢/٢١-٢٢) .(٢) أشار إلى هذا الموضع وما قبله (ص٩٤) عند شرحه للحديث رقم : (٢٢) .(٣) " اليقين " لابن أبي الدنيا (ص: ١٠٢) .(٤)

---

(١) لطائف الإشارات موافقا للمطبوع، ٣٣/٣

" الحلية " (١٧/٧) .(٥) " اليقين " لابن أبي الدنيا (ص: ١١٦) .(٦) وكذا قال الحافظ في " تغليق التعليق " (٢٤/٢) .(٧) الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) .(٨) انظره في " الزهد " لابن المبارك (ص:١٩) من زوائد نعيم ، وراجع " توضيح المشتبه " (٤٤٢/٣) .." [١]

" ثم لما ذكر حال المشركين الجاحدين للتوحيد الكافرين بنعم الله أردفه بحال عباده الصالحين فقال : ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ أي جاهدوا في شأن الله لطلب مرضاته ورجاء ما عنده من الخير لنهدينهم سبلنا : أي الطريق الموصل إلينا قال ابن عطية : هي مكية نزلت قبل فرض الجهاد العرفي وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته وقيل : الآية هذه نزلت في العباد وقال إبراهيم بن أدهم : هي في الذين يعملون بما يعلمون ﴿ وإن الله لمع المحسنين ﴾ بالنصر والعون ومن كان معه لم يخذل ودخلت لام التوكيد على مع بتأويل كونها اسما أو على أنها حرف ودخلت عليها لإفادة معنى الاستقرار كما تقول : إن زيدا لفي الدار والبحث مقرر في علم النحو

وقد أخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب [قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لما نزلت هذه الآية ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ قلت يا رب أيموت الخلائق كلهم ويبقى الأنبياء ؟ فنزلت ﴿كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾] وينظر كيف صحة هذا فإن النبي صلى الله عليه و سلم بعد أن يسمع قول الله سبحانه ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ يعلم أنه ميت وقد علم أن من قبله من الأنبياء قد ماتوا وأنه خاتم الأنبياء فكيف ينشأ عن هذه الآية ما سأل عنه علي رضي الله عنه من قوله أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء فلعل هذه الرواية لا تصح مرفوعة ولا موقوفة وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر قال السيوطي بسند ضعيف عن ابن عمر قال [خرجت مع رسول الله صلى الله عليه و سلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل فقال لي مالك لا تأكل ؟ قلت : لا أشتهيه يا رسول الله قال : لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال : فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت ﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها ﴾ الآية فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد] وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه و سلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة وفي إسناده أبو العطوف الجوزي وهو ضعيف وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ وإن الدار الآخرة لهي الحيوان ﴾ قال : باقية وأخرج ابن أبي الدنيا والبيهقي في الشعب عن أبي جعفر قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور] وهو مرسل ." [٢]

"ذكر ما يستفاد منه فيه أن المحدث قد يأتي بالحديث على وجهه ولا يختصر لأنه قد كان يكتفي حين سأله ابن عباس عن المرأتين بما كان يخبره منه أنهما عائشة وحفصة وفيه موعظة الرجل ابنته وإصلاح خلقها لزوجها وفيه الحزن والبكاء

---

(١) فتح الباري لابن رجب، ٦/١

(٢) فتح القدير، ٣٠٢/٤

لأمور رسول الله وما يكرهه والاهتمام بما يهمه وفيه الاستئذان والحجابة للناس كلهم كان مع المستأذن عيال أو لم يكن وفيه الانصارف بغير صرف من المستأذن عليه ومن هذا الحديث قال بعض العلماء إن السكوت يحكم به كما حكم عمر رضي الله تعالى عنه بسكوت رسول الله عن صرفه إياه وفيه التكرير بالاستئذان وفيه أن للسلطان أن يأذن أو يسكت أو يصرف وفيه تقلله من الدنيا وصبره على مضض ذلك وكانت له عنه مندوحة وفيه أنه يسأل السلطان عن فعله إذا كان ذلك مما يهم أهل طاعته وفيه قوله لعمر رضي الله تعالى عنه لا ردا لما أخبر به الأنصاري من طلاق نسائه ولم يخبر عمر بما أخبر به الأنصاري رضي الله تعالى عنه ولا شكاه لعلمه أنه لم يقصد الإخبار بخلاف القصة وإنما هو وهم جرى عليه وفيه الجلوس بين يدي السلطان وإن لم يأمر به إذات استؤنس منه إلى انبساط خلق وفيه أن أحدا لا يجوز أن يسخط حاله ولا ما قسم الله له ولا سابق قضائه لأنه يخاف عليه ضعف يقينه وفيه أن التقلل من الدنيا لرفع طيباته إلى دار البقاء خير حال ممن يعجلها في الدنيا الفانية والعجل لها أقرب إلى السفه وفيه الاستغفار من السخط وقلة الرضى وفيه سؤال من الشارع الاستغفار ولذلك يجب أن يسأل أهل الفضل والخير الدعاء والاستغفار وفيه أن المرأة تعاقب على إفشاء سر زوجها وعلى التحيل عليه بالأذى بالتوبيخ لها بالقول كما وبخ الله تعالى أزواج نبيه على تظاهرهما وإفشاء سره وعاتبهن بالإيلاء والاعتزال والهجران كما قال تعالى واهجروهن في المضاجع (النساء ٤٣) وفيه أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما وفيه أن المرأة الرشيدة لا بأس أن تشاور أبويها أو ذوي الرأي من أهلها في أمر نفسها التي." (١)

"مطابقته للترجمة في قوله أعطى رسول الله قوما والحسن هذا هو البصري وعمرو بالواو بن تغلب بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وفي آخره باء موحدة وقد مر الحديث في كتاب الجمعة في باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد فإنه أخرجه هناك عن محمد بن معمر قال حدثنا أبو عاصم عن جرير بن حازم إلى آخره قوله كأنهم عتبوا عليه أي لاموا قال الخليل حقيقة العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة قوله ظلعهم ليس هناك وإنما هناك لما رأى في قلوبهم من الجزع والهلع والظلع بفتح الظاء المعجمة واللام وبالعين المهملة وهو الاعوجاج وأصل الظلع الميل وأطلق ههنا على مرض القلب وضعف اليقين قوله وجزعهم بالجيم والزاي قوله وأكل أي أفوض قوله من الغنى بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر في رواية الكشميهني وفي رواية غيره من الغناء بفتح الغين المعجمة ثم نون ممدودة وهو الكفاية قوله بكلمة رسول الله أي التي قالها في حقه وهي إدخاله في أهل الخير والغناء ويقال المراد الكلمة التي قالها في حق غيره فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي أو أن يكون لي ذلك وتقال تلك الكلمة في حق غيري قوله حمر النعم قال الجوهري النعم واحد الانعام وهو المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل والحمر بضم الحاء المهملة وسكون الميم(وزاد أبو عاصم عن جرير قال سمعت الحسن يقول حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله أتي بمال أو بسبي فقسمه بهذا)أبو عاصم هو الضحاك المشهور بالنبيل أحد مشايخ البخاري وهذا من المواضع التي علق البخاري عن بعض شيوخه ما بينه وبينه واسطة وساقه موصولا في أواخر الجمعة وأدخل بينه وبين أبي عاصم واسطة حيث قال حدثنا محمد بن

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ١٩/٣١٢

معمر قال حدثنا أبو عاصم عن جرير بن حازم وقد ذكرناه الآن وهنا روى عنه بواسطة وتارة يروى بلا واسطة قوله أو بسبي." (١)

" وتتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر عنه الشيطان

ذكره النووي

قال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وبن ماجه بنحوه

٢ -

(باب [١٤٤٩] (طول القيام) في الصلاة)

وفي بعض الروايات أفضل الصلاة طول القنوت (جهد المقل) بضم الجيم ويفتح

قال الطيبي الجهد بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل هما لغتان

انتهى

قال في النهاية فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير

انتهى

أي أفضل الصدقة قدر ما يحتمله حال القليل المال والجمع بينه وبين قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين

وقيل المراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني

وقيل المراد بالمقل الفقير الصابر على الجوع وبالغني في الحديث الثاني من لا يصبر على الجوع والشدة (وعقر جواده) وأصل العقر ضرب قوائم الحيوان بالسيف وهو قائم والجواد هو الفرس السابق الجيد

وقد تقدم هذا الحديث بهذا الإسناد مختصرا في باب افتتاح صلاة الليل بركعتين

٣ -

(باب الحث على قيام الليل)

[١٤٥٠] (قام من الليل) أي بعضه (فصلى) أي التهجد (وأيقظ امرأته) بالتنبيه أو الموعظة وفي ." (٢)

" المقل أي قدر ما يحتمله حال القليل المال انتهى

والمقل أي الفقير وقليل المال (وابدأ) أيها المتصدق أو المقل (بمن تعول) أي بمن تلزمك نفقته والجمع بين هذا الباب وبين ما تقدم أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين

[١٦٧٨] (فوافق ذلك مالا عندي) أي صادف أمره بالتصدق حصول مال عندي فعندي حال من مال والجملة حال مما قبله يعني والحال أنه كان لي مال كثير في ذلك الزمان (أسبق أبا بكر) أي بالمبارزة أو بالمغالبة (إن سبقته

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٣٢٨/٢٢

(٢) عون المعبود، ٢٢٧/٤

يوما) من الأيام وإن شرطية دل على جوابها ما قبلها أو التقدير إن سبقته يوما فهذا يومه وقيل إن نافية أي ما سبقته يوما قبل ذلك فهو استئناف تعليل (فقلت مثله أي) أبقيت مثله يعني نصف ماله (بكل ما عنده) من المال (الله ورسوله) مفعول أبقيت أي رضاهما (إلى شيء) من الفضائل (أبدا) لأنه إذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله وقلة مال أبي بكر ففي غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه ذكره علي القارىء

قال المنذري وأخرجه الترمذي

١ -

(باب في فضل سقي الماء)

(قال الماء) إما لعزته في المدينة في تلك الأيام أو لأنه أحوج الأشياء عادة

(إن أم سعد) أراد به نفسه (فأي الصدقة أفضل) أي لروحها (قال الماء) إنما كان الماء أفضل لأنه أعم نفعا في الأمور الدينية والدنيوية خصوصا في تلك البلاد الحارة ولذلك من الله تعالى بقوله وأنزلنا من ." (١)

"لا في جميع الحديث، وذكر هنا أن معمرا وصله أيضا عن أيوب، ورواية معمر وصلها في المغازي وهو في قصة النذر فقط، وذكر في المغازي أيضا أن حماد بن سلمة رواه موصولا، وسيأتي بيان ذلك واضحا أيضا هناك وأنه أيضا في النذر فقط، ويأتي الكلام على ما يتعلق منه بالنذر في كتاب الأيمان والنذور، والذي قدمته اتفق عليه جميع رواة البخاري إلا الجرجاني فقال: "عن نافع عن ابن عمر" وهو وهم منه، ويظهر ذلك من تصرف البخاري هنا، وهو في المغازي، وبذلك جزم أبو علي الجياني. وقال الدار قطني: حديث حماد بن زيد مرسل وحديث جرير بن حازم موصول، وحماد أثبت في أيوب من جرير، فأما رواية معمر الموصولة فهي في قصة النذر فقط دون قصة الجاريتين، قال: وقد روى سفيان بن عيينة عن أيوب حديث الجاريتين فوصله عنه قوم وأرسله آخرون. قوله: "فأمره"، في رواية جرير بن حازم عند مسلم أن سؤاله لذلك وقع وهو بالجعرانة بعد أن رجع إلى الطائف. قوله: "وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين" أي من هوازن، لم أر من سماهما. وفي رواية ابن عيينة عند الإسماعيلي موصولا أن عمر قال، فذكر حديث النذر، قال: "فأمرني أن أعتكف فلم أعتكف حتى كان بعد حنين، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني جارية، فبينا أنا معتكف إذ سمعت تكبيرا" الحديث. قوله: "قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي" ستأتي صفة ذلك في المغازي، وفي هذا السياق حذف تقديره فنظر أو سأل عن سبب سعيهم في السكك فقيل له فقال لعمر. وفي رواية ابن عيينة المذكورة "فقلت ما هذا؟ فقالوا السبي أسلموا فأرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت والجارية فأرسلها" قوله: "قال اذهب فأرسل الجاريتين" يستفاد منه الأخذ بخبر الواحد. "تنبيه": اتفقت الروايات كلها على أن قوله: "ورواه معمر" بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة، وحكى بعض الشراح أنه بضم الميم وبعد العين مثناة مفتوحة ثم ميم مكسورة وهو تصحيف. قوله: "قال نافع: ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف علي عبد الله" هكذا رواه أبو النعمان شيخ البخاري مرسلا، ووصله مسلم وابن خزيمة جميعا عن أحمد بن عبدة عن حماد بن زيد فقال في روايته عن نافع "ذكر عند ابن عمر عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) عون المعبود، ٦٥/٥

من الجعرانة فقال: لم يعتمر منها" وقد ذكرت في أبواب العمرة الأحاديث الوارد في اعتماره من الجعرانة، وتقدم في أواخر الجهاد في "باب من قسم الغنيمة في غزوه" أيضا حديث أنس في ذلك، وذكرت في أبواب العمرة سبب خفاء عمرة النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة على كثير من أصحابه فليراجع منه، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ. قال ابن التين: ليس كل ما علمه ابن عمر حدث به نافعا، ولا كل ما حدث به نافعا حفظه. قلت: وهذا يرده رواية مسلم التي ذكرتها، فإن حاصله أن ابن عمر كان يعرفها ولم يحدث بها نافعا. ودلت رواية مسلم على أن ابن عمر كان ينفيها. قال: "وليس كل ما علمه ابن عمر لم يدخل عليه فيه نسيان" انتهى. وهذا أيضا يقتضي أنه كان عرف بها ونسيها، وليس كذلك بل لم يعرف بها لا هو ولا عدد كثير من الصحابة. حديث عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام بعدها موحدة وهو النمري بفتح النون والميم. قوله: "أخاف ظلعهم" بفتح الظاء المعجمة المشالة واللام وبالمهملة أي اعوجاجهم "وجزعهم" بالجيم والزاي بوزنه، وأصل الظلع الميل، وأطلق هنا على مرض القلب وضعف اليقين. قوله: "والغنا" بفتح المعجمة ثم النون ومد وهو الكفاية. وفي رواية الكشميهني بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر، وقوله: "بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم" أي التي قالها في حقه وهي إدخاله إياه في أهل الخير والغناء، وقيل المراد الكلمة التي قالها في حق غيره، فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي أو يكون لي ذلك، وتقال تلك." (١)

"هشام بن عروة عن أبيه قال: "دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء – يعني بنت أبي بكر وهي أمهما – وأسماء وجعة، فقال لها عبد الله: كيف تجدينك؟ قالت: وجعت" الحديث. وأصرح منه ما روى صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: "دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه، فسلمت عليه وسألته: كيف أصبحت؟ فاستوى جالسا، فقلت: أصبحت بحمد الله بارئا؟ قال: أما إني على ما ترى وجع" فذكر القصة، أخرجه الطبراني. وأما قوله: "وارأساه" فصريح في حديث عائشة المذكور في الباب، وأما قوله: "اشتد بي الوجع" فهو في حديث سعد الذي في آخر الباب، وأما قول أيوب عليه السلام فاعترض ابن التين ذكره في الترجمة فقال: هذا لا يناسب التبويب، لأن أيوب إنما قاله داعيا ولم يذكره للمخلوقين. قلت: لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع ردا على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم، فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعا، بل فيه زيادة عبادة، لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم وأثنى الله عليه بذلك وأثبت له اسم الصبر مع ذلك، وقد روينا في قصة أيوب في فوائد ميمونة وصححه ابن حبان والحاكم من طريق الزهري عن أنس رفعه: "أن أيوب لما طال بلاؤه رفضه القريب والبعيد، غير رجلين من إخوانه، فقال أحدهما لصاحبه: لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين، فبلغ ذلك أيوب – يعني فجزع من قوله – ودعا ربه فكشف ما به". وعند ابن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد بن نمير موقوفا عليه نحوه وقال فيه: "فجزع من قولهما جزعا شديدا ثم قال: بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني، وسجد، فما رفع رأسه حتى كشف عنه". فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله، أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر، والله أعلم. قال القرطبي: اختلف الناس في هذا الباب، والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على رفعه، والنفوس

---

(١) فتح الباري– تعليق ابن باز، ٢٥٣/٦

مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه، وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر، وأما مجرد التشكي فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور، وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه، وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر، والله أعلم. وروى أحمد في "الزهد" عن طاوس أنه قال: أنين المريض شكوى، وجزم أبو الطيب وابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه، وتعقبه النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك. ثم احتج بحديث عائشة في الباب، ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى اهـ. ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء، وتورث شماتة الأعداء. وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا. حديث كعب بن عجرة في حلق المحرم رأسه إذا آذاه القمل، وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب الحج، وقوله: "أيؤذيك هوام رأسك" هو موضع الترجمة لنسبة الأذى للهوام، وهي بتشديد الميم اسم للحشرات لأنها تهم أن تدب، وإذا أضيفت إلى الرأس اختصت بالقمل. قوله: "حدثنا يحيى بن يحيى أبو زكريا" هو النيسابوري الإمام المشهور وليس له في البخاري سوى مواضع يسيرة في الزكاة والوكالة والتفسير والأحلام، وأكثر عنه مسلم، ويقال إنه تفرد بهذا الإسناد وإن أحمد كان يتمنى لو أمكنه الخروج إلى نيسابور ليسمع منه هذا الحديث، ولكن." (١)

"هذا المسلك، فردوا حديث لا عدوى بأن أبا هريرة رجع عنه إما لشكه فيه وإما لثبوت عكسه عنده كما سيأتي إيضاحه في "باب لا عدوى" قالوا: والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج وأكثر طوقا فالمصير إليها أولى، قالوا: وأما حديث جابر "أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال: كل ثقة بالله وتوكلا عليه" ففيه نظر، وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه ورجح وقفه على عمر، وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أكل معه، وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة، قاله الكلاباذي في "معاني الأخبار". والجواب أن طريق الجمع أولى كما تقدم، وأيضا فحديث لا عدوى ثبت من غير طريق أبي هريرة فصح عن عائشة وابن عمر وسعد بن أبي وقاص وجابر وغيرهم، فلا معنى لدعوى كونه معلولا، والله أعلم. وفي طريق الجمع مسالك أخرى: أحدها: نفي العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم، لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته، ونحوه حديث: "لا تديموا النظر إلى المجذومين" فإنه محمول على هذا المعنى. ثانيها: حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين، فحيث جاء "لا عدوى" كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى، كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد، لكن القوي اليقين لا يتأثر به، وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها، وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصعة وسائر ما ورد من جنسه، وحيث جاء "فر من المجذوم" كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه، ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى، فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سببا لإثباتها. وقريب من هذا كراهيته

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٢٤/١٠

صلى الله عليه وسلم الكي مع إذنه فيه كما تقدم تقريره، وقد فعل هو صلى الله عليه وسلم كلا من الأمرين ليتأسى به كل من الطائفتين. ثالث المسالك: قال القاضي أبو بكر الباقلاني: إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى، قال: فيكون معني قوله: "لا عدوى" أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلا، قال: فكأنه قال لا يعدي شيء شيئا إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى. وقد حكى ذلك ابن بطال. رابعها: أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء، بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة، ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة، وهذه طريقة ابن قتيبة فقال: المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته، وكذا يقع كثيرا بالمرأة من الرجل وعكسه، وينزع الولد إليه، ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثر بالرائحة لأنها تسقم من واظب اشتمامها، قال: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "لا يورد ممرض على مصح" لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير، فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها وصل إليها بالماء الذي يسيل منه، وكذا بالنظر نحو ما به. قال: وأما قوله: "لا عدوى" فله معنى آخر، وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه، لأن فيه نوعا من الفرار من قدر الله. المسلك الخامس: أن المراد ينفي العدوى أن شيئا لا يعدي بطبعه نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله، فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم أن الله هو الذي يمرض ويشفي، ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها، ففي نهيه إثبات الأسباب، وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل، بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا، وإن." (١)

" هذا ومن باب الاشارة في الآيات الحمد لله الذي خلق السموات والأرض أي سموات عالم الأرواح وأرض عالم الجسم ويقال : الروح سماء القلب لأن منها ينزل غيث الالهام والقلب أرضها لأنه فيه ينبت زهر الحكمة ونور المعرفة وجعل الظلمات أي وأنشأ في عالم الجسم ظلمات المراتب التي هي حجب ظلمانية للذات المقدس وأنشأ في عالم الأرواح نور العلم والادراك ويقال : الظلمات الهواجس والخواطر الباطلة والنور الالهام وقال بعضهم : الظلمات أعمال البدن والنور أحوال القلب ثم بعد ظهور ذلك الذين كفروا بربهم يعدلون غيره ويثبتون معه سبحانه وتعالى من يساويه في الوجود وهو الله الذي لا نظير له في سائر صفاته هو الذي خلقكم من طين وهو طين المادة الهيولانية ثم قضى أجلا أي حدا معينا من الزمان إذا بلغه السالك إلى ربه سبحانه وتعالى فنى فيه عز شأنه وأجل مسمى عنده وهو البقاء بعد الفناء وقيل الأجل الأول هو الذي يقتضيه الاستعداد طبعا بحسب الهوية وهو المسمى أجلا طبيعيا للشخص بالنظر إلى مزاجه الخاص وتركيبه المخصوص بلا اعتبار عارض من العوارض الزمانية ونكر لأنه من أحكام القضاء السابق الذي هو أم الكتاب وهي كلية منزهة عن التشخصات إذ محلها الروح الأول المقدس والأجل الثاني هو الأجل المقدر الزماني الذي يقع عند اجتماع الشرائط وارتفاع الموانع وهو مثبت في كتاب النفس الفلكية التي هي لوح القدر ثم أنتم بعدما علمتم ذلك تمترون وتشكون في تصرفه فيكم كما يشاء وهو الله في السموات والأرض أي سواء ألوهيته بالنسبة إلى العالم العلوي والسفلي يعلم سركم في عالم الأرواح

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ١٦٠/١٠

وهو عالم الغيب وجهركم في عالم الأجسام وهو عالم الشهادة ويعلم ما تكسبون فيهما من العلوم والحركات والسكنات وغيرها فيجاريكم بحسبها وقيل : المعنى يعلم جولان أرواحكم في السماء لطلب معادن الأفراح وتقلب أشباحكم في الارض لطلب الوسيلة إلى مشاهدته ويعلم ما تحصلونه بذلك وما تأتيهم آية من آيات ربهم الانفسية والآفاقية إلا كانوا عنها معرضين لسوء اختيارهم وعمى أعينهم عن مشاهدة أنوار الله تعالى الساطعة على صفحات الوجود وقالوا لضعف يقينهم لولا أنزل عليه ملك فنراه لنزول شبهتنا ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر أي أمر هلاكهم لعدم قدرتهم على تحمل مشاهدته ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا ليمكنهم مشاهدته قل لمن ما في السموات وألارض أي ما في العالمين قل لله ايجادا وافناء كتب على نفسه الرحم

قال سيدي الشيخ الأكبر قدس الله سره : إن رحمة الله تعالى عامة وهي نعمة الامتنان التي تنال من غير استحقاق وهي المراد في قوله تعالى : فبما رحمة من ربك لنت لهم واليها الاشارة بالرحمن في البسملة وخاصة وهي الواجبة المرادة بقوله تعالى : فسأكتبها للذين يتقون واليها الاشارة بالرحيم فيها ويشير كلامه قدس الله تعالى سره في الفتوحات إلى أن ما في الآية هو الرحمة الخاصة ومقتضى السياق أنها الرحمة العامة

وذكر قدس الله تعالى سره في أثناء الكلام على الرحمة وقول الله عز شأنه يوم القيامة شفعت الملائكة وشفعت النبيون والمؤمنون وبقي أرحم الراحمين ان رحمة الله تعالى سبقت غضبه كما في الخبر فهي امام الغضب فلا يزال غضب الله تعالى يجري في شأواه بالانتقام من العباد حتى ينتهي إلى آخر مداه فيجد الرحمة قد سبقته فتتناول منه العبد المغضوب عليه فتبسط عليه ويرجع الحكم لها فيه والمدى الذي يقطعه الغضب ما بين الرحمن الرحيم الذي في البسملة وبين الرحم الرحيم الذي بعد الحمد لله رب العالمين فالحمد لله رب العالمين ." (١)

"""""""" صفحة رقم ١٤ """""""التصديق حتى ينفي الريب ويوجب طمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه به ، وقد جعله ابن مسعود الإيمان كله . وكذا قال الشعبي – أيضا .وهذا مما يتعلق به من يقول : إن الإيمان مجرد التصديق (٢٤) ، حيث جعل اليقين : الإيمان كله ، فحصره في اليقين ، ولكن لم يرد ابن مسعود أن ينفي الأعمال من الإيمان ، إنما مراده : أن اليقين هو أصل الإيمان كله ، فإذا أيقن القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر انبعثت الجوارح كلها للاستعداد للقاء الله تعالى بالأعمال الصالحة فنشأ ذلك كله عن اليقين .قال الحسن البصري : ما طلبت الجنة إلا باليقين ولا هرب من النار إلا باليقين ، ولا أديت الفرائض إلا باليقين ، ولا صبر على الحق إلا باليقين (٢٥) . وقال سفيان الثوري : لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقا إلى الجنة وخوفا من النار (٢٦) .ويذكر عن لقمان قال : العمل لا يستطاع إلا باليقين ، ومن يضعف يقينه يضعف عمله (٢٧) . قال عبد الله بن عكيم : سمعت ابن مسعود يقول في دعائه : اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفهما .قال البخاري : وقال ابن عمر : لا يبلغ العبد حقيقة التقوى

---

(١) روح المعاني، ١٠٧/٧

حتى يدع ما حاك في الصدر .قال زين الدين ابن رجب : هذا الأثر لم أقف عليه إلى الآن في غير كتاب البخاري (٢٨) ".، (١)

"" صفحة رقم ٣٣٨ " قرأ) حتى يصدر (من لاإصدار أي حتى يصدر الرعاء مواشيهم الغرض بيان الإصدار .) قال ما خطبكما (هو مصدر بمعنى المفعول أي ما خطبكما من الذياد) قالتا لا نسقي (الآية. سألهما عن سبب الذود فذكرتا أنا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك.) وابونا شيخ (قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ، وهذه الضرورة هي التي سوغت لنبي الله شعيب أن رضي لابنتيه بسقي الماشية على أن الأمر في نفسه ليس بمحظور ، ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا للمروءة. وزعم بعضهم أن أباهما هو ثيرون ابن أخي شعيب وشعيب مات بعدما عمي وهو اختيار أبي عبيد ينميه إلى ابن عباس. وعن الحسن أنه رجل مسلم قبل الدين من شعيب. أما قوله) فسقى لهما (فمعناه فسقى غنمهما لأجلهما وفيه قولان : أحدهما أنه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء في الحوض ودعا بالبركة ، ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما. والثاني أنه عمد إلى البئر وعليها صخرة لا يقلها إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة – أقوال – فأقلها وحده وسقى أغنامهما ،كل ذلك في شمس وحر.) ثم تولى إلى الظل (ظل شجرة) فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير (ذهب أكثر المفسرين الظاهريين ومنهم ابن عباس إلى أنه طلب من الله طعاما يأكله. وعدي) فقير (بالام لأنه ضمن معنى سائل وطالب. وعن الضحاك أنه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما إلا بقل الأرض وإن خضرته تتراءى في بطنه من الهزال ، ويه دليل على أنه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة ربانية. وقال بعض أهل التحقيق : أراد إني فقير من الدنيا لجل ما أنزلت إلي من خير الدين ، وذلك أنه كان عند فرعون في ملك وثروة فأظهر الرضا بهذا الذل شكرا لله. يروى أنهما لما رجعتا غلى ابيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما : ما أعجلكما ؟ قالتا : وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا. فقال لإحداهما : اذهبي فادعيه لي وذلك قوله سبحانه) فجاءته إحداهما تمشي على استحياء (قيل : من جملة حيائها أنها قد استترت بكم درعها ثم) قالت إن أبي يدعوك (عن عطاء بن السائب أنه حين قال) رب إني لما أنزلت غلي من خير فقير (رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له) ليجزيك أجر ما سقيت لنا (وضعفت الرواية بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبي. وقد روي أنها حين قالت : ليجزيك كره ذلك. ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال : إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا .." (٢)

"إ " اا تفسير س@ ورةإلنور ١ اا:اا@ وليمكنن لهم دينهم الذي ارتفمى لهم @ وهذا هو الأمر الاول ، وهو أساس لماقبله ولما بعده ، فالدين يمكن فيما بينهم ، فلا يكون ثمة ما يسوغ ضعف اليقين ، بل تبقى الحجة للقرآن وحده ، ويدركه الناس فى دعة واستقرار ، ولا يوجد إيذاء ولا استخذاء ولا استهزاء ، ولا تهكم على المؤمنين ، ولا يستطيعون كما

---

(١) فتح الباري . لابن رجب موافقا للمطبوع، ١٤/١

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ٣٣٨/٥

فعلوا من قبل (... وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي... أهود ، *والثاني بينه سبحانه وتعالى بقوله : وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا@ ، أى يجعلالله تعالى من بعد الخوف المستمر من المشركين أمنا دائما مستقرا ، وكان التنكير لبيان عظيم الأمن ، هانه أمن مستقر ثابت ، ولقد قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : " ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون " (١) ، وهنا إشارة بيانية فى قوله تعالى : (دينهم الذي ارتضى لهم @ ، أى الذى ارتضاه سبحانه واختاره لهم ، ففى هذا إشارة أولا : إلى كمال نعمته عليهم بهذا الدين ، وثانيا : بانه اختاره وارتضاه لهم ، وثالثا : بأنه الحق الذى لا رلب فيه.وقال سبحانه مبينا خاصة هذا الدين الحق ، وشعار الذين بدلهم سبحانه منبعد خوفهم أمنا ، فقال : (يعبدوننى لا يشركون بي شيئا@ ، أى يعبدوننى وحدى فى عامة أمورهم ، لا يشركون بى شيئا فى عبادة ولا طاعة ولا عمل ، فعبادتهم له سبحانه وطاعتهم له وحده ، فلا يطيعون حاكما ويتركون طاعة الله ، هاذا خيروا بين عصيان الحاكم ، وعصيان الله اختاروا عصيان الحاكم ، فإن استمروا على ذلك استمر لهم السلطان فى الأرضءوقوله تعالى : (ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون @ ، أى من كفر وخالف وعصى الله بعد التمكين والامن والاسضقرار (فأولئك هم الفاسقون @ ، أى ان رجون الجائرون البائرون فلا يكون كفرهم مجرد جحود ، بل هو الضياع لا محالة ، واعتبر(١) جزء من حديث رواه البخارى : المناقب - علامات النبوة فى الإسلام (٣٣٤٣) ، أبو داود : الجهاد (٢٢٧٨). من رواية لخباب بن الأرت رض الله عنه.." (١)

"[لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا] أي لتشهدوا على الأمم يومالقيامة أن رسلهم بلغتهم ، ويشهد عليكم الرسول أنه بلغكم[وما جعلنا القبلة التى كنت عليها] أي وما أمرناك بالتوجه إلى بيت المقدس ، ثمصرفناك عنها إلى الكعبة المشرفة[إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه] أي إلا لنختبر إيمان الناس ، فنعلم من يصدق الرسول ، ممن يشكك في الدين ، ويرجع إلى الكفر لضعف يقينه[وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله] أي وإن كان هذا التحويل لشاقاوصعبا إلا على الذين هداهم الله[وما كان الله ليضيع إيمانكم] أي ما صح ولا استقام في شرع الله ، أن يضيع اللهصلاتكم إلى بيت المقدس ، بل يثيبكم عليها ، وذلك حين سألوه (ص) عمن مات وهو يصليإلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة فنزلت ، وقوله تعالى : [إن الله بالناس لرءوف رحيم] تعليل للحكم أي إنه تعالى عظيم الرحمة بعباده ، لايضيع أعمالهم الصالحة التي فعلوها[قد نرى تقلب وجهك في السماء] أي كثيرا ما رأينا تردد بصرك يا محمد جهة السماء ، تشوقا لتحويل القبلة[فول وجهك شطر المسجد الحرام] أي توجه في صلاتك نحو الكعبة المعظمة[وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره] أي وحيثما كنتم أيها المؤمنون ، فتوجهوا فيصلاتكم نحو الكعبة أيضا[وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم] أي إن اليهود والنصارى ، ليعلمون أن هذا التحويل للقبلة حق من عند الله ، ولكنهم يفتنون الناس بإلقاءالشبهات[وما الله بغافل عما يعملون] أي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وسيجازيهم عليها ، وفيه وعيد وتهديد لهم بليغ.البلاغة : ١- في قوله : [ينقلب على عقبيه] استعارة تمثيلية حيث مثل لمن يرتد عن دينه ، بمنينقلب على عقبيه ، كأنه يرجع إلى الخلف ، وينتكس فى دينه كما انتكس في مشيه.٢- [لرءوف رحيم] الرأفة : شدة الرحمة ،

---

(١) زهرة التفاسير، ص/٥٢٢١

وقدم الأبلغ مراعاة للفاصلة وهي الميممفي قوله : [صراط مستقيم] وقوله : [رءوف رحيم] وكلاهما من صيغ المبالغة.٣- [فول وجهك] أطلق الوجه وأراد به الذات كقوله : [ويبقى وجه ربك] وهذا النوعيسمى " المجاز المرسل " من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل ، ومثله قولهم : هذا ماجنته يدك ، أي ما فعلته بنفسك.الفوائد : الأولى : أخرج البخارى في صحيحه أن رسول الله (ص) قال : " يدعى نوح عليه السلاميوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يا رب فيقول : هل بلغت ؟ فيقول : نعم فيقال لأمته : هل بلغكم ؟ فيقولون : ما جاءنا من نذير فيقول : من يشهد لك ؟ فيقول : محمد وأمتهفيشهدون أنه قد بلغ ، فذلك قوله عز وجل [لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسولعليكم شهيدا] .الثانية : سمى الله تعالى الصلاة " إيمانا " في قوله : [وما كان الله ليضيعإيمانكم] أي صلاتكم لأن الإيمان لا يتم إلا بها ، ولأنها تشتمل على نية وقولوعمل ((روي عن البراء بن عازب أنه قال : مات قوم كانوا يصلون نحو بيت المقدس ، فقال الناس : كيف بإخواننا الذين صلوا إلى غير الكعبة ؟ فأنزل الله الآية ، أخرجهالترمذي)).الثالثة : في التعبير عن الكعبة (بالمسجد الحرام) إشارة إلى أن الواجب مراعاةالجهة دون العين ، لأن في إصابة (عين الكعبة) من البعيد حرجا عظيما على الناس.قال الله تعالى : [ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك.. إلى..ولعلكم تهتدون] من آية (١٤٥) إلى نهاية آية (١٥٠).المناسبة : لما ذكر تعالى ما قاله السفهاء من اليهود ، عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلىالكعبة المعظمة ، وأمر رسوله بأن يتوجه في صلاته نحو البيت العتيق ، ذكر فى هذهالآيات أن أهل الكتاب ، قد انتهوا في العناد والمكابرة ، إلى درجة اليأس من." (١)

"تحمل﴾ أي : لا تطيق أن تحمل ﴿رزقها﴾ أي : لا تدخر شيئا لساعة أخرى لأنها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل ، وعن الحسن : لا تدخر إنما تصبح فيرزقها الله تعالى ، وعن ابن عيينة : ليس شيئا يخبأ إلا الإنسان والنملة والفارة ، وعن بعضهم قال رأيت البلبل يدخر في حنية ، ويقال للعقعق مخابئ إلا أنه ينساها أو لا تجده أو لا تطيق حمله لضعفها ، ثم كأنه قيل فمن يرزقها فقيل ﴿الله﴾ أي : المحيط علما وقدرة المتصف بكل كمال ﴿يرزقها﴾ على ضعفها وهي لا تدخر ﴿وإياكم﴾ مع قوتكم وادخاركم واجتهادكم لا فرق بين ترزيقه لها على ضعفها وعدم ادخارها ، وترزيقه لكم على قوتكم وادخاركم فإنه هو المسبب وحده فإن الفريقين تارة يجدون وتارة لا يجدون فصار الإدخار وعدمه غير معتد به ولا منظورا إليه ، وقرأ ابن كثير بعد الكاف بألف وبعد الألف همزة مكسورة ، والباقون بعد الكاف همزة مفتوحة وبعدها ياء مشددة ، ووقف أبو عمرو على الياء ، ووقف الباقون على النون ، وحمزة في الوقف يسهل الهمزة على أصله.تنبيه : كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه وأي : التي تستعمل استعمال من وما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لأن كأي تستعمل غير مركبة كما يقول القائل : رأيت رجلا كأي رجل يكون وحينئذ لا يكون كأي : مركبا فإذا كان كأي ههنا مركبا كتب بالنون للتمييز ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم نخشى الفقر والضيعة ﴿العليم﴾ بما في ضمائركم.واختلف في سبب نزول هذه الآية فعن ابن عمر أنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الأنصار : "فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال كل يا ابن عمر قلت : لا

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، ٦١/١

أشتهيه يا رسول الله قال لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاما ولم أجده فقلت : يا رسول الله إن الله المستعان فقال : يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت ﴿وكأين من دابة﴾ (العنكبوت : ٦٠)جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٠١وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : للمؤمنين الذين كانوا بمكة وآذاهم المشركون "هاجروا إلى المدينة فقالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فنزلت" وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم "كان لا يدخر شيئا" وقال صلى الله عليه وسلم "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا" وقال صلى الله عليه وسلم "أيها الناس ليس شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به ، وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه ، وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته".٢٠٥﴿ولئن﴾ اللام لام قسم ﴿سألتهم﴾ أي : كفار مكة وغيرهم ﴿من خلق السموات والأرض﴾ وسواهما على هذا النظام العظيم ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ لإصلاح الأقوات ومعرفة الأوقات وغير ذلك من المنافع ﴿ليقولن الله﴾ أي : الذي له جميع صفات الكمال لما تقرر في نظرهم من ذلك وتلقوه من آبائهم موافقة للحق في نفس الأمر ﴿فأنى﴾ أي : فكيف ومن أي وجه ﴿يؤفكون﴾ أي : يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك ، فإن قيل : ذكر في السموات والأرض الخلق ، وفي الشمس والقمر التسخير ؟ أجيب : بأن مجرد خلق السموات والأرض آية ظاهرة بخلاف خلق الشمس والقمر فإنهما لو كانا في موضع واحد لا يتحركان ما حصل الليل والنهار ولا الصيف ولا الشتاء فإذا الحكمة الظاهرة في تحريكهما وتسخيرهما ، ولما كان قد يشكل على ذلك التفاوت في الرزق عند من لم يتأمل حق التأمل فيقول : ما بال الخلق متفاوتين في الرزق قال تعالى : ﴿الله﴾ أي : بما له من الإحاطة بصفات الكمال ﴿يبسط الرزق﴾ بقدرته التامة امتحانا ﴿لمن يشاء من عباده﴾ على حسب ما يعلم من بواطنهم ﴿ويقدر﴾ أي : يضيق ﴿له﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء فظهر من ذلك قدرته وحكمته وأنت ترى الملوك وغيرهم من الأقوياء يفاوتون في الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص بأحوالهم فما ظنك بملك الملوك العالم علما لا تدنو من ساحته ظنون ولا شكوك كما قال تعالى : ﴿إن الله﴾ أي : الذي له صفات الكمال ﴿بكل شيء﴾ أي : من المرزوقين ومن الأرزاق وكيف يمنع أو يساق وغير ذلك ﴿عليم﴾ يعلم مقادير الحاجات والأرزاق فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم ويعطيهم بحسب ذلك إن شاء وكم رام بعض الأقوياء إغناء فقير وإفقار غني فكشف الحال عن فساد ما راموا من الانتقال ، ولما قال الله تعالى : ﴿الله يبسط الرزق﴾ ذكر اعترافهم بذلك بقوله تعالى : ﴿." (١)

"﴿ ١٣٨ ، ١٣٩ ﴾ ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ .البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول

---

(١) تفسير السراج المنير. ، ١٣٨/٣

تعالى: ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ ﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟وهذا هو الواقع من أحوال [ص ٢١٠] المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون.والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.." (١)

"(أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته) أي في باطنه وظاهره والقصد الوصية بإخلاص التقوى وتجنب الرياء فيها قال حجة الإسلام: وإذا أردنا تحديد التقوى على موضع علم السر نقول الحد الجامع تبرئة القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير كذلك وقاية بينك وبين كل شر قال: وهنا أصل أصيل وهو أن العبادة شطران اكتساب وهو فعل الطاعات واجتناب وهو تجنب السيئات وهو التقوى وشطر الاجتناب أصلح وأفضل وأشرف للعبد من الاكتساب يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم واشتغل المنتبهون أولو البصائر والاجتناب إنما همتهم حفظ القلوب عن الميل لغيره تعالى والبطون عن الفضول والألسنة عن اللغو والأعين عن النظر إلى ما لا يعنيهم (وإذا أسأت فأحسن) ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (ولا تسألن أحدا) من الخلق (شيئا) من الرزق ارتقاء إلى مقام التوكل فلا تعلق قلبك بأحد من الخلق بل بوعد الله وحسن كفايته وضمانه ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وقد قال أهل الحق: ما سأل إنسان الناس إلا لجهله بالله تعالى وضعف يقينه بل إيمانه وقلة صبره وما تعفف متعفف إلا لوفور علمه بالله وتزايد معرفته به وكثرة حيائه منه (ولا تقبض أمانة) وديعة أو نحوها مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين ثم استعمل في الأعيان مجازا فقيل الوديعة أمانة ونحو ذلك والنهي للتحريم إن عجز عن حفظها وللكراهة إن قدر ولم يثق بأمان نفسه وإن وثق بأمانة نفسه فإن قدر ووثق ندب بل إن تعين وجب (ولا تقض بين اثنين) لخطر أمر القضاء وحسبك في خطره خير من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين والخطاب لأبي ذر وكان يضعف عن ذلك كما صرح به في الحديث.٢٠٤٥ أوصيك بتقوى الله تعالى و التكبير على كل شرف (حسن)(هـ) عن أبي هريرة .الشرح:." (٢)

"المالك عن بعض ملكه، وأن سخاءه في مرضه لا يمحو عنه سمة البخل، ومعنى شحه بالمال أن يجد له وقعا في قلبه لما يرجوه من طول العمر ويخافه من حدوث الفقر ﴿الشيطان يعدكم الفقر﴾ وفيه التحذير من التسويف بالإنفاق استبعادا لحلول الأجل واشتغالا بطول الأمل، والترغيب في المبادرة بالصدقة قبل هجوم المنية وفوات الأمنية.١١١٢ أفضل الصدقة جهد المقل و ابدأ بمن تعول(صحيح)(د ك) عن أبي هريرة .الشرح:(أفضل الصدقة) أي من أفضلها: وكذا يقال فيما

(١) تفسير السعدي، ص/٢٠٩

(٢) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ٤٨٧/١

يأتي (جهد) روي بضم الجيم وفتحها فبالضم الوسع والطاقة وهو الأنسب هنا، وبالفتح المشقة والمبالغة والغاية (المقل) بضم فكسر أي مجهود وقليل المال: يعني قدرته واستطاعته وإنما كان ذلك أفضل لدلالته على الثقة بالله والزهد فصدقته أفضل الصدقة، وهو أفضل الناس بشهادة خبر: أفضل الناس رجل يعطي جهده، والمراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله الآتي: أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى، أو يقال الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين، فالمخاطب بهذا الحديث أبو هريرة وكان مقلا متوكلا على الله فأجابه بما يقتضيه حاله، والمخاطب بالحديث الآتي حكيم بن حزام وكان من أشراف قريش وعظمائها وأغنيائها ووجوهها في الجاهلية والإسلام (وابدأ) بالهمز وتركه (بمن تعول) أي بمن تلزمك مؤنته وجوبا فقدمه على التصدق تقديما للواجب على المندوب ولا يتناول ترفه العيال وإطعامهم لذيذ المطاعم بما زاد على كفايتهم لأن من لم تندفع حاجته أولى بالصدقة ممن اندفعت حاجته في مقصود الشارع.١١١٣ أفضل الصدقة سقي الماء (حسن)(حم د ن هـ حب ك) عن سعد بن عبادة (ع) عن ابن عباس .الشرح:." (١)

"١٩٥٨- قوله : (أي الصدقة أفضل قال جهد المقل) بضم الميم وكسر القاف من الإقلال أي قليل المال يقال أقل الرجل أي قل ماله وافتقر. قال في النهاية : الجهد بالضم الوسع والطاقة ، وبالفتح المشقة. وقيل : المبالغة والغاية. وقيل : هما لغتان في الوسع والطاقة. فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير ، ومن المضموم حديث الصدقة أي الصدقة أفضل. قال : جهد المقل أي قدر ما يحتمله حال القليل المال - انتهى. والجمع بينه وبين ما تقدم من قوله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى ، إن الفضيلة متفاوتة بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين. قال البيهقي (ج٤ ص١٨٠) يختلف ذلك باختلاف أحوال الناس في الصبر على الشدة والفاقة والاكتفاء بأقل الكفاية ، وساق أحاديث تدل على ذلك. وقال ابن الملك : أي أفضل الصدقة ما قدر عليه الفقير الصابر على الجوع أن يعطيه ، والمراد بالغني في قوله خير الصدقة ما كان عن ظهر غني من لا يصبر على الجوع والشدة توفيقا بينهما ، فمن يصبر فالإعطاء في حقه أفضل ، ومن لا يصبر فالأفضل في حقه أن يمسك قوته ، ثم يتصدق بما فضل - انتهى. وقال الشوكاني : بعد ذكر المعارضة بين الحديثين ، ويؤيد هذا المعنى أي حديث جهد المقل قوله تعالى : "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة "[الحشر : ٩] ويؤيد الأول حديث الظهر قوله تعالى : "ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط "[الإسراء : ٢٩] ويمكن الجمع بأن الأفضل لمن كان يتكفف الناس إذا تصدق بجميع ماله أن يتصدق عن ظهر غني ، والأفضل لمن يصبر على الفاقة أن يكون متصدقا بما يبلغ إليه جهده ، وإن لم يكن مستغنيا عنه. ويمكن أن يكون المراد بالغني غني النفس ، كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني عن النفس - انتهى. (رواه أبوداود) في الزكاة وسكت عنه هو والمنذري ، وأخرجه أيضا." (٢)

"جواز وقوعها فإذا كانت بمعنى الإخبار عن الوجوب فالإجابة تكون لأحد الثلاثة أشياء إما أن يعجل ما سأل فيه وإما أن يكفر عنه به ، وإما أن يدخر له فإذا قال دعوت فلم يستجب لي بطل وجوب أحد هذه الثلاثة الأشياء وعري

---

(١) مصابيح التنوير على صحيح الجامع الصغير للألباني، ٢٩/٢

(٢) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٧٤١/٦

الدعاء من جميعها. وإذا كان بمعنى جواز الإجابة فالإجابة تكون حينئذ بفعل ما دعا به خاصة ، ويمنع من ذلك قول الداعي قد دعوت فلم يستجب لي لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط – انتهى. (فيستحسر) أي ينقطع ويمل ويفتر وهو بمهملات استفعال من حسر إذا أعي وتعب وانقطع عن الشي. وقال الجزري : الاستحسار الاستنكاف عن السؤال وأصله من حسر الطرف إذا كل وضعف نظره يعني أن الداعي إذا تأخرت إجابته تضجر ومل فترك الدعاء واستنكف – انتهى. (عند ذلك) أي عند رؤيته عدم الاستجابة في الحال (ويدع) بفتح الدال المهلة (الدعاء) أي يتركه مطلقا أو ذلك الدعاء. قال المظهري : من كان له ملالة من الدعاء لا يقبل دعاءه ، لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها فإن لكل شيء وقتا مقدارا في الأزل فما لم يأت وقته لا يكون ذلك الشي ، وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعاءه في الدنيا وإذا لم يقبل دعاءه يعطيه الله في الآخرة من الثواب عوضه ، وإما أن يؤخر قبول دعاءه ليلح ويبالغ في الدعاء فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار ، ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له ، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له فلا ينبغي أن يترك الدعاء. وقال ابن بطال : المعنى إنه يسأم فيترك الدعاء كالمان بدعاءه أو إنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء. وفي هذا الحديث أدب من آداب." (١)

"في هذه الآية دليل على مقدار الجرم ، وأنه لا عبرة بصغر الجثة وعظمها . وفيه دليل على أن الطير في زمانه كانت في جملة التكليف ، ولا يبعد الآن أن يكون عليها شرع ، وأن لهم من الله إلهاما وإعلاما؛ وإن كان لا يعرف ذلك على وجه القطع .وتعيين ذلك العذاب الشديد غير ممكن قطعا ، إلا تجويزا واحتمالا .وعلى هذه الطريقة يحتمل كل ما قيل فيه .ويمكن أن يقال فإن وجد في شيء نقل فهو متبع .وقد قيل هو نتف ريشه وإلقاؤه في الشمس .وقيل يفرق بينه وبين أليفه .وقيل يشتت عليه وقته .وقيل يلزمه خدمة أقرانه .والأولى في هذا أن يقال من العذاب الشديد كيت وكيت ، وألا يقطع بشيء دون غيره على وجه القطع .فمن العذاب الشديد أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة . ومن ذلك أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه ويوكل إلى حوله ونفسه ، ومن ذلك أن يمتحن بالحرص في الطلب ثم يحال بينه وبين مقصوده ومطلوبه . ومن العذاب الشديد الطمع في اسم العذر ثم لا يرتفع ومن ذلك سلب القناعة . ومنه عدم الرضا بما يجري . ومن ذلك توهم الحدثان وحسبان شيء من الخلق .ومن ذلك الحاجة إلى الأخسة من الناس . ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير . ومن ذلك صحبة الأضداد والابتلاء بمعاشرتهم . ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر . ومن ذلك التباس طريق الرشد . ومنه حسبان الباطل بصفة الحق . والتباس الحق في صورة الباطل . ومنه أن يطالب بما لا تتسع له ذات يده . ومنه الفقر في الغربة .." (٢)

---

(١) مشكاة المصابيح مع شرحه مرعاة المفاتيح، ٦٩٩/٧

(٢) تفسير القشيري، ٤٧٥/٥

"الله صلى الله عيه وسلم قال: (يستجاب لاحدكم ما لم يعجل يقول دعوت فلم يستجب لي).قال علماؤنا رحمة الله عليهم: يحتمل قوله (يستجاب لاحدكم) الاخبار عن [وجوب (١)] وقوعالاجابة، والاخبار عن جواز وقوعها، فإذا كان بمعنى الاخبار عن الوجوب والوقوع فإن الاجابة تكون بمعنى الثلاثة الاشياء المتقدمة.فإذا قال: قد دعوت فلم يستجب لي، بطل وقوع أحد هذه الثلاثة الاشياء وعري الدعاء من جميعها.وإن كان بمعنى جواز الاجابة فإن الاجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصة، ويمنع من ذلك قول الداعي: قد دعوت فلم يستجب، لي، لان ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط.قلت: ويمنع من إجابة الدعاء أيضا أكل الحرام وما كان في معناه، قال صلى الله عليه وسلم: (الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأني يستجاب لذلك) وهذا استفهام على جهة الاستبعاد من قبول دعاء من هذه صفته، فإن إجابة الدعاء لا بد لها من شروط في الداعي وفي الدعاء وفي الشئ المدعو به.فمن شرط الداعي أن يكون عالما بأن لا قادر على حاجته إلا الله، وأن الوسائط في قبضته ومسخرة بتسخيره، وأن يدعو بنية صادقة وحضور قلب، فإن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه، وأن يكون مجتنبا لاكل الحرام، وألا يمل من الدعاء.ومن شرط المدعو فيه أن يكون من الامور الجائزة الطلب والفعل شرعا، كما قال: (ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم) فيدخل في الاثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم.وقال سهل بن عبد الله التستري: شروط الدعاء سبعة: أولها التضرع والخوف والرجاء والمداومة والخشوع والعموم وأكل الحلال.وقال ابن عطاء: إن للدعاء أركانا وأجنحة وأسبابا وأوقاتا، فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق أسبابه أنجح.فأركانه حضور القلب والرأفة والاستكانة والخشوع، وأجنحته الصدق، ومواقيته الاسحار، وأسبابه الصلاة على محمد صلى الله عليه____________(١) زيادة عن الموطأ يقتضيها السياق.(*)."[(١)]

"أبي أويس وداود بن سعيد بن زنبوعة، وهو ضعيف دليلا، فإن الله سبحانه قد أخبربسهمهم فيها نصا فكيف يخلفون عنه استقراء وسبرا.والصحيح الاجتهاد في قدر الاجرة، لان البيان في تعديد الاصناف إنما كان للمحل لا للمستحق، على ما تقدم.واختلفوا في العامل إذا كان هاشميا، فمنعه أبو حنيفة لقوله عليه السلام: (إن الصدقة لا تحل لآل محمد إنما هي أوساخ الناس).وهذه صدقة من وجه، لانها جزء من الصدقة فتلحق بالصدقة من كل وجه كرامة وتنزيها لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن غسالة الناس.وأجاز عمله مالك والشافعي، ويعطى أجر عمالته، لان النبي صلى الله عليه وسلم بعث علي بن أبي طالب مصدقا، وبعثه عاملا إلى اليمن على الزكاة، وولى جماعة من بني هاشم وولى الخلفاء بعده كذلك.ولانه أجير على عمل مباح فوجب أن يستوي فيه الهاشمي وغيره اعتبارا بسائر الصناعات.قالت الحنفية: حديث علي ليس فيه أنه فرض له من الصدقة، فإن فرض له من غيرها جاز.وروي عن مالك.الحادية عشرة – ودل قوله تعالى: " والعاملين عليها " على أن كل ما كان من فروض الكفايات كالساعي والكاتب والقسام والعاشر وغيرهم فالقائم به يجوز له أخذ الاجرة عليه.ومن ذلك الامامة، فإن الصلاة وإن كانت متوجهة على جميع الخلق فإن تقدم بعضهم بهم من فروض الكفايات، فلا جرم يجوز أخذ الاجرة عليها.وهذا أصل الباب، وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: (ما تركت بعد

---

(١) تفسير القرطبي، ٢/٣١١

نفقة نسائي (١) ومؤنة عاملي فهو صدقة) قاله ابن العربي.الثانية عشرة - قوله تعالى: لا ذكر للمؤلفة قلوبهم في التنزيل في غير قسم الصدقات، وهم قوم كانوا في صدر الاسلام ممن يظهر الاسلام، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم.قال الزهري: المؤلفة من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنيا.وقال بعض المتأخرين: اختلف في صفتهم، فقيل: هم صنف من الكفار______________(١) في ابن العربي: (عيالي).(*)."[1]

"أين الاحبة والجيران ما فعلوا * * أين الذين هو كانوا لها سكناسقاهم الموت كأسا غير صافية * * صيرهم تحت أطباق الثرى رهنا قوله تعالى: (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفا) وقرأ ابن مسعود والاعمش ويحيى بن وثاب وحمزة والكسائي " لنثوينهم " بالثاء مكان الباء من الثوى وهو الاقامة، أي لنعطينهم غرفا يثوون فيها.وقرأ رويس عن يعقوب والجحدري و السلمي " ليبوئنهم " بالياء مكان النون.الباقون " لنبوئنهم " أي لننزلنهم." غرفا " جمع غرفة وهي العلية المشرفة.وفي صحيح مسلم عن سهل (١) بن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الافق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم " قالوا: يا رسول الله تلك منازل الانبياء لا يبلغها غيرهم.قال: " بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين " وخرج الترمذي عن علي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن في الجنة لغرفا يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها " فقام إليه أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله ؟ قال: " هي لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى لله بالليل والناس نيام " وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب " التذكرة " والحمد لله.قوله تعالى: (وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم) أسند الواحدي عن يزيد بن هرون، قال: حدثنا حجاج بن المنهال عن الزهري - وهو عبد الرحمن بن عطاء - عن عطاء عن ابن عمر قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الانصار فجعل يلتقط من الثمر [ويأكل] (٢) فقال " يا بن عمر مالك لا تأكل " فقلت لا أشتهيه يا رسول الله فقال " لكني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة لم أذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال: والله ما برحنا حتى نزلت: " وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ".______________(١) هذه رواية أبي سعيد الخدري، كما في صحيح مسلم.(٢) الزيادة من كتاب " أسباب النزول " للواحدي.(*)."[2]

"ويسقينا ؟ فأنزل الله تعالى : ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ﴾ وكم من دابة ذاتِ حاجة إلى غذاء و ﴿لا تحمل رزقها﴾ لضَعفها ، كالقَمْلِ والبُرْغُوث والدود ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ حيث ما كنتم " وهو السَّمِيعُ " لأقوالكم : ما نجد ما ننفق بالمدينة ، ﴿العَلِيمُ بما في قلوبكم﴾. قال سفيان : ليس شيء مما خلق الله نَجْباً إلا الإنسان والفأرة والنَّمْلَة روى بن عمر قال : " دخلت مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حائطاً من حوائط الأنصار فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يلقط الرُّطَب بيده ويأكل ، فقال : كُلْ يا ابن عمر ، (قلت : لا أشتهيها يا رسول الله قال : لكني أشتهيه ، وهذه صبح

---

(١) تفسير القرطبي، ١٧٨/٨

(٢) تفسير القرطبي، ٣٥٩/١٣

رابعة لم أطعم طعاماً ولم أجده) فقلت : إنا لله المستعان قال يا ابن عمر : لو سألت ربي لأعطاني مثل مُلْكِ كِسْرَى وقَيْصَرَ أضعافاً مضاعفة ولكني أجوعُ يوماً وأَشْبع يوماً فكيف بك يا ابن عمر إذا عَمَّرْتَ وبَقِيتَ في أمر الناس يُخَبِّئُونَ رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت : ﴿وكأين من دابة لا تحمل رقها﴾ الآية ، وقال عليه (الصلاة و) السلام " لَوْ أَنَّكُمْ تَتَوَكَّلُونَ على اللهِ حقَّ تَوَكُّله لَرَزَقكُمْ كما يرزقُ الطيرَ تغدُو خِمَاصاً ، وتروحُ بِطَاناً "جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٣٦٨قوله تعالى : " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ " يعني كفار مكة ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ أي هم يعتقدون هذا فكيف يصدفون عن عبادة الله مع أن من عُلِمَ عظمُتُه وَجَب خدمَتُهُ ولا عظم فوق السماوات والأرض ، ولا حاقرة فوق حقارة الجَمَاد ؛ لأن الجمادَ دونَ الحيوان والحيوانَ دونَ الإنسان ، والإنسان دون سكان السماواتِ فكيف يتركون عبادة أعظمِ الموجوداتِ ويشتغلون بعبادة أخسّ الموجودات ؟ فصل لما بين أمر المشرِك مخاطباً معه ، (ولم ينتفع به ، وأعرض عنه ، وخاطب٣٧٣المؤمنين بقوله : " يا عبادي " وأتم الكلام معه ذكر معه) ما يكون إرشاداً للمشرك بحيث يسمعه وهذا طريق في غاية الحسن ، فإن السيد إذا كان له عبدان أو الوالد إذا كان ولدان ، وأحدهما رشيد ، والآخر مفسد ينصح أولاً المفسد فإن لم يسمع يلتفت إلى الرشيد ويعرض عن المفسد ، ويقول : إن هذا لا يستحق الخطاب فاسمع أنت ولا يكن منك هذا المفسد فيتضمن هذا الكلام نصيحة الرشيد ، وزجر المفسد ، فإن قوله هذا لا يستحق الخطاب الموجب نكاية في قلبه ، ثم إذا ذكر مع المصلح في أثناء الكلام والمفسد يسمعه إنَ هذا أخاك العجب منه أنه يعلم قبح فعله ويعرف فيه الفساد من الصلاح ، وسبيل الرشاد والفلاح ويشتغل بضده يكون هذا الكلام أيضاً داعياً إلى الرشاد ومانعاً له من الفساد فكذلك قال الله للؤمِنِ العجب منهم إنهم إن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولون الله ثم لا يُؤْمِنُونَ. فصل ذرك في السماوات والأرض الخلق ، وفي الشمس والقمر التسخير ، لأن مجرد خلق الشمس والقمر ليس حكمة فإن الشمس لو كانت مخلوقةً بحيث تكون في موضع واحد لا تتحرك ما حصل الليل ولا النهار ، ولا الصيف ولا الشتاء فإذن الحكمة في تحريكهما (وتسخيرهما). واعلم أن في لفظ التسخير دون التحريك فائدة وهي أن التحريك يدل على مجرد الحركة ، وليست مجرد الحركة كافية ؛ لأنها لو كانت تتحرك مثل حركتنا لما كانت تقطع الفلك في أُلُوف من السنين ، فالحكمة في تسخيرها تحريكها في قدر ما ينتقل الإنسان آلافاً من الفراسخ ، ثم لم يجعل لها حركةً واحدة ، بل حركات. إحداها : حركة من المشرق إلى المغرب في كل يوم وليلة مرة ، والأخرى : حركتها من المغرب إلى المشرق ويدل عليها أن الهلال يرى في جانب (المغرب) على بعد مخصوص من الشمس ثم يبعد منها غلى جانب المشرق حتى يُرى القمر في نصف الشهر في مقابلة الشَّمْس ، والشمس على أفق المغرب ، والقمر على أفق المشرق وأيضاً حركة الأوج ، وحركة المائل والتدوير في القمر ، ولا الحركة التي من المغرب إلى المشرق لما حصلت الفصول. واعلم أن أصحاب الهيئة قالوا : الشمس مركوزة في الفلك ، والفلك يديرها بدَوَران. وأنكره المفسرون الظَّاهِرِيُّونَ. واعلم أنه لا بعد في ذلك (إن) لم يقولوا٣٧٤." [١]

"عن أبي هريرة قال يا رسول الله أي الصدقة أفضل قال جهد المقل بضم الجيم ويفتح قال الطيبي الجهد بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل هما لغتان أي أفضل الصدقة ما يحتمله حال القليل المال والجمع بينه وبين ما تقدم أن الفضيلة

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٠٥٧

تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين اه وقيل المراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني وقال ابن الملك أي أفضل الصدقة ما قدر عليه الفقير الصابر على الجوع أن يعطيه والمراد بالغني في قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غني من لا يصبر على الجوع والشدة توفيقا بينهما فمن يصبر فالإعطاء في حقه أفضل ومن لا يصبر فالأفضل في حقه أن يمسك قوته ثم يتصدق بما فضل اه وحاصل ما ذكروه أن تصدق الفقير الغني القلب ولو كان قليلا أفضل من تصدق الغني بكثرة المال ولو كان كثيرا فهو من أدلة أفضلية الفقير الصابر على الغني الشاكر وإن عبادة الأول مع قلتها أفضل من الثاني مع كثرتها فكيف بتساويهما ويحتمل أن يكون المراد من الحديث ما ورد في حديث مرفوعا سبق درهم مائة ألف درهم رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها رواه النسائي عن أبي ذر وهو والحاكم وابن حبان عن أبي هريرة على ما في الجامع الصغير للسيوطي وابدأ أي أيهما المتصدق أو المقل بمن تعول رواه أبو داود وعن سليمان بن عامر كذا في النسخ مصغرا وقال ميرك صوابه سلمان مكبرا بلا ياء وسليمان سهو من الكتاب أو من صاحب الكتاب والله أعلم بالصواب انتهى وقال المؤلف في أسماء رجاله هو سلمان بن عامر الضبي عداده في البصريين قال بعض العلماء." (١)

"حكم السلام على المعشوقQ هل للعاشق أن يترك السلام على المعشوق لأنه يتأثر بذلك، وهل يدخل هذا في الهجر الوقائي؟A عليه أن يتوب إلى الله عز وجل من هذا الشر ومن هذا البلاء الذي هو فيه، وأن يتقي الله عز وجل، ولا يعشق هذا العشق المحرم الذي سببه ضعف الإيمان وضعف اليقين، فعليه أن يتقي الله عز جل، ولا يحرص على الاتصال بهذا الشخص، ولكنه عندما يلقاه يسلم عليه، وأما إذا كانت نفسه فيها شر، ثم بعد ذلك يتابعه أو يحرص على الاتصال به فلا يجوز، بل عليه أن يحرص على الابتعاد عنه.." (٢)

"الدرس الرابع والأربعون:كيف تكون واثقا بالله تعالى وحده- بأنْ يكونَ العبدُ بما في يد الله أوثقَ منه بما في يد نفسه، وهذا ينشأ مِنْ صحَّة اليقين وقوَّته، فإنَّ الله ضَمِن أرزاقَ عباده، وتكفَّل بها، كما قال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا﴾، وقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾.وقال: ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ﴾.- إضاءات وتنبيهات:- قال الحسن: إنَّ مِنْ ضعف يقينك أنْ تكونَ بما في يدك أوثقَ منك بما في يد الله - عز وجل -.- قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنَّ أرجى ما أكون للرزق إذا قالوا: ليس في البيت دقيق.- وقال مسروقٌ: إنَّ أحسن ما أكون ظناً -بالله- حين يقول الخادم: ليس في البيت قفيزٌ من قمحٍ ولا درهمٌ.- وقال الإمامُ أحمد: أسرُّ أيامي إليَّ يوم أُصْبِحُ وليس عندي شيء.- وقيل لأبي حازم الزاهد: ما مالُك؟ قال: لي مالان لا أخشى معهما الفقر: الثِّقةُ بالله، واليأسُ ممَّا في أيدي الناس.- وقيل له: أما تخافُ الفقر؟ فقال: أنا أخاف الفقر ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى؟!- تعليق: فهذا هو حال السلف عند الضيق والفقر والبلاء لأنهم يحسنون الظن بالله، وأما حالنا فنحن إذا ابتلينا أو أصابتنا المصائب أسأنا الظن بربنا، وهذا دليل على ضعف اليقين وانعدام الثقة بالله سبحانه وكل مصائبنا من وراء ذلك

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ٢٢٨/٦

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، عبد المحسن العباد ٤٢/٥٥٩

كما قال تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾- قال السعدي: الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. ﴿أَرْدَاكُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم.- من علامات الثقة بالله:- قال ابن رجب: فمن حقق اليقين:- وثق بالله في أموره كلها، ورضي بتدبيره له.- وانقطع عن التعلُّق بالمخلوقين رجاءً وخوفاً.." (١)

"أصل الخذلانثم قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأصل ذلك عدم الرغبة والرهبة].أي: كأن الستة الأمور التي ذكرناها هي الفروع، وهنا الأصل، فالأصل في العبادة أن يكون عند المؤمن رغبة ورهبة، أي: خوف ورجاء، ويكونان له كالجناحين للطائر، مثل سيدنا عمر عندما قال: لو نادى مناد: كل الناس في الجنة إلا واحدا، لخشيت أن أكون هذا الواحد، ولو نادى مناد: كل الناس في النار إلا واحدا، لرجوت من الله أن أكون هذا الواحد.إذا: مسألة الخوف والرجاء مهمة جدا، لكن بلا خوف يوصل إلى القنوط، ولا رجاء يوصل إلى الأمن والأمان، ولكن نخاف أحيانا ونرجو أحيانا.ولذلك الحديث عن الرجاء يكون للمذنبين، والحديث عن الخوف يكون للمؤمنين الذين سلكوا الطريق؛ لأن الذي سلك الطريق الصحيح مضمون، فنحدثه عن الخوف من الله، مثل الذي يحب ابنه والابن مطيع، فيبدأ يبعثه إلى مهمات حتى يعلمه، وأما الابن صاحب اللسان البذيء، فلا يهتم به، وسيحرجه أمام إخوانه.ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأصله ضعف اليقين].واليقين هو القرب من الله عز وجل.ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأصله ضعف البصيرة].أي: أصل اليقين ضعف البصيرة، وهذا من قوله تعالى: ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ [الحج:٤٦].ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: [وأصله مهانة النفس ودناءتها].أي: النفس التي تتمسك بالدنيا.ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: [واستبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير].أي: أنها راضية بالدنيا مع أن الآخرة كما قال تعالى: ﴿والآخرة خير وأبقى﴾ [الأعلى:١٧].." (٢)

"والإعراض عن كل محبوب سواه.وكل من أحب الله أنس به، ومن أحب غير الله عذب به.وحاجات القلوب في الدنيا إلى التوحيد والإيمان أعظم من حاجة الأبدان للطعام والشراب، بل لا نسبة بينهما.وكل نقص خارجي في العمل سببه نقص الإيمان داخل القلب، لذلك فالذي لا يسلم نفسه لله داخل الصلاة، لا يستطيع أن يسلمها لله خارج الصلاة.والقلب إذا زاد نوره ينيب إلى الله، ويحب الطاعات، ويكره المعاصي، وبالإيمان بالله، وامتثال أوامره في كل حال يزداد نور القلب، وبالكفر والمعاصي يزيد ظلام القلب، فيحب المعاصي، ويكره الطاعات.والذوق يولد الشوق، فمن ذاق طعم الإيمان اشتاق إلى تكميل الإيمان والأعمال الصالحة، وتلذذ بعبادة الله، وظهرت شعب الإيمان في حياته، وتعلقت روحه بحياة الملأ الأعلى، فأحبه الله، وأحبه من في السماء، وجعل الله له القبول في الارض.إن فقه القلوب هو الأصل الذي يقوم عليه فقه الجوارح، وفقه الجوارح بالنسبة لفقه القلوب كالذرة بالنسبة للجبل، وإن كان كلاهما مهما، وكل واحد يكمل الآخر، فلا قبول لأي عمل إلا باجتماعهما.إلا أن فقه القلوب وهو التوحيد والإيمان وشعبه لم يجمع في كتاب شامل مستقل، بينما فقه الجوارح

---

(١) دروس تربوية من الأحاديث النبوية، خالد الحسينان ص/٧٢

(٢) شرح كتاب الفوائد، عمر عبد الكافي ١٥/٢٠

امتلأت به بطون الكتب ولله الحمد، فتعلم أكثر الناس الأحكام، ولكنهم قعدوا عن الأعمال بسبب ضعف الإيمان في القلوب، فكثر الجدل والخلاف، وقل العمل والإخلاص، وضعف اليقين.وسبب ذلك الجهل بفقه القلوب من التوحيد والإيمان .. والعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله .. وعظمة خزائنه .. والعلم بوعده ووعيده .. وثوابه وعقابه.وهذه الموسوعة محاولة لسد هذا النقص، ورفع لذلك الجهل، وتكميل لذلك الفقه.." (١)

"المجيبومن أسمائه الحسنى عز وجل: المجيب.قال الله تعالى: ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب (٦١)﴾ [هود: ٦١].وقال الله تعالى: ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض أإله مع الله قليلا ما تذكرون (٦٢)﴾ [النمل: ٦٢].الله تبارك وتعالى هو القريب ممن دعاه، دعاء مسألة أو دعاء عبادة، يجيبه بإعطائه سؤاله، وقبول عبادته، ويثيبه عليها أجل الثواب وأعظمه.وهذا قرب خاص من عابديه المؤمنين به، وهو يقتضي لطفه بأوليائه، وإجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم، ولهذا يقرن باسمه القريب اسمه المجيب.فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع منه مانع من إجابة الدعاء كأكل الحرام وضعف اليقين ونحوهما، فإن الله قد وعده بالإجابة، خاصة إذا جاء بأسباب الإجابة، وهي الاستجابة لله تعالى، والإيمان به الموجب للاستجابة كما قال سبحانه: ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون (١٨٦)﴾ [البقرة: ١٨٦].فالله سميع قريب مجيب، يسمع دعاء الخلق، ويجيب دعاءهم.وهل يجيب المضطر الذي أقلقته الكروب، وتعسر عليه المطلوب، واضطر للخلاص مما هو فيه إلا الله وحده؟.وهل يكشف السوء والشر والبلاء إلا الله وحده؟.." (٢)

"ناقصة .. والله قوته مطلقة وغيره قوته محدودة .. والله قوته أبدية لا تزول وغيره قوته حادثة تزول.والله غني وغيره فقير مهما ملك .. والله غناه كامل وغيره غناه ناقص .. والله غناه مطلق وغيره غناه محدود .. والله غناه أبدي لا يزول وغيره غناه يزول .. وهكذا في بقية الأسماء والصفات.وبهذا النفي والإثبات يقوى الإيمان، ويزيد اليقين على الله وأسمائه وصفاته، والتوكل عليه وحده، والتوجه إليه وحده، ويضعف اليقين على المخلوق العاجز المقهور.والله تبارك وتعالى واحد لا شريك له، وليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في أسمائه وصفاته وأفعاله.والله سبحانه موصوف في القرآن بالنفي والإثبات، إثبات ما يليق به من الأسماء والصفات، ونفي ما لا يليق به سبحانه، ووصفه بالإثبات أكثر.فالإثبات: كإخباره بأنه سبحانه بكل شيء عليم، وأنه على كل شيء قدير، وأنه بكل شيء محيط، وأنه سميع بصير، وأنه رؤوف رحيم، ونحو ذلك.والنفي: كإخباره سبحانه بأنه لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعزب عنه شيء، ولا يعجزه شيء، وليس كمثله شيء، وأنه لا تدركه الأبصار، وأنه لا يمسه لغوب ونحو ذلك.وصفات الله أوسع من أسمائه، وأفعاله أوسع من صفاته، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالا لم يتسم منها باسم الفاعل كأراد وشاء وأحدث، ولم يسم نفسه بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يسم نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق أفعالها على نفسه، وقد أخطأ من اشتق له من كل فعل

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٦

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١/٣٠٦

اسما له، فسماه الماكر والمخادع والفاتن والكائد.وكل اسم منقسم إلى كامل وناقص لا يدخل اسمه في أسمائه الحسنى كالشائي والمريد والمتكلم، فهو وإن كانت له الإرادة والمشيءة والكلام، لكنه لا يسمى." (١)

"فلذلك جروا المسلمين إلى يقينهم ليكونوا وراءهم ولا يسبقونهم.والله عز وجل أطلع إبراهيم – صلى الله عليه وسلم – على ما في ملكوت السموات والأرض من المخلوقات، فلما علم أنه ليس بيدها شيء، وأن أمرها بيد الله وحده، صرف وجهه عن هذه الأشياء إلى خالق هذه الأشياء، وتوكل عليه وحده في جميع أموره فقال: ﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين (٧٩)﴾ [الأنعام: ٧٩].وبهذا اليقين العظيم واجه الباطل، وأنجاه الله من ظلم الطغاة، فلما ألقوه في النار، أنجاه الله من النار، وانتصر التوحيد على الشرك.وكثير من الناس يقينه في الظاهر على الله، وفي الباطن على الأموال والأشخاص والأشياء، وهذا ليس بصحيح، فإن قاضي الحاجات واحد لا شريك له، وإن كان الله يقضي ببعض الأسباب حاجات بعض الناس امتحانا وابتلاء، فالأسباب يبتلي بها المسلم، ويطمئن بها الكافر.فالمؤمن يقينه على الله وحده، والكافر يقينه على الأسباب وحدها.وكلما دخل حب الدنيا في القلب ضعف اليقين، ثم ضعف الإيمان، ثم ضعفت العبادة، ثم ضعف امتثال أوامر الله في جميع شعب الحياة، ثم جاء غضب الله وسخطه، ثم حلت العقوبات بالأمة.وكلما استعملت الأمة النفس والمال والوقت على مراد النفس لا على مراد الله جاءت العقوبات والمصائب في الدنيا والآخرة كما قال سبحانه: ﴿قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى (١٢٣) ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى (١٢٤)﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].وثمرة الإيمان بالله وإخلاص العمل له حصول اليقين على ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله وخزائنه ووعده ووعيده، وعدم الالتفات إلى ما سواه.وبكمال الإيمان، وكمال اليقين، وكمال التقوى تحصل الخيرات .. وتنزل." (٢)

"والمشركون الذين وصفهم الله ورسوله بالشرك أصلهم صنفان:قوم نوح .. وقوم إبراهيم.فقوم نوح كان أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين، ثم صوروا تماثيلهم، ثم دعوا الله عندها، ثم عبدوها من دون الله.وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر.وكل هؤلاء إنما يعبدون الجن، فإن الشياطين تخاطبهم وتعينهم على أشياء، وتتصور لهم بصور الآدميين، فيرونهم بأعينهم.والجن كالإنس فيهم المؤمن والكافر، والمطيع والعاصي، والمنافق والفاسق. والشياطين من الجن يوالون وينفعون من يفعل ما يحبونه من الشرك والفسوق والعصيان من الآدميين: ﴿ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون (٤٠) قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون (٤١)﴾ [سبأ: ٤٠، ٤١].فنوح – صلى الله عليه وسلم – أول من غير الشرك الأرضي، وهو عبادة أهل الأرض للأصنام، وإبراهيم – صلى الله عليه وسلم – أول من غير الشرك السماوي، وهو عبادة قومه للكواكب والنجوم.وكلما ضعف الإيمان ضعف اليقين على الله، ثم حصل الشرك، فيبعث الله نبيا يرد الناس إلى عبادة الله وحده لا شريك له، حتى ختمهم ببعثة محمد – صلى الله عليه وسلم – إلى جميع أهل الأرض إلى يوم القيامة بالإسلام الذي يقوم على أصلين:شهادة أن لا إله

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٩١/١

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٧٩٥/١

إلا الله ... وشهادة أن محمدا رسول الله.ومعناها: عبادة الله وحده لا شريك له، على طريقة رسوله – صلى الله عليه وسلم –، في كل شأن من شئون الحياة، وامتثال أوامره سبحانه في جميع الأحوال، وتحقيق العبودية لله في كل أمر:في العبادات .. والمعاملات .. والمعاشرات .. والأخلاق.فعبادة الأصنام لا تعني فقط الصور الساذجة التي كان يزاولها العرب في." (١)

"فإن تولاه الله لم يظفر به عدوه، وإن خذله وأعرض عنه افترسه الشيطان كما يفترس الذئب الشاة: ﴿إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون (١٦٠)﴾ [آل عمران: ١٦٠].لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث، أصلح لنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، ولا لأحد من خلقك طرفة عين.ولضعف الإيمان، وضعف اليقين على الأعمال الصالحة، غير أكثر المسلمين مكان الاجتماع، وغيروا موضوع الاجتماع، وغيروا أعمال الاجتماع.فالنبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه كان المسجد مكان اجتماعهم، وموضوع الاجتماع الدعوة إلى الله، والجهاد في سبيل الله، وتعلم الدين، ومواساة الفقراء، واستقبال الضيوف، وتعلم القرآن والذكر والعبادة ونحو ذلك.وكان الاجتماع في المسجد لجميع المسلمين أغنياء وفقراء، وسائر الطبقات وأعمال الاجتماع إقامة الدين في أنحاء الأرض، وخروج الناس للدعوة إلى الله، وتعليم الناس أحكام دينهم، وقراءة القرآن، والعمل به، والخروج للجهاد في سبيل الله ونحو ذلك.واليوم تغيرت الأحوال:فتغير مكان الاجتماع، فأصعب شيء على المسلم اليوم هو الاجتماع في المسجد، وصار الاجتماع في غير المسجد سهلا، بل لذيذا ومحبوبا، كالاجتماع في الفنادق والحدائق، والمطاعم والأسواق، والملاعب وأماكن الترفيه، فضلا عن أماكن اللهو والفساد.وتغير موضوع الاجتماع فصار كله للدنيا، وأقيمت الدنيا بأركانها الخمسة على حساب الآخرة.وأركان الدنيا الخمسة بينها الله بقوله سبحانه: ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة." (٢)

"فسبحان مسبب الأسباب، الفعال لما يريد، الذي لا تتحرك ذرة إلا بإذنه.فالتوكل هو اعتماد القلب على الوكيل، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء يحبها ويطمئن إليها كالشفقة والقوة، والمعرفة والغنى، والهداية والأمانة، وحسن التدبير، وحسن الخلق.وإذا عرفت هذا فقس عليه التوكل على الله سبحانه، وإذا ثبت في نفسك أنه لا فاعل سواه، واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة، واسع الرحمة، عظيم الحلم، جزيل العطاء، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه من الوجوه.وإذا لم يجد العبد هذه الحالة في نفسه فذلك إما لضعف اليقين بإحدى هذه الخصال، وإما لضعف القلب باستيلاء الجبن عليه.فلا يتم التوكل إلا بقوة القلب، وقوة اليقين جميعا.وليس معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالعقل والقلب، والسقوط على الأرض، فهذا فعل الجهال، وهو محرم في الشرع.وقد أثنى الله سبحانه على المتوكلين وأعلن محبته لهم.وإنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه إلى مقاصده.وسعي العبد إما أن يكون لجلب نفع مفقود كالكسب .. أو لحفظ موجود كالادخار

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١١٧٧/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٢٢٠/٢

.. أو لدفع ضرر لم ينزل كدفع الصائل .. أو لإزالة ضرر قد نزل كالتداوي من المرض.فحركات العبد لا تعدو هذه الأربعة.فالأول: جلب المنافع، وتجلب إما بأسباب مقطوع بها كالأسباب التي أمر الله بها شرعا وجعلها سببا كأن يكون الطعام بين يديك وأنت جائع فلا تمد يدك إليه، وتقول أنا متوكل، وشرط التوكل ترك السعي، فهذا جنون وسفه محض، ليس من التوكل في شيء.." (١)

"[غافر: ٦٠].ويمنع إجابة الدعاء أمور منها:أكل الحرام .. الاعتداء في الدعاء .. غفلة القلب .. وضعف اليقين .. واللبس الحرام .. وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. والظلم.فإذا دعونا دعاء الأنبياء، وكانت حياتنا حياة أعداء الأنبياء، أو جهدنا جهد أعداء الأنبياء، فأنى يستجاب لنا أو يقبل دعاؤنا؟.وأفضل الدعاء وأعظمه وأحسنه طلب الهداية من الله، ولذلك شرع الله لنا تكرار طلبه في كل صلاة عدة مرات كما قال سبحانه: ﴿اهدنا الصراط المستقيم (٦)﴾ [الفاتحة: ٦].وأفضل الدعاء دعاء الأنبياء والرسل، وكله ليس فيه طلب لعرض من أعراض هذه الأرض، إنه دعاء يتجه إلى آفاق أعلى، تحركه مشاعر أصفى، لطلب العلم النافع، والعمل الصالح، والفوز بالجنة والرضوان.إنه دعاء القلب الذي عرف الله وعرف ما عنده فأصبح يحتقر ما عداه كما قال إبراهيم - صلى الله عليه وسلم -: ﴿رب هب لي حكما وألحقني بالصالحين (٨٣) واجعل لي لسان صدق في الآخرين (٨٤) واجعلني من ورثة جنة النعيم (٨٥) واغفر لأبي إنه كان من الضالين (٨٦) ولا تخزني يوم يبعثون (٨٧) يوم لا ينفع مال ولا بنون (٨٨) إلا من أتى الله بقلب سليم (٨٩)﴾ [الشعراء: ٨٣ - ٨٩].وفي مقام آخر: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم (١٢٧) ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم (١٢٨)﴾ [البقرة: ١٢٧، ١٢٨].والله تبارك وتعالى خلق الناس فقراء كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد (١٥)﴾ [فاطر: ١٥].فالخلق كلهم فقراء إلى الله من جميع الوجوه:فقراء إلى الله في خلقهم، فلولا خلقه لهم لم يوجدوا.." (٢)

"وسبب تخلف النفس عن طلب هذه الحياة الباقية، وتعلقها بالحياة الفانية أمور:الأول: ضعف الإيمان بالله، وضعف اليقين على وعد الله ووعيده، فالإيمان هو روح الأعمال، وهو الباعث عليها، والآمر بأحسنها، والناهي عن أقبحها.وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه، وتكون طاعة صاحبه ومعصيته كما قال سبحانه: ﴿قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين (٩٣)﴾ [البقرة: ٩٣].الثاني: جثوم الغفلة على القلب:فإن الغفلة نوم القلب، ولهذا نجد بعض الناس أيقاظا في الحس، نياما في الواقع، فتحسبهم أيقاظا وهم رقود، ضد حال من يكون يقظان القلب وهو نائم.فالقلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن.وكمال هذه الحياة كان لنبينا - صلى الله عليه وسلم -، الذي تنام عيناه وقلبه يقظان، ولمن أحيا الله قلبه بمحبته واتباع رسالته.فالغفلة واليقظة يكونان في الحس والعقل والقلب، فمستيقظ القلب وغافله كمستيقظ البدن ونائمه.والمقصود أن الغفلة هي نوم القلب عن طلب هذه الحياة التي لا خطر لها، وهي حجاب عليه، فإن كشف

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ١٨٦١/٢

(٢) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٢٨٤٣/٣

هذا الحجاب بالذكر، والا تكاثف حتى يصير حجاب معاص وذنوب صغار تبعده عن الله.فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتى يصير حجاب كبائر توجب مقت الرب تعالى له وغضبه ولعنته.فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتى يصير حجاب بدع عملية يعذب فيها نفسه، ثم بدع قولية اعتقادية تتضمن الكذب على الله ورسوله.فإن بادر إلى كشفه وإلا تكاثف حتى صار حجاب شك وتكذيب يقدح في أصول الإيمان، ثم يتمكن منه الشيطان وبعده ويمنيه، وتستولي عليه النفس الأمارة بالسوء، ويظفر سلطان الطبع والشهوات بسلطان الإيمان والأعمال.." (١)

"يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿يَخُوضُوا﴾ [النساء:١٤٠] يَتَحَدَّثُوا حَدِيثًا غَيْرَهُ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا. وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ﴾ [النساء:١٤٠] يَعْنِي: وَقَدْ نُزِّلَ عَلَيْكُمْ أَنَّكُمْ إِنْ جَالَسْتُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِآيَاتِ اللَّهِ ، وَيَسْتَهْزِئُ بِهَا وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ فَأَنْتُمْ مِثْلُهُ ، يَعْنِي: فَأَنْتُمْ إِنْ لَمْ تَقُومُوا عَنْهُمْ فِي تِلْكَ الْحَالِ مَثَلُهُمْ فِي فِعْلِهِمْ ، لِأَنَّكُمْ قَدْ عَصَيْتُمُ اللَّهَ بِجُلُوسِكُمْ مَعَهُمْ ، وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا ، كَمَا عَصَوْهُ بِاسْتِهْزَائِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ ، فَقَدْ أَتَيْتُمْ مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ نَحْوَ الَّذِي أَتَوْهُ مِنْهَا ، فَأَنْتُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ فِي رُكُوبِكُمْ مَعْصِيَةَ اللَّهِ ، وَإِتْيَانِكُمْ مَا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ.وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ عَلَى النَّهْيِ عَنْ مُجَالَسَةِ أَهْلِ الْبَاطِلِ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ وَالْفَسَقَةِ عِنْدَ خَوْضِهِمْ فِي بَاطِلِهِمْ. وبِنَحْوِ ذَلِكَ كَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأُمَّةِ الْمَاضِيَةِ يَقُولُونَ تَأَوُّلًا مِنْهُمْ هَذِهِ الْآيَةِ ، إِنَّهُ مُرَادٌ بِهَا النَّهْيُ عَنْ مُشَاهَدَةِ كُلِّ بَاطِلٍ عِنْدَ خَوْضِ أَهْلِهِ فِيهِ" (رَحِمَهُ اللَّهُ١)البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟وهذا هو الواقع من أحوال المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عمّا وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون.والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين، وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.رَحِمَهُ اللَّهُ______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) – تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٧/ ٦٠١)." (٢)

"شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴿البقرة:٢١٦﴾، فعلى المؤمن أن يصبر ويرضى بأمر الله تعالى، وأن يُبصر الرحمة من خلال البلاء، فقد قال صلى الله عليه وسلم: إن عظم الجزاء من عظم البلاء، وإن الله تعالى إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط. رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه وحسنه الألباني.واعلم أخي أن وعود الله متحققة لا محالة لمن أقام شرطها قال تعالى (وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ) (التوبة: من الآية١١١) وقال أيضاً "وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ" (الرعد: من الآية٣١) فعلى المسلم أن يُحسن الظن بربه وخاصة تجاه وعوده الكريمة ولماذا نسيء

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣٤١١/٤

(٢) مفهوم الولاء والبراء في القرآن والسنة، علي بن نايف الشحود ص/٢٧٨

الظن بربنا وقد علمنا أنه لا يُخلف وعده ولِمَ نتشاءم، والله تعالى يقول: "أنا عند ظن عبدي بي" فمن أحسن الظن به أعانه وبلغه مُراده، ومن أساء بالله الظن لن يعطيه الله تعالى إلا ظنه، وقد استوجب مسيئو الظن بالله غضبه ولعنته قال الله تعالى: "الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً" (الفتح: من الآية٦).وإن من أسماء الله تعالى البر الرحيم الودود العزيز اللطيف وغيرها من الأسماء الحسنى، فربٌ هذه أسماؤه وتلك صفاته يُظن به ظن السوء؟ والله ما قدرنا الله حق قدره، وما عرفناه حق معرفته، فالمتأمل في الأسماء الحسنى للخالق تعالى لن يجد بُداً من التفاؤل وحسن الظن به والثقة بما عنده من الخير والعطاء الجزيل.وحسن الظن بالله من العبادات الجليلة، والطاعات القلبية العظيمة التي تدل على حب العبد لربه وتصديقه بوعده وقد قال تعالى: ﴿وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج/٤٧]. والسبب الكبير في ضعف اليقين تجاه الوعود الربانية، هو: التعلق بالدنيا، والركون إليها، ولهذا فإنك لو تأملتَ لوجدت أن أضعف الناس يقيناً بموعود الله هم أهل الدنيا، الراكنين إليها، وأقواهم يقيناً هم العلماء الربانيون، وأهل الآخرة، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه. قال تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧]ولا يُشكل على هذا ما يمر على القارئ من آيات قد يُفهم منها أن فيها نوعاً من التردد في تصديق وعد الله، أو الشك في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وكقوله عز وجل: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، فإن هذه الآيات إنما تحكي حالةً عارضة تمر بالإنسان. بسبب ضعفه حيناً، وبسبب استعجاله أحياناً. وليست حالةً دائمةً، وإذا كان الشك في موعود الله لا يصح أن ينسب إلى آحاد المؤمنين، فهو من الأنبياء والمرسلين أبعد وأبعد، ولكن. ولحكمة بالغة. جاءت هذه الآيات لتطمئن المؤمنين من هذه الأمة أن حالات." (١)

"الذي جعل أيوب –عليه السلام– يصبر كل هذه المدة إنه الاعتصام بالله وحسن الظن بالله عز وجل، فلبى الله نداءه واستجاب دعوته. قال تعالى: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ (٨٤) – (ﷺ١). قال ابن عباس رضي الله عنهما: ورُدَّ عليه ماله وولده عيانًا ومثلهم معهم، وقال وهب بن منبه: أوحى الله إلى أيوب: قد رددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم، فاغتسل بهذا الماء، فإن فيه شفاءك. (ﷺ٢)فلما كان اعتصامه بالله كبيرًا كان عطاؤه عظيمًا٧ – الاعتصام بالله عند موسى –عليه السلام–:واعتصم بالله نبي الله وكليمه موسى –عليه السلام– لما خرج فرعون في جحفل عظيم وجمع كبير من الأمراء والوزراء والكبراء والرؤساء والجنود خلف موسى –عليه السلام– وقومه من بني إسرائيل ؟ ولما رأي كل من الفريقين صاحبه فعند ذلك فزع أصحاب موسى –عليه السلام– ودبَّ الوهن في قلوبهم وضعُفَ يقينهم بالله جل وعلا، فقد قالوا كما قال تعالى: قال أصحاب موسى إنا لمدركون

(١) معالم الطريق إلى الله، أبو فيصل البدراني ص/٧٦

(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) – فلقد صار أمامهم البحر، وفرعون قد أدركهم بجنوده أي لهالكون لا محالة، فالبحر من أمامنا والعدو خلفنا، ولكن نبي الله موسى –عليه السلام– كان اعتصامه بربه عظيما وثقته بمالكه جل وعلا كبيرا، فرد عليهم بجواب واحد قاطع كما قال تعالى: قال كلا إن معي ربي سيهدين (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) – أي لا يصل إليكم شئ مما تحذرون، فإن الله هو الذي أمرني أن أسيرها هُنا بكم وهو لا يخلف الميعاد؟وأمر الله نبيه موسى –عليه السلام– بأن يضرب البحر بعصاه، فانفلق البحر باثني عشر طريقا بأمر الله جل وعلا قال تعالى:فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) – (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) ؟رَحِمَهُ اللَّهُ______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) سورة الأنبياء؟(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ابن كثير –٥/ ٢٢٣٣.(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) سورة الشعراء –٦١.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) سورة الشعراء –٦٢.(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) سورة الشعراء –٦٣.." (١)

"الحزن على المفقودالسبب الثاني الحزن على المفقود: ولو أنا إذا متنا تركنا لكان الموت غاية كل حي ولكنا إذا متنا بعثنا لنسأل بعدها عن كل شي الكارثة أن الدنيا ليست النهاية، فالإنسان منا يحزن بعد الفرح، فعندما يفقد العافية يحزن، فإذا حزن فهو ضعيف الإيمان؛ لأن الحزن على المفقود دليل ضعف اليقين عند العبد، فلا تحزن إلا إذا رأيت نفسك بعيدا عن الله، ويكون ذلك بأن تعصيك جوارحك فلا تستطيع أن تسيطر عليها، ولا أن تتحكم فيها، فعيناك مثل برج المراقبة، تتطلعان في الذاهب والآتي، والذاهبة والآتية، وأذناك تسمعان الفكاهات والأغاني والموسيقى، والغيبة والنميمة، والكلام السيئ، والخوض في أعراض الناس، ولسانك يخوض في الأعراض، ويسب ويلعن، وقلبك لست قادرا على أن تسيطر عليه من الحسد والكبر والحقد والضغينة، ويدك ليست قادرة على أن تتوب عن الاختلاس والرشوة، والامتداد إلى ما حرم الله، ومصافحة النساء، ورجلك لا تقدر أن تقصرها عن الذهاب إلى أماكن اللهو واللعب وأماكن البعد عن الله سبحانه وتعالى، يعني: تخيل الناس الذين يقعدون في الأستاد ينفعلون مع الكرة، تجده يأتي منفعلا، ويذهب منفعلا، ويضرب على دماغه، وربما تأتي له سكتة قلبية، ولو مات في الأستاد فإنه يسمى: شهيد الكرة، فأين يذهب من الله؟! سوف يبعث يوم القيامة يحيي، يحيي من؟! ويهتف لمن؟! لذلك عرفنا التقوى في كلمة: وهي ألا يجدك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك، مثاله: روى الترمذي في سننه عن ابن عمر رضي الله عنهما عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله عز وجل له ثلاثمائة نظرة إلى العبد المؤمن كل يوم، ومن نظر الله إليه نظرة فلن يعذبه يوم القيامة، إلا صاحب الشاة)، وصاحب الشاة هو الذي يلعب الشطرنج، سبحان الله! تخيل رجلا يظل يلعب: كش ملك كش ملك، لمدة ثلاث أو أربع أو خمس ساعات في اليوم، يقول لك: هي تنمي الذكاء، لا إله إلا الله! لا تضيع وقتك في ما لا يرضي الله؛ ولذلك: (لاعب الشطرنج كمن يأكل لحم الخنزير والناظر إليه كالغامس يده في دم الخنزير) هذا كلام الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم.وهناك مصيبة ثانية وهي لعب النرد، والنرد حرام، فربنا سبحانه وتعالى عندما ينظر إلي نظرة وأنا جالس ألعب شطرنج وألعب النرد وأعصي الله، وجالس أمام التلفاز أخوض في أعراض الناس، وأتحدث عن هذا، وأخوض في عرض هذا، فكيف تكون النظرة؟! إن الله

---

(١) الاعتصام بالله سبيل النجاة، أنور بن أهل الله ص/١٣

عز وجل خبأ رضاه في طاعته، وخبأ سخطه في معصيته، فربما في لحظة من لحظات الطاعة ينظر إليك الله نظرة، فيقول: إني قد رضيت عنه فلن أسخط عليه بعد ذلك، فتحصل لك السعادة في الدارين، اللهم اجعلنا منهم يا رب!." (١)

"اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْخَوْفَ الذي كان رفع عنهم، واتخذوا الحجر وَالشُّرَطَ وَغَيَّرُوا فَغَيَّرَ مَا بِهِمْ. (ﷺ١)وَفِي هَذِهِ الآيَةِ يَقُولُ تَعَالَى إِنَّهُ سَيَسْتَخْلِفُ المُؤْمِنِينَ فِي الأَرْضِ، كَمَا اسْتَخْلَفَ المُؤْمِنِينَ مِنْ قَبْلِهِم، وَسَيَكُونُ لَهُمُ الأَمْرُ. وَحَقُّ اللهِ عَلَى العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَمَنْ خَرَجَ بَعْدَ ذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَجَحَدَ نِعَمَهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ وَكَفَى بِذَلِكَ ذَنْباً عَظِيماً. (ﷺ٢)وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ (٦٠) سورة الرومبهذه الآية تختم السورة الكريمة، وهى تحمل إلى النبي الكريم دعوة من الله سبحانه وتعالى إلى الصبر على ما يلقى من قومه من مكاره، مستعينا على الصبر، واحتمال المكروه، بما وعده ربه من نصر لدين الله الذي يدعو إليه، ومن تمكن له وللمؤمنين معه في هذه الدنيا، ومغفرة من الله ورضوان فى الآخرة، هذا، إلى ما يلقى هؤلاء المشركون الضالون من خزى وخذلان فى الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة.وفي قوله تعالى: «وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ» - إشارة لافتة إلى ما قد يرد على النبي- صلوات الله وسلامه عليه- من تلك الخواطر التي تساور بعض النفوس، من المؤمنين الذين اشتدت عليهم وطأة البلاء، وطال بهم الانتظار لملاقاة ما وعدهم الله من نصر، ففى ساعات الضيق والعسرة، قد يتسرب إلى بعض المؤمنين شىء من القلق، وربما شىء من الشك والريب، ذلك أن للنفس البشرية حدا من الاحتمال والصبر على المكاره، إذا بلغته زايلتها القدرة على الاحتمال، وآذنها الصبر بالرحيل، وعندئذ تنحلّ العزيمة، ويضعف اليقين، وتبرد حرارة الإيمان، وفي هذا يقول الله تعالى: «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْساءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتى نَصْرُ اللَّهِ؟» (٢١٤: البقرة) .. فهذه حالﷺ______________(ﷺ١) - تفسير ابن أبي حاتم - محققا (٨/ ٢٦٢٩) (١٤٧٧٢) حسن مرسل(ﷺ٢) - أيسر التفاسير لأسعد حومد (ص: ٢٧٢٨، بترقيم الشاملة آليا)." (٢)

"والسبب ضعف اليقين تجاه الوعود الربانية، هو: التعلق بالدنيا، والركون إليها، ولهذا فإنك لو تأملتَ لوجدت أن أضعف الناس يقيناً بموعود الله هم أهل الدنيا، الراكنين إليها، وأقواهم يقيناً هم العلماء الربانيون، وأهل الآخرة، جعلنا الله منهم بمنه وكرمه ، قال تعالى: ﴿الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣) فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ (٤) بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٥) وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٦) يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٦، ٧].ولا يُشكل على هذا ما يمر على القارئ من آيات قد يُفهم منها أن فيها نوعاً من مشروعية التردد في تصديق وعد الله، أو الشك في ذلك، كقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وكقوله عز وجل:

---

(١) الدار الآخرة - عمر عبد الكافي، عمر عبد الكافي ٤/٢٨

(٢) صدق الله العظيم وكذبت النبوءات، علي بن نايف الشحود ص/١٨

﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]، فإن هذه الآيات إنما تحكي حالةً عارضة تمر بالإنسان ـ بسبب ضعفه حيناً، وبسبب استعجاله أحياناً ـ وليست حالةً دائمةً، وإذا كان الشك في موعود الله لا يصح أن ينسب إلى آحاد المؤمنين، فهو من الأنبياء والمرسلين أبعد وأبعد، ولكن ـ ولحكمة بالغة ـ جاءت هذه الآيات لتطمئن المؤمنين من هذه الأمة أن حالات اليأس التي قد تعرض للعبد مجرد عرْض بسبب شدة وطأة أهل الباطل، أو تسلط الكفار، فإنها لا تؤثر على إيمانه، ولا تقدح في صدقه وتصديقه؛ ولهذا ـ والله تعالى أعلم ـ يأتي مثل هذا التثبيت في بعض الأحوال التي تعترض نفوس أهل الإيمان فترة نزول الوحي، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ... ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [إبراهيم: ٤٢، ٤٧].والمؤمن ليس من شأنه أن يقترح أجلاً لإهلاك الكفار، أو موعداً لنصرة الإسلام، أو غيرِ ذلك من الوعود التي يقرأها في النصوص الشرعية، ولكن من شأنه أن يسعى في نصرة دينه بما يستطيع، وأن لا يظل ينتظر مُضي السنن، فإن الله لم يتعبدنا بهذا ولا يغير ما بقوم حتى يُغيروا ما بأنفسهم، وعليه أن يفتش في مقدار تحققه بالشروط التي ربطت بها تلك الوعود، فإذا قرأ ـ مثلاً ـ قول الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧] فعليه هنا أن يفتش عن أسباب النصر التي أمر الله بها هل تحققت فيه فرداً أو في الأمة على سبيل المجموع؛ ليدرك الجواب على هذا السؤال: لماذا لا تنتصر الأمة على أعدائها؟!.." (١)

"مآل من التمس رضا الناس بسخط الله والعكسقال رحمه الله تعالى: [وفي الحديث: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، أو تذمهم على ما لم يؤتك الله) فإن اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله، وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا، لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك، إما ميل إلى ما في أيديهم من الدنيا، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديق بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، فإرضاؤهم بسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين.وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك، فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر، كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، لكن من حمده الله ورسوله فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم.ولما قال بعض وفد بني تميم: (يا محمد! أعطني، فإن حمدي زين وإن ذمي شين.قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ذاك الله عز وجل).وكتبت عائشة إلى معاوية رضي الله عنه، وروي أنها رفعته إلى النبي صلى الله عليه وسلم: (من أرضى الله بسخط الناس كفاه مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا) هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: (من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاما)، هذا لفظ المأثور عنها، وهذا من أعظم الفقه في الدين، والمرفوع أحق وأصدق، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد

---

(١) شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، أبو فيصل البدراني ص/٤٧

اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، وهو كاف عبده ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ [الطلاق:٢ – ٣]، فالله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب، وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك، لكن يرضون عنه إذا سلموا من الأغراض وإذا تبين لهم العاقبة، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا، كالظالم الذي يعض على يده يقول: ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا * يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلانا خليلا﴾ [الفرقان:٢٧ – ٢٨]، وأما كون حامده ينقلب ذاما، فهذا يقع كثيرا، ويحصل في العاقبة، فإن العاقبة للتقوى، لا يحصل ابتداء عند أهوائهم، وهو سبحانه أعلم].في الحقيقة يمكن إيجاز كلام الشيخ هنا: بأن من التمس رضا الناس بسخط الله فإن مآله وعاقبة أمره إلى الخسران، حتى وإن وجد بعض الفائدة من ذلك، لكن العاقبة لا تكون حميدة أبدا، سواء في الدنيا أو في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة فقط، وكذلك العكس، فمن التمس رضا الله بسخط الناس فلا بد أن تكون عاقبته حميدة، وقد لا يتأتى هذا عاجلا، وإنما يتأتى بالصبر، فالإنسان قد يرى أول الأمر شيئا من الإعراض من الناس إذا التمس رضا الله بسخطهم، وقد يجد شيئا من المضايقة، لكنه بالصبر لا بد أن تكون العاقبة له، إما في الدنيا والآخرة وهو الغالب، وإما في الآخرة فقط.فإذا العاقبة لا بد أن تكون لمن راعى حق الله عز وجل في ذلك، مع أنه بالتجربة والاستقراء نجد أن كل من صبر على أذى الناس والتمس رضا الله ولو بسخطهم، فإنه لا بد أن يجد العاقبة الحميدة في دنياه قبل آخرته، مع ما ادخره الله له في الآخرة، لكن ذلك مشروط بأمرين: صدق النية، وصدق الإخلاص مع الله عز وجل، والصبر على ما يصيبه من بلاء، وأكثر الناس قد لا يصبر، فلا تحصل له النتيجة التي يأملها؛ لأنه لم يتحقق عنده الشرط الذي ضمن الله به لمن فعل ذلك.." (١)

"الثاني: حفظ خاص وهو حفظه لأوليائه سوى ما تقدم عما يزلل إيمانهم ويضعف يقينهم وحفظهم عما يضرهم في دنيهم ودنياهم. هذا حفظ خاص وذاك حفظ عام.وورد اسمه تعالى الحفيظ في القرآن ثلاث مرات في قوله: ﴿إن ربي على كل شيء حفيظ﴾ [هود: ٥٧]. وقوله: ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ [سبأ: ٢١]. وقوله: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء الله حفيظ عليهم﴾ [الشورى: ٦]. وأثبت بعضهم الحافظ كما في هذه الآية التي معنا، وورد مرة واحدة فيها من صيغة الجمع، وحفيظ نعم الآية التي معنا (﴿فالله خير حافظا﴾) وأثبت بعضهم الحافظ كما في هذه الآية التي معنا، وورد مرة واحدة فيها، وفي صيغة الجمع مرتين، يعني: ورد الحافظ بصيغة الجمع مرتين، في قوله تعالى: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر: ٩]. جمع حافظ، وقوله: ﴿وكنا لهم حافظين﴾ [الأنبياء: ٨٢]. جمع حافظ. قال الخطابي: هو الحافظ فعيل بمعنى فاعل، كالقدير والعليم، يحفظ السماوات والأرض وما فيها لتبقى مدة بقائها فلا تزول ولا تدثر، كقوله عز وجل: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ [البقرة: ٢٥٥]. كما مر تفسيره، وقال: ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ [الصافات: ٧]. أي: حفظناها حفظا، والله أعلم، وهو الذي يحفظ عبده من المهالك والمعاطن، ويقيه مصارع السوء كقوله سبحانه: ﴿له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله﴾ [الرعد: ١١]. أي بأمره جل وعلا، ويحفظ على الخلق أعمالهم، ويحصي عليهم أقوالهم، يعلم نياتهم وما تكن صدورهم ولا تغيب عنه غائبة ولا تخفى عليه خافية، ويحفظ أولياءه

(١) شرح باب توحيد الألوهية من فتاوى ابن تيمية، ناصر العقل ٤/٥

ويعصمهم عن مواقعة الذنوب ويحرسهم عن مكايدة الشيطان ليسلموا من شره وفتنته.قال القرطبي رحمه الله تعالى: فهذا الاسم يكون من أوصاف الذات ومن أوصاف الفعل كالرحمة.أفادت هذه الآية كغيرها: إثبات الصفة الرحمة قال: (﴿وهو أرحم الراحمين﴾)، وأنها أكمل رحمة وأنه حقيقة لا مجاز، فإن الله سبحانه وتعالى أثبت لنفسه هذه الصفات، ووصف نفسه بها، كما وصف بعض خلقه بهذه الصفات، ولذلك قال: (﴿أرحم الراحمين﴾). إذا أثبت صفة الرحمة للمخلوق، وأثبت صفة الرحمة له جل وعلا، ومر معنا القاعدة: أن الاتفاق في الأسماء لا يقتضي الاتحاد في المسمى. فإذا أضاف الباري جل وعلا وصفا لذاته فحينئذ بالإضافة انفصل من حيث الحقيقة والمعنى لمجرد الإضافة، فنقول: رحمة المخلوق شيء ورحمة الخالق شيء آخر، كما وصف بعض خلقه بهذه الصفات، ولكن ليست رحمته سبحانه كرحمة المخلوق ولا كسمعه ولا بصره، فإن الله سبحانه وتعالى ليس كمثله شيء، فاتفاق الاسمين لا يقضي باتحاد المسمى، فإنه سبحانه وصف نفسه بهذه الصفات، ووصف به بعض خلقه، فأثبت سبحانه الاسم ونفى المماثلة، فقال: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [الشورى: ١١].قال ابن القيم رحمه الله تعالى: وفي هذا أظهر دليل على أن أسماء الرب مشتقة من أوصاف ومعان قامت به، وأن كل اسم يناسب ما ذكر معه واقترن به من فعله وأمره.." (١)

"شروط التكفير وموانعه أمر يلزم استحضارهومن الأمور المهمة ما يتعلق بضرورة التذكير دائما بأن التكفير له شروط، والشروط تزداد وتنقص من شخص إلى شخص، ومن عهد إلى عهد، ومن عصر إلى عصر، ومن مكان إلى مكان، وكذلك للتكفير موانع لابد من اعتبارها، وهذه الموانع تختلف من عصر إلى عصر، ومن شخص إلى شخص، ومن حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، فأوضاع الضرورات غير أوضاع الحالات العادية، وأوضاع الإكراه تختلف عن أوضاع الاختيار.لذا ينبغي أن نفرق في مسألة الأشخاص بين من يعلم ومن لا يعلم، ومن أقيمت عليه الحجة ومن لم تقم عليه، ومن يشترط أنه علم وسمع وتواتر عنده الأمر ومن لا يشترط فيه ذلك، ومن يمكن أن يكره أو يمكن أن يجهل أو يقع في الأمر المحظور ضرورة ونحو ذلك، ومن ليس كذلك، لاسيما في أحوال المسلمين اليوم، ففي أحوال المسلمين اليوم نجد كثيرا من الأمور انقلب من الحال العادية إلى أحوال الضرورات، وأضرب لهذا مثالا واحدا وكثيرا ما أضربه؛ لأنه من أوضح الأمثلة، حيث يدل على أن أحوال المسلمين يجب أن نتأنى فيها في إطلاق الأحكام بالكفر أو نحوه عليهم.ففي البلاد التي يحكم فيها بالقانون الوضعي -نسأل الله العافية- قد يضطر مسلم إلى أن يحمي عرضه باللجوء إلى القانون الوضعي، فلا يحمي عرضه إلا باللجوء إلى القانون الوضعي، أليس هذا الوضع محرجا؟! إنه إذا ما لجأ إلى المحكمة القانونية سينتهك عرضه غدا، فيمكن أن تؤخذ ابنته أو زوجته؟ أليست هذه معضلة؟ وهناك مسألة أخرى جاءت فيها أسئلة فعلا واجهتها وواجهها غيري، والمشايخ يواجهونها أكثر منا، حيث يقول السائل: أنا في بلد مسلم من بلاد الإسلام، لكن يلزمني أن أحلق لحيتي، وأن أترك الصلاة جماعة، ولا أصلي إلا خفية، ويلزمني أحيانا أن أتساهل في عرضي، فبنتي تختلط بالشباب في الجامعة، وتسبح معهم في المسابح رغم أنفي، وتختار صديقا، وإذا عارضت أسجن إلى آخر ذلك من المآسي التي لا نحب أن نجرح بها أفئدة المؤمنين، يقول: أنا مضطر لأن أسافر إلى بلد الشرك؛ لأني سأصلي وأحمي عرضي وأدعو إلى الله عز وجل وأعمل بشعائر الدين تحت ظل

---

(١) شرح العقيدة الواسطية للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢١/١٨

قانون كافر خالص في فرنسا أو أمريكا أو ألمانيا أو أي مكان، فما رأيكم؟! أليس السفر من بلد الإسلام إلى بلد الشرك محرما في الأصل؟! وإذا كان اختيارا وتفضيلا لبلد الكفار ألا يكون كفرا؟! فما رأيكم في هذه الحالة؟ فمن يتتبع أحوال المسلمين يجد أن مفردات الضرورات كثيرة جدا، وهناك ما هو أعظم من ذلك، فهناك ما يمس جماعات المسلمين ومجتمعاتهم لا أفرادهم. إذا: فالمفتي الذي لا يعتبر هذه الأحوال لا أظنه يصيب الحق، ولذا لما نظر في الأمر بعض الذين عندهم تدين بغير بصيرة كفروا المجتمعات المسلمة على هذا الأساس، فإذا سئلوا عن السبب ذكروا هذه الأحوال على أنها موجبة لتكفير المجتمع المسلم، فمن هنا قالوا بأقوال الخوارج. وقد يقال: ألا يجب الدفاع عن العرض ومدافعة المنكر ومدافعة الشر قبل وقوعه؟ فنقول: بل يجب على المسلمين ذلك، ولكننا نتكلم عن الحكم على أمور ليست بإمكان كثير من المسلمين الآن، وفرق بين ما يجب وبين علاج الواقع، فأنا أتكلم عمن لا يستطيع، فالإنسان إذا لم يستطع حماية نفسه إلا بالأساليب التي ليست مشروعة هل يلجأ إلى الأساليب التي ليست مشروعة؟ وهل الغاية هنا تبرر الوسيلة؟! الأمر الثاني: أن المسلمين الذين هذه أحوالهم في البلاد الأخرى لا يستطيعون أن يعملوا إلا أشياء تضر بهم وتضر بالأمة وتضر بالمجتمع، بل أحيانا قد يتصرف الإنسان تصرف متشنج يحمي فيه نفسه وعرضه، لكن بعد ذلك تتضاعف المشكلة أكثر، فينتهك عرضه وينهب ماله ويؤذى أقاربه ويؤذى أصدقاؤه، وتصير المشكلة جماعية بعد أن كانت فردية. فكثير من المسلمين اليوم جهلة، وأحوال المسلمين الآن أكثرها واضحة ليست خفية، فلا نبن الأمور على أحكام وهمية، نعم يجب على المسلمين أن يكونوا متمسكين بدينهم، وألا يقع هذا الذي حصل، يجب ألا تكون البدع موجودة في المسلمين؛ لأنها هي التي أدت إلى ضعف اليقين وضعف الإيمان في الناس حتى صار ما صار، ويجب ألا يهيمن التصوف والخزعبلات على عقول المسلمين التي أدت إلى هذا الوهم والسلبية، والأمر لله من قبل ومن بعد، فالتقصير حصل والمآسي حصلت، فنحن لا نفترض وقوع أشياء نخشى أن تقع ونقول: يجب أن نتفاداها قبل أن تقع؛ بل نحن نتكلم في أمور وقعت في المسلمين. فهذا كله جرنا إليه مسألة أنه ينبغي للمسلم ألا يتعجل في التكفير؛ لأنه ليس كل من وقع في مثل هذه المحظورات، أو وقع في البدع، أو وقع في الأمور التي ورد النص بالتكفير فيها خاصة نحكم بكفره؛ إذ الأحوال تنقلب أحيانا إلى العكس، فأغلب الأحكام يعذر المسلمون فيها على الأقل في التكفير، ولا نقول: ليس فيهم فسق ولا فجور! فلا شك أن أكثر المسلمين فيهم بدع وفيهم فجور وفيهم فسق وفيهم إعراض عن شرع الله عز وجل، ولولا ذلك ما صاروا إلى ما صاروا إليه؛ لأن الله عز وجل ضمن لهم إن تمسكوا بدينه أن ينصرهم ويمكن لهم في الأرض، لكن التقصير حصل، وما دام قد حصل فما العلاج؟ هل العلاج أن يكفر الناس ب." (١)

"زيادة الإيمان ونقصانهالمسألة الثانية: أن الإيمان يزيد وينقص، فإذا قلنا: إن الأعمال من الإيمان، فمن الطبيعي أن الإيمان يزيد وينقص، فهو يزيد الإيمان بزيادة فعل الخيرات، وبزيادة التقرب إلى الله عز وجل، سواء بالأحوال القلبية، أو بالذكر اللساني، أو بأعمال الجوارح والأعضاء، كما يزيد بالصلوات، وبالنوافل، وبالإحسان إلى الناس وبالبر، ويزيد بزيادة الصيام، إلى آخر الأعمال المشروعة. وينقص بنقص ذلك، كما ينقص نقصا في الأعمال القلبية، فكلما ضعف إيمان

(١) شرح الطحاوية لناصر العقل، ناصر العقل ١٦/٦٦

الإنسان، وضعف يقينه ضعف إيمانه، وكلما ضعفت أحواله القلبية من المحبة والرجاء والخشية والتوكل والإنابة واليقين ضعف الإيمان، وكلما زاد ذلك زاد الإيمان.وكذلك الأعمال الظاهرة كلما كثر فعل الطاعات من المسلم زاد إيمانه إذا توفر عنده الإخلاص والاتباع؛ لأن زيادة الإيمان مشروطة بشرطين: الإخلاص لله عز وجل والنية الصالحة، واتباع السنة، وإلا فإن بعض الناس قد يتعب في عمل خيرات لا يريد بها وجه الله فيحبط إيمانه، بعكس ما يتصور، فعلى ذلك فإن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالأعمال القلبية وينقص بها، ويزيد بأعمال الأعضاء وينقص بها، فالإنسان إذا توفر عنده الإخلاص واتباع النبي صلى الله عليه وسلم واتباع السنة زاد إيمانه.." (١)

"شرح حديث: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله)[قال المصنف رحمه الله تعالى: وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله؛ إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)].هذا الحديث ضعيف؛ لأنه من رواية محمد بن مروان السدي الصغير، وكذلك من رواية عطية العوفي، وكلاهما متروك، ومثل هذا -إذا كان بمثل هذا السند- متفق على ضعفه، ولكن هذا الحديث معناه صحيح وثابت في نصوص أخرى، ولهذا ذكره، أما لو كان المقصود به الاعتماد عليه، فإنه لا ينبغي له أن يذكره؛ لأن مثل هذا لا ينبغي أنه يذكر، وإنما ذكره لأجل المعنى الصحيح فقط.ومعنى هذا الحديث واضح وجلي: وهو أن رزق الله لا يجلبه حرص حريص ولا يرده كراهة كاره، فإذا قدر الله لك شيء، فعملك الذي تعمله وتحرص عليه لم يؤد إلى زيادة شيء لم يكتبه الله لك.وكذلك كراهة الناس بأن يمنعوك مما كتب الله لك هذا لا يمكن، وهذا المعنى هو الذي جاء به حديث ابن عباس: (واعلم أن الخلق لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يستطيعوا ذلك، وأن الخلق لو اجتمعوا كلهم على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يستطيعوا ذلك، جفت الأقلام وطويت الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة)، رواه الترمذي وغيره، وهذا معنى هذا الحديث، فمن ضعف اليقين أن يرضي الإنسان الناس بسخط الله، واليقين المقصود به غاية الإيمان؛ لأن اليقين أعم من مجرد التصديق.فإذا أصبح يطلب رضى الناس بسخط الله، فمعنى ذلك أن إيمانه إما أن يكون ناقصا أو معدوما، وعلى العكس: إذا كان الإنسان يرضي الله بسخط الناس فإن هذا دليل على قوة إيمانه وأن عنده يقين؛ لأنه خاف الله ولم يخف الناس، وطلب رضى الله ولم يبال بسخط الناس، فالعكس بالعكس تماما.ثم أخبر أن الرزق لا تجلبه الأسباب الظاهرة إذا لم يرده الله؛ لأن الله هو مسبب الأسباب، وهو الذي رتب المسببات على السبب، ولو شاء لعطل ذلك ومنعه، وليس معنى هذا أن الإنسان يترك السبب، كلا، فالسبب يفعل؛ لأن ترك السبب قدح في الشرع.والله أمر بفعل الأسباب، ولكن لا يجوز الاعتماد عليها، فإن الاعتماد عليها شرك بالله جل وعلا، وتعطيلها قدح في العقل والشرع، وكل شيء جعله الله سببا ينبغي أن يفعله العبد، معتمدا على الله جل وعلا في حصول المراد، فإن حصل له المراد حمد الله وأثنى عليه، وعبده بهذه النعمة التي حصلت له، وازداد إيمانا على إيمانه، وإن لم يحصل له المطلوب فلا يعود على ذم الناس، وكأنه لا يعلم أن هذا بتدبير الله، وأنه لو أراد جل وعلا لصار، فلا ينبغي أن ينظر إلى السبب على أنه هو المؤثر الجالب أو المانع، بل المؤثر هو الله جل وعلا، الذي قدر الأقدار وجعل لها أسبابا

(١) مجمل أصول أهل السنة، ناصر العقل ٨/٥

وموانع.وعليه؛ إذا حصل له على يد أحد من الناس رزقا فلا يشكر هذا الإنسان كالذي يعبده، بل يشكر الله جل وعلا، ويعلم أن ذلك من الله، وليس معنى ذلك أنه أيضا ينسى الفضل الذي يرتبه الله جل وعلا على بعض أيدي عباده، فقد جاء في الحديث: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)، وجاء فيه أيضا: (ومن صنع إليكم معروفا فكافئوه)، ومن المعلوم أن الإنسان لا يصنع المعروف بقوته وخلقه وإيجاده وإنما يكون سببا، والمكافئة إما بإعطائه، وإما بالدعاء له، أما أن يجعل قلبه متعلقا به فيعطيه ما يعطي الله، فهذا حرام، وهو من الشرك الذي لا يجوز.هذا هو معنى هذا الحديث، وكما سبق أن ألمحنا أن هذا الحديث في ذاته لا يعتمد عليه في إثبات حكم أو نفيه، وإنما جاء به المصنف لأن معناه وافق نصوصا أخرى.قال الشارح رحمه الله تعالى: [هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي وأعله بـ محمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف، وفي إسناده أيضا عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين، وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط، ومعنى الحديث صحيح، وتمامه: (وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط)].هذه الجملة الأخيرة يظهر أنها حديث آخر، ولهذا ذكره البخاري معلقا في بعض تراجم صحيحه، وذكر الحافظ أن هذه الجملة الأخيرة رواها الطبراني في المعجم، وأن سندها حسن، فيظهر أن هذا أيضا حديث آخر، وإن كان ذاك من تمامه، فهذا من معنى قوله: إن معناه صحيح، يعني: أنه وافق نصوصا أخرى في المعنى.قال الشارح رحمه الله تعالى: [قوله: (إن من ضعف اليقين)، الضعف: يضم ويحرك ضد القوة، ضعف ككرم ونصر، ضعفا، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان، والجمع: ضعاف وضعفاء وضعفة وضعفى وضعفى أو الضعف -بالفتح- في الرأي، وبالضم في البدن فهي ضعيفة وضعوف.و (اليقين) المراد به كمال الإيمان، كما قال ابن مسعود: (اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان)، رواه الطبراني بسند صحيح وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعا].يعني أن اليقين: الإيمان الكامل، هذا معناه، وإذا كان كذلك فإنه إذا وقع لإنسان ما يضعف يقينه فليس هذا دليل على أنه ليس عنده إيمان، ولكن دليل على أن إيمانه ضعيف.قال الشارح: قال: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق، كما في حديث ابن عباس مرفوعا: (فإن استطعت أن تعمل بالرضى في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا)، وفي رواية: (قلت: يا رسول الله! كيف أصنع باليقين؟ قال: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك).." [(١)]

"معنى قوله: أن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتكقوله: (أن ترضي الناس بسخط الله) أي: تؤثر رضاهم على رضى الله؛ وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته، ما يمنعه من استجلاب رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه، الذي يتصرف في القلوب، ويفرج الكروب، ويغفر الذنوب، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك؛ لأنه آثر رضى المخلوق على رضى الله، وتقرب إليه بما يسخط الله، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله، ووفقه لمعرفته، ومعرفة ما يجوز على الله من إثبات صفاته على ما يليق بجلاله، وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافي كماله، ومعرفة توحيده في ربوبيته وإلهيته، وبالله التوفيق.قوله: (وأن تحمدهم على رزق الله) أي: على ما وصل إليك من أيديهم، بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه، فإن المتفضل في الحقيقة هو الله وحده، الذي قدره لك وأوصله إليك، وإذا أراد أمرا قيض له أسبابا،

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٧/٨٩

ولا ينافي هذا حديث: (من لا يشكر الناس لا يشكر الله)؛ لأن شكرهم إنما هو بالدعاء لهم، لكون الله ساقه على أيديهم، فتدعو لهم أو تكافئهم، وفي الحديث: (من صنع إليكم معروفا فكافئوه، فإن لم تجدوا ما تكافئونه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه) فإضافة الصنيعة إليهم؛ لكونهم صاروا سببا في إيصال المعروف إليك، والذي قدره وساقه هو الله وحده.قوله: (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله)؛ لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قدره لك لساقته المقادير إليك، فمن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه هو الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقا على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمور دينه ودنياه، وقد قرر النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى بقوله في الحديث: (إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره)، كما قال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ [فاطر:٢].قال شيخ الإسلام رحمه الله: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك: إما ميل إلى ما في أيدي الناس، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته، من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مئونتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين، وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم، ولما قال بعض وفد بني تميم: (أي محمد! أعطني، فإن حمدي زين وذمي شين، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ذاك الله).ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان].." (١)

"اليقين يضعف ويقوي ولكل علامة[المسألة الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى].اليقين: سبق أنه الإيمان كله، وأنه كمال الإيمان، وقد يطلق اليقين على الإيمان، ومعلوم أن قوة اليقين: أن يكون الإنسان آخذا بجميع أوامر الله جل وعلا، مجتنبا نواهيه حسب طاقته، فقد يضعف يقين الإنسان، مع وجود أصل الإيمان عنده، فيرضي الناس بسخط الله، فهذا من ضعف اليقين: أن يرضي الناس بسخط الله، ويرتكب مساخط الله لأجل موافقة الناس ورضاهم، فهذا سببه ضعف اليقين وضعف الإيمان.[المسألة الخامسة: علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث].والثلاث التي يقصدها: كونه يوافق الناس على المعاصي؛ خوفا من أذاهم، وكونه إذا حصل له على أيديهم نفع أرجعه إليهم، وكونه إذا لم يحصل له على أيديهم شيء عاد عليهم بالسب والشتم واللعن، فهذه كلها من علامات ضعف الإيمان، ونقص اليقين، وسبق أنه تدخل في هذا أشياء كثيرة، من كون الإنسان لا يرضى بأقدار الله، وتسخطه لها، وهذا الفعل قد يخرج الإنسان من الإيمان، نسأل الله العافية.." (٢)

---

(١) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ٨/٨٩

(٢) شرح فتح المجيد للغنيمان، عبد الله بن محمد الغنيمان ١٢/٨٩

"حكم طلب الدعاء من الرجل الصالحQ هل طلب الدعاء من الرجل الصالح الذي لم تحسن إليه فيه شيء؟A هذا من الأمور الجائزة، لكن الأصل أنه لا يشرع دائما؛ لأن الإكثار منه يضعف التوكل ويضعف اليقين، ويجعل القلب يتعلق بغير الله، فلذلك لا ينبغي الإكثار منه، لكن إذا حدث في ظرف يقتضيه، مثل إنسان أصابته ضرورة ووافق رجلا صالحا في زمان فاضل أو في مكان فاضل أو في عمل فاضل، فكأنه بذلك طلب من الغير أن يدعو له من باب التماس الأجر أو الفرج من الله عز وجل على لسان الغير.أما الطلب دائما فليس بمشروع؛ لأنه يؤدي إلى ضعف اليقين، بل إنه بدعة إذا كثر؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، وإنما فعلوه في مناسبات محدودة وفي ظروف محدودة جدا.." (١)

"السؤال المذموم في سؤال المخلوققال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما إن لم يكن مقصوده إلا طلب حاجته لم يقصد نفع ذلك والإحسان إليه، فهذا ليس من المقتدين بالرسول المؤتمين به في ذلك، بل هذا هو من السؤال المرجوح الذي تركه إلى الرغبة إلى الله وسؤاله أفضل من الرغبة إلى المخلوق وسؤاله، وهذا كله من سؤال الأحياء السؤال الجائز المشروع].ختم الشيخ هذا المقطع ببيان أن الصورتين مشروعتان، لكن الصورة الأولى فاضلة والصورة الثانية مفضولة؛ والصورة الأولى أن يقصد فيها طالب الدعاء الإحسان للداعي والنفع له ولغيره، والصورة الأخرى هي أن يطلب الإنسان من آخر أن يدعو له، لكن لانتفاع يخص السائل، وليس على باله نفع الآخرين، فهذه صورة مرجوحة.قال أهل العلم: لا ينبغي للمسلم أن يكثر من طلب الدعاء من الآخرين؛ لأنه يقلل من اعتماده على الله عز وجل، ويضعف يقينه ويضعف قلبه، لكن مجال طلب الدعاء من الآخرين هو في ظروف معينة، كأن يكون في مكان فاضل أو في زمان فاضل أو في عمل جليل، أو من إنسان صالح يتوسم فيه الصلاح ويكون الدعاء في هذا الظرف له مناسبة، كأن يكون مضطرا له حاجة ملحة، فمن هنا يكون طلب الدعاء من الغير في مناسبات محدودة وفي ظروف محدودة، أما أن يكون سمة للشخص، فهذا في الغالب إما أن يكون عن ضعف إيمان، أو على الأقل يدخل فيما لا يشرع.قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وأما سؤال الميت فليس بمشروع ولا واجب ولا مستحب، بل ولا مباح، ولم يفعل هذا قط أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا استحب ذلك أحد من سلف الأمة؛ لأن ذلك فيه مفسدة راجحة وليس فيه مصلحة راجحة، والشريعة إنما تأمر بالمصالح الخالصة أو الراجحة، وهذا ليس فيه مصلحة راجحة، بل إما أن يكون مفسدة محضة أو مفسدة راجحة، وكلاهما غير مشروع.فقد تبين أن ما فعله النبي صلى الله عليه وسلم من طلب الدعاء من غيره هو من باب الإحسان إلى الناس الذي هو واجب أو مستحب].." (٢)

"عظيم خطر الالتزام بالتوحيد وعدم الخوف من الناسقال المؤلف رحمه الله تعالى: [وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت:١٠]].هذه الآية تدل على أن الالتزام بالتوحيد ليس أمرا هينا، وأن الالتزام بالتوحيد لا يكون في السراء فقط، أو عند عدم الأذى، ولا يكون بحسب التشهي، بل الموحد هو الإنسان الصادق الذي يصبر في السراء والضراء، سواء أكانت فتنته بالدنيا من مال أو نساء أو نحو ذلك، أم كانت فتنته

---

(١) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٨/١٠

(٢) شرح كتاب قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، ناصر العقل ٧/١١

بالقوة والأذى، ولهذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم عندما بايع أصحابه في العقبة بايعهم بقوله -كما في لفظ أبي داود - : (وأن تعضكم السيوف)، والعض معروف، والمعنى أن السيوف تضربكم، فبايعوه على أن يصبروا على ذلك، ولهذا لما كانوا في البيعة قال سعد بن عبادة لأصحابه: هل تعلمون على ماذا تبايعون هذا الرجل؟! إنكم تبايعونه على مفارقة الأسود والأبيض، وتبايعونه على مفارقة الأهل والخلان وكل الناس فوفوا بهذه البيعة في مواطن كثيرة.قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره)].هذا الحديث معناه عظيم جدا، وإسناده فيه ضعف.قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه، وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس)، رواه ابن حبان في صحيحه].هذا الحديث يدل على ثمرة الخوف من الله سبحانه وتعالى، وتعظيم الله عز وجل، وأن ثمرته تكون في الدنيا والآخرة أيضا.." (١)

"عناصر الدرس* قوله: وقوله: (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله).* مناسبة الآية للباب، وما فيها من معاني.* قوله: وقوله: (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله)* مناسبة الآية للباب، وما أفادت من معاني.* قوله: (عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: (إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره).* بيان ما يستفاد من الحديث:* قوله: وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس) رواه ابن حبان في صحيحه.* مناسبة الحديث للباب، وذكر ما يستفاد منه.* قوله: (فيه مسائل:).الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.أما بعد:فلا زال الحديث في الباب الثاني والثلاثين من أبواب ((كتاب التوحيد)) لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى.إذ قال المصنف رحمه الله تعالى: (باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾). وعرفنا المناسبة فيما سبق، وعرفنا ما يتعلق بعبادة الخوف، وما ينقسم إليه الخوف من الأقسام الثلاثة، وعرفنا المراد بالآية التي ترجم بها المصنف رحمه الله تعالى حيث ذكرنا أن المصنف ترجم أو ذكر تحت هذه الترجمة ثلاث آيات وحديثين، ومر الكلام عن الآية الأولى التي ترجم بها، ووقفنا عند قوله رحمه الله تعالى: (وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ الآية).قال المصنف رحمه الله تعالى: (وقوله) بالعطف على (باب: قوله) هذا باب قول، وباب مضاف، (وقوله) مضاف إليه، وهو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا باب قوله. حينئذ يكون (قوله) من قوله تعالى بالجر عطف على المضاف إليه، وهو جائز على الصحيح كما مر معنا، يعني لم يعطف على المضاف (باب) إنما عطف على المضاف إليه، ويمنعه كثير من النحاة، والصواب الجواز. وقوله: (﴿إنما يعمر

---

(١) شرح كتاب التوحيد - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٥/١٠

مساجد الله﴾) إلى آخر الآية، نفى سبحانه عمارة المساجد عن المشركين بقوله: ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾، ﴿ما كان﴾، ﴿ما﴾ نافية، ﴿ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله﴾ ما كان عمارة مساجد الله للمشركين، و ﴿للمشركين﴾ هذا خبر مقدم، و ﴿أن يعمروا﴾ هذا اسم كان، أي ما صح لهم وما استقام أن يفعلوا ذلك، هكذا قال الشوكاني رحمه الله تعالى: ما صح لهم وما استقام أن يفعلوا ذلك شاهدين على أنفسهم، وهذه الجملة حالية ﴿شاهدين﴾ حال [ليس] الجملة ﴿شاهدين﴾ نقول: هذا اسم فاعل مجموع شاهد شاهدين، حينئذ حالا من المشركين، أي ما كان لهم ذلك حال كونهم شاهدين على أنفسهم بالكفر، بإظهار ما هو كفر من نصب الأوثان والعبادة لها وجعلها آلهة، يعني يعبدونها من دون الله تعالى، فإن هذا شهادة منهم على أنفسهم بالكفر وإن أبوا ذلك بألسنتهم، يعني شهدوا بالفعل، ومر معنا أن الشهادة قد تكون بالفعل كما تكون بالقول، وذكرنا هذه الآية، فإذا كانوا شاهدين على أنفسهم بالكفر فكيف يجمعون بين أمرين متنافيين: - عمارة المساجد التي هي من شأن المؤمنين.- والشهادة على أنفسهم بالكفر التي ليست من شأن من يتقرب إلى الله بعمارة مساجده.." (١)

"ثم قال المصنف رحمه الله تعالى: (عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: «إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»). الحديث رواه أبو نعيم في الحلية ... [عندكم إسناد له رواه كذا .. يعني مرسل أرسله المصنف] الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وعله بمحمد بن مروان السدي كما قال في ... ((التيسير)) وقال: ضعيف. وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى: متهم بالكذب. وفيه أيضا عطية العوفي أورده الذهبي في ((الضعفاء)) وقال: ضعفوه. وقال أيضا: مجمع على ضعفه. وموسى بن بلال قال الأزدي: ساقط. قال في ((التيسير)): إسناده ضعيف. الحديث من حيث الإسناد هو ضعيف، ومعناه صحيح، بل من أصح الصحيح إن صح التعبير، من أصح الصحيح معناه كل جملة ثابتة قطعا ولا إشكال فيها البتة، إسناده ضعيف ومعناه صحيح، مثل هذه الأحاديث لا شك أنها تحفظ ولا إشكال فيه، لكن يبقى ماذا؟ قضية الإسناد أن يقال قال - صلى الله عليه وسلم -، وإنما يقال: روي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: قال كذا. أو يأتي بكل جملة ويستدل لها من الكتاب والسنة وكلام أهل العلم. إذا إسناده ضعيف ومعناه صحيح، وتمامه كما قال في ((التيسير)): «وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين». الروح والفرح بمعنى، في الرضا واليقين «وجعل الهم والحزن في الشك والسخط». قال قوله: («إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله»)، («إن من ضعف اليقين: أن ترضى»). (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر، أليس كذلك؟ اسم (إن)، إن إرضاء الناس («من ضعف اليقين») إن من ضعف اليقين إرضاء الناس، أليس كذلك؟ فيكون (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر، وهو اسم (إن)، («إن من ضعف اليقين») قال في ((المصباح)): الضعف بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمها لغة قريش، فالمضموم مصدر ضعف ضعفا كقرب قربا قرب قربا ضعفا، والمفتوح من باب قتل. إذا الضعف بفتح الضاد في لغة تميم، وبضمها لغة

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١/٧٤

قريش، والمراد به خلاف القوة والصحة، الضعف ما يقابل الصحة والقوة، حينئذ يكون بضد القوة.وبضدها تتبين الأشياء." (١)

"فالضعف والضعف ضد القوة، والمراد أن من علامة ضعف اليقين ماذا؟ ما سيذكره من أمور الثلاثة المذكورة الآتية، واليقين المراد به الإيمان كله كما قال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه: اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان. رواه الطبراني بسند صحيح كما قال في ((التيسير)) والجزء الأول علقه البخاري في ((الصحيح)) وهو قول: اليقين الإيمان كله. اليقين هو الإيمان، والإيمان هو اليقين، لكن أعلى مراتب الإيمان هو الذي يسمى باليقين، وليس أصل الإيمان يسمى باليقين، وإنما اليقين هو كمال الإيمان، ولذلك قال ابن مسعود: اليقين الإيمان كله. يعني تمامه وأعلى مراتبه، فيسمى باليقين. وروي مرفوعا ولا يثبت قاله الحافظ يعني ما قال ابن مسعود روي مرفوعا ولا يثبت كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى. («أن ترضى الناس بسخط الله»)، (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر اسم (إن) («إن من ضعف اليقين») إرضاء الناس .. إلى آخره. والباء في قوله في («بسخط الله») للعوض، يعني تجعل عوض إرضاء الناس سخط الله، تبدل هذا بذاك، العوض أو للبدل، فتستبدل هذا بهذا، فهذا («من ضعف اليقين»). والمقصود أن من ضعف اليقين أن تؤثر رضا الناس على رضا الله. يعني تؤثر بمعنى تقدم، عندك أمران تعارضان، هذا أمر الله تعالى به لكنه يخالف ما عند الناس، فالناس يطلبون ما يخالف أمر الله تعالى تقدم رضا من؟ رضا الله تعالى مقدم على رضا الناس، ولذلك قال: («إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله») متى؟ عند تقديم ما أراده الناس واستهووه وهو مخالف لما أراد الله تعالى، وخلاف ما أراد الله تعالى فيه سخط الله، حينئذ قدمت ما يرتضيه الناس على ما يسخطه الباري جل وعلا، فالمقصود أن («من ضعف اليقين») أن تؤثر رضا الناس على رضا الله فتوافقهم على ترك المأمور أو فعل المحظور استجلابا لرضاهم، وذلك لأنه لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضا المخلوق، يعني لا يفعل ذلك إلا من هان عنده ربه جل وعلا، لم يقم بقلبه من العظمة والهيبة والخوف والخشية ما يقتضي أن يقدم ما أراده الله تعالى على ما أراده المخلوق، من استجلاب رضا المخلوق بما يجلبه له سخط خالقه، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك، يعني: التشريك موجود لكن قد يصل به إلى أن يكون شركا أصغر، بل قد يصل به إذا كان هذا ديدنه أن يصل به والعياذ بالله إلى الشرك الأكبر، لأن سيأتي معنا شرك الطاعة، وهو أنه يطيع المخلوق ولا يطيع ربه جل وعلا كما سيأتي، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لأنه آثر رضا المخلوق على رضا الخالق، وتقرب إليه بما يسخط الله تعالى، ومن قوي إيمانه آثر رضا الخالق على رضا المخلوق. إذا العكس بالعكس («إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله»).." (٢)

"إذا إرضاء الله تعالى بسخط الناس من كمال اليقين العكس بالعكس، ومن قوي إيمانه [آثر رضا المخلوق، نعم] ومن قوي إيمانه آثر رضا الخالق على رضا المخلوق فحصل له رضا الله تعالى ورضا الخلق، فمن قوي يقينه علم أن الله وحده هو النافع الضار، وأنه لا معول إلا على رضاه، وليس لسواه من الأمر شيء كائنا ما كان، فلا يهاب أحدا ولا يخشاه

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١١/٧٤

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٢/٧٤

لخوف ضرر يلحقه ونحو ذلك ﴿ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا﴾ [الأحزاب: ٣٩].قوله: («وأن تحمدهم على رزق الله»). إذا هذه الخصيصة الأولى التي هي من علامة ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وهو نوع من الشرك.." (١)

"(«وأن تحمدهم على رزق الله») أي تحمدهم وتشكرهم على ما وصل إليك على أيديهم من رزق بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه، وتنسى المنعم المتفضل على الحقيقة وهو الله رب العالمين، وهذا مر معنا أنه كفر النعمة، وكفر دون كفر بمعنى أنه ينسى المسبب وهو الله تعالى وينسب النعمة إلى من قامت على يده وهو السبب. قال: وتنسى المنعم المتفضل على الحقيقة وهو الله رب العالمين الذي قدر هذا الرزق وأوصله إليك بلطفه ورحمته، فإذا أراد أمرا قيض له أسبابا حينئذ صار أو كان هذا الرزق على يديه، فيكون الرزق المسبب والسبب كذلك من عند الله تعالى، فهو الذي ييسر الأسباب وهو الذي ييسر ما يترتب على الأسباب، ولا ينافي هذا حديث «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» يعني إذا قيل - كما مر معنا -: بأنه إذا جاءت النعمة أضافها إلى الله تعالى واعتقد أنها من الله تعالى، والمخلوق هذا الذي ذهب وأتى إنما هو سبب، الذي أجراه وقدره وييسر ذلك المسبب على يده هو الله تعالى، لكن لا يمنع هذا الاعتقاد أن نقول: له جزاك الله خيرا، وأن ندعو له لأن النص جاء «من لا يشكر الناس لا يشكر الله» بأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق، هنا هذا: نسيان الخالق هو المحك، بأنه لا يلتفت بقلبه ولا يستحضر إلا فعل الفاعل هذا المخلوق فينسى أنها من عند الله تعالى، هذا هو المحذور، وإذا لو يعتقد أنها من عند الله تعالى وأنه أجراها على يد هذا المخلوق ونسبها اعتقادا إلى الباري جل وعلا وشكر وجزى هذا المخلوق فلا إشكال فيه، هذا يعتبر من الإيمان، من كمال اليقين ليس («من ضعف اليقين»)، وإنما نسيان المتسبب وهو الله تعالى هو الذي فيه المحذور المذكور، لأن المراد هنا في الذم وأنه من ضعف اليقين إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق، والمراد بشكر الناس عدم كفر إحسانهم والدعاء لهم، تدعو لهم ولا تكفر إحسانهم لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم، أو تكافئهم لحديث («من صنع إليكم معروفا فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه») بالدعاء أو بشيء آخر، فإضافة الصنيعة إليهم إنما هو لكونهم صاروا أسبابا في إيصال المعروف إليه وإلا فالذي قدره وساقه هو الله وحده. إذا («وأن تحمدهم»)، (أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر أي وحمدهم، يكون عطفا على قوله: («أن ترضي») يعني إرضاء الناس بسخط الله وحمدهم على رزق الله، فالمراد هنا يفهم حيث أراده النبي - صلى الله عليه وسلم - إن صح الحديث - حيث أراد ماذا؟ أنه نسيان للخالق جل وعلا، وإضافة هذه النعمة إلى المخلوق فحسب.." (٢)

"قوله: («أن تحمدهم») المراد هنا ما يشمل المدح، لأن الحمد - كما مر معنا - حقيقته ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله، لو قلنا: المراد به الحمد بهذا المعنى لخرج المدح، لكن المراد هنا ما يشمل المدح حينئذ ذكر محاسن المحمود، فالمراد بالحمد هنا بعض تعريفه، أو بعض حقيقته ليدخل فيه ماذا؟ المدح، أليس كذلك؟ ذكر محاسن المحمود إلى

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٣/٧٤

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٤/٧٤

هنا اشترك الحمد والمدح، ثم إن كان هذا الذكر مع الحب والتعظيم فهو الحمد، وإلا فهو المدح، والمراد هنا ما يشمل النوعين فإسقاط قيد المحبة مطلوب هنا، وهنا ليس بشرط المحبة والتعظيم لأنه يشمل المدح.قوله: («وأن تحمدهم على رزق الله») يعني عطاء الله، ما أعطاك الله عز وجل قد يكون شيئا حسيا، وقد يكون شيء معنويا («وأن تحمدهم على رزق الله»)، («على رزق الله») فهو نكرة مضاف إلى معرفة فأفاد [ليست تعريف] فأفاد العموم، هو يفيد التعريف لكن ليس بحثنا في هذا، إنما المراد به ما يعم رزق الله تعالى، ورزق الله قد يكون باطنا وقد يكون ظاهرا، قد يكون معنويا كالعلم والتقوى والصلاح، وقد يكون حسيا حينئذ يكون عاما، والمقصود هنا أن يجعل الحمد كله يعني الحمد المطلق لهم ناسيا المسبب وهو الله عز وجل، وهذا من ضعف اليقين، وأما حمدهم على أنهم سبب من الأسباب وأن الحمد كله لله جل وعلا فهذا حق وليس من ضعف اليقين.." (١)

"ثم قال: («وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله»). هذه الخصوص الثالثة («وأن تذمهم») يعني الخلق («على ما لم يؤتك الله») لأنه لم يقدر لك ما قدره الله تعالى فتذمهم على ماذا؟ ما من شيء في الكون من رزق أو غيره إلا وهو مقدر من عند الله تعالى، فإذا طلبت من شخص ما أمرا ما فلم يعطيك تذمه، لماذا؟ إنما تقول: ما أراده الله عز وجل. إذ لم أراده لكان، ما كتب لك إذا تذمهم على أي شيء؟! هو مخلوق وأفعاله مخلوقة وهو بهذا الاعتبار مسير لا يملك شيئا البتة، حينئذ ما من رزق يجري على يديه فالله عز وجل هو الذي أسداه، فتذمه على أي شيء؟! هذا مخالف للعقل والإيمان، لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم، فلو قدره لك لساقه إليك بقدره جل وعلا، والمقصود كما قال في ((التيسير)) أنه إذا طلبت الناس شيئا فمنعوك ذممتهم، هذا من ضعف اليقين، والله المستعان، هذا من ضعف اليقين إذا طلبت الناس شيئا فمنعوك ذممتهم هذا من ضعف اليقين، ذممتهم على ذلك فلو علمت يقينا أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، قد يدعيه مدع، لكن إذا نزل إلى الساحة ووقع فيما يقع مع الناس ضعفت هذه المسائل، ولذلك ((كتاب التوحيد)) من أوله إلى آخره ليس المطلوب منه حفظه مسائل فحسب، وإنما إذا قيل: النافع الضار هو الله عز وجل سيمر معك بعد قليل ما يكون على يد الناس، فإذا بك تخالف ما تقرره، أليس كذلك؟ أو ما تعتقد أنه الصواب، لا، المراد أنك في كل حادث يمر بك حينئذ تعتقد أنه لا نافع إلا الله، ولا ضار إلا الله عز وجل، حينئذ لا يتعلق الإنسان بالخلق لا في جلب خير ولا في دفع ضر، فهم لا يملكون لأنفسهم شيئا من ذلك، فلغيرهم من باب أولى وأحرى، فلو اعتقد الإنسان هذا المعنى لاستراح كثيرا، فلو علمت يقينا أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده وأن المخلوق .. ، ولذلك يقول أهل العلم: العلم علمان: علم دراية، وعلم رعاية.." (٢)

"علم الرعاية هذا الله المستعان هذا في كون آخر، بمعنى أنك تعلم، ثم تحاسب على ما علمت، يعني كما ذكرنا الآن تعلم أنه لا نافع إلا الله، ثم تأتيك الممارسة اليومية كالاختلاط بالناس، هنا الاختلاط بالناس هو الذي يكشف الإنسان هل علم وعمل أم أنه مجرد علم ومسائل يحفظها ويكتبها ثم [إذا جاء العلم فإذا به انتفى مع] إذا جاء العمل نافى العلم،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٥/٧٤

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٦/٧٤

ولذلك العلم إما علم دراية، وإما علم رعاية، والرعاية المراد به الملابسة والمتابعة والمحاسبة، هل عمل بما علم أو لا؟ قال هنا: علمت يقينا أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأن المخلوق مدبر لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا فضلا عن غيره، وأن الله تعالى لو قدر لك رزقا أتاك، ولو اجتهد الخلق كلهم في دفعه وإن أرادك بمنع لم يأتك مرادك ولو اجتمع الخلق كلهم في إيصاله إليك، على ما مر معنا في حديث ابن عباس. لو علمت ذلك يقينا لقطعت العلائق عن الخلائق، يعني لم يتعلق القلب بشيء من الخلق وتوجهت بقلبك إلى الخالق تبارك وتعالى، ولهذا قرر ذلك بقوله: («إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»). بل كل شيء بقضاء الله سبحانه وبحمده قال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ أي رحمة ﴿فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ [فاطر: ٢]، ومن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه هو الذي يرزق بسبب وبلا سبب، ومن حيث لا يحتسب لم يمدح مخلوقا على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوضه أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه، ويسلم له قلبه، وهذا كله يدل على أن هذه الأعمال القلبية انتفاؤها هو الذي يؤدي إلى ضعف اليقين، ولذلك ليس المراد هنا حصر هذه الصفات في ضعف اليقين، لا، هو أكثر من ذلك، وإنما ذكر أشياء يتعلق بها، يعني يكثر وقوعها بين الناس، وإلا كل معصية وكل تعلق بالناس بغير الله تعالى يكون من ضعف اليقين، وقد بايع جماعة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن لا يسألوا الناس شيئا، ولم يبح إلا لضرورة محافظة على كمال الحب لله، وإخلاص التوكل عليه.." (١)

"قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله تعالى. يعني اليقين يكون متعلقا بما أمر الله تعالى به، إما على جهة الإيجاد، وإما على جهة الانتفاع، لأن المنهي عنه يكون مأمورا به، وما وعد الله أهل طاعته فلا بد من اليقين كذلك، ويتضمن اليقين بقدر الله تعالى وخلقه وتدبيره. يعني كله فعل الله تعالى سواء كان أمرا شرعيا أم أمرا كونيا، فلا بد من اليقين إما إثباتا أو نفيا، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا، لأن النص هنا («إن من ضعف اليقين»)، لا بوعده ولا برزقه، فإنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، يعني قد يقتضي أمر الله تعالى هجر هذا الإنسان أو الإنكار عليه فيترك ذلك ميلا منه إلى ما يرجوه، يخشى أنه لو انتقده حينئذ فر منه، وهو يأخذ منه شيئا ما، أو يعمل له شيئا ما، حينئذ يترك أمر الله تعالى لما يرجوه منه، حينئذ يكون من ضعف اليقين، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا ارضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفا منهم، وهذا مناسب هنا، إرضاء الناس بما يسخط الله تعالى، ما هي علته؟ الخوف من الناس إما دفع نفع أو جلب ضر، إما هذا وإما ذاك، ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين، وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، يعني إذا ما قدر الله تعالى لك على أيديهم وأنت قد رجوت منهم فالأمر إلى من؟ إلى الله تعالى، ما كتبه الله تعالى ما قدره له، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم، لا رجاء ولا خوف، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، يعني الميزان في ذم الناس ومدح الناس ليس هو ما وافقوني أو خالفوني، أليس كذلك؟ وإنما

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٧/٧٤

الميزان ماذا؟ ما وافقوا أمر الله تعالى وخالفوا أمر الله تعالى، فكل من وافق أمر الله تعالى فحينئذ يكون من الصالحين، فلا أذمه لكونه خالف ما رجوته منه، أليس كذلك؟ فيكون الميزان حينئذ هو الشرع وليس هو الهوى إن وافقني مدحته ولو كان من الفاسدين، وإن خالفني فإذا به يسقطه ولو كان من الصالحين. نقول: لا، ليس هذا هو الميزان، هذا هوى. ولذلك قال: كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود - هنا الميزان - من حمده الله تعالى وأثنى عليه لوصفه وفعله فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله فهم المذموم الميزان هو الشرع، ولما قال بعض وفد بني تميم: أي محمد أعطيني فإن حمدي زين وذمي شين. قال - صلى الله عليه وسلم -: «ذاك الله». الذي يحمد ويكون مدحه زين، والذي يذم ويكون ذمه شين هو الله تعالى، أما المخلوق فلا يمدح ولا يذم، لأنه سيزن الناس بميزان الشرع، فحمده للناس تابعا لحمد الله تعالى، وذمه للناس يكون تابعا لذم الله تعالى، فقول المصنف: («إن رزق الله»).." (١)

"أي عطاءه، («لا يجره») يعني لا يأتي به إليك، («حرص حريص») الحرص فرط الشره، وفرط الإرادة. قال تعالى: ... ﴿إن تحرص على هداهم﴾ [النحل: ٣٧]. أي تفرط إرادتك في هدايته، وقال تعالى: ﴿ولتجدنهم أحرص الناس على حياة﴾ [البقرة: ٩٦]. فالرزق لا يجره حرص حريص، لكن حرص الحريص من أسباب جلب الرزق، يعني ليس المراد أنه لا يحرص ولا يسعى؟ لا، لكن لو حرص فهو سبب، والسبب قد يترتب عليه المسبب وقد لا يترتب، ولذلك قد يبذل الإنسان أسبابا يمنة ويسرة ولا يحصل له الرزق، وقد يبذل أسبابا يسيرة قليلة ويحصل له الرزق، وقد لا يفعل شيء ويأتيه الرزق إلى بابه، أليس كذلك؟ ممكن، كمن مات له ميت وليس له وارث إلا هذا، جاءه رزق دون سبب إذا الرزق قد يأتي مع الأسباب ومع عدم الأسباب، لكن يفعل السبب، وهذا مطلوب شرعا، ولكن لا يعتمد عليه.إذا («لا يجره حرص حريص»)، ليس المراد به ماذا؟ أن لا يحرص، وأن لا يبذل، وأن لا يسعى، وأن لا يفكر، ويتأمل وينظر في الأحسن، لا، ليس هذا المراد، بل المراد أنه مع حرصه يعتقد أن هذا مجرد سبب، قد يحصل المسبب وقد لا يحصل، لكن حرص الحريص من أسباب جلب الرزق إذ من سعى في الكسب وبحث عن الرزق وفعل الأسباب حينئذ قد يكون وافق الشرع، فيكون قد فعل الأسباب الموجبة للرزق يعني التي رتب الباري عليها ليس من الإيجاب الاستقلال لكن ليس معنى هذا لأن الأسباب موجبة للرزق باستقلال، لا، لا تستقل الأسباب، وإنما الأسباب تفعل ثم المسبب يفعل من جهة الباري جل وعلا، فخالق السبب هو خالق المسبب، وإنما الرازق والرزاق هو الله وحده، فقد يفعل أسبابا كثيرة للرزق ولا يرزق، وقد يفعل أسبابا قليلة فيرزق، وقد يأتيه الرزق بدون سبب وسعي كما ذكرنا، لا يرده كراهية كاره، فإذا قدره الله تعالى للعبد فلن يمنعه عنه كراهية كاره مهما كان.مناسبة الحديث للباب:فيه وجوب تعلق القلب بالله تعالى في جلب النفع ودفع الضر وخوفه وخشيته وحده، وعدم التفاته إلى الخلق.قطع العلائق عن الخلائق، الناس لا يملكون جنة ولا نارا، ولا يملكون رزقا ولا شيئا البتة، فقلبك علقه بالله تعالى، وهم أسباب تثني عليهم إن أحسنوا إليك، ولا تذمهم إن أساؤوا إليك، اترك الأمر لله عز وجل، وعدم الالتفات إلى الخلق بمدح أو ذم على ما يحصل من الإعطاء والمنع.ويستفاد من الحديث:وجوب التوكل على الله وخشيته

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٨/٧٤

وطلب الرزق منه.إثبات القضاء والقدر أراده وما أراده، حينئذ يكون مبنيا على القضاء والقدر.عدم الاعتماد على الأسباب.رابعا: تقديم رضا الله على رضا المخلوق. هذا واجب شرعا.خامسا: أن الإيمان يزيد وينقص. لأنه قال: («من ضعف اليقين»).سادسا: أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وإلا لم تكن هذه الثلاثة من ضعفه، وأضادها من قوته، أليس كذلك؟ دل ذلك على أنها داخلة في مسمى الإيمان.." (١)

"فيه شدة الخوف على عقوبات الذنوب لاسيما في الدين، فإن كثيرا من الناس يفعل المعاصي ويستهين بها ولا يرى أثرا لعقوبتها، ولا يدري المسكين بماذا أصيب، يعني قد يصاب في دينه ولا يدري، فقد تكون عقوبته في قلبه كما قال تعالى: ﴿فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله﴾. بسبب الباء سببية هنا ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ [التوبة: ٧٧]، بسبب كذبهم، فالعقوبة قد تكون في الدين، فإن المصيبة في الأديان أعظم من المصيبة في الأموال والأبدان.سابعا: فيه ثبوت صفتي الرضا والسخط لله تعالى على وجه الحقيقة يعني على ما يليق بجلاله جل وعلا.قال المصنف رحمه الله تعالى: (فيه مسائل: الأولى: تفسير آية) ماذا؟ (آل عمران)، وهي قوله تعالى: (﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥]). والمعنى كما مر يخوفكم بأوليائه.(الثانية: تفسير آية براءة). وهي قوله: (﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٨]). هذا الشاهد، فأثنى على من أفرده بالخشية، فدل على أنها عبادة ووافق المطلوب من الباري.[ثالثا أو] (الثالثة: تفسير آية العنكبوت).وهي قوله تعالى: (﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠]). ففيها ذم لمن ترك الواجب عليه خوفا من فتنة المخلوق.(الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى) دليله («إن من ضعف اليقين»)، إذا («من ضعف اليقين») اليقين الضعيف («من ضعف اليقين») إضافة الصفة إلى الموصوف لقوله في الحديث: («إن من ضعف اليقين»). منطوقه يدل على ضعفه، ومفهومه يدل على قوته.(الخامسة: علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث).إذا (علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث)، إذا ليس محصورا فيما ذكر، لكن هذا هو الشائع وكثير وقوعه بين الناس (علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث) وهي أن ترضي الناس بسخط الله، وتحمدهم على رزق الله، وتذمهم على ما لم يؤتك الله.(السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض).لقوله تعالى: (﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾). هذا الصواب أنها من قوله: (﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾). وعرفنا أنه أمر، والأمر يقتضي الوجوب، ثم علقه إن كنتم مؤمنين خافون، إن لم تكونوا مؤمنين فلا تخافوني، دل على ماذا؟ على أن إخلاصهم من الفرائض (﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾) فجعله شرطا في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه لأن المشروط ينتفي عند انتفاء شرطه.(السابعة: ذكر ثواب من فعله). فعل ماذا؟." (٢)

"ضرورة تحقيق توحيد الألوهيةمن القواعد المتعلقة بتوحيد الألوهية: أن توحيد الألوهية هو أعظم أعمال القلب التي ينبغي على الإنسان أن يحصلها، فتوحيد الألوهية هو محبة الله، والخوف من الله، ورجاء الله، والثقة بالله سبحانه وتعالى،

---

(١) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ١٩/٧٤

(٢) شرح كتاب التوحيد للحازمي، أحمد بن عمر الحازمي ٢٢/٧٤

وتعظيم الله سبحانه وتعالى، ولهذا ينبغي على الإنسان أن يحصل هذه المقاصد العظيمة، وهذا يدعونا إلى الإشارة إلى أن توحيد الألوهية يزيد وينقص، فليس كل المسلمين على درجة واحدة في هذا التوحيد، فهو مثل الإيمان يزيد وينقص، يزيد بطاعة الله عز وجل، ومعرفة حقه، والتعلق به، ومحبته، والخوف منه، والإنابة إليه، والثقة به، فهذا يكون إيمانه وتوحيده عاليا.وأما من ضعف توحيده وضعفت محبته لربه، وضعف خوفه من الله سبحانه وتعالى، وضعف توكله واعتماده على الله، وضعف إيمانه فإنه يكون حينئذ توحيده ضعيفا أيضا.ولهذا يا إخواني! مع الأسف وقد سبق أن نبهت على هذه المسألة: وهي أن كثيرا من الدارسين لأمور العقيدة تجدهم يركزون على الأركان والشروط، والأنواع، والأدلة، ونحو ذلك، وهذا أمر طيب ومطلوب، وهو سبب في حفظ الدين الصحيح واستمراره إلى قيام الساعة بإذن الله تعالى، وهذه من مميزات وخصائص هذه الأمة، لكن هذا وحده ليس كل العقيدة، بل العقيدة يدخل فيها علو الإيمان، وقوة التوحيد، عن طريق محبة الله، والخوف من الله، والتعلق بالله سبحانه وتعالى، والثقة بنصر الله، انظروا إلى كثير من المسلمين اليوم ونحن جزء منهم، ممن لم يقارف ولله الحمد في الظاهر أعمالا شركية، مثل: الطواف حول القبور، والذبح لغير الله، ونحو ذلك، لكن مع ذلك تجد محبته لله فيها ضعف، وخوفه من الله فيه ضعف، وتوكله على الله عز وجل فيه ضعف، وثقته بالله فيها ضعف، وتجد كثيرا من الناس عندما يرى تكالب الأعداء، ويرى قوة أهل الباطل يضعف يقينه بالله سبحانه وتعالى، بل بعضهم ربما شعر باليأس، بل ربما زاد بعضهم إلى درجة الشك في نصرة هذا الدين، مع أن من العقائد الأساسية في دين الإسلام تصديق خبر الله عز وجل فيما يتعلق بانتصار هذا الدين، ولهذا لابد من تجديد الثقة وتجديد الإيمان وتجديد العقيدة في نفوسنا، لأننا نجد بعض طلاب العلم قد يحسن تقرير مسائل العقيدة من ناحية التقرير النظري، وتفصيل المسائل، وترتيبها، وذكر القواعد والشروط والموانع والقوادح وما يتعلق بهذه المسائل، إلا أنه من حيث التطبيق العملي لتوحيد الألوهية والإيمان ضعيف، فتجد أنه يمكن أن يعصي الله عز وجل بسهولة، وتجد أن محبته لله عز وجل فيها ضعف، وتجد أن ثقته بالله عز وجل ضعيفة، ولهذا يا إخواني! نحن بحاجة إلى أن نربط كل شئون الحياة بهذه العقيدة، حتى مجال الأخلاق؛ لأن كثيرا من الناس يتصور أن الأخلاق ليست مرتبطة بالعقيدة، ويتصور أن العقيدة هي مسائل نظرية وأبواب معينة محددة موجودة في الكتب فقط، لا، الأخلاق مرتبطة بالعقيدة ارتباطا وثيقا، فالثقة بنصر الله والصبر، وما يتعلق بالشجاعة ونحو ذلك كلها مرتبطة بالعقيدة.نحن بحاجة إلى التفكير دائما في مسألة أخلاق الأزمات، هذا الموضوع يمكن أن أطرحه عليكم، وأتمنى في اللقاء القادم من كل واحد من الإخوة أن يذكر خلقا من الأخلاق، أو يذكر مجموعة أخلاق ينبغي على المسلم أن يتحلى بها في وقت الأزمات؛ لأنه عندما تحصل أزمة من الأزمات، أو مشكلة من المشكلات في بلاد المسلمين، فإن هناك مجموعة من الأخلاق الضرورية والأساسية التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها في هذه الأزمات، وهذه الأخلاق وهذه الآداب التي ينبغي على المسلم أن يتحلى بها في هذه الأزمات نحن بحاجة إلى أن نكتبها.أنا أذكر لكم مجموعة مثلا منها: الصبر، عندما تحصل أزمة، والأزمة طبيعتها فيها شدة وفيها ابتلاء، قد يكون فيها قتل، وقد يكون فيها أذى، ولهذا نحن بحاجة إلى الصبر، والصبر ليس صبرا سلبيا، يعني: أن يتحمل في نفسه فقط، لا، بل الصبر على رفع الأزمة، والصبر على رفع الأزمة يحتاج إلى عمل، ويحتاج من الشخص أن يكون إيجابيا.من الأخلاق مثلا في الأزمات: الشجاعة، ألا يكون الإنسان ضعيف القلب، وأنه بمجرد حصول أزمة من الأزمات ينهار مباشرة.من أخلاق الأزمات: الزهد في الدنيا؛ لأن التعلق بالدنيا هو سبب

الانهيار في الأزمات، فمثلا: عندما يكون كل شيء موجود في حياة الإنسان، وفجأة يفقد هذه الدنيا، فإنه ينهار مباشرة، لكن عندما يكون لديه خلق عظيم وهو الزهد، ويتعامل مع الدنيا على أنها في اليد، ثم بعد ذلك إذا زالت عنه فإنه لا يحزن وإنما يؤمن بقضاء الله وقدره، وهذا يدعونا إلى إشارة أخرى وهي الإيمان بالقضاء والقدر فيما يتعلق بالأزمات.ومن أخلاق الأزمات: الأمانة، فنحن عندما تحصل أزمة من الأزمات نحتاج إلى وجود أمانة، وينبغي للمسلم أن يحافظ على أمانته، وأن يكون أمينا فيما يتعلق بأمور المسلمين.أيضا من أخلاق الأزمات: أن يكون الإنسان إيجابيا فيما يتعلق بمصالح المسلمين، يعني: لا يكون شخصا لا ينظر إلا إلى نفسه، بعض الناس ينظر إلى نفسه، أنا التقيت بأحد الشباب الأذكياء أصحاب الفطنة، يقول: والله يا أخي! لو صا." [1]

"أحد، ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين والإسلام، وهو أيضا انتهاؤه، وقد كان قليلا في ابتداء الإسلام، صعب المرام، لغلبة الكفار على الحق، وفي آخر الزمان أيضا يعود كذلك، لوعد الصادق - صلى الله عليه وسلم - بفساد الزمان، وظهور الفتن، وغلبة الباطل، واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق، وركوب من يأتي سنن من مضى من أهل الكتاب، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: "لتركبن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه" (ﷺ١) وقال - صلى الله عليه وسلم -: "بدأ الإسلام غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ" (ﷺ٢) فلا بد، والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق، أن يرجع الإسلام إلى واحد، كما بدأ من واحد، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنا منه معانا عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى، وذلك قوله: "لأنكم تجدون على الخير أعوانا وهم لا يجدون عليه أعوانا" حتى ينقطع ذلك انقطاعا باتا لضعف اليقين وقلة الدين، كما قال - صلى الله عليه وسلم -: "لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله" (ﷺ٣)ﷺ__________(ﷺ١) أخرجه بلفظ: "لتتبعن ... ": أحمد (٣/ ٨٤) والبخاري (٦/ ٣٤٥٦/٦١٣) ومسلم (٤/ ٢٦٦٩/٢٠٥٤) عن أبي سعيد وفي الباب عن أبي هريرة وغيره.(ﷺ٢) أخرجه: مسلم (١/ ١٤٥/١٣٠) وابن ماجه (٢/ ١٣١٩ - ١٣٢٠/ ٣٩٨٦) عن أبي هريرة وفي الباب عن أنس وابن مسعود وغيرهما.(ﷺ٣) أخرجه: أحمد (٣/ ٢٦٨) ومسلم (١/ ١٤٨/١٣١) والترمذي (٤/ ٤٢٦ - ٤٢٧/ ٢٢٠٧) من حديث أنس بن مالك ..." [2]

"القاعدة الثانية: الإيمان بكل ما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربهالقاعدة الثانية: أن كل ما جاء عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم في أسماء الله وصفاته وأفعاله وجميع أمور الغيب والدين وجب التسليم به دون مناقشة، والتصديق والإذعان واليقين بأنه حق، وهذا هو الفارق بين المؤمنين الصادقين وبين من في قلوبهم مرض من أهل الأهواء والتأويل والشكوك، فالمؤمنون سلموا بخبر الله وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم مطلقا، وأنه حق على حقيقته على ما يليق

---

(١) أصول العقيدة - عبد الرحيم السلمي، عبد الرحيم السلمي ٤/٧

(٢) موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، المغراوي ٤٢٨/٣

بجلال الله عز وجل، وأول ذلك ما يتعلق بأسماء الله وصفاته وأفعاله، بل وسائر أمور الغيب، فكل ما أخبر الله به وجب التسليم به، وكل ما ثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم وجب التسليم به، وأول ذلك الأسماء والصفات والأفعال، وهذا اليقين أو هذا الإثبات لا يتوقف على إدراك الكيفيات، بل يجب ألا يتطلع المسلم إلى الكيفيات أصلا، كما لا يتوقف ذلك حتى على إدراك المعنى؛ لأن المعنى قد لا يدرك عند بعض الناس وإن كانت المعاني المجملة مدركة، لكن مع ذلك فإن مدارك الناس تختلف، فبعض الناس قد تعرض له بعض الشبهات وبعض الشكوك، ونحو ذلك من العوارض التي تعرض للبشر، فيضعف يقينه بالله عز وجل، وقد لا يدرك المعنى فيما ثبت عن الله وثبت عن رسوله صلى الله عليه وسلم، وليس الحق موقوفا على إدراك المعنى عند الفرد، مع أننا نعلم أن الله عز وجل قد خاطبنا بلسان عربي مبين، وأمرنا بالتدبر، ولا شك أن معاني أسماء الله وصفاته وأفعاله مدركة بالجملة، لكن ومع ذلك لو أن أحدا من الناس قال: والله لم أدرك هذا المعنى، ولا أدري كيف أعتقد هذه الحقيقة! فنقول له: إن الحق ليس متوقفا على إدراكك للمعنى ولا للحقيقة، والمعنى ثابت لله عز وجل على ما يليق بجلاله.." (١)

"أول ما يجب على المسلم تعلمهQ ما هو الترتيب الصحيح في دراسة العلوم الشرعية؟A الترتيب الصحيح أنك أولا: تؤمن بالله، فكيف تؤمن به؟ لن تؤمن بالله حتى تعرفه، أي: تعرف عنه ما أوجب عليك معرفته، مما يدلك عليه؛ لقول الله جل وعلا: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ [محمد:١٩]، ثم قال عقبها: ﴿واستغفر﴾ [محمد:١٩]، فأنت لا بد أن تعلم، ثم تعمل.فتعرف عن الله أسماءه الحسنى، وصفاته العلى، ودينه الذي أنزله.ولو سأل سائل عن سبب ضياع الأمة الآن، وما الشيء الذي جعل الأمة ترتجف من أشياء قد تكون أضعف من الذباب؟!A سبب هذا كله هو ضعف اليقين بالله، فلو علمت أن الله جل وعلا إذا أراد أن يقلب الدنيا رأسا على عقب بقوله: كوني، فتكون، فحينها لن تخف إلا من ربك جل وعلا، ولن تذل إلا له، ولن تتوكل إلا عليه، فوجب عليك أن تعلم من الله؟! فإذا عرفت ربك ارتفعت نفسك وسمت.فاللهم ارزقنا تعظيمك يا رب العالمين.ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه: (أنا أعلمكم بالله).." (٢)

"بل قد يحصل على لسان بعض المجانين شيء من ذلك، فيأتي في بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة، وهو مع ذلك متلوث بالنجاسات، مخالط للقاذورات، فيغتر به من جهل حاله، فينسبه إلى أولياء الله المقربين، وهو في الحقيقة معذور قد رفع عنه قلم التكليف، فليس هو وليا لله ولا عدوا له (رَحِمَهُ اللَّهُ١).

وقال ابن سينا: (إذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا، أو تحريكا، أو حركة تخرج عن وسع مثله؛ فلا تتلقه بكل ذلك الاستنكار، فلقد تجد إلى سببه سبيلا في اعتبارك مذاهب الطبيعة) (رَحِمَهُ اللَّهُ٢).

وقال – أيضا – (إذا بلغك أن عارفا حدث عن غيب فأصاب متقدما ببشرى أو نذير، فصدق، ولا يتعسرن عليك الإيمان به، فإن لذلك في مذاهب الطبيعة أسبابا معلومة) (رَحِمَهُ اللَّهُ٣).

فهذا مما يؤكد أن تلك الخوارق قد ينالها الكافر بأسباب طبيعية، لا تدل على ولاية ولا كرامة. وقد قسم أهل العلم الفراسة

---

(١) شرح التدمرية – ناصر العقل، ناصر العقل ٤/٨

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي – محمد حسن عبد الغفار، محمد حسن عبد الغفار ٢٦/٦٢

إلى ثلاثة أقسام (رحمه الله٤)، وذكروا منها الفراسة الرياضية، وأنها تحصل بالجوع، والسهر، والتخلي، وأنها مشتركة بين المؤمن والكافر، لا تدل على ولاية، ولا تكشف عن حق نافع، ولا عن طريق مستقيم.

فإذا كانت هذه الخوارق تقع من المسلم ومن الكافر، وتتعدد أسبابها، وتختلف مصادرها: فقد تكون من الله، أو من نفس الإنسان، أو من الشيطان، لم يكن في وقوعها من شخص ما دليل على ولايته وصلاحه، كما أنه لا يضر المسلم عدمها، فمن لم تنكشف له شيء من المغيبات، أو لم تسخر له شيء من الكونيات لا ينقص ذلك في مرتبته عند الله، بل قد يكون عدم ذلك أنفع له في دنياه وآخرته (رحمه الله٥).

لكن الدين إذا صح علما وعملا فإنه يوجب خرق العادة – كما مر – إذا احتاج إلى ذلك صاحبه، كما قال تعالى: ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون [يونس: ٦٢ – ٦٣] فلم يذكر لهم شيئا أحسن من الوصف بالإيمان والتقوى.

قال أبو علي الجوزجاني: (كن طالبا للاستقامة لا طالبا للكرامة، فإن نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطلب منك الاستقامة) (رحمه الله٦).

وقال أبو العباس بن عطاء: (من ألزم نفسه آداب الله نور الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب – عليه الصلاة والسلام – في أوامره، وأفعاله، وأخلاقه) (رحمه الله٧).

ويقول الشعراني: (أكمل الإلهام أن يلهم الرجل أتباع الشرع، والنظر في الكتب الإلهية، ويقف عند حدودها وأوامرها ...) (رحمه الله٨).

ثم إن الخارق – المكاشفة – قد يقع للمؤمن لنقصان درجته وضعف يقينه، أما من كوشف بصدق اليقين – يقين المعرفة الشرعية – ورفع عن قلبه حجاب الشبهة والشهوة، أغناه ذلك عن معاينة الخوارق، بل الحكمة لا تقتضي حصولها لمن هذا حاله، إنما تحصل للأول لحاجته إليها (رحمه الله٩).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة، فهي كل الكرامة، ثم إذا وقع في طريقه شيء خارق كان كأن لم يقع، فما يبالي، ولا ينقص بذلك، وإنما ينقص بالإخلال بواجب حق الاستقامة) (رحمه الله١٠).

رحمه الله___________

(رحمه الله١) انظر: ((قطر الولي)) (ص: ٢٥٤).

(رحمه الله٢) ((الإشارات والتنبيهات)) (ص: ٢٠٨).

(رحمه الله٣) ((الإشارات والتنبيهات)) (ص: ٢٠٩).

(رحمه الله٤) انظر: ((شرح الطحاوية)) (ص: ٥٠٠).

(رحمه الله٥) انظر: ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (١١/ ٣٢٣)، و ((شرح الطحاوية)) (ص: ٤٩٨).

(رحمه الله٦) ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (١١/ ٣٢٠)، و ((شرح الطحاوية)) (ص: ٤٩٦).

(رحمه الله٧) ((طبقات الأولياء)) لابن الملقن (ص: ٥٩، ٦٠)، و ((مشتهى الخارف)) (ص: ١٦٨).

(رحمه الله٨) ((مشتهى الخارف)) (ص: ٢٧٠).

(رحمه الله٩) انظر: ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (١١/ ٣٢١).

(رحمه الله١٠) ((مجموع فتاوى ابن تيمية)) (١١/ ٣٢١)..".[1]

"٥٥٧ – أخبركم أبو عمر بن حيويه، وأبو بكر الوراق قالا: أخبرنا يحيى قال: حدثنا الحسين قال: أخبرنا ابن المبارك قال: أخبرنا سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني من سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنما أتخوف على أمتي ضعف اليقين»." [2]

"وعليها برد زبيدي كثيف الحاشية وهي على جمل وبيدها سوط منشورة الظفيرة وهي كالفحل يهدر في شقشقته وهي تقول ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ ان الله عز وجل قد أوضح الحق وابان الباطل ونور السبل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مشتبهة ولا عشواء مدلهمة فإلى اين تريدون رحمكم الله افرارا من أمير المؤمنين ومن الزحف أم رغبة عن الإسلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله تعالى يقول ﴿ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم﴾ ثم رفعت راسها إلى السماء وقالت اللهم إنه قد عيل الصبر وضعف اليقين وأنتشرت الرغبة وبيدك يا رب ازمة القلوب فاجمع اللهم الكلمة على التقوى والف القلوب على إلهدى واردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمأم العدل والتقي الوفي والصديق الوصي إنها احن بدرية وضغائن جأهلية واحقاد احدية وثب بها معاوية عند الغفلة ليدرك بها الفرصة من ثارات بني عبد شمس ثم قالت ﴿فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ صبرا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم وكونوا قوما مستبصرين فكأني." [3]

"٨١٦ – أنا يزيد بن هارون، أنا أبو العطوف الجراح بن منهال الجزري، عن الزهري، عن رجل، عن ابن عمر قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟» قال: قلت: يا رسول الله لا أشتهيه. قال: " لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم وبضعف اليقين، فوالله ما برحنا ولا أرمنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ [العنكبوت: ٦٠] ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا اتباع الشهوات فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبئ رزقا لغد»." [4]

"٨١٤– أنا يزيد بن هارون، أنا أبو العطوف الجراح بن منهال الجزري، عن الزهري، عن رجل، عن ابن عمر قال: خرجت مع النبي –صلى الله عليه وسلم– حتى دخل بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر، ويأكل، فقال لي: "يابن عمر، ما لك لا تأكل؟ " قال: قلت: يا رسول الله، لا أشتهيه. قال: "لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أذق طعاما لم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق

---

(١) الموسوعة العقدية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/١١٧

(٢) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد   ابن المبارك ١/١٩٦

(٣) أخبار الوافدات من النساء على معاوية بن أبي سفيان   ابن بكّار ص/٢٩

(٤) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي   عبد بن حميد ص/٢٥٩

سنتهم، ويضعف اليقين؟ " فوالله ما برحنا ولا أرمنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ [العنكبوت: ٦٠] ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم: "إن الله -عز وجل- لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا اتباع الشهوات، فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما، ولا أخبأ رزقا لغد".٨١٥- أنا أبو أسامة، عن الوليد بن كثير المدني، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عبد الله بن عبد الله بن عمر، عن أبيه قال: سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-__________= غريب، والبيهقي "٤/ ٥٥"، والحاكم "١/ ٣٦٦"، وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، أوقفه شعبة، وأحمد "٢/ ٢٧، ٤٠، ٤١، ٥٩، ١٢٧، ١٢٨"، وابن الجارود رقم "٥٤٨" وابن السني في "عمل اليوم والليلة" ورواه ابن ماجه "١/ ٤٩٤" ثنا هشام بن عمار ثنا إسماعيل بن عياش ثنا ليث بن أبي سليم عن نافع عن ابن عمر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- / ح/ وثنا عبد الله بن سعيد ثنا أبو خالد الأحمر ثنا الحجاج عن نافع عن ابن عمر قال: "كان النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا أدخل الميت القبر قال: "بسم الله وعلى ملة رسول الله"، وقال أبو خالد مرة: "إذا وضع الميت في لحده قال: بسم الله وعلى سنة رسول الله"، وقال هشام في حديثه: "بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله".٨١٤- سند ضعيف جدا:فيه أبو العطوف ترجمته في "تعجيل المنفعة" متروك. وفيه رجل لم يسم.٨١٥- رجاله ثقات:=." (١)

"٣١٤٥ - حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جرير بن حازم، حدثنا الحسن، قال: حدثني عمرو بن تغلب رضي الله عنه، قال: أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما ومنع آخرين، فكأنهم عتبوا عليه، فقال: «إني أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم، وأكل أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى، منهم عمرو بن تغلب» فقال عمرو بن تغلب: ما أحب أن لي بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حمر النعم، وزاد أبو عاصم، عن جرير، قال: سمعت الحسن، يقول: حدثنا عمرو بن تغلب: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتي بمال أو بسبي فقسمه بهذا__________ ٢٩٧٦w (٣/١١٤٦) -[ش (ظلعهم) أصل الظلع الاعوجاج والميل والمراد هنا مرض القلب وضعف اليقين. (والغناء) وهو الكفاية وفي رواية (والغنى) ضد الفقر. (بهذا) الذي ذكر في الحديث][ر ٨٨١]." (٢)

"٨٥٣- عبد الرحمن بن بزرج.قال إسماعيل بن أبي أويس: عن ابن وهب، عن سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الرحمن بن بزرج، سمع أبا هريرة، رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ما أخاف على أمتي إلا (١) ضعف اليقين.__________(١) قوله: "إلا"، سقط من المطبوع، وأثبتناه عن "المعجم الأوسط" للطبراني (٨٨٦٩) ، و"شعب الإيمان" ٣١، و"تاريخ دمشق" ٥١/١٨٠.." (٣)

"ربيعة (١) .٨٤٩ - عبد الرحمن بن بليل (٢) .٨٥٠ - عبد الرحمن بن بابي، سمع أبا هريرة رضي الله عنه قوله (٣) ، روى عنه يعلى بن عطاء.٨٥١ - عبد الرحمن بن بديل الهمداني أو كما قال (٤) .٨٥٢ - عبد الرحمن بن بديل

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي عبد بن حميد ٤٤/٢

(٢) صحيح البخاري البخاري ٩٣/٤

(٣) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي محمود خليل البخاري ٢٦٤/٥

بن ميسرة العقيلي عن أبيه، روى عنه عبد الواحد بن واصل البصري.٨٥٣ - عبد الرحمن بن بزرج (٥) ، قال اسمعيل / بن أبي أويس عن ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن عبد الرحمن بن بزرج: سمع أبا هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما أخاف على أمتي ضعف اليقين.____________(١) أي ربيعة بن ابى عبد الرحمن الرأى المدنى (٢) كذا في الاصل، ولعله: ابن بلال، كتب بالامالة، وفى الجرح والتعديل: عبد الرحمن بن بلال بن ابى هريرة روى عن ابيه روى محمد بن حمير عن الحسن بن نعيم عنه ١ هـ (٣) وروى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ايضا، قاله ابن ابى حاتم (٤) كذا في الاصل، ولعل سند الحديث سقط من الاصل قبل " أو كما قال "، قلت لم نظفر بترجمته وإنما المذكور في الكتب: العقيلى، دون الهمداني (٥) تعريب " بزرگ "بالكاف الفارسى، وهو في لغة الفرس بمعنى كبير.(*)."[١]

"٧٦٧ - حدثنا يونس، أنا ابن وهب، قال: وأخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الرحمن بن بزرج، سمع أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين». " [٢]

"حدثنا محمد بن عبد الرزاق الهروي، ويزيد بن هارون، ثنا الجراح بن المنهال الجزوي، عن الزهري، عن ابن عمر، قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحين دخلنا على بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال لي: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟» قال: قلت: يا رسول الله، لا أستسيغه قال: «لاكل، أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده وإن شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين» فوالله ما برحنا مكاننا حتى نزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها -[٣٠٧٩]- الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ [العنكبوت: ٦٠] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات يريد به حياة باقية، وإن الحياة بيد الله تبارك وتعالى، ألا وإني لا أكنز دينارا أو درهما ولا أخبئ رزقا بعد». " [٣]

"قوله تعالى: خالدين فيها نعم أجر العاملينتقدم تفسيره.١٧٤١٠ - قرأت على محمد بن المفضل بن موسى، ثنا محمد بن علي بن الحسين، ثنا محمد بن مزاحم، عن بكير بن معروف، عن مقاتل قوله: نعم أجر العاملين يقول: أجر العاملين بطاعة الله الجنة.١٧٤١١ - حدثنا محمد بن العباس مولى بن هاشم، محمد بن عمرو زنيج، ثنا سلمة بن الفضل قال: محمد بن إسحاق نعم أجر العاملين قال: هي ثواب المطيعين.قوله تعالى: الذين صبروا١٧٤١٢ - حدثنا أبو زرعة، ثنا يحي بن عبد الله حدثني ابن لهيعة حدثني عطاء، عن سعيد بن جبير الذين صبروا يعني على أمر الله.تقدم تفسيره.قول عمر (الصبر صبران-وقول سعيد بن جبير الصبر اعتراف العبد.الحديث.قوله تعالى: وعلى ربهم يتوكلون١٧٤١٣ - حدثنا أبي ثنا أبو صالح حدثني معاوية بن صالح، عن علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: وعلى ربهم يتوكلون قال: لا يرجون غيره.قوله تعالى: وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم١٧٤١٤ - حدثنا محمد بن عبد الرزاق الهروي، يزيد بن

(١) التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع البخاري ٥/٢٦٤

(٢) تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي محمد بن نصر المروزي ٢/٦٩٩

(٣) تفسير ابن أبي حاتم، الأصيل - مخرجا الرازي، ابن أبي حاتم ٩/٣٠٧٨

هارون، ثنا الجراح بن المنهال الجزوي، عن الزهري، عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وحين دخلنا على بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل فقال لي: يا عمر مالك لا تأكل. قال: قلت: يا رسول الله، لا أستسيغه. قال: لأكل أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده وإن شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى، فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين. فو الله ما برحنا مكاننا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها." (١)

"٨٨٦٩ - حدثنا مقدام بن داود، ثنا علي بن معبد، نا عبد الله بن وهب، -[٣٥٩]- عن سعيد بن أبي أيوب، عن عبد الرحمن بن بزرج قال: سمعت أبا هريرة، يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين»لم يرو هذا الحديث عن أبي هريرة إلا عبد الرحمن بن بزرج، تفرد به: سعيد بن أبي أيوب "." (٢)

"ثوبه، وعفر وجهه لله في السجود فقد برئ من الكبر» .٢٣٤ - وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال: «من لبس الصوف، وانتعل المخصوف، وركب حماره، وحلب شاته، وأكل مع عياله، وجالس المساكين، فقد محا الله تعالى عنه الكبر» .وذكر أن موسى، صلوات الله وسلامه عليه، ناجى الله تعالى فقال: يا رب من أبغض خلقك إليك؟ قال: يا موسى من تكبر قلبه، وغلظ لسانه، وضعف يقينه، وبخلت يده.وقال عروة بن الزبير: التواضع أحد مصائد الشرف.وكل ذي نعمة محسود عليها إلا التواضع وقال بعض الحكماء: ثمرة القناعة الراحة، وثمرة التواضع المحبة.وذكر أن المهلب بن أبي صفرة كان صاحب جيش الحجاج، فمر على مطرف بن عبد الله بن الشخير، وهو يتبختر في حلة خز، فقال له مطرف: يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله ورسوله.فقال المهلب: أما تعرفني؟ فقال: بل أعرفك.أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت تحمل فيما بين ذلك العذرة.فترك المهلب مشيته تلك.." (٣)

"بها ولا يتفقدون قلوبهم وأحوالهم بالأوراد فيعرفون النقصان والمزيد منها ولا تجتمع قلوبهم بسبب ولا تقوى نفوسهم بطلب فتتشتت لفقد سبب ويضعف يقينهم لطلب هذه المعاني هي أحوال المريدين وجملة تغييرهم في شيئين: ضيقهم بالخالق فهربوا منه، واتساعهم بالخلق فاستراحوا إليه، ولو دام قربهم منه لدامت راحتهم به ولو وقفت شهادتهم عليه لما نظروا إلى سواه، وأما العارفون فقد فرغ لهم من قلوبهم واجتمعت المتفرقات بمجامعها لهم وأقامهم القائم لهم بشهادتهم له فلهم بكل شيء مزيد ومن كل شيء توحيد، كل خاطر بهم يردهم إليه وكل منظور إليه يدلهم عليه وكل نظرة وحركة طريق لهم إليه، فتوحيدهم في مزيد ويقينهم في تجديد بغير تغيير ولا تصريد ولا إيقاف ولا تحديد، ولربما طلب أحدهم التسبب بالأسباب فيجمعه بها رب الأرباب لأنه مراد بالاجتماع وإنما استروح بالشتات لاستجمام ماهو في قلبه آت ثقة منه بحبيبه وتمكنا عند محبوبه إذ قد علم أنه طالب فطرح نفسه ليحمله فحمله بما تولاه ولم يكله إلى نفسه وهواه، فهذه مقامات لأهلها لا يعرفها سواهم ولا تصلح إلا لهم ولا تليق إلا بهم ولا يقاس عليها ولا يدعى مكانها ولا تنتظر فتترك لها الأوراد ولا تتوقع فيقصر

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٣٠٧٨/٩

(٢) المعجم الأوسط الطبراني ٣٥٨/٨

(٣) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/١٨٥

لأجلها في الاجتهاد والمرادون بها محمولون بها مواجهون بعلمها مسلوك بهم طريقها مزودون زادها وهي محبوسة عليهم مقصورة لهم فهم لها سابقون، فأولياء الله عابدوه وقد عكفوا بقلوبهم لمن عبدوه ونظروا إلى معبودهم الذي عكفوا عليه ففهموا عنه فصل الخطاب بما آتاهم من شهادة حكمه حكم الكتاب إذ يقول: (وانظر إلى إلهك الذي ظلت عليه عاكفا) طه: ٩٧ بعد قوله للغافلين فصيرهم معرضا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين مع قوله: (أن امشوا واصبروا على آلهتكم) ص: ٦، إن هذا الشيء يراد إلى قوله: (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا) الطور: ٨٤، فعلموا أن الإخلاص الذي أمروا به هو العبادة ولا عبادة إلا بمجانبة الهوى وبعدها الإنابة إلى المولى، أما سمعت قوله عز وجل: (والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى) الزمر: ١٧وأيقنوا أن الصلاة عماد الدين ولا صلاة إلا للمتقين ولا تقوى إلا بإنابة، كما قال تعالى: (منيبين إليه واتقوه) الروم: ٣١ثم قال:(وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين) الروم٣١ فهذه عبادة العارفين على سنة النبيين فإنابتهم مشاهدتهم لمذكورهم كقوله في وصف ضدهم: (كانت أعينهم في غطاء عن ذكرى) الكهف: ١٠١ فهم عن كشف من ذكره إذ كانوا بضد وصفهم وحقيقة ذكرهم نسيانهم لسوى مذكورهم بمعنى قوله: (واذكر ربك إذا نسيت) الكهف: ٢٤ فأخرجهم الذكر له إلى الفرار إليه كما فهموا عنه إذ يقول: (لعلكم تذكرون) الأنعام: ١٥٢ ففروا إلى الله فلما هربوا أواهم بقربه ووهب لهم هداية إلى حبه ونشر لهم من رحمته وطواهم في قبضته فلم يرهم إلا هم ولم يعرفهم سواهم، وقد قال تعالى: (."[1]

"جاهدت في سبيل الله وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتلت شهيدا، طوبى لك الجنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما يدريك أنه في الجنة؟ فلعله كان يتكلم فيما لا ينفعه أو يبخل بما لا يضره وفي لفظ آخر: لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويبخل بما لايغنيه، وفي الخبر: إن بعض الصحابة قال لرجل إنه لنؤوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغتبتم أخاكم سلوه أن يستغفر لكم، وفي خبر آخر: إنهم قالوا ماأعجز فلانا فقال: أكلتموه، وفي حديث عائشة رضي الله عنها، قالت لامرأة: ماأطول ذيلها وفي لفظ آخر قالت: إنها لقصيرة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اغتبتها وفي خبر آخر: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: لقد تكلمت بكلمة لو مزج بها ماء البحر لامتزج، فهذا من وصف المبالغة في الشدة، وفي الخبر الجامع لهذه المعاني في وصف الغيبة ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال في أخيه مافيه فقد اغتابه.وفي حديث أبان عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أشد من ذلك أنه قال الغيبة ما إن قلت في أخيك لم تزكه به فهذا نهاية القول من الشدة وغاية التشديد في الغيبة والغيبة اسم لغوي معناه شرعي مشتق من غيب الإنسان وفسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أنها أن يقول العبد في أخيه ما فيه وعظمها بقوله هي أشد من الزنا، فمتى قال العبد لأخيه في غيبته ما يعلمه يقينا فيه مما لا يقوله بمحضره أو مما ينقصه به أو لا يزكيه فيه فقد اغتابه، فلو لم يكن في الصمت إلا السلامة من الغيبة لكان ذلك غنيمة موفورة، كيف وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، أو ذكر الله عز وجل، وأما مخالطة الناس فإنها تضعف العزم الذي كان قويا في أعمال البر وتحل العقد المبرم الذي استوطنه العبد في الخلوة لقلة المتعاونين على البر والتقوى

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٤٨/١

وكثرة المتعاونين على الإثم والعدوان، وفي مخالطة الناس قوة الطلب والحرص على عاجل الدنيا لما يعاين من إقبال أهلها عليه وفيه الفتور عن الخدمة بالنظر إلى أهل الغفلة والملل للطاعة بمجالسة أهل البطالة ونقصان حلاوة المعاملة وذهاب نور العلم وسرعة خروج الوجد بالفهم لاستماع كلام أهل الجهالة والنظر إلى الموتى من أبناء الدنيا كما روي عن عيسى عيه السلام: لا تجالسوا الموتى فتموت قلوبكم، قيل: ومن الموتى؟ قال: المحبون للدنيا الراغبون فيها، وقد كان الحسن يقول في قوله عز وجل: (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) فاطر: ٢٢، قال: الفقراء والأغنياء كان الفقراء حيوا بذكر الله عز وجل والأغنياء ماتوا على الدنيا، وأعظم ما في مخالطة الناس ومجالسة أهل البطالة وذوي غفلتهم ضعف اليقين برؤيتهم، وأضر ما ابتلي به العبد وأعمله في هلاكه وأشده لحجبه وإبعاده ضعف يقينه بما وعد به بالغيب وتوعد عليه في الشهادة وهذا أخوف ما خافه رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمته فيما روينا عنه أنه قال: أخوف ماأخاف على أمتي ضعف اليقين، وذلك أن ضعف اليقين هو أصل الرغبة في الدنيا والحرص على التكاثر منها والتضرع إلى أبنائها والطمع فيهم، كما قال ابن مسعود: إن الرجل ليخرج من بيته ومعه دينه فيرجع إلى بيته وما معه من دينه." (١)

"الأدنى عاجلا أو سوف بالمغفرة آجلا لقوة جهله وضعف يقينه فقال تعالى: (يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا) الاعراف: ١٦٩ وقال: (فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا) النجم: ٢٩، وقال في وصف الصادقين المؤمنين: (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) الأحزاب: ٢٣ وقال في نعت غيرهم: (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون) الصف: ٢، كبر مقتا عند الله فشتان بين من وصف بصدق العهد وبين من ذكر بالخلف وعرض للمقت، وقال في وصف طائفة: (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) سبأ: ٢٠فخص أولياءه بترك أتباعه وأدخل بعض المؤمنين في تصديق ظنه واتباعه إلا فريقا فهم الصديقون والشهداء ولاصالحون وحسن أولئك رفيقا وهم المتوكلون المؤمنون حقا الذين قال إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون وليس من با ع ماله ونفسه محبة لمولاه كمن لم يسأله مولاه دون نفسه لئلا يحفيه فيخرج ضغنه عليه كما قال لطائفة من المؤمنين: (يؤتكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم) محمد: ٣٦، إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا ويخرج أضغانكم الأحفاء الاستقصاء أي سألكم سأل الجملة كلها وأحب منكم الزهد في نفوسكم بعدها؛ والأضغان جمع ضغن وهو الحقد تقول: فلستم في مكان سؤال إذ لا يكون البخيل زاهدا لأن أول الزهد الجود، فمن لم يجد لم يزهد ومن لم يزهد في الدنيا لم يحبه المولى لأنه محب لما يبغض ومريد لما لا يحب فلم يعامل مولاه بأخلاقه ولم يوافقه في مرضاته فباعده وحجبه عن مشاهدة أوصافه كما قال تعالى: (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة) الأنفال: ٦٧، وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: المبلغ عن المآل إذا أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ولا تقدر أن تصف حشو قلوب هذهالطائفة من المؤمنين الذين وصفهم المؤمن أن لو سألهم أموالهم ظهرت عليهم أضغانهم لأنهم من الله في اغترار بما ألبسهم من الإظهار فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا إلا أن الله تعالى لا يسأل من يحبه إكراما له ممن يعلم أنه يسارع إليه بجملة ما سأله لأنه كريم جواد لا يكبر عنده شيء إن سأل سأل الكلية وهو المال والنفس إلا أنه لا يسأل إلا من خلقه بخلق من أخلاقه فمتى لم يكن على العبد سواه شيء سأله محبوبه كل شيء ومتى

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد   أبو طالب المكي ١/١٧٦

عظم في قلبه العرض الفاني وهو ضغين لم يسأله شيء فإذا لم يبق للعبد في نفسه نفسا ولا من ماله ملكا كان الجواد عوضا له من ماله وكان الجبار عوضا له من نفسه إلا أن الله سبحانه لم يذكر إياه في العوض من النفس وذكر الجنة في البدل عن المال لئلا يدخل تحت حكم وهو الحاكم وكيلا ينضم إلى عوض فيكون شفعا وهو الفرد فأخفى نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو إليه السبيل فهذا فهم أوليائه عنه. طائفة من المؤمنين الذين وصفهم المؤمن أن لو سألهم أموالهم ظهرت عليهم أضغانهم لأنهم من الله في اغترار بما ألبسهم من الإظهار فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا إلا أن الله تعالى لا يسأل من يحبه إكراما له ممن يعلم أنه يسارع إليه بجملة ما سأله لأنه كريم جواد لا يكبر عنده شيء إن سأل سأل الكلية وهو المال والنفس إلا أنه لا يسأل إلا من خلقه بخلق من أخلاقه فمتى لم يكن على العبد سواه شيء سأله محبوبه كل شيء ومتى عظم في قلبه العرض الفاني وهو ضغين لم يسأله شيء فإذا لم يبق للعبد في نفسه نفسا ولا من ماله ملكا كان الجواد عوضا له من ماله وكان الجبار عوضا له من نفسه إلا أن الله سبحانه لم يذكر إياه في العوض من النفس وذكر الجنة في البدل عن المال لئلا يدخل تحت حكم وهو الحاكم وكيلا ينضم إلى عوض فيكون شفعا وهو الفرد فأخفى نفسه وهو الدليل وذكر خلقه وهو إليه السبيل فهذا فهم أوليائه عنه.وهذه علامة المحبة الخالصة التي لاشرك فيها لسواه ولا دخل عليها من غيره إياه." (١)

"وبين حسن الخاتمة وقيل يحول بين المؤمن وبين أن يلقيه في كبيرة يهلك فيها وبين المنافق وبين أن يوفقه لطاعة فينجو بها ويحول بين الموحد وبين الخاتمة بالتوحيد، وهذه مخاوف للمؤمنين بتحقيق الوعيد وكذلك الكون بأسره عند الموحدين في القدرة بالتقليب كمثل ريشة في ريح عاصف تقلبه القدرة على مشيئة القادر وليس في القدرة ترتيب ولا مسافة ولا بعد ولا يحتاج إلى زمان ولا مكان، فما ظهر من الملك وثبت للعيون بمكان وزمان فلأجل الحكمة والصنعة والإتقان وما خفي من الملكوت وتقلب ببصائر القلوب فبلطف القدرة وقهر السلطان ونصيب كل عبد من مشاهدة القدرة بقدر نصيبه من التوحيد ونصيبه من التوحيد حسب قسمه من اليقين وقسمه، من اليقين على قربه من القريب وقربه علي حسب قرب الله تعالى من قلبه وقرب الله تعالى منه بقدر علمه بالله تعالى واتساعه في العلم بالله عز وجل على نحو مكانه من مزيد الإيمان ومزيد إيمانه على قدر إحسان الله تعالى إليه وإحسانه إليه على قدر عنايته به وإيثاره له وعلم الله من وراء ذلك وذاك سر القدرة المحجوب المخزن ونصيب كل عبد من الجهل على قدر نصيبه من الغفلة ونصيبه من الغفلة على حسب حب الدنيا وحبه للدنيا على قدر قوة الهوى وقوة الهوى على قدر غلبة سلطان النفس ونشر صفاتها عليه وقوة صفات النفس على قدر ضعف اليقين وضعف يقينه على كثافة الحجاب والبعد بينه وبين الله عز وجل والحجاب والبعد ميراثه الكبر وقسوة القلب والقسوة تورث الانهماك في المعاصي وإدمان المعاصي عن الإعراض والمقت، والإعراض والمقت، من قلة عناية المولى بعبده وسوء نظره له، ومن وراء ذلك سر القدر الذي به عن الخلق قد استأثره، فهذه الأوصاف المذمومة العبد مبتل بها على تضاد تلك الصفات المحمودة التي هي من المنعم بها ولكل وجهة هو موليها ومكان الهوى من القلب على قدر تزيين العدو له وتسليطه عليه، فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقا حرجا، (إن ينصركم الله

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد   أبو طالب المكي ١/١٩٥

فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده) آل عمران: ١٦٠، وان يمسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله، فإذا كان الهادي هو المضل فمن يهدي؟.وقد قال تعالى: (فإن الله لا يهدي من يضل) النحل: ٣٧ أي فإن الله من شأنه أن أحدا لا يهدي من أضله ومن كان أضله الله في سابق علمه فكيف يهديه الآن، كذلك قال على الحرف الآخر فإن الله لا يهدي من يضل فإذا كان المعطي هو المانع فمن يعط ولو كان الخير كله في قلب عبد ما قدر أن يوصل إلى قلبه من قلبه ذرة ولا استطاع أن ينفع نفسه بنفسه خردلة لأن قلبه وان كان جارحته فهو خزانته وله فيه ما لا يعلم هو فهو لا يطلع على ما فيه كما قال معجبا لمن جهله وأضله أطلع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهدا فكيف به أن يملك ما فيه فيصرفه بما يحب، وقد قال: سبحان مصرف القلوب وقد." (١)

"روينا معناه مسندا قيل: يا رسول الله رجل حسن اليقين كثيرالذنوب ورجل مجتهد في العبادة قيل اليقين: فقال ما من آدمي إلا وله ذنوب ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لأنه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه ويبقى له فضل يدخل به الجنة.وروينا في حديث أبي أمامة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال ما فاته من قيام الليل وصام النهار، وفي وصية لقمان لابنه: يا بني لا يستطاع العلم إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه وقد يعمل الضعيف إذا كان متيقنا أفضل من العمل القوي الضعيف في يقينه ومن يضعف يقينه تغلبه المحقرات من الإثم، وقد كان يحيى بن معاذ يقول: إن للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين واليقين على ثلاث مقامات: يقين معاينة وهذا لا يختلف خبره فالعالم به خبير وهو للصديقين والشهداء، ويقين تصديق واستسلام وهذا في الخبر والعالم به مخبر مسلم وهذا يقين المؤمنين وهم الأبرار منهم الصالحون ومنهم دون ذلك كقوله تعالى جده: (وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) الأحزاب: ٢٢، وقد يضعف هؤلاء بعدم الأسباب ونقصان المعتاد ويقوون بوجودها وجريان العادة ويحجبون بنظرهم إلى الأواسط ويكاشفون بها ويجعلون مزيدهم وأنسهم بالخلق ويكون نقصهم ووحشتهم بفقدهم ويكون من هؤلاء الاختلاف ويتلونون بالخلاف لتلوين الأشياء وتغيرها نقصها.المقام الثالث من اليقينوهو يقين ظن يقوى بدلائل العلم والخبر وأقوال العلماء ويجد هؤلاء المزيد من الله تعالى والنصيب منه لهم ويضعف بفقدالأدلة وصمت القائلين وهذا يقين الاستدلال وعلوم هذا في المعقول وهو يقين المتكلمين من عموم المسلمين من أهل الرأي وعلوم العقل والقياس والنظر وكل موقن بالله تعالى فهو على علم من التوحيد والمعرفة ولكن علمه ومعرفته على قدر يقينه ويقينه من نحو صفاء إيمانه وقوته وإيمانه على مقتضى معاملته ورعايته، فأعلى العلوم علم المشاهدة عن عين اليقين وهذا مخصوص للمقربين في مقامات قربهم ومحادثات مجالستهم ومأوى أنسهم ولطيف تملقهم، وأدنى العلوم علم التسليم والقبول بعدم الإنكار وفقد الشكوك وهذا لعموم المؤمنين وهو من علم الإيمان ومزيد التصديق وهذا لأصحاب اليمين، وبين هذين مقامات لطيفات من أعلى طبقات المقربين إلى أوسط المقامات ومن أدنى طبقات أصحاب اليمين إلى أعلى أواسط الأعلين.." (٢)

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢١٨/١

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٣٥/١

"وأصل قلة الصبر ضعف اليقين بحسن جزاء من صبرت له لأنه لو قوي يقينه كان الأجل من الوعد عاجلا إذا كان الواعد صادقا فيحسن صبره لقوة الثقة بالعطاء ولا يصبر العبد إلا بأحد معنيين مشاهدة العوض وهو أدناهما، وهذا حال المؤمنين ومقام أصحاب اليمين أو النظر إلى المعوض وهو حال الموقنين ومقام المقربين، فمن شهد العوض عني بالصبر، ومن نظر إلى المعوض حمله النظر وقد جعل بعض العارفين الصبر على ثلاثة معان، وإنه في أهل مقامات ثلاث، فقال: أوله ترك الشكوى قال وهذه درجة التائبين، والثانية الرضا بالمقدور وهذه درجة الزاهدين، والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصادقين وقد نوع القدماء من السلف الصبر على ثلاثة أنواع.وروينا عن الحسن وغيره: الصبر على ثلاثة معان صبر عن المعصية وهو أفضلها، وصبر على الطاعة، وصبر في المصائب، وهذا داخل في جمل ما فرقناه من معاني الصبر، ومجمل ذلك أن الصبر فرض وفضل يعرف ذلك بمعرفة الأحكام، فما كان أمرا أو إيجابا فالصبر عليه أو عنه فرض، وما كان حثا وندبا فالصبر عليه أو عنه فضل والتصبر غير الصبر وهو مجاهدة النفس وحملها على الصبر وترغيبها فيه وهو التعمل للصبر والتصنع للصبور بمنزلة التزهد، وهو أن يعمل في أسباب الزهد ليحصل الزهد والصبر، هو التحقق بالوصف وذلك هو المقام، ولا يخرج العبد من الصبر كراهة النفس ولا وجدان المرارة والألم بل يكون مع ذلك صابرا لأن هذا وصف البشرية لما ينافي طبعها، ولكن يكون حاله الكظم عن الشكوى ونفي السخط لحكم المولى لأن عدم ذلك وفقده هو الرضا وحقيقة التوكل، وهذان من أعلى مقامات اليقين، وفقد مراتب اليقين لا يخرج عن حد الصبر والذي يخرج عن حد الصبر ضده وهو الجزع ومجاوزة الحد من السعلم وإظهار السخط وكثرة الشكوى وظهور الذم والتبرم، ومن رياضة النفس على التصبر وهو مقام المتصبرين وحال ضعفاء المريدين أن النفس الأمارة إذا جنحت بك إلى فضول الشهوات أو نازعتك إلى مطالبة متقدم العادات أن تمنعها حاجتها من كل شيء فيشغلها منع الحاجة ووجود الفاقة مما لا بد منه عن طلب فضول الشهوات فإذا رضتها بالمنع ومنعتها محبوبها بالتصبر عن الحلال انقادت لك بالصبر عن فضول الشهوات فتكون تاركة لشهوة بعوض عاجل من مباح وتكون صابرة عن فضول شهوة لما منعتها من منال الفاقة وتاركة للهوى طمعا في نوال الحاجة من الغذاء وهذا من أكبر أبواب الرياضات للنفوس الطامحات وفيه فضل الأقوياء من المتصبرين الذين لم تستجب لهم نفوسهم بالصبر والصلاة ولم تنقد بالجوع والظماء، فأما الضعفاء من أهل الطبقة الثالثة لا من الأولين أهل الصوم والصلاة ولا من هؤلاء فإنهم لا يصبرون على تصبر النفس عن الحاجة كما لا تصبر نفوسهم عن الشهوة فرياضة هؤلاء لنفوسهم أن يقطعوها من كل حرام معناه من الحلال ومن كل شهوة مهلكة." (١)

"فدقائق النفاق وخفايا الشرك عن نقصان التوحيد وضعف اليقين أوجبت المخاوف على المؤمنين خشية مقت الله تعالى، وخوف حبوط الأعمال.من ذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول: إن الرجل ليخرج من منزله ومعه دينه فيرجع إلى منزله وليس معه من دينه شيء، يلقى الرجل فيقول: إنك لذيت وذيت ويلقى الآخر فيقول لأنت وأنت، ولعله لا يخلى منه بشيء، وقد سخط الله تعالى عليه، يعني به التزكية لما لا يعلم، والمدح لمن يستحق الذم، واختلاف قلبه ولسانه، ففي هذا مقت من الله تعالى.وفوق هذه المخاوف سلب الإيمان الذي هو عندك في خزانة المؤمن، يظهره كيف شاء، ويأخذه

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٣٤/١

متى شاء، لا يدري أهبة وهبه لك فيبقيه عليك لكرمه؟ أو وديعة وعارية أودعك إياه وأعارك هو؟ فيأخذه إذا لا محالة لعدله وحكمته، وقد أخفى عنك حقيقة ذلك، واستأثر بعاقبته.وقال بعض العارفين: إنما قطع بالقوم عند الوصول مع الخاتمة: وقال آخر: واخطراه كما قال أبو الدرداء وحلف: ما أحد أمن من أن يسلب إيمانه إلا سلبه، أفرأيت الوقت الذي قال حذيفة: يأتي على القلب ساعة فيمتلئ نفاقا حتى لا يكون فيه للإيمان مغرز إبرة، إن صادف الموت ذلك الوقت وكان هو آخر وقت، أليس تخرج روحه على النفاق، وكذلك تقليبات القلوب في معاني الشرك وتلويحات الشك إن وافق وقت الوفاة كان خاتمته عند لقاء مولاه، وإنما سميت الخاتمة لأنها آخر عمله وآخر ساعة من العمر، وخاتم الشيء آخره ومن ذلك قوله تعالى: (وخاتم النبيين) الأحزاب: ٤٠ أي آخرهم، ومثله: (ختامه مسك) المطففين: ٢٦ وخاتمه مسك أي آخر الكأس، بدلا من الثفل يكون مسكا.ومن المخاوف خوف قطع المزيد من علم الإيمان مع بقية المعرفة المبتدأة ليكون مستدرجا بها كما قال بعض العلماء: إن الله تبارك وتعالى إذا أعطى عبدا معرفة فلم يعامله بها لم يسلبه تلك المعرفة ولكن بقاؤها فيه حجة عليه ليحاسبه على قدرها وإنما يقطع عنه المزيد وقد يقسى قلبه وتجري عينه وذلك من النقصان الذي لا يعرفه إلا أهل التمام لأنه يمنعه منه ما ينفعه عنده ويعطيه ما يغتر به ويفتتن عند الخلق لأن عين الوجه من الملك للدنيا وعين القلب من الملكوت للآخرة وقال مالك ابن دينار: قرأت في التوراة: إذا استكمل العبد النفاق ملك عينيه فيبكي متى شاء وقد كانوا يستعيذون بالله عز وجل من بكاء النفاق وهو أن يفتح للعبد ألوان البكاء ويغلق عنه باب الذل والخشوع.وقد قال الله عز وجل: (وجاءوا أباهم عشاء يبكون) يوسف: ١٦ وكان السلف أيضا يقولون: استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل: وما هو؟ قال: أن تبكي العين والقلب قاس فلأن يعطي الإنسان رقة القلب في جمود عين خير من أن يعطي دموع عين في قسوة قلب،." (١)

"وكذلك روينا في تأويل قوله تعالى: (وفي أنفسكم أفلا تبصرون) الذاريات: ٢١ قيل: مواضع الغائط والبول، وقال سبحانه وتعالى: (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) الرعد: ٢٦ قال بعض أهل اللغة: متاع أي جيفة، سمعت عن الأصمعي، قال بعض العرب يقول متع اللحم إذا تغير وأنتن، وقد كان الحسن رحمه الله تعالى يقول لما هبط آدم عليه السلام إلى الدنيا كان أول شيء عمل فيها أنه أحدث.وروينا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إنه نظر إلىما خرج منه فآذاه ريحه فاغتم لذلك فقال له جبريل: هذه رائحة خطيئتك فشهد العقلاء عن الله تعالى الدنيا في صورة كنيف فلم يدخلوا فيها إلا ضرورة فكلما استغنيت عن دخولك الكنيف كان أفضل وشهدها بعضهم جيفة فلم ينالوا منها إلا بلغة فكلما تقللت من الجيفة كان خيرا، وقال وهب بن منبه: قرأت في بعض الكتب: يا بابن آدم إن تردني أترك الدنيا وإن ترد الدنيا طال عناك، وفي بعض كتب الله تعالى: يا ابن آدم أنا بدك اللازم فلا تؤثر على ما منه بد، وقال بعض المخبرين عن الله سبحانه وتعالى: إنه أوحى إلى الدنيا: اخدمي من خدمني واتعبي من خدمك، وقال آخر: وقد روينا مسندا أن الله تعالى أوحى إلى الدنيا: تمرري لأوليائي حتى تكون رغبتهم فيما عندي واحلولي لأعدائي حتى يكرهوا لقائي، وفي حديث عائشة رضي الله عنها: من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله تعالى كره الله لقاءه؛ فهذه الآثار كلها، قاصمة لظهر

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٩١/١

زبناء الدنيا، مسخنة لعين محبيها ووأضدادها من الأخبار الحسنى في فضل الزهد وشرف الفقر، رافعة لرؤوس الفقراء الصادقين، وقرة عين الصالحين لله عز وجل الزاهدين؛ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرهة أعين جزاء بما كانوا يعملون، وأصل الرغبة في الدنيا من ضعف اليقين لأن العبد لو قوي يقينه نظر بنوره إلى الآجل فغاب في نظره العاجل فزهد فيما غاب وأحب الحاضر فآثر ما هو أعود عليه وأبقى وأنفع له ولمولاه، أرضى وقدم ما يفنى وينقطع إلى ما يدوم ويتصل؛ وهذا هو صورة الزهد وشهادة الموقن وإن الحاضرلا يحب ما غاب وانتقل: ألم تر إلى وصفه عز وجل لإبراهيم وليكون من الموقنين قال: لا أحب الآفلين، والموقن مأمور باتباع ملة إبراهيم بقوله تعالى: (ملة أبيكم إبراهيم) الحج: ٧٨ أي عليكم ملة أبيكم إبراهيم واتبعوا ملته وليس يشهد الوعد والوعيد الآجل بنور العقل إنما يشهد بنور اليقين على أنا نقول: إن الأنوار أربعة والقلب موجه جهات أربعة إلى الملك والملكوت وإلى العز والجبروت؛ فبنور العقل يشهد الملك، وبنورالإيمان يشهد الملكوت وهو الآخرة، وبنور اليقين يشهد العزة وهي الصفات، وبنور المعرفة يشهد الجبروت وهو الوحدانية، والجبار تعالى فوق القلب محيط به يكاشفه بما شاء فيغلب عليه وجد ما أشهده، وضعف اليقين قد يدخل." [1]

"لفضله) يونس: ١٠٧ فقلت: إن أراد أن يضرني لم يقدر أحد أن ينفعني، وإن أعطاني لم يقدر أحد أن يمنعني، وقوله: (فاذكروني أذكركم) البقرة: ١٥٢ فاشتغلت بذكره عن ذكر من سواه، وقوله تعالى: (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها) هود: ٦، فوالله ما اهتممت برزقي منذ قرأتها فاسترحت، وقد كان سهل بن عبد الله يقول: المتوكل إذا رأى السبب فهو مدع، وقال: ليس مع الإيمان أسباب، إنما الأسباب في الإسلام؛ معناه ليس في حقيقة الإيمان رؤية الأسباب والسكون إليها، إنما رؤيتها والطمع في الخلق يوجد في مقام الإسلام.ومن ذلك ما قال لقمان لابنه: للإيمان أربعة أركان: لا يصلح إلا بهن كما لا يصلح الجسد إلا باليدين والرجلين: التوكل على الله، والتسليم لقضائه، والتفويض إلى الله، والرضا بقدر الله، فحال المتوكل سكون القلب عن الاستشراف إلى العبيد والتطلع وقطع الهم عن الفكرة فيما بأيديهم من التطمع، عاكف القلب علي المقلب المدبر، مشغول الفكر بقدرة المصرف المقدر، لا يحمله عدم الأسباب على ماحظره العلم عليه وذمه، ولا يمنعه أن يقول الحق وأن يعمل به أو يوالي في الله ويعادي فيه جريان الأسباب على أيدي الخلق، فيترك الحق حياء منهم أو طمعا فيهم أو خشية قطع المنافع المعتادة، ولا تدخله نوازل الحاجات وطوارق الفاقات في الانحطاط في أهواء الناس والميل إلى الباطل أو الصمت عن حق لزمه، أو يوالي في الله عدوا أو يعادي وليا، ليرب بذلك حاله عندهم، أو يشكر بذلك ما أسدوه إليه بالكف عنهم، ولا يرب الصنعة التي قد عرف بها لنظره إلى الصانع، ولا يتصنع لمصنوع دخله لعلمه بسبق الصنع لدوام مشاهدته، ولا يسكن إلى عادة من خلق، ولا يثق بمعتاد من مخلوق؛ إذ قد أيقن برزقه ونفعه وضره من واحد، فهذه المعاني من فرض التوكل، فإن وجدت في عبد خرج بها عن حد التوكل دون فضائله وتدخله في ضعف اليقين، وقد كان الأقوياء إذا دخل عليهم شيء من هذه الأهواء المفسدة لتوكلهم، قطعوا تلك الاسباب، وحسموا أصولها واعتقدوا تركها، وعملوا في مفارقة الأمصار والتغرب عن الأوطان وترك الآلاف والإيلاف، فأخرجوا ذلك من حيث دخل عليهم، ووضعوا عليه دواءه وضده من حيث تطرق إليهم، حتى ربما فارقوا ظاهر العلم وخالفوا علم أهل الظاهر إلى علوم الباطن

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٤٠٨/١

وحكم مشاهدتهم وقيامهم بحق أحوالهم، إذ ليس أهل الظاهر حجة عليهم في شيء إلا وهم عليه حجة في مثله، لأن الإيمان ظاهر وباطن، والعلم محكم ومتشابه، ولأن أهل الحق أقرب إلى التوفيق وأوفق لإصابة الحقيقة، كل ذلك رعاية لصحة توكلهم ووفاء بحسن عهدهم وعملا بأحكام حالهم لئلا تسكن قلوبهم لغير الله، ولا تقف هممهم مع سوى الله، ولا تطمئن نفوسهم إلى غيره، ولا يتخذوا سكنا سواه، ولا يسكنوا إلى أهواء النفوس وينخدعوا لسكونها عن سكون القلب، فيسيء ذلك يقينهم." (١)

"أبان عن حمدان الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: فقام إلي أبواي فقبلاني في صدورهما فقلت بغير حمدكما ولا حمد صاحبكما، أحمد الله تعالى الذي عززني وبرأني، وفي حديث غيره فقال لها أبو بكر: قومي فقبلي رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: والله لا أفعل ولا أحمد إلا الله، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعها يا أبا بكر، فهذه المعاني التي قدمناها تكون من ضعف اليقين، ونقصان المعرفة، فإذا انطوت في سر العبد وخلده وكثرت من قوله وفعله أذهبت حقيقة الإيمان، كما قال عبد وأن العبد ليخرج من منزله ومعه إيمانه فيرجع إلى منزله وليس معه من إيمانه شيء يلقى الرجل لا يملك له ضرا ولا نفعا، فيقول إنك لذيت وذيت، ويلقى الآخر كذلك حتى يرجع إلى منزله، ولعله لم يخل منه بشيء وقد أسخط الله عليه.وسئل بعض علمائنا عن معنى الخبر المنقول من التوراة: من تواضع لغني ذهب ثلثا دينه، فقال: لأن الإيمان عقد وفعل وقول، فإذا تواضع للغني لأجل دنياه بالثناء والحركة إليه، ذهب ثلثا إيمانه وبقي الثلث وهو العقد، فإن جعلت الأواسط في الرزق أوائل في الجعل لثبوتها فإن الله تعالى قد أظهرها أسبابا وأثبت نفسه فيها فقال تعالى: (قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم) السجدة: ١١، ثم رفعه وأظهر نفسه فقال تعالى: (الله يتوفى الأنفس حين موتها) الزمر: ٤٢، وكذلك قال: (أفرأيتم ما تحرثون) الواقعة: ٦٣، فذكر الأواسط ثم قال: (أنا صببنا الماء صبا) (ثم شققنا الأرض شقا) عبس ٢٥ - ٢٦، وقال في التفصيل: (فأرسلنا إليها روحنا) مريم: ١٧، ثم قال تعالى في التوحيد: (فنفخنا فيها من روحنا) الانبياء: ٩١، وكان النافخ جبريل عليه السلام، كما قال تعالى: (فإذا قرأناه فاتبع قرآنه) القيامة: ١٨.قال أهل التفسير: فإذا قرأه عليك جبريل فخذه عنه بعد قوله تعالى: (لاتحرك به لسانك لتعجل به) القيامة: ١٦ وكذلك قال جبريل: لأهب لك غلاما ذكيا لأن الله تعالى وهب له أن يهب لها، فذكر نفسه وهو يشهد ربه ثم قال في الحرف الآخر: ليهب لك يعني الله تعالى، ومثله قول موسى عليه السلام: لا أملك إلا نفسي وأخي لأجل أن الله تعالى قال: (ووهبنا له من رحمتنا أخاه) مريم: ٥٣، وهو في الحقيقة لا يملك نفسه ولا آخاه إذ لا مالك أصلا إلا الله عز وجل، وهذا على أحد الوجهين إذا كان وأخي في موضع نصب والوجه الآخر أن يكون قوله وأخي في موضع رفع فيكون المعنى وأخي أيضا لا يملك إلا نفسه وكذلك قال سبحانه في التفصيل والأمر: (اقتلوا المشركين) التوبة: ٥، وقال في مثله من ذكر واسطة الأمر: (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم) التوبة: ١٤ ثم قال في التوحيد: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) الأنفال: ٧١، وقال في إثبات الأسباب ورفع

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٨/٢

حقائقها: (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال: ١٧، وقال تعالى في ذكر الأواسط: (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله." (١)

"أواسطها فهي ثوان عن الأول المبدئ، ومن ههنا، وفي مثله دخلت الشبهة على المبتدعين فقالوا بخلق القرآن، فلو لم يدخل عليهم إلا إنهم جعلوا قول القائلين قبل قول الله أحكم الحاكمين، فأثبتوا قبل قوله قيلا وهو القول منهم لنفيهم قدم الكلام، فوقعوا بجهلهم في أعظم مما هربوا منه لأنهم هربوا من إثبات قديم آخر بزعمهم، فوقعوا في إثبات حدث أولا وإحداث قدم ثانيا، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وسبحانه بكرة وأصيلا، ولم يعلموا بجهلهم أنهم إنما قالوا بعد قوله، فصار قولهم عن قوله، وكان هو الأول في القول من حيث كان هو الأول بالقدم والسابق بالعلم، وصاروا هم ثوان في المقال من حيث كانوا حوادث من الأفعال، فكذلك أيضا تدخل الشبهة على الغافلين من ضعف اليقين لشهود المانعين والمنفقين أوائل في الفعل من قبل أن الله تعالى أظهر العطاء والمنع بأيديهم، فشهدوهم معطين مانعين لنقصان توحيدهم فأشركوا في أسماء الله كما أشركت المبتدعة في صفات الله عز وجل أن حجبوا عن شهادة سبق علم الله كما حجب الزائغون عن حقيقة توحيد الله تعالى، إلا إن شرك الزائغين ضلال ينقل عن الملة وهو شرك جلي وشرك ضعفاء اليقين غفلة وجهل لا ينقل عن الملة لأنه شرك خفي، وحكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل، فلما انفتل الإمام نظر إليه في زي غير مكتسب فقال: يا شيخ من أين تأكل؟ فقال: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك، وحدثونا في معناه عن آخر أنه لزم العكوف في المسجد ولم يكن ذا معلوم من عيش فقال له الإمام: الذي يصلي بالناس لوتكسبت وتعبست كان أفضل لك فلم يجبه، فأعاد عليه وقتا آخر نحو ذلك، فقال يهودي في جوار المسجد: قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقنعت بذلك وتركت التكسب، فقال الإمام: إن كان صادقا في ضمانه فإن عكوفك في المسجد خير لك، فقال له الرجل: يا هذا أنت لو لم تكن إماما للمسليمن تقوم بينهم وبين الله لنقص توحيدك كان خيرا لك.وحدثت أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين: أدرك لي لطف الفطنة وخفي اللطف فإني أحب ذلك، قال: يا رب وما لطف الفطنة؟ قال: إن وقعت عليك ذبابة فاعلم أني أوقعتها فسلني أرفعها، قال وماخفي اللطف؟ قال: إن أتتك فولة مسوسة فاعلم أني قد ذكرتك بها، وهذاالذي ذكرناه من أن الله سبحانه وتعالى هو المعطي المانع الضار النافع حيث كان، هو الخالق الرازق كيف شاء، ومتى شاء، وبمن شاء، هو في عقود عموم المؤمنين وفي علمهم، ألا إن فيهم جهلا بالحكمة وغفلة عن الحاكم، يحيلون ذلك إلى عاداتهم ويريدون أن يكون رزقهم من حيث معتادهم، أو من حيث معقولهم باختيارهم ومعقولهم بالعز والفخر والتطاول والأنفة، لا على الذل والتواضع والفقر والمسكنة، ولا يكلون أمورهم إلى الله ويرضون بتدبيره وتقديره أن يرزقهم كيف شاء وبيد مم شاء فيؤثرون." (٢)

"أخلاق الجبابرة على أخلاق المؤمنين، لبعدهم من مشاهدة اليقين ولاستيلاء أخلاق النفس عليهم، ثم إن نفوسهم مع علمهم أن الخلق والأرض كله لله عز وجله، وأن الحمد والملك له، قد تطمع في غير الله وترجو سواه، وقد تضطرب

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٩/٢

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢٣/٢

بجبلتها عن أثقال الحقائق، وقلوبهم لا تطمئن بل تنزعج عند الابتلاء بالمصائب والفاقات، ولاتصبر للخالق، وإن ألسنتهم قد تسبق بالمدح والفرح مع رؤية الأواسط أو بالذم والأسى على فوت العطاء لوجود الغفلة وذهابهم عن مشاهدة ما يعلمون، فهذا دليل نقص توحيدهم وضعف يقينهم، وإن معرفتهم معرفة سمع وخبر لامعرفة شهادة وخبر، وقد شركهم الموقنون بتسليم ذلك لله في العلم والقدرة وإثبات الأواسط والأسباب لمجاري الحكمة وعود الثواب والعقاب على الخليقة، ولكن زادوا عليهم بحسن اليقين وقوة المشاهدة وجميل الصبر وحقيقة الرضا، فسكنت القلوب واطمأنت النفوس عند النوازل والبؤس، وثبتوا في الإبتلاء لشهود المبلي يدبر الخلائق كيف شاء، فحصل لهم في اليقين وحال من التوكل ونصيب من الرضا، وخرج أولئك من حقائق هذه المعاني ودخلوا في عمومها، ودخل عموم المؤمنين مع الموقنين في فرض التوكل، قد جاوزهم الموقنون فارتفعوا عليهم وعلوا في فضله ووقف العموم ونكصوا عن العلو لقعود اليقين بهم وحجب الأسباب لهم، وسبق المقربون إلى الفضل، ويؤت كل ذي فضل فضله، هم درجات عند الله، والله بصير بما يعملون، وقال بعض العلماء: احتجب عن العموم بالأسباب فهم يرونها، وحجب الأسباب بنفسه عن الخصوص فهم يرونها ولا يرونها، وحدثونا عن سري السقطي قال: ثلاث يستبين بهن اليقين، القيام بالحق في مواطن الهلكة، والتسليم لأمر الله عند نزول البلاء، والرضا بالقضاء عن زوال النعمة، وقال يوسف بن أسباط قبله: كان يقال: ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه، من إذا رضي لم يخرجه رضاه إلى باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن حق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. ذكر التكسب والتصرف في المعايشولايضرالتصرفوالتكسب لمن صح توكله ولايقدح في مقامه ولا ينقص من حاله قال الله سبحانه: (وجعلنا النهار معاشا) النبأ: ١١، وقال تعالى: (وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون) الأعراف: ١٠ وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: أحل ما أكل العبد من كسب يده وكل بيع مبرور، وقد كان الصانع بيده أحب إليهم من التاجر، والتاجر أحب إليهم من البطال، وقال ابن مسعود: إني لأكره أن يكون الرجل بطالا ليس في عمل دنيا، ولا في عمل آخرة، ولأن التوكل من شرط الإيمان ووصف الإسلام، قال الله تعالى: (إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين) يونس: ٨٤، فاشترط في الإيمان به والإسلام له التوكل عليه، فإن كان حال المتوكل التصرف فيما قد وجه فيه ودخل في الأسباب وهو ناظر إلى المسبب في تصريفه، معتمد عليه واثق به في حركته، متسبب فيما يقلبه فيه مولاه، متعيش." (١)

"بالتكسب الأكل للشهوات والقيام بحظوظ النفس من الرفاهية نقص ذلك من توكله وأخرجه من حقيقته، فكان طريقا من طرقات الدنيا إلا أنه مباح، وإن قصد بتكسبه التكاثر والحرص للجمع والمنع كان عاصيا بكسبه مخالفا لربه، وهذا من أكبر طرق الهوى، ثم إن لم يتكسب وصبر على الجوع ورضي بالقلة والفقر، فإن رزقه يأتيه لا محالة لمجيء وقته، وإن كان قليلا دون سعة، ولكنه يحتاج إلى فضل صبر، وحسن رضا، وسكون نفس، وطمأنينة قلب، فإن وجد هذه المعاني فهذا هو التوكل، وكان فاضلا في ترك التكسب بحسن يقينه وثقته برازقه وشغله بما هو أفضل وأنفع له في عاقبته، وإن تشتت همته، واضطربت نفسه، وتكره قضاء ربه، فأخرجه ذلك إلى الجزع والهلع والتبرم والشكوى، فالتكسب لهذا أفضل وهو منقوص بتركه، كذلك أيضا من أكبر الشكوى من علته وتسخط حكم ربه وتبرم وضجر وسطا على الناس، وساء خلقه بمرضه فإن

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٢٤

الأفضل لهذا أن يتداوى وهو ناقص بتركه.وروينا عن عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم، أن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره، إن الله بحلمه وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الغم والحزن في الشك والسخط.ذكر استواء شهادة المتوكل مع اختلاف ظهور الأسبابويستوي عند الخصوص بعين يقينهم ما جاءهم بواسطة أيديهم، وأسباب كسبهم وما جاءهم بأيدي غيرهم وبغير كسبهم إذا كان المعطي عندهم واحدا والعطاء كله رزقا إذ كانت الأيدي ظروف العطاء فيستوي وكأن الظرف يدك أو يد غيرك، وسواء كان الكسب كسبك أو كسب غيرك لك إذ جميعه رزقك، ولأن لكل شيء حكما وفي كل شيء حكمة وبكل شيء نعمة، قال الله تعالى: (إرم ذات العماد) (التي لم يخلق مثلها في البلاد) الفجر: ٧ – ٨ فأضافها إليه في الخلق بعد أن بنوها بأيديهم وفرغوا منها، ومثل هذين أيضا يستوي عندهم ما ظهر بيد القدرة لا خلق فيه ولا واسطة به، وما ظهر بأيديهم عن الحكمة وترتيب العرف، لأن القدرة أيضا بمنزلة ظرف للعطاء ظهر العطاء بها، فهي كأيدي العباد من يد الإنسان نفسه أو يد غيره، إذ القدرة والحكمة خزانتان من خزائن الملكوت والملك، فهذه المعاني الثلاث أعني ما ظهر عن يدك وتكسبك، وما ظهر بيد غيرك، وعن كسبه لك، وما أظهرته القدرة عن غير عرف معتاد ولا واسطة مرت به، هذا كله عند الموقنين سواء، لا يترجح بعضه على بعض لرجحان إيمانهم وقوة يقينهم ونفاذ." (١)

"كان قد استودعه، فحزن وساءه حين استرجع منه ما أودعه وأعاره وأودعها غيره أو دفعها إلى من هي رزقه، وكانت له من قبل، أن المتوكل قد علم أن الله تعالى، إذا وهب شيئا من الدنيا للأجسام من الملك وشيئا من الآخرة من الملكوت وصار ذلك رزقا للمتوكل في آخرته، فآثر لضعف يقينه رزق دنياه على رزق آخرته لنقصان زهده، ليس ذلك، إلا للطمع فيه، وفضل الرغبة والشره إذ قد علم أن ما أخذ منه كان وديعة لغيره عنده، فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين موجبات للتوبة والاستغفار عند الموقنين، من قبل أن المتوكل قد علم أن الله إذا وهب شيئا من الملك في الدنيا للأجسام أو شيئا من ملكوت الآخرة في القلوب، لم يأخذه أبدا؛ فما كان في الدنيا بقي لصاحبه إلى آخر أثره حتى يفنيه ويبليه، وما وهبه من الآخرة من الإيمان والعلم والعمل لم يأخذه أبدا بل ينميه ويزيده فيه إلى أبد الأبد في دار الأبد، ولكن قد يعير ويستودع من أمور الدنيا وأمور الآخرة، فهذا النوع لا بد أن يسترده ويسترجعه في الدنيا لأن حكمته أوجبت رده كما أوجب كرمه تبقية ما وهبه، فلا ينبغي للمتوكل الموقن ما ذكرناه أن يحزنه ما حول الله من خزانته التي في يده مما أعاره واستودعه إلى خزانته الأخرى التي هي يد غيره، ممن لعله يهبه له أو يبتليه بأحكامه فيه، فيخرج أيضا من يده إلى يد غيره لأنه ما خرج من الدار شيء، ولله حكمة وابتلاء في كل شيء؛ فالحزن والأسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية، ومن المؤمنين خيانة، يستغفرون الله ويتوبون إليه كما يتوبون من المعاصي، لأنهم قد شهدوا ما بيناه ولأنه قد أمرهم بترك الأسى على فائت الدنيا وقلة الفرح بما أتى منها، إذ لا بد من كونهما لأنه قد علمه وبعد علمه قد كتبه وبعد كتبه قد أعلم به، فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين؛ أن ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، فما ظهر من المصائب في

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٤٤

الأموال والأنفس فقد سبق قبل خلق الخلق، وهذا قوله تعالى: (من قبل أن نبرأها) الحديد: ٢٢، قيل: من قبل أن نخلق الخليقة وقبل أن نبرأ الأرض وقيل: من قبل أن نبرأ الأنفس، وقيل: من قبل أن نبرأ المصيبة، ثم قال تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) الحديد: ٣٢، فالأسى على فقد الشيء على قدر الفرح بوجوده، أفلا يستحي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاه؟ فيأسى على ماليس له ويحزن على ما أخذ منه واستودعه، أو يفرح بما ليس له لأنه لا يعلم أنه قد وهب له، فيبقي عليه، أو قد أعيره فيؤخذ منه، فلما استرجعه من يده التي هي يده تعالى قبضه، أيقن أنه لم يكن له وأنه إنما كان وديعة عنده فحزن وساء، فهذا لما أيقن شك، ولما علم جهل ورغب فيما ينبغي أن يزهد فيه، فأي شك مع ذلك يتوهم المتوكل على الله ويدعي منازل الأقوياء الأغنياء بالله، الشاهدين لمجاري قدر الله في تصاريف حكمه، فإذا علم العبد أنه كاذب استكان استكانة الكذابين وتاب توبة المدعين، ولم ينطق بكلام الصادقين ولا يدل إدلال المحبوبين، فيكون تعريف الله إياه هذه المعاني تأديبا له ومزيد مثله، وهذا مزيد الناقصين. ما حوله الله من خزانته التي هي في يده إلى خزانته الأخرى التي هي في يد غيره، إذ قد علم أن يده خزانة مولاه، وأن ما حوله منها لم يكن له وإنما كان قد استودعه، فحزن وساءه حين استرجع منه ما أودعه وأعاره وأودعها غيره أو دفعها إلى من هي رزقه، وكانت له من قبل، أن المتوكل قد علم أن الله تعالى، إذا وهب شيئا من الدنيا للأجسام من الملك وشيئا من الآخرة من الملكوت وصار ذلك رزقا للمتوكل في آخرته، فآثر لضعف يقينه رزق دنياه على رزق آخرته لنقصان زهده، ليس ذلك، إلا للطمع فيه، وفضل الرغبة والشره إذ قد علم أن ما أخذ منه كان وديعة لغيره عنده، فهذه كلها ذنوب عند المتوكلين موجبات للتوبة والاستغفار عند الموقنين، من قبل أن المتوكل قد علم أن الله إذا وهب شيئا من الملك في الدنيا للأجسام أو شيئا من ملكوت الآخرة في القلوب، لم يأخذه أبدا؛ فما كان في الدنيا بقي لصاحبه إلى آخر أثره حتى يفنيه ويبليه، وما وهبه من الآخرة من الإيمان والعلم والعمل لم يأخذه أبدا بل ينميه ويزيده فيه إلى أبد الأبد في دار الأبد، ولكن قد يعير ويستودع من أمور الدنيا وأمور الآخرة، فهذا النوع لا بد أن يسترده ويسترجعه في الدنيا لأن حكمته أوجبت رده كما أوجب كرمه تبقية ما وهبه، فلا ينبغي للمتوكل الموقن ما ذكرناه أن يحزنه ما حول الله من خزانته التي في يده مما أعاره واستودعه إلى خزانته الأخرى التي هي يد غيره، ممن لعله يهبه له أو يبتليه بأحكامه فيه، فيخرج أيضا من يده إلى يد غيره لأنه ما خرج من الدار شيء، ولله حكمة وابتلاء في كل شيء؛ فالحزن والأسف على فوت مثل هذا عند العارفين جناية، ومن المؤمنين خيانة، يستغفرون الله ويتوبون إليه كما يتوبون من المعاصي، لأنهم قد شهدوا ما بيناه ولأنه قد أمرهم بترك الأسى على فائت الدنيا وقلة الفرح بما أتى منها، إذ لا بد من كونهما لأنه قد علمه وبعد علمه قد كتبه وبعد كتبه قد أعلم به، فكشف لهم اليقين عن الكتاب المستبين؛ أن ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها، فما ظهر من المصائب في الأموال والأنفس فقد سبق قبل خلق الخلق، وهذا قوله تعالى: (من قبل أن نبرأها) الحديد: ٢٢، قيل: من قبل أن نخلق الخليقة وقبل أن نبرأ الأرض وقيل: من قبل أن نبرأ الأنفس، وقيل: من قبل أن نبرأ المصيبة، ثم قال تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم) الحديد: ٣٢، فالأسى على فقد الشيء على قدر الفرح بوجوده، أفلا يستحي العبد أن يكون على ضد ما أمر به أو بخلاف ما يحبه منه مولاه؟ فيأسى على ماليس له ويحزن على ما أخذ منه واستودعه، أو يفرح بما ليس له لأنه لا يعلم أنه قد وهب له، فيبقي عليه، أو قد أعيره فيؤخذ منه، فلما استرجعه من يده التي هي يده تعالى

قبضه، أيقن أنه لم يكن له وأنه إنما كان وديعة عنده فحزن وساء، فهذا لما أيقن شك، ولما علم جهل ورغب فيما ينبغي أن يزهد فيه، فأي شك مع ذلك يتوهم المتوكل على الله ويدعي منازل الأقوياء الأغنياء بالله، الشاهدين لمجاري قدر الله في تصاريف حكمه، فإذا علم العبد أنه كاذب استكان استكانة الكذابين وتاب توبة المدعين، ولم ينطق بكلام الصادقين ولا يدل إدلال المحبوبين، فيكون تعريف الله إياه هذه المعاني تأديبا له ومزيد مثله، وهذا مزيد الناقصين.والمعاملة الخامسة أن يكون له بكل درهم تلف سبعمائة درهم، كأنه قد أنفقه في سبيل الله، حسب له ذلك لأنه قد كان نواه، وكذلك إن لم يؤخذ ما في بيته استنباطا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفة قرارها: إن له أجر غلام ولد، له من ذلك الجماع وعاش فقتل في سبيل الله، وإن كان لم يولد له فقال: أنت تخلقه، وأنت ترزقه إليك، محياه إليك، مماته أقرها قرارها ولك ذلك.والمعاملة السادسة أن لا يأثم أخوه الذي أخذ رحله إن كان قد جعله صدقة عليه، فيؤجر أجرا ثانيا لإشفاقه على أخيه، وحسن نظره للعصا من حيث لا يعلمون تخلقا بأخلاق مولاه، وينال بعفوه عن ظالمه درجة المحسنين، ويتحقق بمقام المتقين ويكون ممن وقع أجره على الله، فيخفي له ما لا تعلم نفس من قرة العين ولأنه قد علم كيف جرى الأمر وأن الآخذ مبتلي بسوء القضاء، وأنه قد عوفي إذ لم يكن هو ذلك العبد فيرحم أهل البلاء حينئذ، ويحمد الله على ماعافاه فيشغله الشكر لله عن الدعاء على ظالمه، قال بعض العارفين لبعض أصحابه: لم أسقط أهل المعرفة اللأئمة عن الظالمين لهم فقلت: لاأدري قال: لعلمهم أن الله قصدهم بذلك وابتلى الظالمين بهم فرحموهم، وذلك داخل في نصر أخيه الظالم لنفسه، وطاعة لأمر رسوله في قوله: أنصر أخاك ظالما أو مظلوما؛ أي تمنعه عن الظلم فإذا عفا عنه فقد منعه من الظلم، لأنه لو رآه منعه من أخذه أو وهبه له فيقوم عفوه عنه مقام رؤيته.والمعاملة السابعة تحققه في الزهد فيما ذهب، وقال أبو سليمان الداراني لما بلغه عن مالك بن دينار أنه قال للمغيرة: اذهب فخذ تلك الركوة من البيت فلا حاجة لي بها، وكان قد أهداها إليه وقبلها منه فقال: ولم؟ قال يوسوس إلى العدو أن اللص قد أخذها وكان مالك لا يغلق بابه إنما كان يشده بشريط وكان يقول: لولا الكلاب ما شددته أيضا، فقال أبو سليمان: هذا من ضعف قلوب الصوفيين، هو قد زهد مني الدنيا فما عليه بمن أخذها، وهذا كما قال أبو سليمان: لأن الزهد إذا صح دخل الرضا فيه، ولقول مالك أيضا وجه كأنه كره أن يعصي الله به، فيكون هو سبب معصية الله، ولكن قول أبي سليمان أعلى لأجل التوكل والرضا، وهذا الذي ذكرناه من ذهاب ما في البيت هو لكل من ذهب له مال في سفر أو حضر، ولكل من أصيب بمصيبة في نفس أو أهل هذه المعاملات كلها إذا اعتقدها بقلبه." (١)

"وكانت في خلده ووجده، وإن لم ينطق بها أو يظهرها: فأكثر الناس إيمانا وأحسنهم يقينا أقلهم غما وأيسرهم أسى على ما فات من الدنيا، وأحسنهم رضا وأنفذهم شهادة من رأى أن ذلك نعمة أوجبت عليهم شكرا، وأقل الناس إيمانا وأضعفهم يقينا أشدهم أسى وأكثرهم غما على ما فات، وأطولهم شكوى وأقلهم شكرا، فالمصائب محنة تكشف الزهد في الدنيا والرغبة، ألم تسمع إلى الحديث الذي جاء فيه هذا الدعاء: وأسألك من اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا، فشدة الغم على فوت الدنيا دليل على حبها وعلامة ضعف اليقين بمحبوبه وسهوله الغم على فوتها دليل على الزهد فيها وقوة

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد   أبو طالب المكي ٥٤/٢

اليقين بربه، فإن وجد المتوكل رحله بحاله لم يضره بتبقيته شيء وكان له أجر ما قد نوى من المعاملات، ولا أعلم هذا القول واعتقاده عند خروج العبد من منزله أو تركه لرحله أو خروجه في سفر ينفعه شيئا ولا يضره، ولا يقدم ضياع شيء حكم الله ببقائه له ولا يؤخر ترك العقد لهذا تبقية ما حكم الله بذهابه، ومع ذلك فيكون له حال من التوكل ومقامات في المعاملات إلا شيئا واحدا من باب نقصان الدنيا من طريق الورع، فإنه ينقصه وهو أنه إن أخذ ما توكل على الله فيه، وفوض إليه أمره به، ثم رد عليه، لم يستحب له في الورع أن يتملكه، ولا أن يرجع فيه في حسن الأدب، لأنه قد كان جعله صدقة في سبيل الله، فإن رجع فيه لم ينقص ذلك توكله، لأنه قد صح تفويضه إلى الوكيل في الحالين معا، فيكون رده عليه لأنه قد كان وهبه له بمنزلته ابتداء عطاء منه. وقد روينا أن ابن عمر سرقت ناقته فطلبها حتى أعيا، ثم قال: في سبيل الله، فدخل المسجد وصلى ركعتين فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن ناقتك في مكان كذا، فلبس نعله وقام ثم نزعها، ثم قال: أستغفر الله، وجلس فقيل له: ألا تذهب فتأخذها فقال: إني قد كنت قلت: في سبيل الله، وحدثت عن بعضهم قال: رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته فقلت: مافعل الله بك؟ فقال: غفر لي وأدخلني الجنة، وعرضت على منازلي فيها فرأيتها، قال وهو في ذلك كئيب حزين فقلت: قد دخلت الجنة وغفر لك وأنت حزين، فتنفس الصعداء ثم قال: نعم إني لاأزال حزينا إلى يوم القيامة، قلت: ولم ذلك؟ قال: إني لما رأيت منازلي من الجنة رفعت لي مقامات في عليين ما رأيت مثلها فيما رأيت، ففرحت بها، فلما هممت بدخولها، نادى مناد من فوقها: اصرفوه عنها فليست هذه له، إنما هذه لمن أمضى السبيل فقلت: وما أمضى السبيل؟ قيل لي: قد كنت تقول للشيء إذا ذهب منك: في سبيل الله، ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيناها لك، وقد حدثونا أن الربيع بن خيتم سرق فرسه وكان ثمنه عشرين ألفا، وكان قائما يصلي فلم يقطع صلاته ولم ينزعج لطلبه فجاءه الناس يعزونه فقال: أما إني قد كنت رأيته وهو." (١)

"وفخرت بها وإذا أعطاك زينة الاخرة وهي المصائب والبلاء كرهتها وأخفيتها لئلا تعاب بذلك، فحسب عليه حب الدنيا والتزين بها وكراهة البلاء تكذيبا لله وردا عليه ما وصفه، وهذا يدخل في باب الزهد وفي باب الرضا، ويدخل على من أخفى الفقر والبلاء حياء من الناس لئلا يعاب بذلك، فهو من ضعف يقينه بقوة شاهد الخلق، ويدخل فيه من أظهر الغنى من غير نية ولا تحدث بنعمة الله، فذلك أيضا من قوة شاهد حب الدنيا، وكذلك قال أبو سليمان الداراني: ثلاث مقامات لا حد لها، الزهد والورع والرضا، وخالفه سليمان ابنه، وكان عارفا، ومن الناس من كان يقدمه على أبيه فقال: بلى، من تورع في كل شيء فقد بلغ حد الورع، ومن زهد في كل شيء فقد بلغ حد الزهد، ومن رضي عن الله في كل شيء فقد بلغ حد الرضا، ولا ينقص الراضي من مقام الرضا مسألة مولاه مزيد الآخرة وصلاح الدنيا، تعبدا بذلك وافتقارا إليه في كل شيء لأن في ذلك رضاه ومقتضى تمدحه بمسألة الخلائق له، فإن صرف مسائله إلى طلب النصيب من المولى وابتغاء القربمنه حبا له وآثره على ما سواه كان فاضلا في ذلك، لأنه قد رد قلبه إليه وجمع همه بذلك، وهذا على قدر مشاهدة الراضي عن معرفته، وهو مقام المقربين ومقتضى حاله، لأنه يسأل عن عمله بعلمه في وقت من أحواله كما يسأل عن جملة عماله بعلومه في جملة عمره، وهذا أصل فاعرفه، فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف، فلم يكن يضرهم عندهم خلاف

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٢/٥٥

من خالف، وإن كان دعاؤه تمجيد السيدة وثناء عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره وولها بحبه، لأنه مستوجب لذلك بوصفه، ولأنه واجب عليه، فقد استغرقه وجوب ما عليه عماله، فهذا أفضل وهو مقام المحبين، وهو من القيام بشهادته، وقد دخل فيما ذكرناه من مقتضى حاله بالعمل بعمله في وقته، وللعلماء مسألة قد اختلفوا فيها: في أهل المقامات ثلاث، أيهم أفضل؟ عبد يحب الموت شوقا إلى لقاء الله، وعبد يحب البقاء للكد والخدمة للمولى، وعبد قال: لا أختار شيئا بل أرضى مايختار لي مولاي، إن شاء أحياني أبدا وإن شاء أماتني غدا، قال: فتحاكموا إلى بعض العارفين فقال: صاحب الرضى أفضلهم لأنه أقلهم فضولا، وهذا كما قاله في الاعتبار بترك الاعتراض والاختبار، لأنه دخل في الدار بغير اختيار، وكذلك يكون خروجه منها على معنى دخوله بلا اختيار، لأن مقام الرضا أعلى من مقام التشوق، ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا إلى لقاء الله، وهذا مقام في المحبة وفي حقيقة الزهد في الحياة. ه حبا له وآثره على ما سواه كان فاضلا في ذلك، لأنه قد رد قلبه إليه وجمع همه بذلك، وهذا على قدر مشاهدة الراضي عن معرفته، وهو مقام المقربين ومقتضى حاله، لأنه يسأل عن عمله بعلمه في وقت من أحواله كما يسأل عن جملة عماله بعلومه في جملة عمره، وهذا أصل فاعرفه، فهو طريق الصوفيين وعليه عمل العارفين من السلف، فلم يكن يضرهم عندهم خلاف من خالف، وإن كان دعاؤه تمجيد السيدة وثناء عليه شغلا بذكره ونسيانا لغيره وولها بحبه، لأنه مستوجب لذلك بوصفه، ولأنه واجب عليه، فقد استغرقه وجوب ما عليه عماله، فهذا أفضل وهو مقام المحبين، وهو من القيام بشهادته، وقد دخل فيما ذكرناه من مقتضى حاله بالعمل بعمله في وقته، وللعلماء مسألة قد اختلفوا فيها: في أهل المقامات ثلاث، أيهم أفضل؟ عبد يحب الموت شوقا إلى لقاء الله، وعبد يحب البقاء للكد والخدمة للمولى، وعبد قال: لا أختار شيئا بل أرضى مايختار لي مولاي، إن شاء أحياني أبدا وإن شاء أماتني غدا، قال: فتحاكموا إلى بعض العارفين فقال: صاحب الرضى أفضلهم لأنه أقلهم فضولا، وهذا كما قاله في الاعتبار بترك الاعتراض والاختبار، لأنه دخل في الدار بغير اختيار، وكذلك يكون خروجه منها على معنى دخوله بلا اختيار، لأن مقام الرضا أعلى من مقام التشوق، ثم الذي يليه في الفضل الذي يحب الموت شوقا إلى لقاء الله، وهذا مقام في المحبة وفي حقيقة الزهد في الحياة.وفي الخبر: من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، والذي يحب البقاء للخدمة وكثرة." (١)

"ومما أخبر عنه بما أسروهم الذين خدموه شهوة وعادة وحاجة، أحبوه لمنافعة ومرافقه ولأجل ما في يده من ملكه، وحب هؤلاء يتغير لانقلاب الأحكام، وهؤلاء لم يتحققوا بالإخلاص ولا الزهد، وقد بقي عليهم من نفوسهم هوى، حجبهم ذلك عن مخالصته وبعدهم عن مضافاته، وهذه هي أوصافهم عائدة لهم وعليهم، فحب هؤلاء حول قلب لأن الأفعال التي أحبوه لأجلها تحول فيحولون، وتختلف عليهم بالمكاره والمرائر فيختلفون، وفي هؤلاء المريدون والعاملون والراجون والطامعون والتائبون وأصحاب اليمين من هؤلاء. ائفون والعاملون والمتوكلون والراضون، وهو المقام الأعلى وهم الأعلون عنده في المنتهى، والعموم أحبوه من طريق مواجيد الأفعال، وهي النعم والإحسان والأيادي والأفضال، وعما أظهر من العوافي ومما أخبر عنه بما أسروهم الذين خدموه شهوة وعادة وحاجة، أحبوه لمنافعة ومرافقه ولأجل ما في يده من ملكه، وحب هؤلاء

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٧٢/٢

يتغير لانقلاب الأحكام، وهؤلاء لم يتحققوا بالإخلاص ولا الزهد، وقد بقي عليهم من نفوسهم هوى، حجبهم ذلك عن مخالصته وبعدهم عن مضافاته، وهذه هي أوصافهم عائدة لهم وعليهم، فحب هؤلاء حول قلب لأن الأفعال التي أحبوه لأجلها تحول فيحولون، وتختلف عليهم بالمكاره والمرائر فيختلفون، وفي هؤلاء المريدون والعاملون والراجون والطامعون والتائبون وأصحاب اليمين من هؤلاء.وقد قال بعض العارفين: كل محبة كانت عن عوض إذا زال العوض زالت المحبة فمنهم من عرف حاله في مقامه، فاعترف بنقصان محبته وتقصير شهادته واستغفر منها وأناب، ومنهم من ليس عليه ذلك لنقصان مزيده وضعف يقينه، فكانت محبته عن صفات متصلة بذات، ويخاف على مثل هذا الانقلاب عندكشف الغطاء، لأنه في اغترار وفتنة والتباس ومحنة، وفي طريق مكر وهلكة إلا أن تداركه رحمة من ربه، فيوقف في حده في مقامه ويرده إلى حاله من مكانه، فيتوب من محبته ويستغفر من شهادته، فحينئذ يرحمه الله تعالى فيدخله في أهل العفو، ويستر عليه في الآخرة كما ستر عليه في الدنيا، فلقيه تحت الستر في الدارين، وهذه بعض مخاوف الصادقين من المحبين لأنها محبة إظهار لا ظهور، فصاحبها في تقلب وغرور، إلا أن أهل محبة الأفعال ينقسمون قسمين: منهم من أحبه لأجل أفعاله إلا أن يشهدها منه فيراه فيها، فهو يتبصر له ويتعمل في المجاهدة ويجتهد في تنقية محلبه لبقاء حاله، فهذا أعلاهما وهذه محبة عموم أهل الآخرة الذين لا يشهدون سواها، ولايطلبون إلا إياها، ومنهم من تتغير عليه الأفعال وتخرجه من الاعتياد، ويتابع عليه البلاء وينقصه من العوافي في المال والنفس، فيخرج صفته ويظهر من تسخطه وتبرمه به، فهذا قد افتضح بدعوى المحبة وقد كشفه بعد ستره، فلم يزن في المحبين حبة، وهذه محبة أهل الدنيا الذين هم لها يكدحون وإياها يطلبون وقد سئل الجنيد رحمه الله تعالى عن المحبة فقال: الناس في محبة الله خاص وعام: فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام إحسانه وكثرة نعمه، فلم يتمالكوا أن أرضوه إلا أنهم تقل محبتهم وتكثر على قدر النعم والإحسان، فأما الخاصة فنالوا المحبة بعظيم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد بالملك، فلما عرفوا صفاته الكاملة وأسماءه الحسنى، لم يمتنعوا أن أحبوه إذا استحق عندهم المحبة بذلك لأنه أهل لها، ولو زال عنه جميع النعم، ومن الناس من يكون محبا لهواه أو لعدو الله إبليس، وهو يدعي لعظيم جهله وطول غرته المحبة لله تعالى.قال بعض علمائنا: عوتب أبو محمد في قوله: لكل أحد يادوست قال: وقلت له:." (١)

"بما توسوس به من أمور الدنيا، فأما إن خطرت همة محظورة أو فكرة في معصية مأزورة؛ فهذا هو الهلاك والبعد، يكون عن وصف النفس الأمارة باستحواذ العدو المغوي؛ فهو علامة الإبعاد، والحجاب دليل المقت، والإبعاد والإعراض، فإذا ابتلي في صلاته بهذه المعاني فقد اختبر بذلك فعليه أن يعمل في نفيه مع نفس بدوه، ولا يمكنه من الظهور من قلبه فيملكه، ولا يصغي إليه بعقله فيستولي عليه، ولا يحادثه ولا يطاوله فيخرجه من حد الذكر واليقظة إلى مسامرة الجهل والغفلة، وكل عمل محظور فالهمة به محظورة وفيه نقص، وكل عمل مباح فالهمة به مباحة ونفيها فضيلة، وما خطر على قلبه من الخيرات المتأخر فعلها فليعقد النية بذلك، فإنه قد ذكر به وأريد منه، ثم ليمض في صلاته ولا يشتغل بتدبيره؛ كيف يكون؟ ومتى يكون؟ أو كيف أكون فيه؟ وعنده إذا كان فيفوته الإقبال في الحال بتدبير شأنه في المآل؛ وهذا هو استراق من العدو عليه وإلقاء من خدوعه إليه، فإن جاهد هذا المصلي نفسه عن مسامرة الفكر وقابل عدوه في قطع وسوسة الصدر،

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٣٣/٢

كان مجاهدا في سبيل الله تعالى، مقاتلا لمن يليه من أعداء الله تعالى، له أجران: أجر الصلاة للتقرب إلى الكريم، وأجر المصارمة والمحاربة لعدوه الرجيم.وقد كان الأقوياء من المؤمنين، أهل الغلظة على الأعداء والتمكين، إذا ابتلوا بداخل يدخل عليهم في الصلاة من الأسباب، يخرجهم عن المشاهدة فيها عملوا في قطع ذلك الشيء وإبعاده من أصله، إذ كان سبب قطعهم وإبعادهم من قربهم، فيستخرج بإدخال ذلك عليهم إخراجهم من الدنيا؛ وهو الزهد فيها، فيكون ذلك إحسانا من الله إليهم ومريدا منه لهم؛ وهذا أحد ما زهد لأجله الزاهدون في الدنيا لتصفو قلوبهم من الأسباب فتخلص أعمالهم من الوسواس بالاكتساب ومن ذلك ما بلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نزع الجبة التي كانت عليه في الصلاة لما نظر إلى علمها وقال: ألهتني هذه في الصلاة يعني شغلتني، ونظر إلى شراك نعله في الصلاة وكان جديدا، فأمر أن ينزع منها ويعاد لها الشراك الخلق، وكان قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال: تواضعت لربي كيلا يمقتني، ثم خرج بها فدفعها إلى أول سائل لقيه، ثم أمر عليا أن يشتري له نعلين سبتيين جرداوين فلبسهما.وكان الضعفاء من المؤمنين يعملون في نفيه وترك مساكنته ومحادثته في الحال لقوادح اليقين في إيمانهم ولسرعة التيقظ في قلوبهم؛ لأن الآفات تدخل من مكان الهوى وتمكن الأعداء، ومكان الهوى وقوة العدو لطول الغفلة وعدم حلاوة الطاعة لاتساع النفس في الشهوات وقوة سلطانها على الصفات واتساع النفس وقوة صفتها لضيق القلب، وضعف اليقين إذ لو قوي يقين العبد لانشرح صدره ولأطفأ نور يقينه ظلمة هواه، ولاندرجت النفس في القلب اندراج الليل في النهار، ولأسقط مكانه من الشهادة تمكن." (١)

"وقد روينا في الخبر: لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان، فجمع بين المنة والسمعة، كما جمع بين السمعة والرياء ورد بهن الأعمال؛ فالمسمع الذي يتحدث بما صنعه من الأعمال ليسمعه من لم يكن رآه، فيقوم ذلك مقام الرؤية، فسوى بينهما في إبطال العمل لأنهما عن ضعف اليقين، إذ لم يكتف المسمع بعلم مولاه، كما لم يقنع المرائي بنظره فأشرك فيه سواء وألحق المنان بهما لأن في المنة معناهما من أنه ذكره فقد سمع غيره به، أو رأى نفسه في العطاء ففخر به وأداه سرا، فإن أظهره نقل من السر وكتب في العلانية، فإن تحدث به محي من السر والعلانية فكتب رياء، فلو لم يكن في إظهار الصدقة مع الإخلاص بها إلا فوت ثواب السر لكان فيه نقص عظيم، فقد جاء في الأثر: تفضل صدقة السر على صدقة العلانية سبعين ضعفا، وفي الحديث المشهور: سبعة في ظل عرش الله تعالى يوم القيامة يوم لا ظل إلا ظله: أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله ما أعطت يمينه، وفي لفظ آخر: فأخفى عن شماله ما تصدقت به يمينه؛ وهذا من المبالغة في الوصف وفيه مجاوزة الحد في الإخفاء، أي يخفي من نفسه فكيف غيره؟ وقد تستعمل العرب المبالغة في الشيء على ضرب المثل والتعجب وإن كان فيه مجاوزة للحد، من ذلك أن الله عز وجل ذم قوما ووصفهم بالبخل وبالغ في وصفهم فقال تعالى: (أم لهم نصيب من الملك فإذا لا يؤتون الناس نقيرا) النساء: ٥٣، والنقير لا يريده أحد ولا يطلبه ولا يعطاه، لأنه هو النقطة التي تكون على ظهر النواة، منه منبت النخلة وفيه معنى أشد من هذا وأغمض أنه لما قال: فأخفى عن شماله، كان لهذا القول حقيقة في الخفاء فهو أن لا يحدث نفسه بذلك ولا يخطر على قلبه، وليس يكون هذا إلا أن لا يرى نفسه في العطاء أصلا ولا يجري وهم ذلك على قلبه، كما يقول في سر الملكوت: إن الله تعالى لا يطلع عليه إلا من لا يحدث نفسه به،

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد   أبو طالب المكي ١٧٣/٢

بمعنى أنه لا يخطر على قلبه، ولا يذكره، ولا يشهد نفسه فيه شغلا عنه بما اقتطع به، وبأنه لا يباليه؛ فعندها صلح أن يظهر على السر، فإن لم يمكنك على الحقيقة أن تخفي صدقتك عن نفسك فاخف نفسك فيها، حتى لا يعلم المعطى أنك أنت المعطي؛ وهذا مقام في الإخلاص، فإن أظهرت يدك في الإعطاء فاخفها سرا إلى المعطي؛ هذا حال الصادق، فقد كان بعض المخلصين يلقي الدرهم بين يدي الفقير، أو في طريقه، أو موضع جلوسه، بحيث يراه وهو لا يعلم من." (١)

"مولاه، فلا يتولاه لأن النفس مبتلاة بحب الثناء والمدح وإثبات المنزلة بإظهار الوصف، فيكون هذا الصاحب حينئذ من أشأم الناس عليه وأضرهم له، ويصير أحدهما بلاء على صاحبه، فليفارقه حينئذ لأنه جاهل ولا يصحبه، فإنه يجد النقصان وتدخل عليه الآفات بمقارنته، فلينفرد بنفسه فيصدق في حاله عالية كانت أو دنيئة، وضيعة كانت أم رفيعة، من غير مقارنة أحد ولا مباينة فهو خير له وأحمد عاقبة، وهذا باب لطيف قد هلك فيه خلق كثير على ضربين منهم، من صاحب وآخى وبايت على هذه العلل فساكنها، ومن هذه الآفات فقارنها الضعف يقينه وقوة هواه، وكبر الناس في عينه وعظم قدر الدنيا مما يناله منهم في قلبه، فهلك بالتزين والتصنع وأهلك أخاه بنحو ذلك، والضرب الثاني من المتعبدين المعروفين بالستر والصلاح، خافوا ولم يحبوا أن يظهروا على حالهم كراهة الذم وخيفة النقص لهم، فلم يحبوا أن يختبروا بالمباينة ولا ينكشفوا في المصاحبة، ولا تعرف أحوالهم بطول الممارسة، وأحبوا مع ذلك أن يشار إليهم من بعيد ويتوهم فيهم العبادة من غير طول ملاقاة، فأظهروا التفرد والعزلة، وتركوا المباينة والصحبة، وأنكروا هذا وعابوه، يريدون أن يبينوا بذلك عن نظرائهم وينفردوا به عن جملة الخلق بدعوى الحال، ليختصوا بغيرها عندهم من غير حال، ولا انقطاع إلى الله سبحانه، ولا اشتغال، ولقلة معرفة العامة بأحوال الصادقين، فهلك أيضا بالمباينة وغربة الحال وترك السنة من إجابة الدعوى، ومخالطة الأمة كبرا وتطاولا على العامة، وتمويها منهم على من لا يعرف سيرة الأمة، وأوهم بذلك أنه مشغول عنه بسلوك الطريق، لعلمه أنهم لا يعرفون محجة التحقيق، ولعله مشغول بهم وأنهم وساوس قلبه، وهو في ذلك منكشف للصادقين ظاهر جلي للعارفين، وقد جاء في مخالطة المسلمين، وفي الأكل مع الإخوان والاختلاط بالعامة، والمشي في الأسواق واشتراء الحوائج، وحملها للتواضع ما يكثر رسمه ويطول وصفه وكذلك كان سيرة الصحابة وشيمة التابعين بإحسان منهم، عمر رضي الله عنه، كان يحمل القربة على ظهره لأهله، وعلي رضي الله عنه كان يحمل التمر والملح في ثوبه ويده ويقول:لا ينقص الكامل من كماله ... ما جر من نفع إلى عيالهومنهم أبي وابن مسعود وحذيفة وأبو هريرة، كانوا يحملون حزم الحطب وجرب الدقيق على أكتافهم وظهورهم، وسيد المرسلين وإمام المتقين، ورسول رب العالمين محمد صلى الله عليه وسلم كان يشتري الشيء فيحمله بنفسه، فيقول له صاحبه: أعطني أحمله عنك فيقول: صاحب الشيء أحق بحمله، وكان الحسن بن علي عليهما السلام يمر على السؤال في الطريق، وبين أيديهن كسر ملقاة في الأرض، فيسلم عليهم فيقولون: هلم." (٢)

"الغداء يا بن بنت رسول الله، فيثني رجله عن بغلته وينزل، فيقعد معهم على الأرض ويأكل، ثم يركب ويقول: إن الله تبارك وتعالى لا يحب المستكبرين ثم يدعوهم بعد ذلك إلى منزله فيقول للخادم: هلمي ما كنت تدخرين فيأكلون معه،

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ١٧٨/٢

(٢) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٨/٢

وروينا في الإسرائيليات أن حكيما من الحكماء صنف ثلاثمائة وستين مصنفا في الحكمة، حتى ظن أنه نال منزلة عند الله تعالى، فأوحى الله إلى نبيه: قل لفلان أنك قد ملأت الأرض نفاقا، وإني لا أقبل من نفاقك شيئا، قال: فتخلى وانفرد في سرب تحت الأرض وقال: قد بلغت محبة ربي فأوحى الله عز وجل إلى النبي، قل له إنك لم تبلغ رضاي قال: فدخل الأسواق وخالط العامة وجالسهم، وأكل الطعام بينهم ومشى في الأسواق معهم، فأوحى الله تبارك وتعالى الآن حين بلغت رضاي، فلو أيقن اليائس المتصنع للخلق، الأسير في أيديهم، الرهين لنظرهم، أن الخلق لا ينقصون من رزق، ولا يزيدون في عمر، ولا يرفعون عند الله، ولا يضعون لديه، وأن هذا كله بيد الله عز وجل، لا يملكه سواه، ولو سمع خطاب المولى لاستراح من جهد البلاء، إذ يقول الله عز وجل: (إن الذين تدعون من دون الله) الأعراف: ١٩٤، لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه، مع قوله تعالى: (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) الأعراف: ١٩٤ فلو عقل ذلك لطرح، الخلق عن قلبه اشتغالا بمقلبه، ولأعرض عن الناس بهمه نظرا منه إلى مهمه، وأظهر حاله وكشف أمره تقويا بربه وغنية بعلمه، فلم يبال أن يراه الناس على كل حال يراه فيه مولاه، إذا كان لا يعبد إلا إياه ولا يضره ولا ينفعه سواه، فعمل ما يصلحه وإن كان عند الناس يضعه، وسعى فيما يحتاج إليه وإن كان عند المولى يزري عليه، ولكن ضعف يقينه فقوى إلى الخلق نظره، وأحب أن يستر عنهم خبره لإثبات المنزلة عندهم، ولاستخراج الجاه لنفسه، فيفخر بالخيلاء والعجب، فموه بحال على من لا حال له، ووهم بمقام عند من ليس له مقام، واعتقدوا فضله بذلك لنقصهم، وتوهموا به علمه لجهلهم، ولو صدقوا الله لكان خيرا لهم، حدثونا عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: والله ما أقول لك إلا نصحا، أنه ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما يصلحك فافعله، وحدثونا عن الثوري قال: رضا الناس غاية لا تدرك، فأحمق الناس من طلب من لا يدرك وقد قال بعض الحكماء في معناه قولا منظوما:من راقب الناس مات غما ... وفاز باللذة الجسورونظر أبو محمد سهل إلى رجل من الفقراء فقال له: اعمل كذا وكذا فقال: يا أستاذ لا أقدر على هذا لأجل الناس، فالتفت إلى أصحابه فقال: لا ينال العبد حقيقة من هذا الأمر حتى يكون بأحد وصفين: عبد يسقط الناس عن عينه فلا يرى في الدار إلا هو وخالقه، وأن أحد لا يقدر أن يضره ولاينفعه، أو عبد أسقط الناس عن قلبه فلا يبالي بأي حال يرونه،." (١)

"٨٣٧ - حدثنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن أبي سهل الحربي قال: نا أحمد بن محمد بن مسروق الطوسي ، قال: نا محمد بن حميد الرازي ، وحدثني أبو محمد عبد الله بن جعفر الكفي ، قال: نا أبو إسحاق -[٦٥٠]- إبراهيم بن إسحاق الحربي قالا: نا شجاع بن مخلد ، قالا: نا أبو نميلة يحيى بن واضح قال: نا عيسى بن عبيد الكندي ، عن جعفر بن عكرمة القرشي ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال: إن " أحق ما بدأ به العبد من الكلام أن يحمد الله ، ويثني عليه ، فالحمد لله نحمده ونثني عليه بما اصطنع عندنا ، أن هدانا للإسلام ، وعلمنا القرآن ، ومن علينا بمحمد عليه السلام ، وأن دين الله الذي بعث به نبيه صلى الله عليه وسلم هو الإيمان ، والإيمان هو الإسلام ، وبه أرسل المرسلون قبله ، فقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وهو الإيمان بالله واليوم الآخر

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد أبو طالب المكي ٣٨٩/٢

والملائكة والكتاب والنبيين ، والتصديق والإقرار بما جاء من الله ، والتسليم لقضائه وحكمه والرضا بقدره ، وهذا هو الإيمان ، ومن كان كذلك فقد استكمل الإيمان ، ومن كان مؤمنا حرم الله ماله ودمه ، ووجب له ما يجب على المسلمين من الأحكام ، ولكن لا يستوجب ثوابه ، ولا ينال الكرامة إلا بالعمل فيه ، واستيجاد ثواب الإيمان عمل به ، والعمل به اتباع طاعة الله تبارك وتعالى في أداء الفرائض واجتناب المحارم -[٦٥١]- والاقتداء بالصالحين ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع إليه سبيلا ، ومحافظة على إتيان الجمعة ، والجهاد في سبيل الله ، والاغتسال من الجنابة ، وإسباغ الطهور ، وحسن الوضوء للصلاة والتنظيف ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، وصلة ما أمر الله به أن يوصل ، وحسن الخلق مع الخطاء ، واصطناع المعروف إلى الأقرباء ، ومعرفة كل ذي حق حقه من والد فوالدة فولده ، فذي قرابة ، فيتيم مسكين ، فابن سبيل ، فسائل ، فغارم ، فمكاتب ، فجار ، فصاحب ، فما ملكت اليمين ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحب في الله تعالى ، والبغض في الله ، وموالاة أوليائه ، ومعاداة أعدائه ، والحكم بما أنزل الله ، وطاعة ولاة الأمر ، والغضب والرضا ، ووفاء بالعهد ، وصدق الحديث ، ووفاء بالنذور ، وإنجاز الموعود ، وحفظ الأمانة من كتمان السر أو المال ، وأداء الأمانة إلى أهلها ، وكتاب الدين المؤجل بشهادة ذوي عدل ، والاستشهاد على المبايعة ، وإجابة الداعي للشهادة ، وكتابة بالعدل كما علم الله ، وقيام الشهادة على وجهها بالقسط ، ولو على النفس والوالدين والأقربين ، ووفاء الكيل والميزان بالقسط ، وذكر الله تعالى عند عزائم الأمور ، وذكر الله تعالى على كل حال ، وحفظ النفس ، وغض البصر ، وحفظ الفرج ، وحفظ الأركان كلها عن الحرام ، وكظم الغيظ ، ودفع السيئة بالحسنة ، والصبر على المصائب ، والقصد في الرضا والغضب ، والاقتصاد في المشي والعمل ، والتوبة إلى الله تعالى من قريب ، والاستغفار للذنوب ، ومعرفة الحق وأهله ، ومعرفة العدل إذا رأى عامله ، ومعرفة الجور إذا رأى عامله كيما يعرفه الإنسان من نفسه إن هو عمل به ، ومحافظة على حدود الله ، ورد ما اختلف فيه من حكم أو غيره إلى عالمه ، وجسور على ما لم يختلف فيه من قرآن منزل وسنة ماضية ، فإنه حق لا شك فيه ، ورد ما يتورع فيه من شيء إلى أولي الأمر الذين يستنبطونه منهم ، وترك ما يريب إلى ما لا يريب ، واستئذان في البيوت فلا يدخل -[٦٥٢]- البيت حتى يستأذن ويسلم على أهله من قبل أن ينظر في البيت ، أو يستمع فيه ، فإن لم يجد فيها أحدا فلا يدخل بغير إذن أهلها ، فإن قيل: ارجعوا فالرجوع أزكى ، وإن أذنوا فقد حل الدخول ، وأما البيوت التي ليس فيها سكان وفيها المنافع لعابر السبيل أو لغيرهم يسكن فيها ويتمتع فيها فليس فيها استئذان ، واستئذان ما ملكت اليمين صغيرا أو كبيرا ، ومن لم يبلغ الحلم من حرمة أهل البيت ثلاثة أحيان من الليل والنهار ، أو آخر الليل قبل الفجر ، وعند القيلولة إذا خلا رب البيت بأهله ، ومن بعد صلاة العشاء إذا أوى رب البيت وأهله إلى مضاجعهم ، وإذا بلغ الأطفال من حرمة أهل البيت الحلم فقد وجب عليه من الاستئذان كل هذه الأحيان ، واجتناب قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، واجتناب أكل أموال الناس بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ، واجتناب أكل أموال اليتامى ظلما ، واجتناب شرب الخمر ، واجتناب شرب الحرام من الأشربة والطعام ، واجتناب أكل الربا والسحت ، واجتناب أكل القمار والرشوة والغصب ، واجتناب النجش والظلم ، واجتناب كسب المال بغير حق ، واجتناب التبذير والنفقة في غير حق ، واجتناب التطفيف في الوزن والكيل ، واجتناب نقص المكيال والميزان ، واجتناب نكث الصفقة وخلع الأئمة ، واجتناب القدر والمعصية ، واجتناب اليمين الآثمة ، واجتناب بر اليمين بالمعصية ، واجتناب الكذب والتزيد

في الحديث ، واجتناب شهادة الزور ، واجتناب قول البهتان ، واجتناب قذف المحصنة واجتناب الهمز واللمز، واجتناب التنابز بالألقاب واجتناب النميمة والاغتياب ، واجتناب التجسس ، واجتناب سوء الظن بالصالحين والصالحات ، واجتناب الإصرار على الذنب والتهاون به ، واتقاء الإمساك عن الحق والتمادي في الغي ، والتقصير عن الرشد ، واتقاء الكبر والفخر والخيلاء ، واتقاء الفجور والمباراة بالشر ، واتقاء -[٦٥٣]- الإعجاب بالنفس ، واتقاء الفرح والمرح ، والتنزه من لفظ السوء ، والتنزه عن الفحش وقول الخنا ، والتنزه من سوء الظن ، والتنزه من البول والقذر كله. فهذه صفة دين الله ، وهو الإيمان ، وما شرع الله فيه من الإقرار بما جاء من عند الله ، وبين من حلاله وحرامه وسننه وفرائضه قد سمى لكم ما ينتفع به ذوو الألباب من الناس ، وفوق كل ذي علم عليم. ويجمع كل ذلك التقوى ، فاتقوا الله ، واعتصموا بحبله ، ولا قوة إلا بالله، أسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما نبلغ به رضوانه وجنته " قال الشيخ عبيد الله بن محمد: فهذه إخواني رحمكم الله شرائع الإيمان وشعبه ، وأخلاق المؤمنين الذين من كملت فيهم كانوا على حقائق الإيمان ، وبصائر الهدى ، وأمارات التقوى ، فكلما قوي إيمان العبد وازداد بصيرة في دينه وقوة في يقينه تزيدت هذه الأخلاق وما شاكلها فيه ، ولاحت أعلامها ، وأماراتها في قوله وفعله ، فكلها قد نطق بها الكتاب ، وجاءت بها السنة ، وشهد بصحتها العقل الذي أعلا الله رتبته ، ورفع منزلته ، وأفلج حجته ، وعلى قدر نقصان الإيمان في العبد وضعف يقينه يقل وجدان هذه الأخلاق فيه ، وتعدم من أفعاله وسجاياه. وفقنا الله وإياكم لموجبات الرضا والعافية في الدارين من جميع البلاء." (١)

"(إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره إن الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا وجعل الهم والحزن في الشكو السخط)سمعت الحسن بن علي بن حيويه الدامغاني يقول سمعت الحسن بن علويه يقول قال أبو يزيد قعدت ليلة في محرابي فمددت رجلي فهتف لي هاتف من يجالس الملوك ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدبوبه قال سئل أبو يزيد عن درجة العارف فقال ليس هناك درجة بل أعلى فائدة العارف وجود معروفهقال وقال أبو يزيد العابد يعبده بالحال والعارف الواصل يعبده في الحالقال وسئل أبو يزيد بماذا يستعان على العبادة فقال بالله إن كنت تعرفه." (٢)

"أخبرنا علي بن أبي عمر البلخي قال حدثنا محمد بن علي بن القاسم قال حدثنا الحسن بن عبيد الله القطان حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال قال أبو سليمان اجعل ما طلبت من الدنيا فلم تظفر به بمنزلة مالم يخطر ببالك ولم تطلبهحدثنا أحمد بن محمد بن زكريا حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الوهاب حدثنا محمد بن العباس بن الدرفس حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان يقول العيال يضعفون يقين صاحب اليقين لأنه إذا كان وحده فجاع فرح وإذا كان له عيال فجاعوا طلب لهم وإذا جاء الطلب فقد ضعف اليقينوبه قال أبو سليمان أبلغ الأشياء فيما بين الله وبين العبد المحاسبةسمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول قال أبو سليمان آخر أقدام الزاهدين أول أقدام المتوكلينوبه قال أبو سليمان من لطائف المعاريض قوله تعالى ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ (الزمر ٣) تهديد بلطفوبه قال أبو سليمان لكل شيء مهر ومهر الجنة ترك

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة العكبري، ابن بطة ٦٤٩/٢

(٢) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٦٩

الدنيا بما فيهاوبه قال أبو سليمان لكل شيء حلية وحلية الصدق الخشوعوبه قال أبو سليمان إذا ترك الحكيم الدنيا فقد استنار بنور الحكمةوبه قال أبو سليمان لكل شيء معدن ومعدن الصدق قلوب الزاهدين." (١)

"كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة، ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبؤون رزق سنة ويضعف اليقين» «١» [١٦٤] ، فنزلت على رسول الله (عليه السلام) : وكأين من دابة لا تحمل رزقها ... الآية.أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن حنيش، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا يحيى من معين، حدثنا يحيى بن اليمان، عن سفيان، عن علي بن الأرقم «٢» وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال: لا تدخر شيئا لغد.قال سفيان: ليس شيء مما خلق الله يخبئ إلا الإنسان والفأرة والنملة.ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون. الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم. ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان يعني الدائمة الباقية التي لا زوال لها ولا موت فيها. لو كانوا يعلمون ولكنهم لا يعلمون ذلك.فإذا ركبوا في الفلك وخافوا الغرق والهلاك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون. ليكفروا بما آتيناهم ليجحدوا نعمه في إنجائه إياهم وسائر الآية وليتمتعوا جزم لامه الأعمش وحمزة والكسائي وخلف وأيوب، واختلف فيه عن عاصم ونافع وابن كثير، الباقون بكسر اللام واختاره أبو عبيد ليكفروا لكون الكلام نسقا. ومن جزم احتج بقراءة أبي بن كعب يمتعوا. فسوف يعلمون.أخبرني أبو محمد عبد الله بن حامد- فيما أذن لي روايته عنه- قال: أخبرنا أحمد بن محمد بن أبي سعيد، قال: حدثنا محمد بن الحسن بن أسكت، قال: حدثنا عقال، قال: حدثنا جعفر بن سلمان قال: حدثنا ملك بن دينار، قال: سمعت أبو العالية قرأ ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف يعلمون بالياء، فالكسر على كي والجزم على التهديد.أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل بالأصنام يؤمنون وبنعمة الله يعني الإيمان يكفرون ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا فزعموا أن لله شريكا، وقالوا إذا فعلوا فاحشة، قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها «٣» .__________(١) الدر المنثور: ٥/ ١٤٩، تفسير القرطبي: ١٣/ ٣٥٩، وتفسير ابن كثير: ٣/ ٤٣٠، وبتفاوت في مجمع الزوائد: ١٠/ ٣٢١.(٢) في نسخة أصفهان: الأقمر.(٣) سورة الأعراف: ٢٨.." (٢)

"قال: قال أبو موسى الدؤلي: ثنا أبو يزيد البسطامي ، ثنا أبو عبد الرحمن السدي ، عن عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص ، ولا يرده كره كاره وإن الله تعالى بحكمته وجلاله جعل الفرج والروح في الرضا وجعل الهم والحزن في الشك والسخط» قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: وهذا الحديث مما ركب على أبي يزيد والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه وحدثنا بهذا الحديث القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم ، ثنا محمد بن الحسين بن حفص ، ثنا علي بن محمد بن

---

(١) طبقات الصوفية للسلمي ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات أبو عبد الرحمن السلمي ص/٧٨

(٢) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٧/٢٨٩

مروان وهو السدي ، ثنا أبي ، ثنا عمرو بن قيس الملائي ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من ضعف اليقين» فذكر مثله قال الشيخ أبو نعيم رحمه الله: أما شموس أهل المشرق وأعلامهم فقد عني بذكرهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري في كتابه المترجم -[٤٢]- بطبقات الصوفية وأحببت إيداع أسماء جماعة من مشهوريهم كتابي على الاختصار دون الإكثار." (١)

"أخبرنا محمد بن أحمد، وحدثني عنه عثمان بن محمد قبل أن لقيته، ثنا أبو العباس بن مسروق قال: سمعت الحارث بن أسد، يقول: «من عدم الفهم عن الله، فيما وعظ لم يحسن أن يستجلب وعظ حكيم ومن خرج من سلطان الخوف إلى عزة الأمن اتسعت به الخطايا إلى مواطن الهلكة فكشفت عنه ستر العدالة وفضحته شواهد العزة فلا يرى جميلا يرغب فيه ولا قبيحا يأنف عنه فتبسط نفسه إلى ري الشهوات ولا تميل إلى لذيذ الراحات فيستولي عليه الهوى فينقص قدره عند سيده ويشين إيمانه ويضعف يقينه»." (٢)

"حدثنا القاضي أبو أحمد محمد بن أحمد ثنا محمد بن الحسين بن حفص، ثنا علي بن محمد بن مروان، ثنا أبي، عن عمرو بن قيس، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يرده كره كاره، إن الله جعل الروح والفرج في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط» غريب من حديث عمرو، تفرد به علي بن محمد بن مروان، عن أبيه." (٣)

"حدثنا إسحاق بن أحمد، ثنا إبراهيم بن يوسف، ثنا أحمد بن أبي الحواري، قال: سمعت أبا سليمان الداراني، يقول: «العيال يضعفون يقين الرجل، إنه إذا كان وحده فجاع قنع وإذا كان له عيال طلب لهم وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين»." (٤)

"حدثنا أبو محمد بن حيان، ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال قرأت على عبد العزيز بن محمد الدمشقي، عن أحمد بن عاصم الأنطاكي، قال: «إني أدركت من الأزمنة زمانا عاد فيه الإسلام غريبا كما بدأ وعاد وصف الحق فيه غريبا كما بدأ، إن نزعت فيه إلى عالم وجدته مفتونا بالدنيا يحب التعظيم والرياسة، وإن نزعت إلى عابد وجدته جاهلا في عبادته مجذوما صريعا عدوه إبليس قد صعد به إلى أعلى سطح في العبادة وهو جاهل بأدناها فكيف له بأعلاها، وسائر ذلك من الرعاع فقبيح أعوج وذئاب مختلسة وسباع ضارية وثعالب جارية. هذا وصف عيون مثلك في زمانك من حملة العلم والقرآن ودعاة الحكمة، وذلك أني لست أرى عالما إلا مغلوبا على عقله، بعيدا غور فطنته لمضرته لأمور دنياه متبعا هواه معجبا برأيه شحيحا على دنياه سمحا بدينه، متعزما بمذموم القضاء معانقا لهواه فيما يرضى غير متنقل عما يكره الله تعالى منه بل مستزيدا من أنواع الفتنة والبلاء، محتملا شقاء الدنيا بالشهوة قاسيا قلبه، عظيمة غفلته عما خلق له، مستبطئا لما يدعى مما

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء   أبو نعيم الأصبهاني ١٠/٤١

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء   أبو نعيم الأصبهاني ١٠/٨٥

(٣) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء   أبو نعيم الأصبهاني ٥/١٠٦

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء   أبو نعيم الأصبهاني ٩/٢٦٠

قد ضمن له، غير واثق بالله، مفقود منه خوف ما قد استوجب به النار، معترض للموت فيما يستقبل، مشغوف بدنياه، غافل عن آخرته عاشق للذهب والفضة زاهد فيما ندب إليه من الشوق. فكما أنه ضعف يقينه فيما يتشوق إليه كذلك كان أمنه عند الوعيد، فعندها كان ناسيا لذنوبه ذاكرا محاسنه قد صيرها نصب عينيه وآثامه تحت قدميه، داخلا فيما لا يعنيه، مشغوفا بالدنيا لا يقنعه قليلها ولا يشبعه كثيرها ولا يسعى ولا يكدح إلا لها، ولا يفرح ولا يتزين إلا لها ولا يرضى ويسخط إلا لها، راض بحظه بقليل حظه المتروك التنقل عنه من كثير حظه من آخرته، بل راض بحظه من المخلوقين من حظه من خالقه، خائف من فقر بدأ منه، آمن من معاص قد -[٢٨٧]- قدمها وعقوبات قد استحقها، متزين للخلائق بما يسقطه عند خالقه، مؤيس منه غير موثوق به. متحرزون يتزينون بالكلام في المجالس يتكبرون في مواطن الغضب عند خلاف الهوى، ذئاب أقران عند ممارسة الدنيا طلس دجر جرائزه. فالطمع الكاذب يستميله والهوى المردي يخلق مروءته ويسلبه نور إسلامه، ولم يكن على حقيقة خوف فنزع به الامتحان إلى جوهره وطباعه والله المستعان. فتعقل الآن وصف من هذا؟ وصف عيون ملتك في زمانك، فاعتبروا يا أولي الأبصار. واتقوا الله يا أولي الألباب الذين آمنوا، ولهم أوجب الثواب، ثم نبههم لعظم المنة في قسم العقول، ولم يعذر بالتقصير من ضيع شكره وآثر هواه. ذلك بأن الله تعالى خلق الهوى فجعله ضدا للعقل، وجعل للعقل شكلا وهو العلم، والهوى والباطل شكلان مؤتلفان قرينان يدعوان إلى مذموم العواقب للدنيا والآخرة، هيهات يا أهل العقول من الذي يحظر على الله عز وجل مواهبه، ومن الذي يمنحه الله تعالى منحة فيحجب عنه ومن الذي يمنعه الله عز وجل شيئا فيوجد عنده؟ هل للعباد إلى الله تعالى من حاجة بعد تركيب جوارحهم؟ الخير للثواب والشر للعقاب، فحركات الخير والشر من الطاعات والمعاصي، فخلق سبحانه هذه الأسباب بلا شرح ترجمة منا جعلها بقدرته أضدادا ولم يدع مستغلقا إلا جعل له مفتاحا، ولا شكلا إلا جعل عليه تبيانا واضحا. فلا إله إلا الذي خلق للخير أسبابا لا يستطيع العباد أن يصلوا إلى شيء من أعمال الخير إلا بتلك الأسباب، وهي حاجزة عن المعاصي، إذ أسكنها الله تعالى قلب من أحبه واستعمله به»." (١)

"حدثنا أبي وعبد الله بن محمد بن جعفر، قالا: ثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن، قال: أخبرني عبد العزيز بن محمد، قال: قال أبو عبد الله الأنطاكي: «عرض للخلائق عارض من الهوى أقعد المريد وألهى العاقل فلا العاقل عرف داءه ولا المريد طلب دواءه. ومن استعصم بالله عصم ومن عصم حجب عن المعاصي، ومن توقى وقي، ومن التمس العافية عوفي، ومن استسلم إلى نفسه حجب عن الطاعة وغلبة الهوى فسلك به سبيل الردى واستحوذ عليه الشيطان فكان من الغاوين. والمحروم من حرم السؤال والسؤال مفتاح الإجابة، والكريم يعطي قبل السؤال، وأكثر منن الله على عبده قبل السؤال، استغن عمن عدل عنك بوجهه، وخل الطريق لمن لا يفيق، ولا تحجب النصح عن مستفيق، واقصد لقلبك قصد الطريق، واحبس لسانك حبس المضيق، والق الصديق بوجه طليق، وعامل الله بقلب سليم، وحاسب النفس بالحساب الدقيق. ما بال أعمال الآخرة لا تبين فينا، وغلبنا بالسهو منا والغفلة والتقصير فيها، وإنما وضح وصح أن مطالبتنا الدنيا من تقصيرنا، ومطالبتنا آمال الآخرة فالا من نقصها، وأول درجات العلم الخوف من فوات الآمال، ومن أعجب بعمل حرص أن يتمه، ومن رأى

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٩/٢٨٦

ثوابه أحب أن يتقنه، ومن تآخى الحكمة شغل عما سواها، ومن قر عينا بشيء لهج بذكره، والأقاويل محفوظة إلى يوم تلقاها، وكل نفس رهينة بما قدمت يداها، والناس منقوصون مدخولون فالمستمع غائب والسائل متغيب، والمجيب متكلف، أدنى الرضى يزيل أعمالهم وأدنى السخط يزيل كل إحسان عندهم، والعجب يمحق العبادة، ويزري من العقل، وما وجدت فقرا أضر من الجهل، ولا مالا أعدم من العقل، والخوف يكسب الورع، واليقين يكسب الخوف، وصحة التركيب من ذوي الألباب يكسب اليقين، والمشاورة تجتلب المظاهرة، والتدبير دليل على عقل العاقل، وصحة الورع من علامات الخوف، وحسن الخلق يجتلب كرم الحسب، وسوء الخلق يشين ذوي الأحساب، ومن عقل أيقن، ومن أيقن خاف، ومن خاف صبر، ومن صبر ورع، ومن ورع أمسك عن الشبهات ونفى الحرص. فعند ذلك دارت رحى -[٢٩١]- العبد بأعمال الطاعات لله، ومن سحق عقله ضعف يقينه، ومن ضعف يقينه فقد منه خوفه، وظهر منه أمنه ومن ظهر منه أمنه كثرت غفلته، ومن كثرت منه غفلته قسا منه قلبه، ومن قسا منه قلبه لم ينجح فيه موعظة وغلب عليه حب دنياه، وكثرت فيه أعمال آخرته بلا حقيقة خوف، والله المستعان»." (١)

"ولم يخبر عمر بما أخبر به الأنصارى ولا شكاه، لعلمه أنه لم يقصد للأخبار بخلاف القصة، وإنما هو وهم جرى عليه. وفى قوله: (أستأنس) استنزال السلطان والاستئناس بين يديه بالحديث، وأخذ إذنه فى الكلام، وفى تبسم النبى لعمر حين ذكر غلبة قريش لنسائها وتحكم نساء الأنصار عليهم: دليل أن المعنيين ليسا بمحرمين، وفيه الجلوس بين يدى السلطان وإن لم يأمر بذلك إذا استؤنس منه إلى انبساط خلق. وفيه: أنه لا يجب أن يتسخط أحد حاله ولا ما قسم الله له، ولا يستحقر نعمة الله عنده، ولا سابق فضله؛ لأنه يخاف عليه ضعف يقينه، وفيه أن المتقلل من الدنيا ليرفع طيباته إلى دار البقاء خير حالا ممن تعجلها فى الدنيا الفانية، والمتعجل لها أقرب إلى السفه، وفيه الاستغفار من السخط وقله الرضا، وفيه سؤال النبى (صلى الله عليه وسلم) الاستغفار، وكذلك يجب أن يسأل أهل الفضل والخير الدعاء والاستغفار. وفيه: أن المرأة تعاقب على إفشاء سر زوجها، وعلى التحيل عليه بالأذى، والمنع من موافقته وشهواته بالتوبيخ لها بالقول، كما وبخ الله أزواج النبى على تظاهرهما عليه وإفشاء سره، وعاقبهن النبى بالإيلاء والاعتزال والهجران كما قال تعالى: (واهجروهن فى المضاجع (وفيه أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما، فإنما يجرى فيه على الأهلة التى جعلها الله مواقيت للناس فى آجالهم.." (٢)

"ووضح خطأ من حمل وحده على عسكر من المشركين وله إلى ترك ذلك سبيل مع خوفه على نفسه، وبان فساد قول من زعم أنه من استجن بجنة فى حرب أو لجأ إلى حصن من عدو غالب أو أتخذ غلقا لباب من لص أو أعد زادا لسفر أنه قد برىء من التوكل، لأن الضر والنفع بيد الله وقد أمر الله نبيه بالدخول فى الغار ولاختفاء فيه من شرار خلقه، وكان من التوكل على ربه فى الغاية العليا. وفيه الدليل الواضح على فساد قول من زعم أن من خاف شيئا سوى الله فلم يوقن بالقدر، وذلك أن الصديق قال لرسول الله: (لو أن أحدكم رفع قدمه لأبصرنا) . حذرا أن يكون ذلك من بعضهم فيلحقه

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٢٩٠/٩

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٥٩٧/٦

ورسول الله من مكروه، ذلك ماحذره وبذلك أخبر الله تعالى – عنه فى كتابه بقوله: (إلا تنصروه فقد نصره الله (فلم يصفه الله ولا رسوله بذلك من قوله بضعف اليقين، بل كان من اليقين لقضاء الله وقدرة فى أعلى المنازل، ولكن قال ذلك إشفاقا على رسول الله، وكان حزنه بذلك مع علمه أن الله بالغ أمره فيه وفى رسوله وفى نصر دينه، فجمع الله له بذلك صدق اليقين، وأجر الجزع على الدين، وثواب الشفقة على الرسول، ليضعف له بذلك الأجر، وكان ذلك منه مثل ماكان من موسى نبى الله إذ أوجس فى نفسه خيفة مما أتت به السحرة، حين خيل إليه أن حبالهم وعصيهم تسعى، فقال الله له: (لا تخف إنك أنت الأعلى) ولا شك أن موسى كان من العلم بالله وصدق اليقين بنفوذ قضائه فيه ما لا يلتبس أمره على ذى عقل يؤمن بالله ورسوله، وكذلك الذى كان من أمر أبى بكر.." (١)

"وقيل يفرق بينه وبين أليفه.وقيل يشتت عليه وقته.وقيل يلزمه خدمة أقرانه.والأولى في هذا أن يقال من العذاب الشديد كيت وكيت، وألا يقطع بشيء دون غيره على وجه القطع.فمن العذاب الشديد أن يمنع حلاوة الخدمة فيجد ألم المشقة. ومن ذلك أن يقطع عنه حسن التولي لشأنه ويوكل إلى حوله ونفسه، ومن ذلك أن يمتحن بالحرص في الطلب ثم يحال بينه وبين مقصوده ومطلوبه. ومن العذاب الشديد الطمع في اسم العذر ثم لا يرتفع «١» .ومن ذلك سلب القناعة، ومنه عدم الرضا بما يجرى. ومن ذلك توهم الحدثان وحسبان شيء من الخلق.ومن ذلك الحاجة إلى الأخسة من الناس. ومن ذلك ذل السؤال مع الغفلة عن شهود التقدير ومن ذلك صحبة الأضداد والابتلاء بمعاشرتهم. ومن ذلك ضعف اليقين وقلة الصبر.ومن ذلك التباس طريق الرشد. ومنه حسبان الباطل بصفة الحق، والتباس الحق في صورة الباطل. ومنه أن يطالب بما لا تتسع له ذات يده. ومنه الفقر في الغربة.قوله جل ذكره:[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين (٢٢) إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم (٢٣)فلم يلبث الهدهد أن جاء، وعلم أن سليمان قد تهدده، فقال: أحطت علما بما هو عليك خاف، «وجئتك من سبإ بنبإ يقين» ثم ذكر حديث بلقيس، وأنها ملكتهم، وأن لها من المال والملك والسرير العظيم______________(١) عاد القشيري إلى الآية نفسها في رسالته حيث يقول: وقيل في قوله تعالى: لأعذبنه عذابا شديدا– يعنى لأسلبنه القناعة ولأبتلينه بالطمع يعنى أسأل الله تعالى أن يفعل به ذلك (الرسالة– ص ٨٢) .." (٢)

"ربهم يتوكلون﴾ [العنكبوت: ٥٩] قال ابن عباس: وذلك أن المهاجرين توكلوا على الله وتركوا دورهم وأموالهم.وقال مقاتل: إن أحدهم كان يقول بمكة كيف أهاجر إلى المدينة، وليس لي بها مال ولا معيشة، فقال الله: ﴿وكأين من دابة﴾ [العنكبوت: ٦٠] وهي كل حيوان يدب على الأرض مما يعقل ولا يعقل، والمعنى: من نفس دابة.﴿لا تحمل رزقها﴾ [العنكبوت: ٦٠] لا ترجع رزقها معها، ولا تدخر شيئا لغد، ﴿الله يرزقها﴾ [العنكبوت: ٦٠] حيث ما توجهت، وإياكم يرزق إن خرجتم إلى المدينة ولم يكن لكم زاد ولا نفقة، قال سفيان: وليس شيء مما خلق الله يخبئ ويدخر إلا الإنسان والفأرة والنملة.وقوله: وهو السميع أي: لقولكم إنا لا نجد ما ننفق بالمدينة.العليم بما في قلوبكم.٧١٦ – أخبرنا أبو بكر

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٩/٩٥

(٢) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣/٣٣

التميمي، أنا أبو محمد بن حيان، أنا أحمد بن جعفر الجمال، نا عبد الواحد بن محمد البجلي، نا يزيد بن هارون، قال: حدثنا حجاج بن منهال، عن الزهري، وهو عبد الرحمن بن عطاء، عن عطاء، عن ابن عمر، قال: خرجت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من الثمر ويأكل، فقال: يابن عمر، ما لك لا تأكل؟ فقلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: ولكني أشتهيه وهذه صبح رابعة مذ لم أذق طعاما، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك، يابن عمر، إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين؟ فوالله ما برحنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ الآية﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون ﴿٦١﴾ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ﴿٦٢﴾ ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون ﴿٦٣﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦١-٦٣] قوله: ولئن سألتهم يعني: كفار مكة، ﴿من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله﴾ [العنكبوت: ٦١] أي: الله خلقها، يقرن بأنه خالق السموات والأرض، ﴿قل الحمد لله﴾ [العنكبوت: ٦٣] أي: احمد الله على إقرارهم، لأن ذلك يلزمهم الحجة، ويوجب عليهم التوحيد.ثم قال: ﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾ [العنكبوت: ٦٣] توحيد ربهم مع إقرارهم بأنه خلق الأشياء، وأنزل المطر، والمراد بالأكثر الجميع.﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون ﴿٦٤﴾ فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون ﴿٦٥﴾ ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون ﴿٦٦﴾ ﴾ [العنكبوت: ٦٤-٦٦] قوله: ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني: الحياة في هذه الدار، ﴿إلا لهو ولعب﴾ [العنكبوت: ٦٤] باطل وغرور وعبث، تنقضي عن قريب، ﴿وإن الدار الآخرة﴾ [العنكبوت: ٦٤] يعني الجنة ﴿لهي الحيوان﴾ [العنكبوت: ٦٤] قال أبو عبيدة، وابن قتيبة: الحيوان الحياة.وهو قول." (١)

"فاستجمع جميع ما يتعلق به، يدل عليه وجود العاجلة ابتداء وابتلاء من غير جزاء وامتناع الآخرة إلا ثوابا أو عقابا.وفي الآية دلالة أن غير المؤمن قد سعى للآخرة، وأن الإيمان غير العمل، وأن الآخرة قيمة سعي المؤمن لا قيمة إيمانه؛ لأن جزاء الإيمان أجل وأنفع من الآخرة بأسرها، وهو الدخول في جملة الأولياء، يقول الله تعالى: ﴿الله ولي الذين آمنوا﴾ [البقرة:٢٥٧]، ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران:٣١]، ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ (١١) [محمد:١١]، وأما قوله عليه السلام: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة» (ﷺ١)، وإنما ذلك لترغيب العامة، وقد وعدهم الله على ذلك عصمة الأموال والدماء غير مرة.٢٠ - ﴿هؤلاء وهؤلاء:﴾ بدل من كل (ﷺ٢)، وهو في محل النصب. والمراد به مريدو (ﷺ٣) العاجلة، ومريدو الآخرة.﴿محظورا:﴾ ممنوعا محبوسا، وقال (ﷺ٤) عليه السلام: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره، إن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، والهم والحزن في الشك والسخط». (ﷺ٥)٢١ - ﴿انظر كيف فضلنا:﴾ فائدة النظر إلى تفاوت الناس في مراتبهم: وقوع العلم بأنها

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٣/٤٢٥

أرزاق (رَحِمَهُ اللَّهُ٦).﴿وللآخرة أكبر درجات:﴾ لأن خيرها وشرها موجودان على سبيل الحقيقة دون (١٨٨ ظ) الابتلاء، وعلى سبيل البقاء دون الفناء، ولأن شريفها لا يحتاج إلى عمل وضيعها، فيشركه في رباعها ومرابيعها، ولا يخاف دس مكر منه إليه، فيعود شرفه وبالا عليه.٢٢ - ﴿لا تجعل:﴾ خطاب للنبي، والمراد به أمته.﴿فتقعد:﴾ فتبقى.رَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أخرجه: الترمذي (٢٦٤٤)، وابن خزيمة في الصحيح (٢١٣١)، وتالي تلخيص المتشابه ٢/ ٤٦٤، وابن حبان (١٥١ و ١٦٩).(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ع: من كل معا.(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) الأصول المخطوطة: مرادوا.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) ع: قيل.(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) أخرجه: ابن المبارك في الزهد (١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٠٥١٤)، البيهقي في شعب الإيمان (٢٠٧)، والخطيب في حلية الأولياء ١٠/ ٤١.(رَحِمَهُ اللَّهُ٦) (انظر كيف فضلنا. . . أرزاق)، ساقطة من ع.." [(١)]

"﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم (١١)﴾ [محمد: ١١]، وأما قوله -عليه السلام-: "من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة" (رَحِمَهُ اللَّهُ١) إنما ذلك لترغيب العامة، وقد وعدهم على ذلك عصمة الأموال والدماء غير مرة.﴿هؤلاء وهؤلاء﴾ [الإسراء: ٢٠] بدل من كل (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) وهو في محل النصب والمراد به مريدو العاجلة ومريدو الآخرة ﴿محظورا﴾ ممنوعا محبوسا (رَحِمَهُ اللَّهُ٣)، وقال -عليه السلام-: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كره كاره، إن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط" (رَحِمَهُ اللَّهُ٤).﴿انظر كيف فضلنا﴾ فائدة النظر إلى تفاوت الناس في مراتبهم وقوع العلم بأنها أرزاق (رَحِمَهُ اللَّهُ٥)، ﴿وللآخرة أكبر درجات﴾ لأن خيرها وشرها موجودان على سبيل الحقيقة دون الابتلاء وعلى سبيل البقاء دون الفناء، ولأن شريفها لا يحتاج إلى عمل وضيعها فيشركه في رباعها ومرابيعها، ولا يخاف دس مكر منه إليه فيعود شرفه وبالا عليه.رَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) يشير إلى حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أنه سأل النبي - صلى الله عليه وسلم -: من أسعد الناس بشفاعتك؟ قال: "من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه" أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: العلم (١/ ١٧٣)، والإمام أحمد في مسنده (٢/ ٣٧٣) وله عدة ألفاظ، وأما قول المؤلف: إنما ذلك لترغيب العامة - أي: فيما ترتب على الشهادة من دخول الجنة - فنقول: إن الله رتب دخول الجنة على تحقيق الشهادة حقيقة، فمن قام بحق هذه الشهادة من العامة أو الخاصة وقام بموجبها كان حقا على الله أن يدخله الجنة كما وعد بذلك، فإن وجد نقيضا لها لم يستحق ذلك الشرط المترتب عليها وإن تلفظ بها.(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) اختاره أبو جعفر النحاس كما في إعرابه (٣/ ٢٣٦).(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) في "ب": (محبوسا وقيل: إن ...).(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦)، والبيهقي في الشعب (٢٠٧)، والحديث موضوع غير ثابت. انظر: السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني -رحمه الله- (١٤٨٢).(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) من قوله: (انظر كيف) إلى هنا ليست في "ب".." [(٢)]

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٢٠٩

(٢) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١١٠٠/٣

"(ص) : (مالك عن ابن شهاب عن أبي عبيد مولى ابن أزهر عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي») .(ص) : (مالك عن ابن شهاب عن أبي عبد الله الأغر وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال «ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له») .ـــــــQعن مغفرته كقول القائل إن شئت أن تعطيني كذا فافعل لا يستعمل هذا إلا مع الغنى عنه وأما المضطر إليه فإنه يعزم مسألته ويسأل سؤال فقير مضطر إلى ما سأله.(ش) : قوله – صلى الله عليه وسلم – يستجاب لأحدكم يحتمل معنيين:أحدهما: أن يكون معنى قوله يستجاب الإخبار عن وجوب وقوع الإجابة.والثاني: الإخبار عن جواز وقوعها فإذا كانت في معنى الإخبار عن الوجوب فإن الإجابة تكون لأحد الثلاثة أشياء:إما أن يعجل ما سأل فيه:وإما أن يكفر عنه به:وإما أن يدخر له.فإذا قال قد دعوت فلم يستجب لي بطل وجوب أحد هذه الثلاثة الأشياء وعرى الدعاء من جميعها وإذا كان بمعنى جواز الإجابة فإن الإجابة حينئذ تكون بفعل ما دعا به خاصة ويمنع من ذلك قول الداعي قد دعوت فلم يستجب لي لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط.(ش) : قوله – صلى الله عليه وسلم – ينزل ربنا عز وجل كل ليلة إلى السماء الدنيا إخبار عن إجابة الدعاء في ذلك الوقت وإعطاء السائلين ما سألوه وغفرانه للمستغفرين، وتنبيه على فضيلة ذلك الوقت، وحض على كثرة الدعاء والسؤال والاستغفار فيه ومن هذا المعنى ما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه قال «يقول الله تعالى إذا تقرب إلي عبدي شبرا تقربت إليه ذراعا وإذا تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا وإذا أتاني يمشي أتيت إليه هرولة» ولم يرد به التقرب في المسافة فإن ذلك غير ممكن ولا موجود وإنما أراد التقرب بالعمل من العبد والقرب منه تعالى بالإجابة والقبول ومن ذلك يقال فلان قريب من فلان ويقولون في الرئيس هو قريب من الناس إذا كان كثير الإسعاف لهم والترحيب بهم وهو مشهور في كلام العرب وفي العتبية سألت مالكا عن الحديث الذي جاء في جنازة سعد بن معاذ في العرش فقال لا يتحدثن به وما يدعو الإنسان إلى أن يتحدث به وهو يرى ما فيه من التغرير، وحديث إن الله خلق آدم على صورته، وحديث الساق قال ابن القاسم لا ينبغي لمن يتقي الله أن يحدث بمثل هذا قيل له فالحديث الذي جاء أن الله سبحانه ضحك فلم يره من هذا وأجازه، وقال وحديث التنزل ويحتمل أن يفرق بينهما من وجهين:أحدهما: أن حديث التنزل والضحك أحاديث صحاح لم يطعن في شيء منها وحديث اهتزاز العرش قد تقدم الإنكار له والمخالفة فيه من الصحابة وحديث الصورة والساق ليست أسانيدها تبلغ في الصحة درجة حديث التنزل.والوجه الثاني: أن التأويل في حديث التنزل أقرب وأبين والغرر بسوء التأويل فيها أبعد والله أعلم وأحكم.(ص) : (مالك عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي «أن عائشة أم المؤمنين قالت كنت نائمة إلى جنب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ففقدته من الليل فلمسته بيدي فوضعت يدي على قدميه وهو ساجد يقول أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك») .ش قولها فلمسته بيدي فوضعتها على قدميه وهو ساجد دليل على أن اللمس بمجرده لا ينقض الطهارة ولو كانا ينقض الطهارة لمنعه ذلك من استدامة

السجود ولكنه لما عري عن اللذة لم ينقض الطهارة.وقد تقدم الكلام فيه، وقوله – صلى الله عليه وسلم – لا أحصي ثناء عليك يحتمل أن يريد به لا أحصي شيئا من." (١)

"قوله تعالى: ﴿وكأين من دابة﴾ أي: وكم من حيوان يدب على الأرض.وقوله: ﴿لا تحمل رزقها﴾ أي: لا تحمل رزقها معها، وقيل: لا تدخر رزقها للغد.وعن أبي سعيد الخدري والمعروف أنه عن سفيان الثوري: " ليس من الحيوان ما يدخر شيئا للغد سوى ابن آدم والفأرة والنملة والعقعق. وذكر النقاش في تفسيره: أن المراد من قوله: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ أي: محمد: وكان لا يدخر شيئا للغد، وقد ثبت برواية أنس: " أن النبي كان لا يدخر شيئا لغد ".قال رضي الله عنه: أخبرنا بهذا الحديث أبو منصور بكر بن محمد بن حميد النيسابوري ببغداد من لفظه، أخبرنا أبو الحسن الخفاف، أخبرنا أبو العباس السراج، عن قتيبة، عن جعفر بن سليمان الضبعي، عن ثابت، عن أنس ... الخبر.وفي بعض الأخبار برواية ابن عمر أنه قال: " دخلت مع رسول الله يلتقط التمر ويأكله، فكدت لا آكله، فقال لي: ألا تأكله يا ابن عمر؟ فقلت: لا أشتهيه. فقال: لكني أشتهيه، وهذا صبح رابع أربعو أيام ولم أذق طعاما، ولو طلبت من الله لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، ثم قال: كيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يدخرون الرزق لسنتهم، ويضعف اليقين؟ ! قال: فلم نبرح من ذلك الموضع حتى أنزل الله تعالى: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ . " والخبر غريب.." (٢)

"حال الإنزال، فقد ذكر تعالى: ﴿الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان﴾، وقال: ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ وقوله: ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ ومعلوم أن ذلك بالتمكين والإلقاء في الروع: بالهداية إليه.واليقين أقوى إدراكات العقل، ولهذا قيل: هو مشاهدة الغيوب بعين القلوب تنبيه أنه أقوى إدراكات العقل، كما أن رؤية البصر أقوى إدراكات الحواس، ولصعوبة إدراكه، قال – عليه السلام –: " أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين " ولذلك قالوا: اليقين هو اطمئنان القلب اعتبارا بثمرته.وقال تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾ واستعمل فيه " الرؤية تنبيها على ما تقدم، والكلام في ترتيب الآيتين ونظمها صعب.وذاك أنه إن كانت تفصيلا للمتقين، فالوجه أن يفصل ذلك بفصل لا يدخل أحد القسمين في الآخر، نحو أن يقال: العرب بدوي وحضري، وشاعر وغير شاعر.أو تميمي وغير تميمي، فأما أن يقال: شاعر وتميمي، فلا يصح، ومعلوم أن بعض ما ينطوي عليه أحد الآيتين داخل في جملة الأخرى.وإن كان ذلك ليس بتفصيل، وإنما هي صفات للمتقين، ويكون ذكر بعض ذلك مخصصا عن الجملة كذكر جبرائيل وميكائيل بعد الملائكة على سبيل التخصيص، فالوجه: أن لا يعاد " الذين " ثانيا، [ثم] قوله: ﴿أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون﴾ الآية: (٥) – سورة البقرة.[يجب أن يعلم هل هما صفتان لموصوفين أو لموصوف واحد] فيقال – وبالله التوفيق: إنه قد قيل: الآيتان – وإن كانتا عامتين فمعناهما خاص.فالأولى أشير بها إلى الذين آمنوا

---

(١) المنتقى شرح الموطإ سليمان بن خلف الباجي ٣٥٧/١

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ١٩١/٤

عن الشرك، والثانية إلى الذين آمنوا من أهل الكتاب – وهو قول ابن عباس – واستدل على تقوية ذلك بأنه كما صنف الكفار – بعد." (١)

"عليه السلام بالأبطح فصعق (رَحِمَهُ اللَّهُ١)وروي أنه عليه السلام كان إذا دخل في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل (رَحِمَهُ اللَّهُ٢)وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبريل قط إلا وهو يرعد فرقا من الجبار (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل مالي لا أرى ميكائيل يضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار رواه أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد ورواه ابن شاهين في السنة من حديث ثابت مرسلا وورد ذلك أيضا في حق إسرافيل رواه البيهقي في الشعب وفي حق جبريل رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفينويقال إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار مخافة أن يغضب الله عليهم فيعذبهم بهاوقال ابن عمر رضي الله عنهما خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين في قلوبهم قال فوالله ما برحنا ولا قمنا حتى نزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لم يأمركم بكنز المال ولا بإتباع الشهوات من كنز دنانير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد // حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل الحديث أخرجه ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الزهد من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراح بن منهال ضعيفوقال أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة في مسيرة ميل خوفا من ربهوقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي يا داود أجائع أنت فتطعم أم ظمآن فتسقى أم عار فتكسى فنحب نحبة هاج العود فاحترق من حر جوفه ثم أنزل الله تعالى عليه التوبة والمغفرة فقال يا رب اجعل خطيئتي في كفي فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا يبسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره إلا رآها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثلثاه فإذارَحِمَهُ اللَّهُ______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) حديث إنه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق أخرجه البزار من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي صلى الله عليه وسلم جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدعا ربه فطلع عليه من قبل المشرق فجعل يرتفع ويسير فلما رآه صعق ورواه ابن المبارك من رواية لحسن مرسلا بلفظ فغشي عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأى جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى جبريل له ستمائة جناح(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) حديث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل رواه أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السماع(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) حديث ما جاءني جبريل قط إلا وهو ترتعد فرائصه من الجبار لم أجد هذا اللفظ وروى أبو الشيخ في كتاب العظمة من ابن عباس قال أتى جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار

(١) تفسير الراغب الأصفهاني الراغب الأصفهاني ٨٤/١

تبارك وتعالى ترتعد فرائصه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سماك الحنفي يحتاج إلى معرفتهوقيل لما ظهر على إبليس ما ظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام يبكيان فأوحى الله إليهما ما لكما تبكيان كل هذا البكاء فقالا يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تأمنا مكريوعن محمد بن المنكدر قال لما خلقت النار طارت أفئدة الملائكة من أماكنها فلما خلق بنو آدم عادتوعن أنس أنه عليه السلام سأل جبريل مالي لا أرى ميكائيل يضحك فقال جبريل ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار." (١)

"لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية الغنى وعليه ينزل التقدير بخمسين درهما في الحديث فإن خمسة دنانير تكفي المنفرد في السنة إذا اقتصد أما المعيل فربما لا يكفيه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا تفوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى الغد فيكون قد سأل مالا يحتاج فيكفيه غداء يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدروإن كان يفوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيباح له السؤال لأن أمل البقاء سنة غير بعيد فهو بتأخير السؤال خائف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يعينه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يخل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الاضطرار وخوف الفوت وتراخي المدة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا يقبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستفتي فيه قلبه ويعمل به إن سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وثقته بمجيء الرزق في المستقبل أتم وقناعته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعيالك إلا من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين وقال عز وجل الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والسؤال من الفحشاء التي أبيحت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الخصلة من أمهات المهلكات نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمهبيان أحوال السائلينكان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة فقير لايسأل وإن أعطي لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليينوفقير لا يسأل وإن أعطي أخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوسوفقير يسأل عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب اليمينفإذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أنه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجةقال شقيق البلخي لإبراهيم بن أدهم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا وظن أنه لما وصفهم بترك السؤال قد أثنى عليهم غاية الثناء فقال شقيق هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحاق فقال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا فقبل رأسه وقال صدقت يا أستاذفإذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفة انقسامها واختلاف درجاتها فإنه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى أعليين وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رد

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٤/١٨١

إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يترقى إلى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وإنما الشك فيمن عرف ذلك فإنه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تغلبهم حالة تقتضي أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فإن مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روي أن بعضهم رأى أبا إسحاق النوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواضع قال فاستعظمت ذلك واستقبحته له فأتيت الجنيد رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا." (١)

"عليه في حقه من المجهود فإن قدرته لا تغني دون العناية به إذا كان لا يهمه أمره ولا يبالي به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فإن كان شاكا في الأربعة أو في واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه في هذه الأربعة أكمل منه لم تطمئن نفسه إلى وكيله بل بقي منزعج القلب مستغرق الهم بالحيلة والتدبير ليدفع ما يحذره من قصور وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الخصال فيه والاعتقادات والظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتا لا ينحصر فلا جرم تتفاوت أحوال المتوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتا لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا ضعف فيه كما لو كان الوكيل والد الموكل وهو الذي يسعى لجمع الحلال والحرام لأجله فإنه يحصل له يقين بمنتهى الشفقة والعناية فتصير خصلة واحدة من الخصال الأربعة قطعية وكذلك سائرا الخصال يتصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة وتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسانا وأقدرهم بيانا وأقدرهم على نصرة الحق بل على تصوير الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك كشف أو باعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العناية والعطف والرحمة بجملة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم يلتفت إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين إما ضعف اليقين بإحدى هذه الخصال الأربعة وإما ضعف القلب ومرضه باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة عليه فإن القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له عن غير نقصان في اليقين فإن من يتناول عسلا فشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر طبعه وتعذر عليه تناوله ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت نفر طبعه عن ذلك وإن كان متيقنا بكونه ميتا وأنه جماد في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يحشره الآن ولا يحييه وإن كان قادرا عليه كما أنها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي في يده حية ولا يقلب السنور أسدا وإن كان قادرا عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين ينفر طبعه عن مضاجعة الميت في فراش أو المبيت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعيف فلما يخلو الإنسان عن شيء منه وإن قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فإذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ٢١٥/٤

آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام ﴿أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ فالتمس أن يكون مشاهدا إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة وذلك لا يكون في البداية أصلا وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى تهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلا وإنما يتبعون الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فإذن الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كما أن ضعف اليقين بالخصال الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة ملعون من ثقته إنسان مثله وقد قال صلى الله عليه وسلم." [1]

"حيث كنتم، ﴿وهو السميع العليم﴾ السميع لأقوالكم: لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم. وقال سفيان عن علي بن الأقمر: وكأين من دابة لا تحمل رزقها، قال: لا تدخر شيئا لغد. قال سفيان: ليس شيء من خلق الله يخبأ إلا الإنسان والفأرة والنملة (١) .أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي، أخبرنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق، أخبرنا محمد بن عبد العزيز، أخبرنا إسماعيل بن زرارة الرقي، أخبرنا أبو العطوف الجراح بن منهال، عن الزهري، عن عطاء بن أبي ٦٩/أرباح، عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم [حائطا من حوائط الأنصار، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم] (٢) يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال: كل يا ابن عمر، قلت: لا أشتهيها يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاما ولم أجده، فقلت إنا لله، الله المستعان، قال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين، فنزلت (٣) ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ الآية.أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد الحسين بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس السراج، أخبرنا قتيبة بن سعيد، أخبرنا جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: كان لا يدخر شيئا لغد (٤) .______________(١) انظر هذه الأقوال في: الطبري: ٢١ / ١١، الدر المنثور: ٦ / ٤٧٥.(٢) ما بين القوسين ساقط من "أ".(٣) عزاه السيوطي: (٦ / ٤٧٥) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر بسند ضعيف. وأخرجه الواحدي في أسباب النزول ص (٣٩٦-٣٩٧) . قال الحافظ ابن كثير: (٣ / ٤٢١) : "هذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف". وقال القرطبي: (١٣ / ٣٦٠) : "وهذا ضعيف، يضعفه أنه عليه الصلاة والسلام كان يدخر لأهله قوت سنتهم، (اتفق البخاري ومسلم عليه) وكانت الصحابة يفعلون ذلك، وهم القدوة وأهل اليقين والأئمة لمن بعدهم من المتقين المتوكلين". وقال الشوكاني في "فتح القدير" (٤ / ٢١٣) : "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة. وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف".(٤) أخرجه الترمذي في الزهد، باب ما جاء في معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وأهله: ٧ / ٢٦، وقال: "هذا حديث غريب. وقد روى هذا

---

(١) إحياء علوم الدين   أبو حامد الغزالي ٤/٢٦٠

غير جعفر بن سليمان عن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا"، وصححه ابن حبان برقم (٢١٣٩) ص (٥٢٥) من موارد الظمآن. والمصنف في شرح السنة: ١٣ / ٢٥٣، وقال المناوي في "فيض القدير" (٥ / ١٨٣) : وسند الحديث جيد. ولا ينافي هذا الحديث ما سبق من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يدخر لعياله قوت سنة، فهو كان لا يدخر لنفسه صلى الله عليه وإنما كان يدخر لغيره كأهله، أو يملكهم ذلك ويقسمه لهم أسوة بغيرهم فيما كان يقسم للمسلمين مما أفاء الله عليه. والله أعلم.." (١)

"بعدها أي لننزلنهم، من الجنة غرفا، علالي، تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين.الذين صبروا، على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم، وعلى ربهم يتوكلون، يعتمدون.وكأين من دابة لا تحمل رزقها.«١٦٣٤» وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون: «هاجروا إلى المدينة» ، فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال، فمن يطعمنا بها ويسقينا؟ فأنزل الله:وكأين من دابة، ذات حاجة إلى غذاء، لا تحمل رزقها أي لا ترفع رزقها معها ولا تدخر شيئا لغد مثل البهائم والطير، الله يرزقها وإياكم، حيث كنتم، وهو السميع العليم، السميع لأقوالكم لا نجد ما ننفق بالمدينة، العليم بما في قلوبكم، وقال سفيان عن علي بن الأقمر: «وكأين من دابة لا تحمل رزقها» ، قال: لا تدخر شيئا لغد. قال سفيان: وليس شيء من خلق الله يخبئ إلا الإنسان والفأرة والنملة.«١٦٣٥» أخبرنا [أبو سعيد] [١] أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق أنا محمد بن عبد العزيز أنا إسماعيل بن زرارة الرقي أنا أبو العطوف الجراح [٢] بن المنهال عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الأنصار، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال كل يا ابن عمر، قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أطعم طعاما ولم أجده، فقلت إنا لله، الله المستعان، قال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة، ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين، فنزلت هذه الآية: وكأين من دابة لا تحمل رزقها.«١٦٣٦» أخبرنا عبد الواحد [بن أحمد] [٣] المليحي أنا أبو محمد الحسن بن أحمد المخلدي أنا أبو العباس السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا جعفر بن سليمان [٤] عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم: كان لا يدخر شيئا لغد.__________١٦٣٤- لم أقف عليه مسندا. وذكر الواحدي في «الوسيط» ٤٢٤ نحوه عن مقاتل بدون إسناد، فهو لا شيء، ومقاتل إن كان ابن حيان، فقد روى مناكير، وإن كان ابن سليمان، فهو كذاب.١٦٣٥- باطل. إسناده ضعيف جدا، وعلته الجراح بن منهال، فإنه متروك الحديث، واتهمه ابن حبان، وهو كما قال، فحديثه باطل، لأن السورة مكية كما ذكر المؤلف نفسه.- وأخرجه الواحدي في «الوسيط» ٣/ ٤٢٥ وفي «الأسباب» ٦٧٣ من طريق يزيد بن هارون عن الجراح بن منهال به.- وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» ٨١٦ وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» ٣/ ٣١٨ من طريق يزيد بن هارون عن الجراح بن منهال عن الزهري عن رجل عن ابن عمر به، وهذه الطريق فيها علة أخرى، وهي

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٦/٢٥٣

من لم يسم في الإسناد.- وقال الحافظ ابن كثير ٣/ ٥١٨: أبو العطوف الجزري ضعيف.١٦٣٦- إسناده حسن، لأجل جعفر بن سليمان، فهو وإن روى له مسلم فقد ضعفه غير واحد، ووثقه آخرون، وفي الباب أحاديث.- وهو في «شرح السنة» ٣٥٨٤ بهذا الإسناد.(١) زيادة عن المخطوط.(٢) في المخطوط «الخراج» .(٣) زيادة عن المخطوط.(٤) تصحف في المخطوط «سليم» .." (١)

"أصلي ركعتي الفجر، ولم أصل الصبح في جماعة، قال: بما كسبت يداك: وما الله بظلام للعبيد.شهوة أصبتها.وقال أبو سليمان: الدنيا تطلب الهارب منها، وتهرب من الطالب لها، فإن أدركت الهارب منها جرحته، وإن أدركها الطالب لها قتلته.وقال أبو سليمان: مفتاح الآخرة الجوع، ومفتاح الدنيا الشبع، وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف من الله.وقال أبو سليمان: كنت ليلة باردة في المحراب فأقلقني البرد فخبأت إحدى يدي من البرد، وبقيت الأخرى ممدودة فغلبتني عيني فهتف بي هاتف: يا أبا سليمان قد وضعنا في هذه ما أصابها ولو كانت الأخرى لوضعنا فيها، فآليت على نفسي أن لا أدعوا إلا ويداي خارجتان حاركان أو بردا.وقال أبو سليمان: العيال يضعفن يقين الرجل، لأنه إذا كان وحده فجاع فرح، وإذا كان له عيال طلب لهم، وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين.." (٢)

"لا يقنع فيه بالطيف، ولا يشفع بغير السيف. وقد نوه به ملك الزاب. وعظم شأنه بأجزل الثواب، وكان سيف دولته، في إعلاه منزلته، من رجل يستعين على صلاح دنياه بفساد أخراه، لبرداءة عقله، ورقة دينه، وضعف يقينه، ولو عقل لم تضق عليه معاني الشعر، حتى يستعين عليها بالكفر.وأما القسطلي: فشاعر ماهر عالم بما يقول، تشهد له العقول، بأنه المؤخر بالعصر، المتقدم في الشعر. حاذق بوضع الكلام في موضعه، لا سيما إذا ذكر ما أصابه في الفتنة، وشكا ما دهاه في أيام المحنة. وبالجملة فهو أشعر أهل مغربه، في أبعد الزمان وأقربه.وأما علي التونسي: فشعره المورد العذب، ولفظه اللؤلؤ الرطب، وهو بحتري الغرب، يصف الحمام، فيروق الأنام، ويشبب، فيعشق ويحبب، ويمدح فيمنح أكثر مما يمنح.هذا ما عندي في المتقدمين والمتأخرين، على احتقار المعاصر، واستصغار المجاور، فحاش لله من الاتصاف، بقلة الإنصاف، للبعيد والقريب، والعدو والحبيب.قلت يا أبا الريان، وقيت مرور الحدثان، فلقد سبكت فهما، وحشيت علما.." (٣)

"شيء، وقوله تعالى: لا تحمل يجوز أن يريد من الحمل أي لا تستقل ولا تنظر في ادخار، وقاله ابن مجلز ومجاهد وعلي بن الأقمر.قال الفقيه الإمام القاضي: والادخار ليس من خلق الموقنين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين» ، ويجوز أن يريد من الحمالة أي لا تتكفل لنفسها ولا تروي فيه، ثم خاطبه تعالى بأمر الكفار وإقامة الحجة عليهم بأنهم إن سئلوا عن الأمور العظام التي هي دلائل القدرة لم يكن لهم إلا التسليم بأنها لله تعالى، ويؤفكون معناه يصرفون، ونبه تعالى على خلق السماوات وخلق الأرض وتسخير الكواكب وذكر عظمها فاقتضى ذلك ما دونه، ثم نبه على «بسط الرزق» وقدره لقوم، وإنزال المطر من السماء،

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٣/٥٦٥

(٢) سير السلف الصالحين لإسماعيل بن محمد الأصبهاني إسماعيل الأصبهاني ص/١٠٣٠

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة الشنتريني ٧/٢١١

وهذه عبر كفيلة لمن تأمل بالنجاة والمعتقد الأقوم، ثم أمر تعالى نبيه بحمده على جهة التوبيخ لعقولهم وحكم عليهم بأن أكثرهم لا يعقلون ولا يتسدد منهم نظر.قوله عز وجل:[سورة العنكبوت (٢٩) : الآيات ٦٤ الى ٦٧]وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون (٦٤) فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون (٦٥) ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا فسوف يعلمون (٦٦) أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون (٦٧)وصف الله تعالى الدنيا في هذه الآية بأنها لهو ولعب أي ما كان منها لغير وجه الله تعالى، فأما ما كان لله فهو من الآخرة، وأما أمور الدنيا التي هي زائدة على الضروري الذي به قوام العيش والقوة على الطاعات فإنما هو لهو ولعب، وتأمل ذلك في المطاعم والملابس والأقوال والمكتسبات وغير ذلك، وانظر أن حالة الغني والفقير في الأمور الضرورية واحدة كالتنفس في الهواء وسد الجوع وستر العورة وتوقي الحر والبرد وهذه عظم أمر العيش، والحيوان والحياة بمعنى واحد، وهو عند الخليل وسيبويه مصدر كالهيمان ونحوه، والمعنى لا موت فيها قاله مجاهد وهو حسن، ويقال أصله حييان فبدلت إحداهما واوا لاجتماع المثلين، ثم وقفهم تعالى على حالهم في البحر عند الخوف العظيم، فإن كل بشر ينسى كل صنم وغيره ويتمسك بالدعاء والرغبة إلى الله تعالى، وقوله إذا هم يشركون أي يرجعون إلى ذكر أصنامهم، وتعظيمها، وقوله ليكفروا نصب بلام كي، وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم «وليتمتعوا» بكسر اللام، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «وليتمتعوا» بسكون اللام على صيغة الأمر التي هي للوعيد والتهديد، والواو على هذا عاطفة جملة كلام، لا عاطفة فعل على فعل وفي مصحف أبي بن كعب «فتمتعوا فسوف تعلمون» ، وفي قراءة ابن مسعود «لسوف تعلمون» باللام، ثم عدد تعالى على كفار قريش نعمته عليهم في الحرم في أنه جعله لهم آمنا لا خوف فيه من أحوال العرب وغاراتهم وسوء أفعالهم من القتل وأخذ الأموال ونحوه، وذلك هو «التخطف» الذي كان الناس بسبيله، ثم قررهم على جهة التوبيخ." (١)

"وقوله (رَحِمَهُ اللَّهُ١): "إني شفيع لمن يموت بها" فيه: بيان أن للشفاعة أسبابا من الطاعات، من جملتها سكنى المدينة ومجاورة النبي - صلى الله عليه وسلم - في البقعة الكريمة، وذلك بنمو ثواب الأعم فيها والصبر عليها.الثامنة (رَحِمَهُ اللَّهُ٢):* قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد، إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة" (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) ولم يرد في مكة شيء من ذلك، فإن أدرك فضل في سكناها بالاعتبار، فما كان بصريح الآثار منه أولى، علىء أن كثيرا من العلماء قد كرهوا سكنى مكة، واختلف الناس في تعليل ذلك.فمنهم من قال: كره ذلك لئلا تهون على ساكنها، وهذا نظر إلى الظواهر مع ضعف اليقين، فأما اليقين الصادق* السالك على الاهتداء، المرتبط بالاقتداء، فإنه تزيده السكنى بصيرة، وتقوى فيه العلانية والسريرة، كما قال الخليفة الصالح: "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبلك ما قبلتك" (رَحِمَهُ اللَّهُ٤).وقال قوم في تعليل ذلك: إنما هو لأجل خوف الذنوب فيها، فإن المعصية فيهارَحِمَهُ اللَّهُ______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أي قوله - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي رواه أحمد: ٢/ ٧٤، ١٠٤، والترمذي (٣٩١٧) وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أيوب السختياني"، وابن ماجه

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ٣٢٥/٤

(٣١١٢)، وابن حبان (٣٧٤١)، والبيهقي في الشعب (٣٨٨٧ ط. السلفية بالهند)، والبغوي (٢٠٢٠) وقال: "هذا حديث حسن" وصححه من المتأخرين كل من أحمد شاكر في المسند ٧/ ٢٢٢ (٣٩١٧) والألباني في صحيح الترمذي (٣٠٧٦).(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) وانظر القبس: ٣/ ١٠٨٦ - ١٠٨٧.(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) سيأتي تخريجه صفحة: ١٧٣، التعليق رقم: ٨ من هذا المجلد.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) أخرجه البخاري (١٥٩٧)، ومسلم (١٢٧٠).." [1]

"بمثله لقطعنا بخطئه لأنها تتفاوت البقعتان في ذلك تفاوتا كثيرا، ولكنا نفصل القول قصدا للتعيين فنقول إن سأل سائل فقال في أي بقعة هي الصلاة أفضل في مسجد مكة أو في مسجد المدينة استحق الجواب لأجل التعيين. فنقول نحن: الصلاة في مسجد المدينة أفضل لقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام)، فنص على أن التقدير للتفضيل بين مسجده وبين سائر المساجد وأبقى المسجد الحرام تحت الاستثناء، فيحتمل أن يكون خرج بزيادة عليه أو بحط منه. فإن قيل: فقد روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، فإن صلاة فيه خير من مائة صلاة في مسجدي هذا) (رَحِمَهُ اللَّهُ١). رواه البغوي وغيره. قلنا: لا ننفي نحن مثل هذا الحديث ولا نقبله لعدم صحته وقد بينا ذلك في شرح الصحيح وأما لو قال أيما أفضل السكنى بالمدينة أو السكنى بمكة، لكان جوابنا له أن نقول هذا أمر كنظرائه مدركه الخبر. قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: (لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة) (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ولم يرد في مكة شيء من ذلك فإن أدرك فضل في سكناها بالاعتبار فما كان بصريح الآثار منه أولى على أن كثيرا من العلماء قد كرهوا سكنى مكة، واختلف الناس في تعليل ذلك فمنهم من قال كره ذلك لئلا تهون على ساكنها، وهذا نظر إلى الظواهر مع ضعف اليقين، فأما اليقين الصادق السالك على الاهتداء المرتبط بالاقتداء فإنه يزيده السكنى بصيرة، وتقوى فيه العلانية بالسريرة كما قال الخليفة الصالح: "والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع، ولولا أني رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم -قبلك ما قبلتك" (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) وقال قوم في تعليل ذلك إنما هو لأجل خوف الذنوب فيها، فإن المعصية فيها وفي المدينة أعظمرَحِمَهُ اللَّهُ______________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أخرجه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٥ وابن حبان في صحيحه ٣/ ٧٢ والطيالسي في مسنده (١٣٦٧) من حديث عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن الزبير قال قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد إلا المسجد الحرام وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا). والحديث صححه ابن حبان ونقل الحافظ عن ابن عبد البر قوله اختلف على ابن الزبير في رفعه ووقفه ومن رفعه أحفظ وأثبت ومثله لا يقال بالرأي. فتح الباري ٣/ ٦٧ ويقول الشيخ ناصر إن إسناد أحمد وابن حبان صحيح إرواء الغليل ٤/ ١٤٦ لكن النووي اقتصر على تحسينه شرح النووي على مسلم ٩/ ١٦٤.(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) رواه مسلم في الحج باب الترغيب في سكنى المدينة (١٣٧٨) وأحمد (٧٨٥٢) والترمذي (٣٩٢٠) من حديث أبي

---

(١) المسالك في شرح موطأ مالك   ابن العربي ١٦٦/٧

هريرة.(رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ٣) متفق عليه أخرجه البخاري في كتاب الحج باب ما ذكر عن الحجر الأسود ٢/ ١٨٣ ومسلم في الحج باب استحباب تقبيل الحجر الأسود في الطواف (١٢٧٠) وشرح السنة ٧/ ١١٣.." (١)

"فخيره بين الدنيا والآخرة فاختار الآخرة ولم يرد الدنيا أخبرنا أبو القاسم الشحامي أنا أبو بكر البيهقي أنبأ أبو سعيد الزاهد نا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن مجبور نا أبو يحيى زكريا بن يحيى البزاز نا محمد بن رافع نا يزيد بن هارون أنا الجراح بن المنهال الجزري عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال خرجت مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر ما لك لا تأكل فقلت يا رسول الله لا أشتهيه فقال لكني أشتهيه وهذه صبيحة رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين قال والله ما برحنا ولا رحنا حتى نزلت " وكائن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم " الآية (١)[٩٤٩] قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجراح (٢) بن منهال ضعيف أخبرنا عاليا أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين القرشي وأبو الفتح المختار بن عبد الحميد بن المنتصر وأبو المحاسن أسعد بن علي بن زياد الهرويون قالوا أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداوودي أنا عبد الله بن أحمد بن حموية السرخسي (٣) نا إبراهيم بن خريم (٤) الشاشي (٥) نا عبد بن حميد الليثي انا يزيد بن هارون أنا أبو العطوف الجراح بن منهال الجزري عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال خرجت مع النبي (صلى الله عليه وسلم) حتى دخل في بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر ما لك لا تأكل قال قلت يا رسول الله لا أشتهيه قال لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة مذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت___________(١) سورة العنكبوت الاية: ٦٠(٢) بالاصل: والحراج خطأ وقد مر قريبا صوابا(٣) ترجمته في سير الاعلام ١٦ / ٤٩٢(٤) بالاصل حريم بالحاء المهملة خطا(٥) بالاصل: الساسي والصواب ما أثبت ترجمته في سير الاعلام ١٤ / ٤٨٦." (٢)

"ربي عز وجل فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت " وكائن من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم " فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا اتباع الشهوات فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد[٩٥٠] الرجل الذي لم يسمه يزيد بن (١) هارون هو عطاء بن أبي رباح سماه عمار بن عبد الجبار أبو الحسن المروزي أخبرنا بحديثه أبو محمد الحسن بن أبي بكر الهروي أنا الفضل بن يحيى الفضيلي أنا أبو محمد بن شريح أنا محمد بن عقيل البلخي نا منصور بن محمد بن منصور التيمي في قرية علي بن خشرم أنبأ عمار وهو ابن عبد الجبار أنا أبو العطوف عن الزهري عن عطاء بن أبي رباح عن عبد الله بن عمر قال كنت أمشي مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حائط من حيطان المدينة فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يلقط من الرطب ويأكل فقال لي كل يا ابن عمر فقلت لا أشتهيه يا رسول الله فقال لكني آكله وأشتهيه وهذه أربعة مذ

---

(١) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/١٠٨٦

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ١٢٧/٤

لم أطعم طعاما ولم أجده ولو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر ثم قال لي يا ابن عمر فكيف بك إذا أعملت خبالة الناس يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال ابن عمر فما رمت ولا برحت حتى نزلت عليه " وكائن من دابة لا تحمل رزقها "[٩٥١] أخبرنا أبو غالب بن البنا أنا أبو محمد الجوهري أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يونس بن نيطرا العاقولي (٢) نا عبد الله بن إبراهيم بن أيوب العماني البزار حدثني محمد بن سفيان اليماني نا عقبة بن حسان الهجري عن مالك عن نافع عن ابن عمر " ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " (٣) قال في جوع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أخبرنا أبو عبد الله الفراوي وأبو المظفر بن القشيري قالا أنا أبو سعد__________(١) زيادة لازمة(٢) هذه النسبة الى دير العاقول وهي بليدة على خمسة عشر فرسخا من بغدادوقد ينسب إليها " الدير عاقولي " ايضا(٣) سورة الاحزاب الاية: ٢١." [١]

"روى عنه عبد العزيز الكتاني أخبرنا أبو محمد بن الاكفاني حدثنا أبو محمد الكتاني أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد الخفاف الهروي قدم علينا حدثنا أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي حدثنا محمد بن إسحاق الضبعي حدثنا الحسن بن علي بن زياد حدثنا ابن أبي أويس حدثني ابن وهب عن سعيد بن أبي أيوب عن عبد الله (١) بن بزرج (٢) قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أخاف على أمتي إلى ضعف اليقين[١٠٨٤١] قال ابن عساكر هكذا في كتابي وهو خطأ أظنه من الكتاني وصوابه عبد الرحمن ابن بزرج (٣) وقد أخبرناه عاليا على الصواب أبو عبد الله الحسين بن عبد الملك أنبانا أبو طاهر ابن محمود أنبأنا أبو بكر بن المقرئ حدثنا محمد بن الحسن بن قتيبة حدثنا حرملة بن يحيى حدثنا ابن وهب أخبرني سعيد بن أبي أيوب عن عبد الرحمن بن بزرج قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين[١٠٨٤٢]٦٠٢١ – محمد بن أحمد أبو المظفر التميمي المروروذي الفقيه الشافعي الواعظ قدم دمشق وحدث بها وبغيرها وعاد إلى بلده وحدث به عن أبي محمد بن أبي نصر وأبي عبد الله محمد بن محمد الخازمي وأبي محمد الحسن بن أحمد بن إبراهيم (٤) بن فراس وأبي الفضل عبد السلام بن عبد الصمد وأبي طاهر محمد بن الحارث وأبي القاسم إبراهيم بن محمد الساهي والقاضي أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز المعروف بالشريحي روى عنه عبد العزيز الكتاني وعلي بن الخضر وأبو المظفر عبد الجليل بن عبد الجبار المروروذي وأبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد البغوي ثم المروروذي الفراء أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد حدثنا عبد العزيز بن أحمد أنبأنا أبو المظفر__________(١) كذا بالاصل وم وت ود وسينبه المصنف في اخر الحديث الى الصواب(٢) برزج ضبطت بفتح الباء المعجمة بواحدة وبعد زاي مضمومة وراء ساكنة (الاكمال ١ / ٢٥٦)(٣) ترجمه ابن ماكولا في الاكمال ١ / ٢٥٦ عبد الرحمن بن برزج / الفارسي مولى ام حبيبة زوج النبي (ص) يروي عن ابي هريرة روى عنه سعيد بن ابي ايوب قاله ابن يونس(٤) قوله: " بن ابراهيم " استدرك على هامش ت." [٢]

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر   ابن عساكر، أبو القاسم ١٢٨/٤

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر   ابن عساكر، أبو القاسم ١٨٠/٥١

"أمير المؤمنين في ذلك اليوم وعليها برد زبيدي (١) كثيف الحاشية على جمل أرمك الأرمك (٢) الأشقر وقد أحيط حولها وبيدها سوط منتشر الضفر وهي كالفحل يهدر في شقشقته (٣) تقول " يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شئ عظيم " (٤) إن الله قد أوضح الحق وأبان الدليل ونور السبيل ورفع العلم فلم يدعكم في عمياء مبهمة ولا شعواء (٥) مدلهمة فإلى أين تريدون رحمكم الله أفرارا عن أمير المؤمنين أم رغبة عن الإسلام أم ارتدادا عن الحق أما سمعتم الله يقول " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو أخباركم " (٦) ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول اللهم إنه قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك اللهم أزمة القلوب فاجمع اللهم الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل إنها إحن (٧) بدوية وضغائن أحدية وأحقاد جاهلية وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بثارات بني عبد شمس ثم قالت " قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " (٨) صبرا معاشر المهاجرين والأنصار قاتلوا على بصيرة من ربكم وثبات من دينكم فكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة لا تدري ما يسلك بها من فجاج الأرض باعوا الآخرة بالدنيا واشتروا الضلالة بالهدى وباعوا البصيرة بالعمى " عما قليل ليصبحن نادمين " (٩) حين تحل بهم الندامة فيصلبون (١٠) الإقالة " ولات حين مناص " (١١) إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ومن لم يكن الجنة نزل النار أيها الناس إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها واستطالوا مدة الآخرة فسعوا لها والله أيها الناس____________(١) زبيدي نسبة إلى زبيد بلد باليمن(٢) بالاصل: أريك الاريك ومثله في " ز " تصحيف والمثبت عن صبح الاعشى(٣) الشقشقة: لهاة البعير ولا تكون إلا للعربي من الابل(٤) سورة الحج الاية الاولى(٥) بالاصل: سعواء والمثبت عن " ز "(٦) سورة محمد الاية: ٣١(٧) بالاصل و " ز ": احقوالمثبت عن صبح الاعشى(٨) سورة التوبة الاية: ١٢(٩) سورة المؤمنون الاية: ٤٠(١٠) بالاصل و " ز ": فيطلبوا(١١) سورة ص الاية: ٣." (١)

"السجزي، حدثنا أبو شعيب (رحمه الله١) ، حدثنا موسابن هلال الكوفي (رحمه الله٢) ، حدثنا أبو عبد الرحمن السدي (رحمه الله٣) ، عن عمرو بن قيس الملائي (رحمه الله٤) ، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كره كاره، إن الله بحكمه وجلاله جعل الروح (رحمه الله٥) والفرج في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن [ل٢٤٧/أ] في الشك والسخط)) (رحمه الله٦)رحمه الله____________(رحمه الله١) أبو شعيب: لم أميزه، وعند البيهق في شعب الإيمان علي بن شعيب: هو ابن عدي بن همام أبو الحسن السمسار، وثقه النسائي والخطيب. مات سنة ثلاث وخمسين ومائتين. انظر تاريخ بغداد: ١١/٤٣٥-٤٣٦.(رحمه الله٢) موسى بن هلال الكوفي: لم أجد له ترجمة. وعند البيهقي في شعب الإيمان موسى بن بلال،(رحمه الله٣) أبو عبد الرحمن السدي: هو محمد بن مروان الكوفي السدي الصغير، قال ابن معين: ليس بثقة. وقال البخاري: سكتوا عنه، وكذبه ابن نصير وجرير، وقال أبو حاتم: هو ذاهب الحديث متروك الحديث لا يكتب حديثه البتة. وتركه النسائي. وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات لا يحل كتابة حديثه إلا

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر ابن عساكر، أبو القاسم ٧٠/٢٣٥

على جهة الاعتبار، وقال ابن حجر: متهم بالكذب. الضعفاء الكبير: ١٣٦/٤، الجرح والتعديل: ٨٦/٨، المجروحين: ٢٨٦/٢، تاريخ بغداد: ٢٩١/٣، التقريب: ٥٠٦/١.(رحمه الله٤) في الخطية ((الكنابي)) أو ((الكتابي)) والتصحيح من كتب التخريج.(رحمه الله٥) الروح، بفتح الراء، أي الراحة وطيب النفس.(رحمه الله٦) حديث موضوع، في إسناده أحمد بن علي لم أميزه، وأبو موسى هو الدبيلي لم أجد له توثيقا ولا تعديلا، وأبو يزيد البسطامي قال فيه الذهبي: جاء عنه أشياء ظاهرها إلحاد، وموسى بن هلال لم أقف على ترجمتهما، ومحمد بن مروان السدي متهم بالكذب.أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: ٤١/١٠، من طريق علي بن جعفر البغدادي، عن أبي موسى به.وأخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء: ٤١/١٠، و١٠٦/٥، من طريق علي بن محمد بن مروان، والبيهقي في شعب الإيمان:٢٢١/١، من طريق موسى بن بلال، كلاهما عن محمد بن مروان أبي عبد الرحمن السدي، عن عمرو بن قيس الملائي به.وقال أبو نعيم: غريب من حديث عمرو تفرد به علي بن مروان عن أبيه.وذكره اليلمي في مسند الفردوس: ٢٠٩/١، بدون إسناد.وقد روي هذا الحديث عن ابن مسعود مرفوعا موقوفا، وأما المرفوع: فقد أخرجه الطبراني في معجم الكبير: ٢٦٦/١٠ رقم ((١٠٥١٤)) وأبو نعيم في حلية الأولياء: ١٢١/٤، و ١٣٠/٧، والقضاعي في مسند الشهاب: ٩١/٢، من طريق خالد بن يزيد العمري، حدثنا سفيان الثوري وشريك بن عبد الله وسفيان بن عيينة، عن سليمان الأعمش، عن خيثمة، عن عبد الله بن مسعود مرفوعا.وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري والأعمش تفرد به العمري.قلت: وخالد بن يزيد العمري، كذبه ابن معين وأبو حاتم وتركه أبو زرعة، وقال الهيثمي: فيه خالد بن يزيد واتهم باوضع. وانظر الجرح والتعديل: ٣٦٠/٣، مجمع الزوئد: ٧١/٤.وعند القضاعي: خالد بن نجيح عن الثوري، وخالد بن نجيح كذبه أبو حاتم واتهمه بالوضع أيضا. الجرح والتعديل: ٣٥٥/٣. وقد خالف أبو قرة موسى بن طارق كلا من خالد بن يزيد وخالد بن نجيح، عند البيهقي في شعب الإيمان:٢٢٢/١، من طريق أبي قرة، عن سفيان الثوري، عن منصور بن المعتمر، عن خيثمة به.وروايته هذه مقدمة على رواية خالد بن يزيد، وخالد بن نجيح، لأنه ثقة وإن كان يغرب كما قال ابن حجر في التقريب: ٥٥١/١، وذكره المنذري أيضا في الترغيب والترهيب: ٥٤٠/٢، عن ابن مسعود بدون إسناد.وأخرجه هناد في الزهد: ٣٠٤/١، والبيهقي في شعب الإيمان: ٢٢٢/١، من طريق الحسن بن الصباح كلاهما – هناد والحسن بن الصباح–، عن سفيان بن عيينة، عن موسى بن أبي عيسى، عن ابن مسعود موقوفا.وإسناد هناد صحيح رجاله ثقات، وإسناد البيهقي حسن، فيه الحسن بن الصباح وهو صدوق يهم، لكنه هنا متابع لهناد، وبقية رجاله ثقات. وهذا أولى.." (١)

"المفازة وقلة الزاد وضعف اليقين والعقبة الكؤود التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النارولما حضرت حذيفة بن اليمان الوفاة قال اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء في الدنيا لجري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لظمأ الهواجر وقيام الليل ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء في حلق الذكر ولما اشتد به النزع جعل كلما أفاق من غمرة فتح عينيه وقال يا رب شد شداتك واخنق خنقاتك فوعزتك إنك لتعلم أني أحبكومثل هذا يروى عن محمد بن المنكدر رضي الله عنه أنه لما نزل به الموت بكى فقيل له ما يبكيك فقال ما أبكي حرصا على الدنيا

(١) الطيوريات أبو طاهر السِّلَفي ١٢١٧/٣

ولا جزعا من الموت ولكن أبكي على ما يفوتني من ظمأ الهواجر وقيام ليالي الشتاءوكذلك يروى عن عامر بن قيسوقال أنس بن مالك رضي الله عنه لما حضر وقد نزل به الموت ليعاين الناس غدا من عفو الله وسعة رحمته ما لم يخطر على قلب بشركشف له رضي الله عنه عن سعة رحمة الله وكثرة عفوه وعظم تجاوزه ما أوجب أن قال هذاولما دنت الوفاة من عمر بن عبد العزيز رحمه الله بكى فقيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله تبارك وتعالى بك سنة وأظهر عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف ثم أسأل عن هذا الخلق والله لو عدلت فيهم لخفت أن لا تقوم نفسي بحجتها عند الله تعالى إلا أن يلقنها حجتها ويثبتها فكيف بكثير مما ضيعت ثم بكويروى عن فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبد العزيز هذا أنها قالت كنت أسمع عمر بن عبد العزيز في مرضه الذي مات فيه يقول اللهم أخف عليهم موتي ولو ساعة من نهار فلما كان اليوم الذي مات فيه خرجت من عنده فجلست في بيت قريب منه بيني وبينه باب فسمعته يقول." (١)

"أعوذ بالله من النميمة والخذلان أعوذ بالله من الغيبة والبهتان أعوذ بالله من عقوبة الملك الديان ٧أحاديث في عذاب القبرروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه مر على البقيع فوقف على قبر ثم قال (الآن أقعدوه والآن سألوه والذي بعثني بالحق لقد ضربوه بأرزبة من نار لقد تطاير قلبه نارا) ثم وقف على قبر آخر فقال مثل مقالته على القبر الأول ثم قال صلى الله عليه وسلم لأصحابه (ولولا أني أخشى على قلوبكم لسألت الله أن يسمعكم من عذاب القبر مثل الذي أسمع) فقالوا يا رسول الله ما كان فعل هذين الرجلين فقال عليه السلام (أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة بين الناس وكان الآخر لا يستنزه من البول)٨ – أسباب عذاب القبروقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (لا يعذب أحد في قبره إلا بإحدى ثلاث في الغيبة والنميمة والبول) فالله الله عباد الله تعوذوا بالله من الغيبة والنميمة والبهتان وأذى الجيران فإن ذلك كله يبعد عن الرحمن ويقرب من الشيطان ويصد عن الجبان ويؤدي إلى النيرانأعوذ بالله من علة الدين أعوذ بالله من ضعف اليقين أعوذ بالله من الشيطان اللعين أعوذ بالله من سخط رب العالمين أعوذ بالله من الشيطان المثبور أعوذ بالله من عذاب القبور أعوذ بالله من ترك النعيم والسرور أعوذ بالله من الصد من دار الحبور أعوذ بالله من عذاب الويل والثبور أعوذ بالله من عقوبة من يعلم ما في الصدور٩ – القرآن يأمر بالاستعاذةواعلموا عباد الله أن من استعاذ بالله العظيم من الشيطان الرجيم فقد عمل بالقرآن الحكيم وذلك أن الله تبارك وتعالى أمره بالاستعاذة من اللعين إبليس في آي كثيرة من القرآن." (٢)

"(تضحك لي خدعة لأتبعها ... وهي عن الموبقات تفتر)من نزل بساحة القناعة ذاق حلاوة الغنى ، من قرع بأنامل التفكر باب الحزن فتح له عن رياض الأنس ، مراعاة الأسرار من علامات التيقظ ، لكل باب مفتاح ومفتاح الحكمة طرد الهوى.إخواني: فيكم من يترك ما يهوى لما يأمل؟(وحتم قسمة الأرزاق فينا ... وإن ضعف اليقين من القلوب)(وكم من طالب رزقا بعيدا ... أتاه الرزق من أمر قريب)(فأجمل في الطلاب وكن رفيقا ... بنفسك في معالجة الخطوب)(فما الإنسان إلا مثل شلو ... تواكله النوائب بالنيوب)(فغربان المنية إن نعتها ... فليس بفائت رجم المشيب)قال أبو ذر: لك في المال شركاء ثلاثة: القدر لا يستأمرك أن يذهب بخير أو شر من هلاك أوموت ، والوارث ينتظر أن تضع رأسك ثم يستاقه وأنت

(١) العاقبة في ذكر الموت   عبد الحق الأشبيلي ص/١٢٦

(٢) بستان الواعظين ورياض السامعين   ابن الجوزي ص/١٣

ذميم ، وأنت الثالث ، فإن استطعت أن لا تكون أعجز الثلاثة فلا تكن!قال علي بن عبيدة: لولا لهب من الحرص ينشأ في القلوب لا يملك الاعتبار أطفأ توقده ، ما كان في الدنيا عوض من يوم يضيع فيها يمكن فيه العمل الصالح.(الرأي أخذك بالحزامة في الذي ... تبغي فقصرك ميتة وذهاب)(غلب الفساد على العقول فكذبت ... صدق الأنام وصدق الكذاب)(ضربوا الجماجم بالسيوف على الذي ... يفنى وطال عن الهوى الإضراب)(وتغرنا آمالنا فنخالها ... ماء يموج وكلهن سراب)يا ناسيا مهلا عن قليل حادث ، حادث قلبك بما بين يديك حادث ، يا راحلا وهو يظن أنه مقيم لابث ، يا نائما قد أزعجته المقلقات البواعث ، يا لاعبا والليالي في سيره حثائث ، يا ساهيا قد علقت به براثن الموت الضوابث ،". (١)

"إن قال قائل: ما وجه هذا ونحن نعلم أنه جاء بعد الحجاج عمر ابن عبد العزيز، فبسط العدل وصلح الزمان؟ فالجواب: أن الكلام خرج على الغالب، فكل عام تموت سنة وتحيا بدعة، ويقل العلم، ويكثر الجهال، ويضعف اليقين، وما يأتي من الزمان الممدوح نادر قليل.١٦٨٧ - / ٢٠٨٨ - وفي الحديث الرابع والسبعين: شهدنا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي تدفن فقال: ((هل فيكم من أحد لم يقارف الليلة؟)) فقال أبو طلحة: أنا، فأنزل في قبرها.هذه البنت هي رقية، وقد أفصح بذلك أنس فيما روي عنه، وقد غلط الخطابي فقال: يشبه أن تكون هذه الميتة لبعض بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم فنسبت إليه.وفي هذا الحديث تفسير يقارف عن بضع الرواة، وهو فليح، فإنه قال: أراه يعني الذنب، وهذا ليس بشيء لثلاثة أوجه: أحدها: أنه قد روي ما يمنع هذا، فأخبرنا ابن الحصين قال: أنبأنا ابن المذهب قال: أنبأنا أحمد بن جعفر قال: حدثنا عبد الله بن أحمد قال: حدثني أبي قال: حدثنا عفان قال: حدثنا حماد قال: حدثنا ثابت عن أنس: أن رقية لما ماتت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يدخل القبر رجل قارف أهله الليلة)) . وأخبرنا إسماعيل بن أحمد السمرقندي." (٢)

"صحبت شيخا من الصوفية أنا وجماعة في سفر فجرى حديث التوكل والأرزاق وضعف اليقين فيها وقوته فقال الشيخ وحلف على إيمانا عظيمة لا ذقت مأكولا أو يبعث لي بجام فالوذج حالا لا آكله إلا بعد أن يحلف علي قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة إلا إنك غير جاهد ومشى ومشينا فانتهينا إلى قرية وقد مضى يوم وليلتان لم يطعم فيها شيء ففارقته الجماعة غيري فطرح نفسه في مسجد القرية مستسلما للموت ضعفا فأقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد الشيخ يتلف إذا بباب المسجد قد فتح وإذا بجارية سوداء معها طبق مغطى فلما رأتنا قالت أنتم غرباء أو من أهل القرية فقلت غرباء فكشفت الطبق وإذا بجمام فالوذج يفور لحرارته فقدمت لنا الطبق وقالت كلوا فقلت له كل فقال لا أفعل فرفعت الجارية يدها فصفعته صفعة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لأصفعنك هكذا إلى أن تأكل فقال كل معي فأكلنا حتى فرغ الجام وهمت الجارية بالانصراف فقلت للجارية ما خبرك وخبر هذا الجام فقالت أنا جارية لرئيس هذه القرية وهو رجل حاد طلب منا منذ ساعة فالوذج فقمنا نصلحه له فطال الأمر عليه فاستعجلنا فقلنا

---

(١) التبصرة لابن الجوزي ابن الجوزي ٣٩٦/١

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ابن الجوزي ٢٩٥/٣

نعم فعاد فاستعجل فقلنا نعم فحلف بالطلاق لا أكله هو ولا أحد ممن هو داره ولا أحد من أهل القرية ولا يأكله إلا رجل غريب فخرجنا نطلب في المساجد رجلا غريبا فلم نجد إلى أن انتهينا إليكم ولو لم يأكل هذا الشيخ لقتلته ضربا إلى أن يأكل لئلا تطلق سيدتي من زوجها قال فقال الشيخ كيف تراه إذا أراد أن يرزق.قال المصنف رحمه الله: ربما سمع هذا جاهل فاعتقده كرامة وما فعله الرجل من أقبح القبيح فإنه يجرب على الله ويتألى عليه ويحمل على نفسه من الجوع ما لا يجوز له وهذا لا يجوز له ولا ينكر أن يكون لطف به إلا أنه فعل ضد الصواب وربما كان إنفاذ ذلك رديئا لأنه يعتقد أنه قد أكرم وإن ذلكمنزلة وكذلك حكاية حاتم التي قبلها فإنها إن صحت دلت على جهل بالعلم وفعل لما لا يجوز لأنه ظن أن التوكل إنما هو ترك التسبب فلو عمل بمقتضى واقعته لم يمضغ الطعام ولم يبلعه فإنه تسبب وهل هذا إلا من تلاعب إبليس بالجهال لقلة علمهم بالشرع ثم أي قربة في هذا الفعل البارد وما أظن غالبه إلا من الماليخوليا أخبرنا عبد الرحمن بن محمد القزاز نا أحمد بن علي بن المحسن قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري قال قال لي جعفر الخلدي وقفت بعرفة ستا وخمسين وقفة منها إحدى وعشرون على المذهب فقلت لأبي إسحق وأي شيء أراد بقوله على المذهب فقال يصعد إلى قنطرة الناشرية فينفض كمية حتى يعلم أنه ليس معه زاد ولا ماء ويلبي ويسير.." (١)

"ربي عز وجل، فقال: أحبب أولياء الله تعالى ليحبوك فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك.عيسى بن آدم ابن أخي أبي يزيد قال: كان أبو يزيد يعظ نفسه فيصيح عليها فيقول: يا مأوى كل سوء، المرأة إذا حاضت طهرت بثلاثة أيام أو أكثره بعشرة، أنت يا نفس قاعدة منذ عشرين وثلاثين سنة بعد ما طهرت فمتى تطهرين؟ إن وقوفك بين يدي طاهر ينبغي أن يكون طاهرا.أبو موسى الديبلي قال: سمعت أبا يزيد يقول: عرج قلبي إلى السماء فطاف ودار ورجع، فقلت: بأي شيء جئت معك؟ قال: المحبة والرضا.عن أبي موسى الديبلي، عن أبي يزيد قال: نظرت فإذا الناس في الدنيا متلذذون بالنكاح والطعام والشراب، وفي الآخرة بالمنكوح والملذوذ، فجعلت لذتي في الدنيا ذكر الله عز ول وفي الآخرة النظر إلى الله عز وجل.أبو موسى الديبلي قال: قلت لأبي يزيد: من أصحب؟ قال: من إذا مرضت عادك، وإذا أذنبت تاب عليك ومن يعلم منك ما يعلمه الله منك.جعفر بن علي الترمذي أن أحمد بن خضرويه قال: رأيت رب العزة في منامي فقال لي: يا أحمد، كل الناس يطلبون مني غلا أبا يزيد فإنه يطلبني.ذكر أبو نعيم الأصبهاني أنه لا يعرف لأبي يزيد حديث مسند أصلا إلا حديث واحد رواه أبو الفتح الحمصي بإسناد له عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله" ١.قال أبو نعيم: وهو مركب على أبي يزيد، وليس من حديثه، والحمل فيه على الحمصي فقد عثر منه على غير حديث ركبه.قلت وهذا الحديث الذي أشار إليه أبو نعيم هو الذي ذكره له أبو عبد الرحمن السلمي، ووجدت أنا لأبي يزيد ثلاثة أحاديث أخر مسندة، منها حديثان لا يثبتان فلم أذكرهما، والثالث قريب الحال فاقتصرت عليه.____________ ١ ضعيف: أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/٢٧٩

٤٢/١٠ رقم "١٤٤٦٠ - ١٤٤٦١" وضعفه السيوطي في الجامع الصغير وتابعه المناوي في فيض القدير ٥٣٩/٢ رقم ٢٤٩٣..". (١)

"قالوا المشيب فقلت: بل ... صبح تنفس في غياهبإن كان كافور التجا ... رب ذر في مسك الذوائبفالليل أحسن ما يكو ... ن إذا ترصع بالكواكبقال الباخرزي وقد ذكر في كتابه أنه سمع هذه الأبيات الثلاثة من لفظه وكنايته عن الشعر الشائب بكافور التجارب من النوادر في الغرئب، واختها غبار وقائع الدهر، وأنشد له الباخرزي في كتابه وذكر أنه سمع منه:وحتم قسم الأرزاق فينا ... وإن ضعف اليقين من القلوبوكم من طالب رزقا بعيدا ... أتاه الرزق من أمد قريبوأنشد له الباخرزي في كتابه أيضا قال: أنشدني لنفسه: طويل:أخط وأقلامي تسابق عبرتي ... لأني من جسمي كتبت إلى قلبيوأشكو الذي ألقاه من خشية النوى ... وشخصك وقيت الردى حاضر لبيفدتك أبا يعلى لعبدك مهجة ... تقلبها الأشواق جنبا على جنبتبسم عن أنباء حضرتك العلونغى بجدوى راحتيك عن السحب وأنشدنا له أبو المعالي الخطيري في كتابه وأنبأنا به غير واحد عنه: طويل:وليل تخال الصبح في جنباته ... سنا بارق في لج بحر تغيباتعانق كيوان وبهرام وسطه ... على الحقد في صدريهما وتقرباغريبان عافا الضغن في دار غربة ويا رب ناس ضغنه إذ تغربا." (٢)

"٤٩٣٩ - وفي رواية للترمذي قال مسروق دخلت على عائشة فدعت لي بطعام فقالت ما أشبع فأشاء أن أبكي إلا بكيتقلت لم قالت أذكر الحال التي فارق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا والله ما شبع من خبز ولحم مرتين في يوم٤٩٤٠ - وفي رواية للبيهقي قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة متوالية ولو شئنا لشبعنا ولكنه كان يؤثر على نفسه٤٩٤١ - وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال إن فاطمة رضي الله عنها ناولت النبي صلى الله عليه وسلم كسرة من خبز شعير فقال لها هذا أول طعام أكله أبوك منذ ثلاثة أيامرواه أحمد والطبرانيوزاد فقال ما هذه فقالت قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرةفقال فذكره رواتهما ثقات٤٩٤٢ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بطعام سخن فأكل فلما فرغ قال الحمد لله ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذارواه ابن ماجه بإسناد حسن والبيهقي بإسناد صحيح٤٩٤٣ - وروي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال لي يا ابن عمر ما لك لا تأكل قلت لا أشتهيه يا رسول اللهقال ولكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولو شئت لدعوت ربي عز وجل فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين فوالله ما برحنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم العنكبوت ٦٠فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله عز وجل ألا وإني لا أكنز." (٣)

---

(١) صفة الصفوة ابن الجوزي ٣٠٧/٢

(٢) المحمدون من الشعراء القفطي، جمال الدين ص/٢٧٣

(٣) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٩٢/٤

"بنفسها، ولا بد لها من محرك. فالتفات العبد في النجاة إلى الريح يضاهى التفات من أخذ لتضرب عنقه، فوقع له الملك بالعفو عنه، فأخذ يشتغل بذكر الحبر والكاغد والقلم الذي كتب به التوقيع، ويقول: لولا هذا القلم ما تخلصت، فيرى نجاته من القلم لا من محرك القلم، وهذا غاية الجهل. ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه، شكر الكاتب دون القلم، وكل المخلوقات في قهر تسخير الخالق أبلغ من القلم في يد الكاتب، فسبحان مسبب الأسباب الفعال لما يريد.١ . فصل في بيان أحوال التوكل وأعماله وحده ونحو ذلكاعلم: أن التوكل مأخوذ من الوكالة، يقال: وكل فلان أمره إلى فلان، أي فوض أمره إليه، واعتمد فيه عليه.فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكل، ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء: الشفقة، والقوة، والهداية. فإذا عرفت هذا، فقس عليه التوكل على الله سبحانه، وإذا ثبت في نفسك أنك لا فاعل سواه واعتقدت مع ذلك أنه تام العلم والقدرة والرحمة، وأنه ليس وراء قدرته قدرة، ولا وراء علمه علم، ولا وراء رحمته رحمة، اتكل قلبك عليه وحده لا محالة، ولم يلتفت إلى غيره بوجه، فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسببه أحد أمرين:إما ضعف اليقين بأحد هذه الخصال.وإما ضعف القلب باستيلاء الجبن عليه، وانزعاجه بسبب الأوهام الغالبة علية، فإن القلب قد ينزعج ببقاء الوهم وطاعته له من غير نقصان في اليقين، فإنه من كان يتناول عسلا، فشبه بين يديه بالعذرة، ربما نفر طبعه منه، وتعذر عليه تناوله.ولو كلف العاقل أن يبيت مع الميت في قبر أو فراش أو بيت، نفر طبعه من ذلك، وإن كان متيقنا كونه ميتا جمادا في الحال، ولا ينفر طبعه عن سائر الجمادات، وذلك جبن في القلب، وهو نوع ضعف قلما يخلو الإنسان منه، وقد يقوى ذلك حتى يصير مرضا، حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع غلق الباب وإحكامه.فإذا لا يتم التوكل إلا بقوة القلب، وقوى اليقين جميعا، فإذا انكشف لك معنى." (١)

"وحملهم على عبادة الطواغيت وتلقت النفوس المتعاقبة ذلك منه بقبول فصار تمييز الحق لا يحصل إلا بمعالجة وتعمل فناسبه فمن اتبع كما ناسب ما تقدم فى آية البقرة فمن تبع، من حيث لم يسك فيها من كيد اللعين ما بسط فى آية طه فورد كل على ما يناسب معنى ونظما وإيجازا وإطالة بإطالة ثم إذا لحظ الترتيب فالجارى على رعية تقديم ما هو الأصل وتأخير ما هو الفرع فقيل فى آية البقرة: فمن تبع وفى آية طه: فمن اتبع، وحصل رعي الوجوه الثلاثة ووضح أنه مقتضى النظم والله أعلم بما أراد.الآية التاسعة:قوله تعالى: "واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين (٤٥) " وقال بعد: "استعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين "يسأل عما أعقب به فى كل الموضعين وما وجه تخصيصه وهل يجوز وقوع كل منهما فى موضع الآخر؟والجواب: ان قوله تعالى: "وانها لكبيرة .....الآية.وقوله فى الآية الثانية: "إن الله مع الصابرين ".كلا الإخبارين مناسب لقوله: "واستعينوا بالصبر والصلاة " فلا سؤال فى هذا وإنما يسأل عن تخصيص كل من الموضعين بما خص به اتباعا؟والجواب عن ذلك أن قوله تعالى: "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " مشير إلى التثاقل عنها والتكاسل الجاريين فى الغالب والأكثر مع ضعف اليقين وقلة الإخلاص وذلك مناسب لحال بنى إسرائيل ممن ذكرت فى الآيات قبل ألا ترى قوله تعالى فى المنافقين وإنما أكثرهم من يهود: "ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ".وقوله: "وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى " فلما كان قوله تعالى فى الآية الأولى: "واستعينوا بالصبر والصلاة " مكتنفا بأمر بني إسرائيل ونهيهم

---

(١) مختصر منهاج القاصدين المقدسي، نجم الدين ص/٣٣٢

ناسب هذا قوله تعالى: "وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين " ولما كانت الآية الثانية معقبا بها أمر المؤمنين في قوله تعالى: "يا أيها الذين ءآمنوا استعينوا بالصبر والصلاة " وحال من وسم بالإيمان حال رضى واستقامة ناسبهم وصفهم بالصبر إذ بالصبر على الطاعات حصول الدرجات فجاء كل على ما يناسب ولم يكن ليلائم واحدا من الموضعين غير ما أعقب به. والله أعلم بما أراد.الآية العاشرة:قوله تعالى: "واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل " ووقع بعد: "ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها." (١)

"وعن ابن عمر قال: خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حتى دخل في بعض حيطان الأنصار، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: يا بن عمر، مالك لا تأكل؟! قال: قلت: يا رسول الله، لا أشتهيه، قال: لكنني أشتهيه، وهذه صبح رابعة مذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي عز وجل فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم بضعف اليقين؟ فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت " وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم " فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا اتباع الشهوات، فمن كنز دنيا يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله. ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد. وعن ابن عمر: " لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة " قال: في جوع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعن عبد الله قال: اضطجع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حصير، فأثر الحصير بجلده. فلما استيقظ جعلت أمسح عنه وأقول: ألا أذنتنا فنبسط لك عليه شيئا يقيك منه؟ فقال: ما لي وللدنيا، ما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها.وعن نوفل بن إياس أنه قال: كان عبد الرحمن بن عوف لنا جليسا، وكان نعم الجليس، وإنه انقلب بنا ذات يوم إذ أدخلنا بيته، ودخل فاغتسل، ثم خرج فجلس معنا، وأتينا بصفحة فيها خبز ولحم. فلما وضعت بكى عبد الرحمن، فقلت له: يا أبا محمد، ما يبكيك؟! قال: هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا.." (٢)

"محمد بن أحمد الجلاأنشده أبو صالح بن جميع الصيداوي أبياتا في القناعة منها: " مجزوء الكامل "طوبى لمن رزق القناعه ... وأفاد معرفة وطاعهونفى مضلات الهوى ... عنه وصلى في جماعهمحمد بن أحمد أبو بكر الهرويالخفاف حدث عن أبي عبد الرحمن السلمي بسنده إلى أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين ".محمد بن أحمد أبو مظفرالتميمي المروروذي الفقيه الشافعي الواعظ قدم دمشق، وحدث بها وبغيرها، وعاد إلى بلده.حدث عن أبي عبد الله محمد بن محمد بن حازم الحازمي بسنده إلى عمر بن الخطاب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب، فقال: " أكرموا أصحابي، ثم الذي يليهم، ثم الذي يليهم. ثم يظهر الكذب حتى يشهد الرجل، ولا يستشهد، ويحلف الرجل، ولا يستحلف، فمن أحب بحبحة الجنة فليلزم الجماعة؛ فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ابن الزبير الغرناطي ٣٢/١

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٥٥/٢

أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة؛ فإن الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن ".كان أبو المظفر هذا حيا إلى بعد الخمسين وأربعمائة.." (١)

"المؤمنين كحفظي لسورة الحمد، قال: فهاته، قال: نعم، كأني بها يا أمير المؤمنين في ذلك اليوم وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول:" يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ". إن الله قد أوضح الحق، وأبان الدليل، ونور السبيل، ورفع العلم، فلم يدعكم في عمياء مبهمة، ولا شعواء مدلهمة، فإلى أين تريدون رحمكم الله؟ أفرارا عن أمير المؤمنين، أم رغبة عن الإسلام، أم ارتدادا عن الحق؟! أما سمعتم الله يقول: " ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين، ونبلو أخباركم ". ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم إنه قد عيل الصبر، وضعف اليقين، وانتشرت الرغبة، وبيدك اللهم أزمة القلوب، فاجمع اللهم الكلمة على التقوى، وألف القلوب على الهدى، وأردد الحق إلى أهله، هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل، إنها أحن بدرية، وضغائن أحدية، وأحقاد جاهلية، وثب بها معاوية حين الغفلة ليدرك بثارات بني عبد شمس. ثم قالت: " قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون ". صبرا معاشر المهاجرين والأنصار، قاتلوا على بصيرة من ربكن، وثبات من دينكم، فكأني بكم غدا قد لقيتم أهل الشام كحمر مستنفرة. لا تدري ما يسلك بها من فجاج الأرض، باعوا الآخرة بالدنيا، واشتروا الضلالة بالهدى، وباعوا البصيرة بالعمى و" عما قليل ليصبحن نادمين "، حين تحل بهم الندامة، فيطلبون الإقالة، " ولات حين مناص ". إنه والله من ضل عن الحق وقع في الباطل، ومن لم يسكن الجنة نزل النار. أيها الناس، إن الأكياس استقصروا عمر الدنيا فرفضوها، واستطالوا مدة الآخرة فسعوا لها. والله أيها الناس لولا أن يبطل الحق، ويظهر الظالمون، وتقوى كلمة الشيطان لما اختاروا ورود المنايا على خفض العيش وطيبه. إلى." (٢)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لهما أجران: أجر القرابة، وأجر الصدقة)). متفق عليه، واللفظ لمسلم.١٩٣٥ - وعن ميمونة بنت الحارث: أنها أعتقت وليدة في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك)). متفق عليه.١٩٣٦ - وعن عائشة، قالت: يا رسول اله إن لي جارين فإلي أيهما أهدي؟ قال: ((إلي أقربهما منك بابا)). رواه البخاري.١٩٣٧ - وعن أبي ذر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها، وتعاهد جيرانك)). رواه مسلم.الفصل الثاني١٩٣٨ - عن أبي هريرة، قال: يا رسول الله! أي الصدقة أفضل؟ قال: ((جهد المقل، وابدأ بمن تعول)). رواه أبو داود. [١٩٣٨].١٩٣٩ - وعن سليمان بن عامر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الصدقة عليـــــالحديث السابع والثامن ظاهران.الفصل الثانيالحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((جهد المقل)) أي مجهود المقل، وهو خبر مبتدأ محذوف. ((نه)): هو بالضم والفتح، بالضم الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة. وقيل: المبالغة والغاية. وقيل: هما لغتان، المعنى: أفضل الصدقة ما يحتمله القليل المال. فإن قلت: كيف الجمع بين هذا الحديث وبين قوله: ((خير الصدقة ما كان عن ظهر غني))؟ قلت: الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص، وقوة لتوكل، وضعف اليقين. فلما كان أبو هريرة رضي الله عنه مقلا

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٣٢٥/٢١

(٢) مختصر تاريخ دمشق ابن منظور ٢٧٤/٢٨

متوكلا علي الله، ناسب أن يجاوب بما يقتضيه حاله– وهي نصوعه في قوة اليقين– بخلاف ما رواه حكيم بن حزام فإنه كان من أشراف قريش، ووجوهها في الجاهلية والإسلام.." (١)

"والسدي، والربيع: هم الجماعات الكثيرة، واختاره ابن قتيبة. وقال ابن عباس في رواية الحسن: هم العلماء الأتقياء الصبر على ما يصيبهم. واختاره اليزيدي والزجاج. وقال ابن زيد: الأتباع، والربانيون الولاة. وقال ابن فارس: الصالحون العارفون بالله. وقيل: وزراء الأنبياء. وقال الضحاك: الربية الواحدة ألف، والربيون جمعها. وقال الكلبي: الربية الواحدة عشرة آلاف. وقال النقاش: هم المكثرون العلم من قولهم: ربا الشيء يربو إذا كثر. وهذا لا يصح لاختلاف المادتين، لأن ربا أصوله راء وباء وواو، وأصول هذا راء وباء وياء. وقرأ الجمهور بكسر الراء. وقرأ علي، وابن مسعود، وابن عباس، وعكرمة، والحسن، وأبو رجاء، وعمرو بن عبيد، وعطاء بن السائب بضم الراء، وهو من تغيير النسب. كما قالوا: دهري بضم الدال، وهو منسوب إلى الدهر الطويل. وقرأ ابن عباس فيما روى قتادة عنه: بفتح الراء. قال ابن جني: هي لغة تميم، وكلها لغات والضمير في وهنوا عائد على الربيين، إن كان الضمير في قتل عائدا على النبي. وإن كان ربيون مسندا إليه الفعل مبنيا للفاعل، فكذلك أو للمفعول، فالضمير يعود على من بقي منهم، إذ المعنى يدل عليه. إذ لا يصح عوده على ربيون لأجل العطف بالفاء، لما أصابهم في سبيل الله بقتل أنبيائهم أو ربييهم.وقرأ الجمهور: وهنوا بفتح الهاء. وقرأ الأعمش، والحسن، وأبو السمال بكسرها.وهما لغتان، وهن يهن كوعد يعد، ووهن يوهن كوجل يوجل. وقرأ عكرمة وأبو السمال أيضا: وهنوا بإسكان الهاء. كما قالوا نعم في نعم، وشهد في شهد. وتميم تسكن عين فعل.وما ضعفوا عن الجهاد بعد ما أصابهم، وقيل: ما ضعف يقينهم، ولا انحلت عزيمتهم. وأصل الضعف نقصان القوة، ثم يستعمل في الرأي والعقل. وقرىء ضعفوا بفتح العين وحكاها الكسائي لغة.وما استكانوا قال ابن إسحاق: ما قعدوا عن الجهاد في دينهم. وقال السدي: ما ذلوا. وقال عطاء: ما تضرعوا. وقال مقاتل: ما استسلموا. وقال أبو العالية: ما جبنوا. وقال المفضل: ما خشعوا. وقال قتادة والربيع: ما ارتدوا عن نصرتهم دينهم، ولكنهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبيهم حتى لحقوا بربهم. وكل هذه أقوال متقاربة. وهذا تعريض لما أصابهم يوم أحد من الوهن والانكسار عند الإرجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبضعفهم عند ذلك عن." (٢)

"غرفا، إما على إسقاط حرف الجر، أي في غرف، ثم اتسع فحذف، وإما على تضمين الفعل معنى التبوئة، فتعدى إلى اثنين، أو شبه الظرف المكاني المختص بالمبهم يوصل إليه الفعل. وروي عن ابن عامر: غرفا، بضم الراء. وقرأ ابن وثاب: فنعم، بالفاء والجمهور: بغير فاء. الذين صبروا: أي على مفارقة أوطانهم والهجرة وجميع المشاق، من امتثال الأوامر واجتناب المناهي. وعلى ربهم يتوكلون: هذان جماع الخير كله، الصبر وتفويض الأمور إلى الله تعالى.ولما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، من أسلم بمكة بالهجرة، خافوا الفقر فقالوا: غربة في بلاد لا دار لنا، ولا فيه عقار، ولا من يطعم. فمثل لهم بأكثر الدواب التي تتقوت ولا تدخر، ولا تروى في رزقها، ولا تحمل رزقها، من الحمل: أي لا تنقل، ولا تنظر في ادخار، قاله

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٥٦٤/٥

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٧٢/٣

مجاهد، وأبو مجلز، وعلي بن الأقمر. والادخار جاءفي حديث: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من حثالة الناس يخبئون رزق سنة لضعف اليقين؟»قيل: ويجوز أن يكون من الحمالة التي لا تتكفل لنفسها ولا تروى. وقال الحسن: لا تحمل رزقها: لا تدخر، إنما تصبح فيرزقها الله. وقال ابن عباس: لا يدخر إلا الآدمي والنمل والفأرة والعقعق، وقيل: البلبل يحتكر في حضنيه، ويقال: للعقعق مخابئ، إلا أنه ينساها. وانتفاء حملها لرزقها، إما لضعفها وعجزها عن ذلك، وإما لكونها خلقت لا عقل لها، فيفكر فيما يخبؤه للمستقبل:أي يرزقها على ضعفها. وإياكم: أي على قدرتكم على الاكتساب، وعلى التحيل في تحصيل المعيشة، ومع ذلك فرازقكم هو الله، وهو السميع لقولكم: نخشى الفقر، العليم بما انطوت عليه ضمائركم.ثم أعقب تعالى ذلك بإقرارهم بأن مبدع العالم ومسخر النيرين هو الله. وأتبع ذلك ببسط الرزق وضيقه، فقال: الله يبسط الرزق لمن يشاء أن يبسطه، ويقدر لمن يشاء أن يقدره. والضمير في له ظاهره العود على من يشاء، فيكون ذلك الواحد يبسط له في وقت، ويقدر في وقت. ويجوز أن يكون الضمير عائدا عليه في اللفظ، والمراد لمن يشاء آخر، فصار نظير: وما يعمر من معمر، ولا ينقص من عمره «١» : أي من عمر معمر آخر. وقولهم: عندي درهم ونصفه: أي ونصف درهم آخر، فيكون المبسوط له الرزق غير المضيق عليه الرزق. وقرأ علقمة الحمصي: ويقدر: بضم الياء وفتح القاف وشد الدال، عليم: يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم.______________(١) سورة فاطر: ٣٥/ ١١.." (١)

"وعقبن بن عامر وعبد الله بن وديعة وغيرهموذكره الواقدي في من كان مسلما على عهد النبي صلى الله عليه وسلموتوفي في حدود المائة وروى له الجماعة٣ - (مستملي أبي عبيدة)كيسان مستملي أبي عبيدة قال الجاحظ كان يكتب غير ما يسمع ويقرأ غير ما يكتبأمليت عليه يوما(عجبت لمعشر عدلوا ... بمعتمر أبا عمرو)فكتبه أبو بشر واستفتى فيه أبا زيد وقرأه أبا حفصوسأله أبو عبيدة عن رجل من شعرا ءالعرب ما اسمه فقال خداش أو خراش أو رياش أو خماش أو شيء آخر وأظنه قرشيا فقال له أبو عبيدة من ابن علمت أنه قرشي قال رأيت اكتناف الشينات عليه من كل جانبقال الجاحظ وشهد على رجل عند بعض الولاة فقال سمعت بأذني وأشار إلى عيبنه ورأيت بعيني وأشار إلى أذنه أنه أمسك بتلابيب هذا الغلام وأشار إلى كميه وما زال يضرب خاصرته وأشار إلى فكيه فضحك الوالي وقال أحسبك قرأت كتاب خلق الإنسان على الأصمعي قال نعم٣ - (فرقة من الرافضة)الكيسانية فرقة من الرافضة منسوبة إلى كيسان مولى علي رضي الله عنه أخذ العلوم من السيد محمد بن الحنفية وقرأ عليه واقتبس الأسرار منه اختلف أصحابه اختلافا كثيرا فمنهم من قال ليس)للناس إمام سوى رجل واحد من لا يموت وإن غاب رجعومنهم من عداه إلى آخر ثم توقفوا وتحيروا ومنهم من أول الأركان الشرعية وقال هي أسماء رجال من الصلاة والصوم والحج والزكاة ومنهم من ضعف يقينه في القيامة ومنهم من قال بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت وقبل القيامة كما هو مذهب أهل الرجعة ولهم في هذا هذيان كثير(الألقاب)الكيس النميري النساب هو زيد بن حارثة تقدم في حرف الزايابن كيسان النحوي اسمه محمد بن أحمد بن كيساناأولاد كيغلغ جماعة منهم أحمد وإبراهيم وإسحاق والمظفر." (٢)

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣٦٥/٨

(٢) الوافي بالوفيات الصفدي ٢٨٧/٢٤

"ومسألة أتزها منى حسنة ولم يصرحوا بذكرها وهذا مكان مليحقال الرافعى قال الشافعى رأيت امرأة لم تزل تحيض يوما وليلة وروى مثله عن عطاء وعن أبى عبد الله الزبيريقلت وفى هذا النقل عن الثلاثة نظروالمحكى فى كتاب المهذب وغيره من كتب الأصحاب عن كل من عطاء والشافعى وأبى عبد الله الزبيرى أنهم رأوا من تحيض يوما لا تزيد عليه وهو ما رواه الأوزاعى رحمه الله إذ قال كانت عندنا امرأة تحيض بالغداة وتطهر بالعشوقد عاد الرافعى بعد ذلك فنقل الرواية على الصواب عن عطاء والزبيرى فقال فى كلامه على أكثر الحيض عن عطاء رأيت من تحيض يوما ومن تحيض خمسة عشر وعن أبى عبد الله الزبيرى مثل ذلكوهذا يدفع نقله المتقدم وهو الثابت إن شاء اللهوقفت للزبيرى على مصنف لطيف فى المكاسب وما يحل منها وما يحرم حكى فى أوله قولا لبعض الناس أن المتكسب حرام وهذه عبارته اختلف الناس فى المكاسب فقال بعضهم المكاسب كلها حلال لما يحتاج إليه الإنسان فى نفسه مما يقتاته لقوته ولما يجمعه من المالوقال آخرون المكاسب كلها محرمة وليس لأحد أن يكتسب ولا يضطرب وإنما يأخذ من الدنيا بلغة تمسك رمقة وتعل نفسه فأما أن يكتسب فليس ذلك له أن يفعل وإذا فعل كان ذلك من ضعف يقينه وقلة ثقته بربه انتهى." (١)

"[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٣٢ الى ٣٦]واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا (٣٢) كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا (٣٣) وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا (٣٤) ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٦)يقول تعالى بعد ذكره المشركين المستكبرين عن مجالسة الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم مثلا برجلين جعل الله لأحدهما جنتين، أي بستانين من أعناب، محفوفتين بالنخيل، المحدقة في جنباتهما وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجودة، ولهذا قال: كلتا الجنتين آتت أكلها أي أخرجت ثمرها، ولم تظلم منه شيئا أي ولم تنقص منه شيئا، وفجرنا خلالهما نهرا أي والأنهار متفرقة فيهما هاهنا وهاهنا، وكان له ثمر قيل: المراد به المال، روي عن ابن عباس ومجاهد وقتادة. وقيل: الثمار، وهو أظهر هاهنا ويؤيده القراءة الأخرى وكان له ثمر بضم الثاء وتسكين الميم، فيكون جمع ثمرة كخشبة وخشب. وقرأ آخرون ثمر بفتح الثاء والميم، فقال أي صاحب هاتين الجنتين لصاحبه وهو يحاوره، أي يجادله، ويخاصمه يفتخر عليه ويترأس أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أي أكثر خدما وحشما وولدا، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال وعزة النفر.وقوله: ودخل جنته وهو ظالم لنفسه أي بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكار المعاد قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا وذلك اغترارا منه لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار، والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، ذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ولهذا قال:وما أظن الساعة قائمة أي كائنة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا أي ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى [فصلت: ٥٠] وقال أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا [مريم:

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي السبكي، تاج الدين ٣/٢٩٧

٧٧] أي في الدار الآخرة تألى على الله عز وجل. وكان سبب نزولها في العاص بن وائل، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله، وبه الثقة وعليه التكلان.[سورة الكهف (١٨) : الآيات ٣٧ الى ٤١]قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا (٣٧) لكنا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحدا (٣٨) ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا (٣٩) فعسى ربي أن يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا (٤٠) أو يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا (٤١)يقول تعالى مخبرا عما أجابه به صاحبه المؤمن، واعظا له وزاجرا عما هو فيه من الكفر بالله والاغترار أكفرت بالذي خلقك من تراب الآية، وهذا إنكار وتعظيم لما وقع فيه من جحود." (١)

"ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وتابع الصلاة والصيام، وقام بالليل والناس نيام.وعلى ربهم يتوكلون في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار، ولهذا قال تعالى: وكأين من دابة لا تحمل رزقها أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد الله يرزقها وإياكم أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في الماء. قال تعالى: وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين.وقال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن عبد الرحمن الهروي، حدثنا يزيد يعني ابن هارون، حدثنا الجراح بن منهال الجزري- هو أبو العطوف- عن الزهري عن رجل عن ابن عمر قال:خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟» قال: قلت لا أشتهيه يا رسول الله، قال لكني أشتهيه، وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟» قال: فو الله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد» هذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف.وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض خرجوا وهم بيض، فإذا رآهم أبواهم كذلك نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه فيقيض الله تعالى طيرا صغارا كالبرغش، فيغشاه فيتقوت به تلك الأيام حتى يسود ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق، ولهذا قال الشاعر:يا رازق النعاب في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيضوقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر كقول النبي صلى الله عليه وسلم: «سافروا تصحوا وترزقوا» قال البيهقي: أخبرنا إملاء أبو الحسن

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٤٢/٥

علي بن أحمد بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن غالب، حدثني محمد بن سنان، أخبرنا محمد بن عبد الرحمن بن رداد شيخ من أهل." (١)

"فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت أي من شدة خوفه وجزعه، وهكذا خوف هؤلاء الجبناء من القتال فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أي فإذا كان الأمن تكلموا كلاما بليغا فصيحا عاليا، وادعوا لأنفسهم المقامات العالية في الشجاعة والنجدة، وهم يكذبون في ذلك، وقال ابن عباس رضي الله عنهما سلقوكم أي استقبلوكم.وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم وأسوأه مقاسمة: أعطونا أعطونا قد شهدنا معكم، وأما عند البأس فأجبن قوم وأخذله للحق، وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي ليس فيهم خير قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم كما قال في أمثالهم الشاعر [الطويل] :أفي السلم أعيارا جفاء وغلظة ... وفي الحرب أمثال النساء العوارك «١»أي في حال المسالمة كأنهم الحمر، والأعيار جمع عير وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض، ولهذا قال تعالى: أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا أي سهلا هينا عنده.[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ٢٠]يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (٢٠)وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف يحسبون الأحزاب لم يذهبوا بل هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسئلون عن أنبائكم أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمركم مع عدوكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم، والله سبحانه وتعالى العالم بهم.[سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٢١ الى ٢٢]لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأ المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢)هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله، ولهذا أمر تبارك وتعالى الناس بالتأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين،______________(١) البيت لهند بنت عتبة في خزانة الأدب ٣/ ٢٦٣، والمقاصد النحوية ٣/ ١٤٢، وبلا نسبة في شرح أبيات سيبويه ١/ ٣٨٢، والكتاب ١/ ٣٤٤، ولسان العرب (عور) ، (عير) ، (عرك) ، والمقتضب ٣/ ٢٦٥، والمقرب ١/ ٢٥٨، وتاج العروس (عرك) ، ويروى «أشباه النساء» بدل «أمثال النساء» .." (٢)

"﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا (٣٥) وما أظن الساعة قائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا (٣٦) ﴾يقول الله تعالى بعد ذكر (١) المشركين المستكبرين عن مجالسة (٢) الضعفاء والمساكين من المسلمين، وافتخروا عليهم بأموالهم وأحسابهم، فضرب لهم (٣) مثلا برجلين، جعل الله ﴿لأحدهما جنتين﴾ أي: بستانين

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٦/٢٦٣

(٢) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٦/٣٥٠

من أعناب، محفوفتين بالنخل (٤) المحدقة في جنباتهما، وفي خلالهما الزروع، وكل من الأشجار والزروع مثمر مقبل في غاية الجود؛ ولهذا قال: ﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أي: خرجت ثمرها ﴿ولم تظلم منه شيئا﴾ أي: ولم تنقص منه شيئا ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ أي: والأنهار تتخرق فيهما هاهنا وهاهنا.﴿وكان له ثمر﴾ قيل: المراد به: المال. روي عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: الثمار وهو أظهر هاهنا، ويؤيده القراءة الأخرى: "وكان له ثمر" بضم الثاء وتسكين الميم، فيكون (٥) جمع ثمرة، كخشبة وخشب، وقرأ آخرون: ﴿ثمر﴾ بفتح الثاء والميم.فقال -أي صاحب هاتين [الجنتين] (٦) - ﴿لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي: يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس: ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ أي: أكثر خدما وحشما وولدا.قال قتادة: تلك -والله-أمنية الفاجر: كثرة المال وعزة النفر.وقوله: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ أي: بكفره وتمرده وتكبره وتجبره وإنكاره المعاد ﴿قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ وذلك اغترار منه، لما رأى فيها (٧) من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها، ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف (٨) وذلك لقلة عقله، وضعف يقينه بالله، وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة (٩) ؛ ولهذا قال: ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ أي: كائنة ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ أي: ولئن كان معاد ورجعة ومرد إلى الله، ليكونن لي هناك أحسن من هذا لأني محظى (١٠) عند ربي، ولولا كرامتي (١١) عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾ [فصلت:٥٠] ، وقال ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾ [مريم:٧٧] أي: في الدار الآخرة، تألى على الله، عز______________(١) في ت، ف: "ذكره".(٢) في ت: "مجالسهم".(٣) في ت، ف، أ: "لهم ولهم".(٤) في ف، أ: "بالنخيل".(٥) في ت: "فيك".(٦) زيادة من ف.(٧) في ف: "فيهما".(٨) في ت: "ولايسلم".(٩) في ت: "بالأخرى".(١٠) في ت، ف: "محض".(١١) في ت: "إكرامى".." (١)

"وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟ ". قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما، ولا أخبئ رزقا لغد (١) " (٢) .وهذا حديث غريب، وأبو العطوف الجزري ضعيف.وقد ذكروا أن الغراب إذا فقس عن فراخه البيض، خرجوا وهم بيض فإذا رآهم أبواهم كذلك، نفرا عنهم أياما حتى يسود الريش، فيظل الفرخ فاتحا فاه يتفقد أبويه، فيقيض الله له طيرا (٣) صغارا كالبرغش فيغشاه فيتقوت منه تلك الأيام حتى يسود ريشه، والأبوان يتفقدانه كل وقت، فكلما رأوه أبيض الريش نفرا عنه، فإذا رأوه قد اسود ريشه عطفا عليه بالحضانة والرزق، ولهذا قال الشاعر: يا رازق النعاب (٤) في عشه ... وجابر العظم الكسير المهيض ...وقد قال الشافعي في جملة كلام له في الأوامر، كقول النبي صلى الله عليه وسلم "سافروا تصحوا وترزقوا".قال البيهقي أخبرنا إملاء أبو الحسن علي بن عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد، أخبرنا محمد بن غالب، حدثني محمد بن سنان، حدثنا محمد بن عبد الرحمن بن رداد -شيخ من أهل المدينة -حدثنا عبد الله بن

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥/١٥٧

دينار (٥) عن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تصحوا وتغنموا". قال: ورويناه عن ابن عباس (٦) .وقال الإمام أحمد: حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن دراج، عن عبد الرحمن بن حجيرة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا، واغزوا تغنموا" (٧) .وقد ورد مثل حديث ابن عمر عن ابن عباس مرفوعا، وعن معاذ بن جبل موقوفا (٨) . وفي_____________(١) في ت: "إلى غد".(٢) ورواه البغوي في تفسيره (٢٥٣/٦) من طريق إسماعيل بن زرارة عن الجراح بن المنهال به - وقال الشوكاني في فتح القدير (٢١٣/٤) : "وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة، وفي إسناده أبو العطوف الجزري وهو ضعيف". أهـ مستفادا من حاشية تفسير البغوي.(٣) في ت: "طيورا".(٤) في ت: "البغاب" وفي أ: "النعام".(٥) في ت: "وروى البيهقي بسنده"(٦) السنن الكبرى (١٠٢/٧) ورواه ابن عدي في الكامل (١٩٠/٦) من طريق محمد بن عبد الرحمن بن رواد به، وقال: "لا أعلم يرويه غير الرواد هذا، وعامة ما يرويه غير محفوظ" وقال ابن أبي حاتم في العلل (٣٠٦/٢) : "سألت أبي عن هذا الحديث فقال: هذا حديث منكر".(٧) المسند (٣٨٠/٢) وفيه ابن لهيعة ودراج ضعيفان.(٨) أما حديث ابن عباس، فرواه البيهقي في السنن الكبرى (١٠٢/٧) من طريق بسطام بن حبيب عن القاسم عن أبي حازم عن ابن عباس مرفوعا، ورواه ابن عدي في الكامل (٥٧/٧) من طريق نهشل، عن الضحاك، عن ابن عباس، مرفوعا. وقال: "هذه الأحاديث كلها عن الضحاك غير محفوظة". ولم أجده عن معاذ موقوفا، وسيأتي مرفوعا، وجاء من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعا. ورواه ابن عدي في الكامل (٤٥٤/٣) عن سوار بن مصعب، عن عطية، عن أبي سعيد، مرفوعا وقال: "سوار هذا عامة ما يرويه غير محفوظ".." [١]

"وقال قتادة: أما عند الغنيمة فأشح قوم، وأسوأه مقاسمة: أعطونا، أعطونا، قد (١) شهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق.وهم مع ذلك أشحة على الخير، أي: ليس فيهم خير، قد جمعوا الجبن والكذب وقلة الخير، فهم (٢) كما قال في أمثالهم الشاعر (٣) :أفي السلم أعيارا (٤) جفاء وغلظة ... وفي الحرب أمثال النساء العوارك ...أي: في حال المسالمة كأنهم الحمير. والأعيار: جمع عير، وهو الحمار، وفي الحرب كأنهم النساء الحيض؛ ولهذا قال تعالى: ﴿أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا﴾ أي: سهلا هينا عنده.﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا (٢٠) ﴾ .وهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخوف والخور، ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ بل هم قريب منهم، وإن لهم عودة إليهم ﴿وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم﴾ أي: ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون (٥) حاضرين معكم في المدينة بل في البادية، يسألون عن أخباركم، وما كان من أمركم مع عدوكم، ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ أي: ولو كانوا بين أظهركم، لما قاتلوا معكم إلا قليلا؛ لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا (٢١) ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما (٢٢) ﴾ .هذه الآية الكريمة أصل كبير في التأسي برسول

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٩٣/٦

الله صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وأحواله؛ ولهذا أمر الناس بالتأسي بالنبي (٦) صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب، في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه، عز وجل، صلوات الله وسلامه عليه دائما إلى يوم الدين؛ ولهذا قال تعالى للذين تقلقوا وتضجروا وتزلزلوا واضطربوا في أمرهم يوم الأحزاب: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ أي: هلا اقتديتم به وتأسيتم بشمائله؟ ولهذا قال: ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا﴾ .ثم قال تعالى مخبرا عن عباده المؤمنين المصدقين بموعود الله لهم، وجعله العاقبة حاصلة لهم في__________(١) في أ: "فقد".(٢) في ت: "فيهم".(٣) البيت لهند بنت عتبة، وهو في السيرة النبوية لابن هشام (٦٥٦/١) .(٤) في ت: "أعيار".(٥) في ت: "لا يكونوا".(٦) في ت: "برسول الله"." (١)

"ويسقينا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وكأين من دابة﴾ وكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء و ﴿لا تحمل رزقها﴾ لضعفها، كالقمل والبرغوث والدود ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ حيث ما كنتم «وهو السميع» لأقوالكم: ما نجد ما ننفق بالمدينة، ﴿العليم بما في قلوبكم﴾ .قال سفيان: ليس شيء مما خلق الله نجبا إلا الإنسان والفأرة والنملة روى بن عمر قال: «دخلت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حائطا من حوائط الأنصار فجعل رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يلقط الرطب بيده ويأكل، فقال: كل يا ابن عمر، (قلت: لا أشتهيها يا رسول الله قال: لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاما ولم أجده) فقلت: إنا لله المستعان قال يا ابن عمر: لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في أمر الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رقها﴾ الآية، وقال عليه (الصلاة و) السلام» لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا، وتروح بطانا «." (٢)

"لا يؤثر في النفيق. وله غزل معري، لا عذري، لا يقنع بالطيف، ولا يصفع بغير السيف، وقد قده به الذات، وعظم شأنه فاحتمل الثواب، وكان يقف دولته في أعلى منزلته، ناهيك من رجل يستعين على صلاح دنياه، بفساد أخراه، لرداءة دينه، وضعف يقينه. ولو عقل ما ضاقت عليه معاني الشعر، حتى يستعين عليه بالكفر.شعره: كان أول ما مدح به جعفر بن علي قوله «١» : [الكامل]أحبب بتياك القباب قبابا ... لا بالحداة ولا الركاب ركابا «٢»فيها قلوب العاشقين تخالها ... عنما بأيدي البيض والعنابا «٣»وقال يمدح جعفر بن علي من القصيدة الشهيرة «٤» : [الطويل]أليلتنا إذا أرسلت واردا وحفا «٥» ... وبانت «٦» لنا الجوزاء في أذنها شنفا «٧»وبات لنا ساق يقوم «٨» على الدجى ... بشمعة صبح «٩» لا تقط «١٠» ولا تطفاأغن غضيض خفف «١١» اللين قده ... وأثقلت «١٢» الصهباء أجفانه الوطفا «١٣»ولم يبق إرعاش المدام له يدا ... ولم يبق إعنات «١٤» التثني له عطفانزيف قضاه السكر إلا ارتجاجة ... إذا كل عنها «١٥» الخصر حملها الردفا." (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٩١/٦

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٧٣/١٥

(٣) الإحاطة في أخبار غرناطة لسان الدين بن الخطيب ١٨٧/٢

"أرأيت لو كنت في سجن وابنك، فأفرج عن ابنك قبلك، أما كنت تفرح؟ قال: بلى! قال: فإن ابنك، خرج من سجن الدنيا قبلك، قال فسري عن الرجل، وقال تعزيت.رواه الحافظ ابن عساكر.وقال مالك: إنه بلغه «عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما يزال المؤمن يصاب في ولده وخاصته، حتى يلقى الله وليست عليه خطيئة» .وقد تقدم ما رواه الإمام أحمد، والترمذي، من حديث أبي موسى الأشعري.والمقصود أن من سمع بهذا الحديث وكان قد أصيب بمصيبة حصل له تسلية.ومن التأسي بمن أصيب في نفسه، فصبر، وعزى نفسه، وتكلم بما حفظ عنه: لما حضرت معاوية الوفاة قال: أقعدوني، فأقعدوه، فجعل يذكر الله ويسبحه، ثم قال: الآن تذكر ربك يا معاوية، بعد الانحطام والانهزام؟ ألا كان ذلك وغصن الشباب ريان؟ ! وبكى حتى علا بكاؤه، ثم قال منشدا:هو الموت لا منجا من الموت، والذي ...أحاذر بعد الموت، أدهى وأفظعثم قال اللهم يا رب ارحم الشيخ العاصي والقلب القاسي، اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وجد بحلمك، على من لا يرجو غيرك، ولا يثق بأحد سواك، ثم قال لابنه: يا بني، إذا وافاني أجلي، فاعمد إلى المنديل الذي في الخزانة، فإن فيها ثوبا من أثواب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراضة من شعره وأظفاره، فاجعل الثوب مما يلي جسدي، واجعل أكفاني فوقه، واجعل القراضة في فمي وأنفي وعيني، فإن نفعني شيء فهذا، فإذا وضعتموني في قبري، فخلوا معاوية وأرحم الراحمين.ولما حضرت أبا هريرة - رضي الله عنه - الوفاة بكى، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: يبكيني بعد السفر، وقلة الزاد، وضعف اليقين، والعقبة الكؤود التي المهبط منها إما إلى الجنة وإما إلى النار.ولما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة قال: أجلسوني، فأجلسوه، فقال: اللهم أنا الذي أمرتني فقصرت، ونهيتني فعصيت،." (١)

"قال أبو الدرداء: إن الله إذا قضى قضاء أحب أن يرضى به، وقال ابن مسعود: إن الله بقسطه وعدله جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط (رَحِمَهُ اللَّهُ١) ، فالراضي لا يتمنى غير ما هو عليه من شدة ورخاء، كذا روي عن عمر وابن مسعود وغيرهما (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) . وقال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ومالي سرور إلا في مواضع القضاء والقدر.فمن وصل إلى هذه الدرجة، كان عيشه كله في نعيم وسرور، قال الله تعالى:﴿من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) قال بعض السلف: الحياة الطيبة: هي الرضا والقناعة (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) . وقال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين (رَحِمَهُ اللَّهُ٥) .وأهل الرضا تارة يلاحظون حكمة المبتلي وخيرته لعبده في البلاء، وأنه غير متهم في قضائه، وتارة يلاحظون ثواب الرضا بالقضاء، فينسيهم ألم المقتضي به، وتارة يلاحظون عظمة المبتلي وجلاله وكماله، فيستغرقون في مشاهدة ذلك، حتى لا يشعرون بالألم، وهذا يصل إليه خواص أهل المعرفة والمحبة، حتى ربما تلذذوا بما أصابهم لملاحظتهم صدوره عن حبيبهم، كما قال بعضهم: أوجدهم في عذابه عذوبة.رَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أخرجه: الطبراني في " الكبير " (١٠٥١٤) ، وأبو نعيم في " الحلية " ١٣٠/٧ و١٢١/٤، والقضاعي في " مسند الشهاب " (١١١٦) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٨) ، مرفوعا، وإسناده تالف لا يصح.وأخرجه: ابن أبي الدنيا في " اليقين " (٣٢) ، والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٩) ، موقوفا.(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) أخرجه:

---

(١) تسلية أهل المصائب المنبجي ص/٨٧

البيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٧) عن أبي سعيد الخدري، به. وزاد في أوله((إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله)) .(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) النحل: ٩٧.(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) أخرجه: الطبري في " تفسيره " (١٦٥٢٦) عن علي، به.وأخرجه: الطبري في " تفسيره " (١٦٥٢٧) عن الحسن البصري، به.وأخرجه: الحاكم ٢/٣٥٦ عن ابن عباس، به.(رَحِمَهُ اللَّهُ٥) أخرجه: أبو نعيم في " الحلية " ٦/١٥٦.." [1]

"ويذكر عن لقمان قال: العمل لا يستطاع إلا باليقين، ومن يضعف يقينه يضعف عمله (رَحِمَهُ اللَّهُ١) . قال عبد الله بن عكيم: سمعت ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيمانا ويقينا وفهما.قال البخاري: وقال ابن عمر: لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع ما حاك في الصدر.قال زين الدين ابن رجب: هذا الأثر لم أقف عليه إلى الآن في غير كتاب البخاري (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) ، وقد روي معناه مرفوعا. وموقوفا على أبي الدرداء. فخرج الترمذي، وابن ماجه من حديث عطية السعدي، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا بأس به حذرا مما به بأس " (رَحِمَهُ اللَّهُ٣) وفي إسناده بعض مقال. وروى ابن ابي الدنيا بإسناد منقطع، عن أبي الدرداء قال: تمام التقوى: أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراما، حجابا بينه وبين الحرام (رَحِمَهُ اللَّهُ٤) .وإنما ذكر البخاري هذا الأثر في الباب، لأن خصال التقوى هيرَحِمَهُ اللَّهُ__________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) " اليقين " لابن أبي الدنيا (ص: ١١٦) .(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) وكذا قال الحافظ في " تغليق التعليق " (٢/٢٤) .(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) الترمذي (٢٤٥١) ، وابن ماجه (٤٢١٥) .(رَحِمَهُ اللَّهُ٤) انظره في " الزهد " لابن المبارك (ص:١٩) من زوائد نعيم، وراجع " توضيح المشتبه " (٣/٤٤٢) .." [2]

"قال: " زاد يقيني، وراحلتي رجلاي ". فقلت: " أسألك عن الخبز والماء! "، فقال: " يا عماه!، أرأيت لو دعاك مخلوق إلى منزله، أكان يجمل بك ان تحمل معك زادك إلى منزله؟! "، قلت: " لا! "، فقال: " إن سيدي دعا عباده إلى بيته، وأذن لهم في زيارته؛ فحملهم ضعف يقينهم على حمل أزوادهم واني استقبحت لك، فحفظت الأدب معه، أفتراه يضيعني؟! "، فقلت: "كلا وحاشا! "؛ ثم غاب عن بصري، فلم اره إلا بمكة. فلما رآني فقال: " انت – ايها الشيخ – بعد على ذلك الضعف من اليقين؟! ".وقال أبو إسماعيل، وكان من أصحاب فتح: " شهد فتح العيد ذات يوم بالموصل، ورجع بعدما تفرق الناس، ورجعت معه. فنظر إلى الدخان يفور من نواحي المدينة، فبكى ثم قال: " قد قرب الناس قربانهم، فليت شعري! ما فعلت في قرباني عندك أيها المحبوب؟! "، ثم سقط مغشيا عليه؛ فجئت بماء، فمسحت به وجهه فأفاق. ثم مضى حتى دخل بعض أزقة المدينة، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: " علمت طول غمي وحزني، وترددي في أزقة الدنيا، فحتى متى تحبسني أيها المحبوب؟! ". ثم سقط مغشيا عليه، فجاءت بماء، فمسحت به وجهه فأفاق، فما عاش بعد ذلك إلا أيام حتى مات ".وقال أبو إسماعيل أيضا: " دخلت عليه يوما، وقد مدكفه يبكي، حتى رأيت الدموع من بين أصابعه تتحدر، فدنوت منه لا نظر أليه، فإذا دموعه." [3]

---

(١) جامع العلوم والحكم ت ماهر الفحل ابن رجب الحنبلي ٢/٥٨٠

(٢) فتح الباري لابن رجب ابن رجب الحنبلي ١/١٦

(٣) طبقات الأولياء ابن الملقن ص/٢٧٨

"فصل:في حديث ابن عمر: (أجلى اليهود) أي: أخرجهم من وطنهم، يقال: أجليت القوم عن وطنهم، وجلوتهم، وجلا القوم، وأجلوا وجلوا، وإنما فعل هذا عمر - رضي الله عنه -؛ لقوله - عليه السلام -: "لا يبقين دينان بجزيرة العرب" (رحمه الله١) والصديق اشتغل عنه بقتال أهل الردة أو لم يبلغه الخبر.خاتمة للباب: كانت المؤلفة قسمين على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم -:مؤمن لم يستقر الإسلام في قلبه، فلم يزل يعطيهم حتى استقر في قلوبهم، وجماعة من أهل الكتاب وغيرهم كان يتألفهم اتقاء شرهم، وقال جماعة: هم قوم كانوا يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، كانوا يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم؛ لضعف يقينهم.وقال الزهري: المؤلفة من أسلم من يهودي أو نصراني، وإن كان غنيا، واختلف العلماء في بقاء سهمهم، فقال عمر والحسن والشعبي وغيرهم: انقطع هذا الصنف بعز الإسلام وظهوره، وهو مشهور مذهب مالك وأبي حنيفة، وقال بعض الحنفية: لما أعز الله الإسلام وقطع دابر الكافرين اجتمعت الصحابة في زمن الصديق على سقوط سهمهم.رحمه الله__________(رحمه الله١) رواه أحمد ٦/ ٢٧٥ والطبري في "تاريخه" ٣/ ٢١٤ - ٢١٥ والطبراني في "الأوسط" ٢/ ١٢ (١٠٦٦) عن عائشة وأورده الهيثمي في "المجمع" ٥/ ٥٨٦ وقال: رواه أحمد والطبراني في "الأوسط" ورجال أحمد رجال الصحيح غير ابن إسحاق وقد صرح بالسماع.ورواه مالك في "الموطأ" ٢/ ٨٩٢ (١٥٨٤) وابن سعد ٢/ ٢٥٤ وعبد الرزاق (٩٩٨٧، ١٩٣٦٨) مرسلا عن عمر بن عبد العزيز.وقال ابن عبد البر في "التمهيد" ١/ ٦٦٥ - ١٦٦ هكذا جاء مقطوعا وهو يتصل من وجوه حسان عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من حديث عائشة وعلي وأسامة.." (١)

"وفيه أيضا: فساد قول من منع أن يتحيز بيته أويتحيز إلى حصن إذا خشي على نفسه، وقال: قد برئ من التوكل من فعل هذا؛ لأن الضر والنفع بيد الله، والله أمر نبيه بدخول الغار والاختفاء فيه من شرار خلقه، وكان سيد المتوكلين، وبأن أيضا فساد قول من زعم أن من خاف شيئا سوى الله لم يؤمن بالقدر، وذلك أن الصديق قال للشارع: لو أن أحدهم رفع قدمه لأبصرنا حذرا أن يكون ذلك من بعضهم فيلحقهما الضرر، وبذلك أخبر الله في قوله: ﴿إلا تنصروه﴾ الآية، فلم يصفه ولا رسوله بذلك من قوله؛ لضعف اليقين (بل كان من اليقين) (رحمه الله١) لقضاء الله وقدره في المحل الأعلى، وكان الذي منه، مثل ما كان من موسى (إذ) (رحمه الله٢) أوجس في نفسه خيفة: ﴿قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى (٦٨)﴾.فصل:فيه الدليل الواضح على ما خص الله به (صديق نبيه) (رحمه الله٣) من الفضيلة والكرامة ورفيع المنزلة عنده؛ لاختياره إياه دون باقي الأمة (لموضع سره) (رحمه الله٤) وخفي أموره التي كان يخفيها عن سائر أصحابه، ولصحبته في سفره، إذ لم يعلم أحد بكونه في الغار أيام مكثه فيه غيره وحاشيته من ولد له ومولى وأجير، (ولا صحبه في طريقه غيره) (رحمه الله٥)، وخصص له بذلك دون قرابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فتبين بذلك منزلته عنده، ودل به على اختياره إياه لأمانه ولأمانته عليه.رحمه الله__________(رحمه الله١) من (ص٢).(رحمه الله٢) في (ص٢): إذا.(رحمه الله٣) في الأصل: (الصديق بنبيه).(رحمه الله٤) في (ص٢): بموضع ستره.(رحمه الله٥) من (ص٢).." (٢)

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ١٨/٥٤٥

(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٢٧/٦٣٣

"فقصده الخلائق من الأقطار ثم إنه لما فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بيت المقدس توجه فزاره سنة تسع وثمانين وخمسمائة ثم رجع فأقام بالمدرسة الفاضلية يقرئ حتى توفي١، وكان إماما كبيرا أعجوبة في الذكاء كثير الفنون آية من آيات الله تعالى غاية في القراءات حافظا للحديث بصيرا بالعربية إماما في اللغة رأسا في الأدب مع الزهد والولاية والعبادة والانقطاع والكشف، شافعي المذهب مواظبا على السنة، بلغنا أنه ولد أعمى، ولقد حكى عنه أصحابه ومن كان يجتمع به عجائب وعظموه تعظيما بالغا حتى أنشد الإمام الحافظ أبو شامة المقدسي -رحمه الله- من نظمه في ذلك:رأيت جماعة فضلاء فازوا ... برؤية شيخ مصر الشاطبيوكلهم يعظمه ويثني ... كتعظيم الصحابة للنبيأخبرني بعض شيوخنا الثقات عن شيوخهم أن الشاطبي كان يصلي الصبح بغلس بالفاضلية ثم يجلس للإقراء، فكان الناس يتسابقون السير إليه ليلا وكان إذا قعد لا يزيد على قوله: من جاء أولا فليقرأ ثم يأخذ على الأسبق فالأسبق، فاتفق في بعض الأيام أن بعض أصحابه سبق أولا، فلما استوى الشيخ قاعدا قال: من جاء ثانيا فليقرأ فشرع الثاني في القراءة وبقي الأول لا يدري حاله وأخذ يتفكر ما وقع منه بعد مفارقة الشيخ من ذنب أوجب حرمان الشيخ له، ففطن أنه أجنب تلك الليلة ولشدة حرصه على النوبة نسي ذلك لما انتبه فبادر إلى الشيخ، فأطلع الشيخ على ذلك، فأشار للثاني بالقراءة ثم إن ذلك الرجل بادر إلى حمام جوار المدرسة فاغتسل به ثم رجع قبل فراغ الثاني والشيخ قاعد أعمى على حاله، فلما فرغ الثاني قال الشيخ: من جاء أولا فليقرأ____________١ في ع هنا حاشية نصها: "وكان يعتل بالعلل الشديدة فلا يشتكي ولا يتأوه، وإذا سئل عن حاله قال: العافية، لا يزيد على ذلك، ولعله كان يفعل ذلك لما ذكره بعض العلماء أن كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالسخط لقضاء رب العالمين مع ما فيه من شماتة الأعداء والحايدين" ولعل صواب الكلمة الأخيرة "والحاقدين".." (١)

"وفي الحديث: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم» «١»ولا خلاف في أن الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وأما الجن والشياطين فخلاف ذلك.قال صلى الله عليه وسلم في العظم: «إنه زاد إخوانكم من الجن» «٢»وفي القرآن أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني [الكهف: ٥٠] .وأما كيفية الوسوسةفيروى أن عيسى عليه السلام دعا ربه أن يريه موضع الشيطان من بني آدم، فأراه ذلك فإذا رأسه الحية واضع رأسه على قلبه فإذا ذكر الله خنس وأيس، وإذا لم يذكره وضع رأسه على حبة قلبه.وقال صلى الله عليه وسلم: «لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات» «٣»وقال أيضا صلى الله عليه وسلم: «إن للشيطان لمة بابن آدم، وللملك لمة فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق. فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم» ثم قرأ صلى الله عليه وسلم الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء [البقرة: ٢٦٨]الآية، فمن الخواطر ما هو أصل العادة، ومنها ما هو أصل الشقاوة. وسبب اشتباه خطأ الخواطر بصوابها أحد أربعة أشياء: إما ضعف اليقين، أو قلة العلم بصفات النفس وأخلاقها، أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى، أو محبة الدنيا وجاهها ومالها. فمن عصم من هذه الأربعة يفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان، ومن ابتلى بها فلا.

---

(١) غاية النهاية في طبقات القراء ابن الجزري ٢/٢١

واتفق المحققون على أن من كان أكله من الحرام لا يفرق بين الإلهام والوسوسة وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان بأن النفس تطالب وتلح، فلا تزال كذلك حتى تصل إلى مرادها.والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب، يوسوس بأخرى إذ مراده الإغواء كيف أمكن.وحقيقة الوسوسة راجعة إلى أن الإنسان بينما هو ذاهل عن الشيء ذكره الشيطان ذلك فيحدث له ميل، ويترتب الفعل على حصول ذلك الميل فكأن الذي أتى به الشيطان من خارج ليس إلا ذلك التذكير. وإليه الإشارة في القرآن حكاية عن إبليس وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي [إبراهيم: ٢٢] ، ولا يتسلسل هذا التذكير وإنما يقدم______________(١) رواه البخاري في كتاب الأحكام باب ٢١. أبو داود في كتاب الصوم باب ٧٨. ابن ماجه في كتاب الصيام باب ٦٥. الدارمي في كتاب الرقاق باب ٦٦. أحمد في مسنده (٣/ ١٥٦، ٢٨٥) .(٢) رواه أحمد في مسنده (١/ ٤٣٦، ٤٥٨) . الترمذي في كتاب تفسير سورة ٤٦ باب ٣.(٣)رواه أحمد في مسنده (٢/ ٣٥٣) بلفظ: « ... يحومون على بني آدم أن لا يتفكروا في ملكوت السموات والأرض» .." (١)

"قرأ حتى يصدر من الإصدار أي حتى يصدر الرعاء مواشيهم الغرض بيان الإصدار. قال ما خطبكما هو مصدر بمعنى المفعول أي ما مخطو بكما من الذياد قالتا لا نسقي الآية.سألهما عن سبب الذود فذكرتا أنا ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تأخير السقي إلى أن يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك. وأبونا شيخ قد أضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به، وهذه الضرورة هي التي سوغت لنبي الله شعيب أن رضي لابنتيه بسقي الماشية على أن الأمر في نفسه ليس بمحظور، ولعل العرب وخصوصا أهل البدو منهم لا يعدونه قادحا للمروءة. وزعم بعضهم أن أباهما هو ثيرون ابن أخي شعيب وشعيب مات بعد ما عمي وهو اختيار أبي عبيد ينميه إلى ابن عباس. وعن الحسن أنه رجل مسلم قبل الدين من شعيب. أما قوله فسقى لهما فمعناه فسقى غنمهما لأجلهما وفيه قولان: أحدهما أنه سأل القوم فسمحوا وكان لهم دلو يجتمع عليها أربعون رجلا فيخرجونها من البئر فاستقى موسى بها وحده وصب الماء في الحوض ودعا بالبركة، ثم قرب غنمهما فشربت حتى رويت ثم سرحهما مع غنمهما. والثاني أنه عمد إلى البئر وعليها صخرة لا يقلها إلا سبعة رجال أو عشرة أو أربعون أو مائة- أقوال- فأقلها وحده وسقى أغنامهما، كل ذلك في شمس وحر. ثم تولى إلى الظل ظل شجرة فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ذهب أكثر المفسرين الظاهريين ومنهم ابن عباس إلى أنه طلب من الله طعاما يأكله. وعدي فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب. وعن الضحاك أنه مكث سبعة أيام لم يذق فيها طعاما إلا بقل الأرض وإن خضرته تتراءى في بطنه من الهزال، وفيه دليل على أنه نزع الدلو وأقل الصخرة بقوة ربانية. وقال بعض أهل التحقيق: أراد إني فقير من الدنيا لأجل ما أنزلت إلي من خير الدين، وذلك أنه كان عند فرعون في ملك وثروة فأظهر الرضا بهذا الذل شكرا لله.يروى أنهما لما رجعتا إلى أبيهما قبل الناس وأغنامهما حفل بطان قال لهما: ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا. فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه ليوذلك قوله سبحانه فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قيل: من جملة حيائها أنها قد استترت بكم درعها ثم قالت إن أبي يدعوك عن عطاء بن السائب أنه حين قال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير رفع صوته بدعائه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك أجر ما سقيت لنا وضعفت الرواية

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٢٠/١

بأن هذا نوع من الدناءة وضعف اليقين بالله فلا يليق بالنبي.وقد روي أنها حين قالت: ليجزيك كره ذلك. ولما قدم إليه الطعام امتنع وقال: إنا أهل بيت لا نبيع ديننا بدنيانا ولا نأخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا.." (١)

"لا في جميع الحديث وذكر هنا أن معمرا وصله أيضا عن أيوب ورواية معمر وصلها في المغازي وهو في قصة النذر فقط وذكر في المغازي أيضا أن حماد بن سلمة رواه موصولا وسيأتي بيان ذلك واضحا أيضا هناك وأنه أيضا في النذر فقط ويأتي الكلام على ما يتعلق منه بالنذر في كتاب الأيمان والنذور والذي قدمته اتفق عليه جميع رواة البخاري إلا الجرجاني فقال عن نافع عن بن عمر وهو وهم منه ويظهر ذلك من تصرف البخاري هنا وهو في المغازي وبذلك جزم أبو علي الجياني وقال الدارقطني حديث حماد بن زيد مرسل وحديث جرير بن حازم موصول وحماد أثبت في أيوب من جرير فأما رواية معمر الموصولة فهي في قصة النذر فقط دون قصة الجاريتين قال وقد روى سفيان بن عيينة عن أيوب حديث الجاريتين فوصله عنه قوم وأرسله آخرون قوله فأمره في رواية جرير بن حازم عند مسلم أن سؤاله لذلك وقع وهو بالجعرانة بعد أن رجع إلى الطائف قوله وأصاب عمر جاريتين من سبي حنين أي من هوازن لم أر من سماهما وفي رواية بن عيينة عند الإسماعيلي موصولا أن عمر قال فذكر حديث النذر قال فأمرني أن أعتكف فلم أعتكف حتى كان بعد حنين وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعطاني جارية فبينا أنا معتكف إذ سمعت تكبيرا الحديث قوله قال من رسول الله صلى الله عليه وسلم على السبي ستأتي صفة ذلك في المغازي وفي هذا السياق حذف تقديره فنظر أو سأل عن سبب سعيهم في السكك فقيل له فقال لعمر وفي رواية بن عيينة المذكورة فقلت ما هذا فقالوا السبي أسلموا فأرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم فقلت والجارية فأرسلها قوله قال اذهب فأرسل الجاريتين يستفاد منه الأخذ بخبر الواحد تنبيه اتفقت الروايات كلها على أن قوله ورواه معمر بفتح الميمين بينهما مهملة ساكنة وحكى بعض الشراح أنه بضم الميم وبعد العين مثناة مفتوحة ثم ميم مكسورة وهو تصحيف قوله قال نافع ولم يعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة ولو اعتمر لم يخف على عبد الله هكذا رواه أبو النعمان شيخ البخاري مرسلا ووصله مسلم وبن خزيمة جميعا عن أحمد بن عبدة عن حماد بن زيد فقال في روايته عن نافع ذكر عند بن عمر عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة فقال لم يعتمر منها وقد ذكرت في أبواب العمرة الأحاديث الوارد في اعتماره من الجعرانة وتقدم في أواخر الجهاد في باب من قسم الغنيمة في غزوه أيضا حديث أنس في ذلك وذكرت في أبواب العمرة سبب خفاء عمرة النبي صلى الله عليه وسلم من الجعرانة على كثير من أصحابه فليراجع منه ومن حفظ حجة على من لم يحفظ قال بن التين ليس كل ما علمه بن عمر حدث به نافعا ولا كل ما حدث به نافعا حفظه قلت وهذا يرده رواية مسلم التي ذكرتها فإن حاصله أن بن عمر كان يعرفها ولم يحدث بها نافعا ودلت رواية مسلم على أن بن عمر كان ينفيها قال وليس كل ما علمه بن عمر لم يدخل عليه فيه نسيان انتهى وهذا أيضا يقتضي أنه كان عرف بها ونسيها وليس كذلك بل لم يعرف بها لا هو ولا عدد كثير من الصحابة ثالثها حديث عمرو بن تغلب بفتح المثناة وسكون المعجمة وكسر اللام بعدها موحدة وهو النمري بفتح النون والميم[٣١٤٥] قوله أخاف ظلعهم بفتح الظاء المعجمة المشالة واللام وبالمهملة أي

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٣٣٨/٥

اعوجاجهم وجزعهم بالجيم والزاي بوزنه وأصل الظلع الميل وأطلق هنا على مرض القلب وضعف اليقين قوله والغناء بفتح المعجمة ثم النون ومد وهو الكفاية وفي رواية الكشميهني بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر وقوله بكلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي التي قالها في حقه وهي إدخاله إياه في أهل الخير والغناء وقيل المراد الكلمة التي قالها في حق غيره فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي أو يكون لي ذلك وتقال تلك." (١)

"هشام بن عروة عن أبيه قال دخلت أنا وعبد الله بن الزبير على أسماء يعني بنت أبي بكر وهي أمهما وأسماء وجعة فقال لها عبد الله كيف تجدينك قالت وجعت الحديث وأصرح منه ما روى صالح بن كيسان عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال دخلت على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فسلمت عليه وسألته كيف أصبحت فاستوى جالسا فقلت أصبحت بحمد الله بارئا قال أما إني على ما ترى وجع فذكر القصة أخرجه الطبراني وأما قوله وارأساه فصريح في حديث عائشة المذكور في الباب وأما قوله اشتد بي الوجع فهو في حديث سعد الذي في آخر الباب وأما قول أيوب عليه السلام فاعترض بن التين ذكره في الترجمة فقال هذا لا يناسب التبويب لأن أيوب إنما قاله داعيا ولم يذكره للمخلوقين قلت لعل البخاري أشار إلى أن مطلق الشكوى لا يمنع ردا على من زعم من الصوفية أن الدعاء بكشف البلاء يقدح في الرضا والتسليم فنبه على أن الطلب من الله ليس ممنوعا بل فيه زيادة عبادة لما ثبت مثل ذلك عن المعصوم وأثنى الله عليه بذلك وأثبت له اسم الصبر مع ذلك وقد روينا في قصة أيوب في فوائد ميمونة وصححه بن حبان والحاكم من طريق الزهري عن أنس رفعه أن أيوب لما طال بلاؤه رفضه القريب والبعيد غير رجلين من إخوانه فقال أحدهما لصاحبه لقد أذنب أيوب ذنبا ما أذنبه أحد من العالمين فبلغ ذلك أيوب يعني فجزع من قوله ودعا ربه فكشف ما به وعند بن أبي حاتم من طريق عبد الله بن عبيد بن نمير موقوفا عليه نحوه وقال فيه فجزع من قولهما جزعا شديدا ثم قال بعزتك لا أرفع رأسي حتى تكشف عني وسجد فما رفع رأسه حتى كشف عنه فكأن مراد البخاري أن الذي يجوز من شكوى المريض ما كان على طريق الطلب من الله أو على غير طريق التسخط للقدر والتضجر والله أعلم قال القرطبي اختلف الناس في هذا الباب والتحقيق أن الألم لا يقدر أحد على رفعه والنفوس مجبولة على وجدان ذلك فلا يستطاع تغييرها عما جبلت عليه وإنما كلف العبد أن لا يقع منه في حال المصيبة ما له سبيل إلى تركه كالمبالغة في التأوه والجزع الزائد كأن من فعل ذلك خرج عن معاني أهل الصبر وأما مجرد التشكي فليس مذموما حتى يحصل التسخط للمقدور وقد اتفقوا على كراهة شكوى العبد ربه وشكواه إنما هو ذكره للناس على سبيل التضجر والله أعلم وروى أحمد في الزهد عن طاوس أنه قال أنين المريض شكوى وجزم أبو الطيب وبن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض وتأوهه مكروه وتعقبه النووي فقال هذا ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود وهذا لم يثبت فيه ذلك ثم احتج بحديث عائشة في الباب ثم قال فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى اه ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء وأما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا ثم ذكر في الباب أربعة أحاديث الأول حديث كعب بن عجرة في حلق المحرم رأسه إذا آذاه القمل وقد تقدم شرحه مستوفى في كتاب

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٢٥٣/٦

الحج وقوله[٥٦٦٥] أيؤذيك هوام رأسك هو موضع الترجمة لنسبة الأذى للهوام وهي بتشديد الميم اسم للحشرات لأنها تهم أن تدب وإذا أضيفت إلى الرأس اختصت بالقمل الثاني حديث عائشة[٥٦٦٦] قوله حدثنا يحيى بن يحيى أبو زكريا هو النيسابوري الإمام المشهور وليس له في البخاري سوى مواضع يسيرة في الزكاة والوكالة والتفسير والأحلام وأكثر عنه مسلم ويقال إنه تفرد بهذا الإسناد وإن أحمد كان يتمنى لو أمكنه الخروج إلى نيسابور ليسمع منه هذا الحديث ولكن." [١]

"هذا المسلك فردوا حديث لا عدوى بأن أبا هريرة رجع عنه إما لشكه فيه وإما لثبوت عكسه عنده كما سيأتي إيضاحه في باب لا عدوى قالوا والأخبار الدالة على الاجتناب أكثر مخارج وأكثر طرقا فالمصير إليها أولى قالوا وأما حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فوضعها في القصعة وقال كل ثقة بالله وتوكلا عليه ففيه نظر وقد أخرجه الترمذي وبين الاختلاف فيه على راويه ورجح وقفه على عمر وعلى تقدير ثبوته فليس فيه أنه صلى الله عليه وسلم أكل معه وإنما فيه أنه وضع يده في القصعة قاله الكلاباذي في معاني الأخبار والجواب أن طريق الجمع أولى كما تقدم وأيضا فحديث لا عدوى ثبت من غير طريق أبي هريرة فصح عن عائشة وبن عمر وسعد بن أبي وقاص وجابر وغيرهم فلا معنى لدعوى كونه معلولا والله أعلم وفي طريق الجمع مسالك أخرى أحدها نفي العدوى جملة وحمل الأمر بالفرار من المجذوم على رعاية خاطر المجذوم لأنه إذا رأى الصحيح البدن السليم من الآفة تعظم مصيبته وتزداد حسرته ونحوه حديث لا تديموا النظر إلى المجذومين فإنه محمول على هذا المعنى ثانيها حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين فحيث جاء لا عدوى كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى كما يستطيع أن يدفع التطير الذي يقع في نفس كل أحد لكن القوي اليقين لا يتأثر به وهذا مثل ما تدفع قوة الطبيعة العلة فتبطلها وعلى هذا يحمل حديث جابر في أكل المجذوم من القصعة وسائر ما ورد من جنسه وحيث جاء فر من المجذوم كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه ولم يتمكن من تمام التوكل فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى فأريد بذلك سد باب اعتقاد العدوى عنه بأن لا يباشر ما يكون سببا لإثباتها وقريب من هذا كراهيته صلى الله عليه وسلم الكي مع إذنه فيه كما تقدم تقريره وقد فعل هو صلى الله عليه وسلم كلا من الأمرين ليتأسى به كل من الطائفتين ثالث المسالك قال القاضي أبو بكر الباقلاني إثبات العدوى في الجذام ونحوه مخصوص من عموم نفي العدوى قال فيكون معني قوله لا عدوى أي إلا من الجذام والبرص والجرب مثلا قال فكأنه قال لا يعدي شيء شيئا إلا ما تقدم تبييني له أن فيه العدوى وقد حكى ذلك بن بطال أيضا رابعها أن الأمر بالفرار من المجذوم ليس من باب العدوى في شيء بل هو لأمر طبيعي وهو انتقال الداء من جسد لجسد بواسطة الملامسة والمخالطة وشم الرائحة ولذلك يقع في كثير من الأمراض في العادة انتقال الداء من المريض إلى الصحيح بكثرة المخالطة وهذه طريقة بن قتيبة فقال المجذوم تشتد رائحته حتى يسقم من أطال مجالسته ومحادثته ومضاجعته وكذا يقع كثيرا بالمرأة من الرجل وعكسه وينزع الولد إليه ولهذا يأمر الأطباء بترك مخالطة المجذوم لا على طريق العدوى بل على طريق التأثر بالرائحة لأنها تسقم من واظب اشتمامها قال ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لا يورد ممرض على مصح لأن الجرب الرطب قد يكون بالبعير فإذا خالط الإبل أو حككها وأوى إلى مباركها وصل إليها بالماء الذي يسيل منه

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٢٤/١٠

وكذا بالنظر نحو ما به قال وأما قوله لا عدوى فله معنى آخر وهو أن يقع المرض بمكان كالطاعون فيفر منه مخافة أن يصيبه لأن فيه نوعا من الفرار من قدر الله المسلك الخامس أن المراد بنفي العدوى أن شيئا لا يعدي بطبعه نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده أن الأمراض تعدي بطبعها من غير إضافة إلى الله فأبطل النبي صلى الله عليه وسلم اعتقادهم ذلك وأكل مع المجذوم ليبين لهم إن الله هو الذي يمرض ويشفي ونهاهم عن الدنو منه ليبين لهم أن هذا من الأسباب التي أجرى الله العادة بأنها تفضي إلى مسبباتها ففي نهيه إثبات الأسباب وفي فعله إشارة إلى أنها لا تستقل بل الله هو الذي إن شاء سلبها قواها فلا تؤثر شيئا وإن." (١)

"في حديث الباب. وذكروا أيضا أن عمر، رضي الله تعالى عنه، تتبع نساء النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يكلمهن لكل واحدة بكلام، فقالت أم سلمة: يا ابن الخطاب! أو ما بقي لك إلا أن تدخل بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين نسائه؟ من يسأل المرأة إلا زوجها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية بالتخيير، فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة، وكانت أحبهن إليه، فخيرها وقرأ عليها القرآن، فاختارت الله ورسوله والدار الآخرة، فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتتابعتها بقية النسوة واخترن اختيارها، وقال قتادة: فلما اخترن الله ورسوله شكر لهن على ذلك وقصره عليهن فقال: ﴿لا تحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج﴾ (الأحزاب: ٢٥) . قوله: ﴿فتعالين﴾ (الأحزاب: ٨٢) . أصل: تعال، أن يقول من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطىء ثم كثر حتى استقر استعماله في الأمكنة كلها، ومعنى تعالين: أقبلن، ولم يرد نهوضهن إليه بأنفسهن. قوله: ﴿وأسرحكن﴾ (الأحزاب: ٨٢) . يعني: الطلاق ﴿سراحا جميلا﴾ (الأحزاب: ٨٢) . من غير إضرار، طلاقا بالسنة، وقرىء بالرفع على الاستئناف. قوله: ﴿والدار الآخرة﴾ (الأحزاب: ٨٢) . يعني: الجنة. قوله: ﴿منكن﴾ (الأحزاب: ٨٢) . يعني: اللاتي آثرن الآخرة. ﴿أجرا عظيما﴾ (الأحزاب: ٨٢) . وهو الجنة. ذكر ما يستفاد منه: فيه: أن المحدث قد يأتي بالحديث على وجهه ولا يختصر، لأنه قد كان يكتفي، حين سأله ابن عباس عن المرأتين بما كان يخبره منه أنهما عائشة وحفصة، وفيه: موعظة الرجل ابنته وإصلاح خلقها لزوجها. وفيه: الحزن والبكاء لأمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يكرهه والاهتمام بما يهمه. وفيه: الاستئذان والحجابة للناس كلهم، كان مع المستأذن عيال أو لم يكن. وفيه: الانصارف بغير صرف من المستأذن عليه، ومن هذا الحديث قال بعض العلماء: إن السكوت يحكم به، كما حكم عمر، رضي الله تعالى عنه، بسكوت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صرفه إياه. وفيه: التكرير بالاستئذان. وفيه: أن للسلطان أن يأذن أو يسكت أو يصرف. وفيه: تقلله صلى الله عليه وسلم من الدنيا وصبره على مضض ذلك، وكانت له عنه مندوحة. وفيه: أنه يسأل السلطان عن فعله إذا كان ذلك مما يهم أهل طاعته. وفيه: قوله صلى الله عليه وسلم لعمر، رضي الله تعالى عنه: لا ردا لما أخبر به الأنصاري من طلاق نسائه، ولم يخبر عمر بما أخبر به الأنصاري، رضي الله تعالى عنه، ولا شكاه لعلمه أنه لم يقصد الإخبار بخلاف القصة، وإنما هو وهم جرى عليه. وفيه: الجلوس بين يدي السلطان وإن لم يأمر به إذات استؤنس منه إلى انبساط خلق. وفيه: أن أحدا لا يجوز أن يسخط حاله ولا ما قسم الله له ولا سابق قضائه، لأنه يخاف عليه ضعف يقينه. وفيه: أن التقلل من الدنيا لرفع طيباته إلى دار البقاء

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٦٠/١٠

خير حال ممن يعجلها في الدنيا الفانية والعجل لها أقرب إلى السفه. وفيه: الاستغفار من السخط وقلة الرضى. وفيه: سؤال من الشارع الاستغفار، ولذلك يجب أن يسأل أهل الفضل والخير الدعاء والاستغفار. وفيه: أن المرأة تعاقب على إفشاء سر زوجها، وعلى التحيل عليه بالأذى بالتوبيخ لها بالقول، كما وبخ الله تعالى أزواج نبيه صلى الله عليه وسلم على تظاهرهما وإفشاء سره، وعاتبهن بالإيلاء والاعتزال والهجران كما قال تعالى: ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ (النساء: ٤٣) . وفيه: أن الشهر يكون تسعة وعشرين يوما. وفيه: أن المرأة الرشيدة لا بأس أن تشاور أبويها أو ذوي الرأي من أهلها في أمر نفسها التي هي أحق بها من وليها، وهي في المال أولى بالمشاورة، لا على أن المشاورة لازمة لها إذا كانت رشيدة كعائشة، رضي الله تعالى عنها. وفيه: دليل لجواز ذكر العمل الصالح، وهي في قول عبد الله بن عباس: فحججت معه، أي: مع عمر. وفيه: الاستعانة في الوضوء إذ هو الظاهر من قوله: فتوضأ، وقال ابن التين: ويحتمل الاستنجاء، وذلك أن يصب الماء في يده اليمنى ثم يرسله حيث شاء، وفيه: رد الخطاب إلى الجمع بعد الإفراد، وذلك في قوله: أفتأمن؟ أي: إحداكن، ثم قال: فتهلكن، على رواية: تهلكن، بضم الكاف وبالنون المشددة، قاله الداودي. وفيه: أن ضحكه صلى الله عليه وسلم التبسم إكراما لمن يضحك إليه. وقال جرير: ما رآني رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت إلا تبسم. وفيه: التخيير، وقد استعمل السلف الاختيار بعده، فعند الشافعي أن المرأة إذا اختارت نفسها فواحدة، وهو قول عائشة وعمر بن عبد العزيز، وذكر علي: أنها إذا اختارت نفسها فثلاث. وقال طاووس: نفس الاختيار لا يكون طلاقا حتى يوقعه، وقال الداودي: إن واحدة من نسائه صلى الله عليه وسلم اختارت نفسها، فبقيت إلى زمن عمر، رضي الله تعالى عنه، وكانت تأتي بالحطب بالمدينة فتبيعه، وأنها أرادت النكاح فمنعها عمر، فقالت: إن كنت من أمهات المؤمنين اضرب علي الحجاب، فقال لها: ولا كرامة. وقيل: إنها رعت." (١)

"- صلى الله عليه وسلم - من الجعرانة فقال لم يعتمر منها وليس في قول نافع حجة لأن ابن عمر ليس كل ما علمه حدث به نافعا ولا كل ما حدث به حفظه نافع ولا كل ما علم ابن عمر لا ينساه والعمرة من الجعرانة أشهر من هذا وأظهر أن يشك فيها(وزاد جرير بن حازم عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال من الخمس) أراد بهذا أن حديث السبي في رواية جرير بن حازم موصول وأن الذي أصاب عمر جاريتين كان من الخمس قال الدارقطني حديث جرير موصول وحماد أثبت في أيوب من جرير(ورواه معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر في النذر ولم يقل يوم) أي روى حديث الاعتكاف معمر بفتح الميمين قيل اتفقت الروايات كلها على أنه بفتح الميمين ابن راشد وقال بعضهم وحكى بعض الشراح أنه معتمر بفتح الميم وبعد العين تاء مثناة من فوق وهو تصحيف قلت إن أراد به الكرماني فهو لم يقل هكذا وإنما عبارته معمر بفتح الميمين ابن راشد وفي بعضها معتمر بلفظ الفاعل من الاعتمار وكلاهما أدركا أيوب وسمعا منه والأول أشهر قوله " في النذر " أي في حديث النذر قوله " ولم يقل يوم " يعني لم يذكر لفظ يوم في قوله على اعتكاف يوم ويجوز في يوم الجر بالتنوين على طريق الحكاية ويجوز النصب على الظرفية٥٢ - (حدثنا موسى بن إسماعيل قال حدثنا جرير بن حازم حدثنا الحسن قال حدثني عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوما ومنع آخرين فكأنهم عتبوا

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٢٠/١٣

عليه فقال إني أعطي قوما أخاف ظلعهم وجزعهم وأكل أقواما إلي ما جعل الله في قلوبهم من الخير والغنى منهم عمرو بن تغلب فقال عمرو بن تغلب ما أحب أن لي بكلمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حمر النعم) مطابقته للترجمة في قوله أعطى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قوما. والحسن هذا هو البصري وعمرو بالواو بن تغلب بفتح التاء المثناة من فوق وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وفي آخره باء موحدة وقد مر الحديث في كتاب الجمعة في باب من قال في الخطبة بعد الثناء أما بعد فإنه أخرجه هناك عن محمد بن معمر قال حدثنا أبو عاصم عن جرير بن حازم إلى آخره قوله " كأنهم عتبوا عليه " أي لاموا قال الخليل حقيقة العتاب مخاطبة الادلال ومذاكرة الموجدة قوله " ظلعهم ليس هناك " وإنما هناك لما رأى في قلوبهم من الجزع والهلع والظلع بفتح الظاء المعجمة واللام وبالعين المهملة وهو الاعوجاج وأصل الظلع الميل وأطلق ههنا على مرض القلب وضعف اليقين قوله " وجزعهم " بالجيم والزاي قوله " وأكل " أي أفوض قوله " من الغنى " بالكسر والقصر بلفظ ضد الفقر في رواية الكشميهني وفي رواية غيره من الغناء بفتح الغين المعجمة ثم نون ممدودة وهو الكفاية قوله " بكلمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " أي التي قالها في حقه وهي إدخاله في أهل الخير والغناء ويقال المراد الكلمة التي قالها في حق غيره فالمعنى لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي أو أن يكون لي ذلك وتقال تلك الكلمة في حق غيري قوله " حمر النعم " قال الجوهري النعم واحد الانعام وهو المال الراعية وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل والحمر بضم الحاء المهملة وسكون الميم(وزاد أبو عاصم عن جرير قال سمعت الحسن يقول حدثنا عمرو بن تغلب أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أتي بمال أو بسبي فقسمه بهذا) أبو عاصم هو الضحاك المشهور بالنبيل أحد مشايخ البخاري وهذا من المواضع التي علق البخاري عن بعض شيوخه ما بينه وبينه واسطة وساقه موصولا في أواخر الجمعة وأدخل بينه وبين أبي عاصم واسطة حيث قال حدثنا محمد بن معمر قال حدثنا أبو عاصم عن جرير بن حازم وقد ذكرناه الآن وهنا روى عنه بواسطة وتارة يروى بلا واسطة قوله أو بسبي." (١)

"لكل شيء وإن طالت سلامته ... إذا انتهى مده لا بد إقصارانتهى.وقرأ حمزة «١» : «لنثوينهم من الجنة غرفا» : من أثوى يثوي بمعنى: أقام.وقوله تعالى: وكأين من دابة ... الآية: تحريض على الهجرة لأن بعض المؤمنين فكر في الفقر والجوع الذي يلحقه في الهجرة، وقالوا: غربة في بلد لا دار لنا فيه ولا عقار، ولا من يطعم، فمثل لهم بأكثر الدواب التي لا تتقوت ولا تدخر، ثم قال تعالى: الله يرزقها وإياكم فقوله: لا تحمل يجوز أن يريد من الحمل، أي: لا تنتقل ولا تنظر في ادخاره.قاله مجاهد «٢» وغيره. «٣»قال ع: والادخار ليس من خلق الموقنين، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عمر: «كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة بضعف اليقين» «٤» ، ويجوز أن يريد من الحمالة أي: لا تتكفل لنفسها.قال الداودي: وعن علي بن الأقمر: لا تحمل رزقها أي: لا تدخر شيئا لغد، انتهى. وفي الترمذي عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» «٥» . قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. انتهى.__________(١) ينظر: «السبعة» (٥٠٤) ، و «الحجة» (٥/ ٤٣٨) ، و «إعراب القراءات» (٢/ ١٩٠) ، و «معاني القراءات» (٢/

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٧١/١٥

٢٦١) ، و «شرح الطيبة» (٥/ ١٢٩) ، و «العنوان» (١٥٠) ، و «حجة القراءات» (٥٥٤) ، و «شرح شعلة» (٥٣٨) ، و «إتحاف» (٢/ ٣٥٢) . [.....](٢) أخرجه الطبري (١٠/ ١٥٨) رقم (٢٧٨٥٣) بنحوه، وذكره ابن عطية (٤/ ٣٢٥) .(٣) ينظر: «المحرر» (٤/ ٣٢٥) .(٤) تقدم.(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٧٣) كتاب الزهد: باب في التوكل على الله، حديث (٢٣٤٤) ، وابن ماجه (٢/ ١٣٩٤) ، كتاب الزهد: باب التوكل واليقين، حديث (٤١٦٤) ، وأحمد (١/ ٣٠) ، وأبو يعلى (١/ ٢١٢) ، رقم (٢٤٧) ، وابن حبان (٢/ ٥٠٩) رقم (٧٣٠) ، وابن المبارك في «الزهد» (ص: ١٩٦- ١٩٧) رقم (٥٥٩) ، والحاكم (٤/ ٣١٨) ، وأبو نعيم (١٠/ ٦٩) ، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٤٥) ، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٣٢٨- بتحقيقنا) كلهم من حديث عمر بن الخطاب. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.." (١)

"وقوله سبحانه: وفي السماء رزقكم قال مجاهد وغيره «١» : هو المطر، وقال واصل الأحدب: أراد القضاء والقدر «٢» ، أي: الرزق عند الله يأتي به كيف شاء سبحانه لا رب غيره، وتوعدون يحتمل أن يكون من الوعد، ويحتمل أن يكون من الوعيد قال الضحاك. المراد: من الجنة والنار «٣» ، وقال مجاهد «٤» : المراد: الخير والشر، وقال ابن سيرين «٥» : المراد: الساعة، ثم أقسم سبحانه بنفسه على صحة هذا القول والخبر، وشبهه في اليقين به بالنطق من الإنسان، وهو عنده في غاية الوضوح، و «ما» زائدة تعطي تأكيدا، والنطق في هذه الآية هو الكلام/ بالحروف والأصوات في ترتيب المعاني، وروي أن بعض الأعراب الفصحاء سمع هذه الآية فقال: من أحوج الكريم إلى أن يحلف؟! والحكاية بتمامها في كتاب الثعلبي، وسبل الخيرات، وروي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قاتل الله قوما، أقسم لهم ربهم بنفسه فلم يصدقوه» وروى أبو سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لو فر أحدكم من رزقه لتبعه كما يتبعه الموت» «٦» وأحاديث الرزق كثيرة، ومن كتاب «القصد إلى الله سبحانه» للمحاسبي: قال: قلت لشيخنا: من أين وقع الاضطراب في القلوب، وقد جاءها الضمان من الله عز وجل؟ قال: من وجهين.أحدهما: قلة المعرفة بحسن الظن، وإلقاء التهم عن الله عز وجل.والوجه الثاني: أن يعارضها خوف الفوت، فتستجيب النفس للداعي، ويضعف اليقين، ويعدم الصبر، فيظهر الجزع.قلت: شيء غير هذا؟ قال: نعم، إن الله عز وجل وعد الأرزاق، وضمن، وغيب الأوقات ليختبر أهل العقول، ولولا ذلك لكان كل المؤمنين راضين صابرين متوكلين، لكن الله عز وجل أعلمهم أنه رازقهم، وحلف لهم على ذلك، وغيب عنهم أوقات العطاء،______________(١) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٤) ، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١) .(٢) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٦) ، وذكره ابن عطية (٥/ ١٧٦) ، وابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٣٥) .(٣) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٩) ، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١) ، وابن عطية (٥/ ١٧٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٧) ، وعزاه لأبي الشيخ، وابن جرير.(٤) أخرجه الطبري (١١/ ٤٦١) برقم: (٣٢١٨٧) ، وذكره البغوي (٤/ ٢٣١) ، وابن عطية (٥/ ١٧٦) ، والسيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٣٧) ، وعزاه لابن جرير، وابن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٣٠٢/٤

المنذر.(٥) ذكره ابن عطية (٥/ ١٧٦) .(٦) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٧٥) : رواه الطبراني في «الأوسط» و «الصغير» وفيه عطية العوفي وهو ضعيف. اهـ.." (١)

"عند أبي يعلى أنه قال لعائشة رضي الله تعالى عنها عن القمر: «تعوذي بالله من شر هذا الغاسق إذا وقب» وأكثر الأقوال أنه الليل، خص بالاستعاذة لأن المضار فيه تكثر ويعسر دفعها، وأصل الغسق الظلام، ويلزم منه الامتلاء، وقيل: إن الامتلاء هو الأصل، وأصل الوقوب الدخول في وقبة أو ما هو كالوقبة وهي النقرة.ولما كان السحر أعظم ما يكون من ظلام الشر المستحكم في العروق الداخل في وقوبها. لما فيه من تفريق المرء من زوجه وأبيه وابنه، ونحو ذلك، وما فيه من ضنى الأجسام وقتل النفوس، عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿ومن شر﴾ .ولما كان كل ساحر شريرا بخلاف الغاسق والحاسد، وكان السحر أضر من الغسق والحسد من جهة أنه شر كله، ومن جهة أنه أخفى من غيره، وكان ما هو منه من النساء أعظم لأن مبنى صحته وقوة تأثيره قلة العقل والدين ورداءة الطبع وضعف اليقين وسرعة الاستحالة، وهن أعرق في كل من هذه الصفات وأرسخ، وكان ما وجد منه من جمع وعلى وجه المبالغة أعظم من غيره عرف وبالغ وجمع وأنث ليدخل فيه ما دونه من باب الأولى فقال تعالى: ﴿النفاثات﴾ أي النفوس الساحرة سواء كانت نفوس الرجال أو نفوس النساء أي." (٢)

"- قوله تعالى: وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ولئن سألتم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم ولئن سألتم من نزل من السماء ماءا فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لايعقلونأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لا تأكل قلت: لا أشتهيه يا رسول اللهقال: لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسى وقيصر فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبؤون رزق سنتهم ويضعف اليقين قال: فو الله ما برحنا ولارمنا حتى نزلت ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أدخر رزقا لغدوأخرج الفريابي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ قال: الطير والبهائموأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن علي بن الأقمر في قوله ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ قال: لا تظفر شيئا لغدوأخرج ابن جرير وابن المنذر عن أبي مجلز في الآية قال: من الدواب لا يستطيع أن يدخر لغد يوفق رزقه كل يوم حتى يموت." (٣)

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٥/٣٠١

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٢/٤١١

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٦/٤٧٥

"وأخرج ابن أبي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال: وضع لقمان عليه السلام جرابا من خردل إلى جنبه وجعل يعظ ابنه موعظة ويخرج خردلة فنفذ الخردل فقال: يا بني لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلا لتفطرفتفطر ابنهوأخرج ابن أبي حاتم والحاكم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقمان لابنه وهو يعظه: يا بني إياك والتقنع فإنها مخوفة بالليل ومذلة بالنهاروأخرج العسكري في الأمثال والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان عن أنسأن لقمان عليه السلام كان عبدا لداود وهو يسرد الدرع فجعل يفتله هكذا بيده فجعل لقمان عليه السلام يتعجب ويريد أن يسأله وتمنعه حكمته أن يسأله فلما فرغ منها صبها على نفسه وقال: نعم درع الحرب هذهفقال لقمان: الصمت من الحكمة وقليل فاعله كنت أردت أن أسألك فسكت حتى كفيتنيوأخرج أحمد والبيهقي في شعب الإيمان عن عون بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال لقمان لابنه: يا بني ارج الله رجاء لا تأمن فيه مكره وخف الله مخافة لا تيأس بها من رحمته فقال: يا أبتاه وكيف أستطيع ذلك وإنما لي قلب واحد قال: المؤمن كذا له قلبانقلب يرجو بهوقلب يخاف بهوأخرج البيهقي عن سليمان التيمي رضي الله تعالى عنه قال: قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني أكثر من قول: رب اغفر ليفإن لله ساعة لا يرد فيها سائلوأخرج البيهقي والصابوني في المائتين عن عمران بن سليم رضي الله عنه قال: بلغني أن لقمان عليه السلام قال لابنه: يا بني حملت الحجارة والحديد والحمل الثقيل فلم أحمل شيئا أثقل من جار السوء يا بني إني قد ذقت المر كله فلم أذق شيئا أمر من الفقروأخرج ابن أبي الدنيا في اليقين عن الحسن رضي الله عنه قال: قال لقمان لابنه: يا بني إن العمل لا يستطاع إلا باليقين ومن يضعف يقينه يضعف عمله يا بني إذا جاءك الشيطان من قبل الشك والريبة فاغلبه باليقين والنصيحة وإذا جاءك." (١)

"[٣٣٤١] الفضل بن موسى السيناني بمهملة مكسورة ونونين ذكره بن حجر قوله ملبقة بسمن أي مخلوطة بسمن ولبن وهذا الحديث مخالف لسيرته صلى الله عليه وسلم وقد أخرج مخرج التمني ومن ثم أنكره أبو داود كذا في المجمع والعكة بضم عين وتشديد كاف وعاء من جلود مستدير يختص بالسمن والعسل وهي بالسمن أخص وقيل القربة الصغيرة (إنجاح الحاجة)قوله[٣٣٤٥] الاشطر شعير في رف لي شطر الشيء نصفه الا ان الحديث ليس فيه مقدار يكون ما أشار اليه نصفه وكأنها أشارت الى جزء مبهم أي شيء من شعير والرف بفتح الراء وتشديد الفاء خشبة عريضة يغرز طرفاها في الجدار ويوضع شيء عليها وهو يشبه الطاق وقولها فكلته ففني فيه ان البركة أكثر ما يكون في المجهولات والمبهمات وحكمته ان الكائل يكون متكلا على مقداره لضعف يقينه وفي تركه متكل على الله تعالى وهو مظنة البركة وحديث كيلوا طعامكم يبارك لكم قالوا أراد ان يكيله عند الإخراج منه لئلا يخرج أكثر من الحاجة أو أقل بشرط ان يبقى الباقي مجهولا كذا في المجمع (إنجاح)قوله[٣٣٤٦] ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم يحتم ان لفظ ال مقحم زائد والمراد ذاته صلى الله عليه وسلم كما في قوله جل ذكره اصطفى ال إبراهيم وآل عمران على العالمين وهذا محمول على زهده وسخائه صلى الله عليه وسلم فإنه قد كثرت الفتوحات بعد فتح خيبر ولكن كان يجود بها على ذوي القربى واليتامى والمساكين وان كان المراد من ال محمد صلى الله عليه وسلم أهل بيته فياول هذا الحديث على هذا النمط أيضا والا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي أزواجه

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٥١٣/٦

قوت سنة مائة وسق من تمر وشعير والله أعلم (إنجاح)قوله[٣٣٤٨] واحتذى المخصوف الحذو قطع النعل وتقديرها والباس الغير نعلا والاحتذاء لبسه نعلا قال في القاموس حذا النعل حذوا وحذاء قدرها وقطعها وارجل نعلا البسه إياها كاحذاه انتهى وفي المجمع الاحتذاء لبس الحذاء وهو النعل انتهى والمخصوف النعل والخف المرقع أي لبس النعل المرقع والخشن الغليظ من اللباس والبشع ككتف من الطعام الكريه فيه جفوف ومرارة (إنجاح)قولهباب الإقتصاد في الأكل الإقتصاد من القصد وأصل القصد الإستقامة في الطريق كقوله تعالى وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ثم استعير في التوسط في الأمور ومن قوله صلى الله عليه وسلم القصد القصد أي عليكم القصد من الأمور في القول والفعل والتوسط بين طريقي الافراط والتفريط وحديث عليكم هديا قصدا أي طريقا معتدلا وحديث ما عال من اقتصد أي ما افتقر من لا يسرف في الإنفاق ولا يقتر (إنجاح)قوله[٣٣٥٠] تجشأ رجل التجشئ بالهمزة في الاخر تنفس المعدة كالتجشئة والاسم كهمزة كذا في القاموس وفي المجمع الجشاء بوزن العطاس صوت مع ريح يخرج من الفم عند الشبع انتهى قلت هو صوت يخرج منها عند سوء الهضم وأحيانا يخرج من اجتماع الرياح في المعدة والمذموم هو الأول (إنجاح)قوله[٣٣٥٢] ان من السرف الخ السرف الصرف في غير المحل غير مرضاة الله تعالى والوعيد ثابت في حقه في التنزيل انه لا يحب المسرفين (إنجاح)قوله[٣٣٥٣] فإنها ما نفرت عن قوم قط الخ تأنيث الضمير باعتبار الخبزة أو الكسرة المراد بها الرزق أي ان الرزق ما نفر وذهب عن قوم بسبب كفرانهم الا ولم يعد إليهم الى آخر العمر يعني ان الرزق لا يعود إليهم بعد النفور عنهم بسبب كفرانهم قال الله تعالى ضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها من كل مكان فكفرت بانعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون وروى اكرمي الخبز فانها نزلت من بركات السماء والله أعلم (إنجاح)قوله[٣٣٥٤] فإنها بئست البطانة البطانة بكسرالموحدة ما يكون تحت الثوب والثوب الفوقاني الظهارة ويطلق على الرفيق الخالص كما في قول الله عز وجل لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا قال في المجمع بطانة الرجل صاحب سره وداخلة امره الذي يشاوره في أحواله فإنها بئست البطانة هو ضد الظهارة واصله في الثوب فاتسع فيما يستبطن الرجل من امره انتهى (إنجاح)قوله[٣٣٥٥] فإن تركه يهرم قال الشوكاني حديث تعش ولو بكف من خشف فإن ترك العشاء مهرمة رواه الترمذي من حديث أنس مرفوعا وقال حديث منكر لا نعرفه الا من هذا الوجه وعنبسة ضعيف في الحديث وعبد الملك بن علاق مجهول قلت واما رواة بن ماجة فكلهم مأمونون الا إبراهيم بن عبد السلام بن عبد الله بن باباه فإنه ضعيف (إنجاح)قوله[٣٣٥٦] أسرع الى البيت الذي يغشى ببناء المفعول أي يغشاه الضيفان غشية يغشاه غشيانا إذا جاء ومن في قوله من الشفرة تفضيليته متعلقة بأسرع والشفرة محركة سكين عريض نبه سرعة وصول الخير الى البيت الذي تناوبه الضيفان بسرعة وصول السكين الى السنام لأنه أول ما يقطع بعد النحر ويوكل لاستلذاذه كذا في المجمع والمرقاة (إنجاح)قوله[٣٣٥٨] من السنة أي من العادة القائمة أو من سنتي وطريقي ان يخرج الرجل مع ضيفه الى باب الداروردي البيهقي أيضا هذا الحديث في شعب الإيمان عن أبي هريرة وعن بن عباس وقال في إسناده ضعف (فخر)قوله." (١)

(١) شرح سنن ابن ماجه للسيوطي وغيره السيوطي ص/٢٤٠

"حيث صار المياه كلها عليهم دماء حتى كان القبطي والسبطى الإسرائيلي يجتمعان على اناء واحد فيصير ما يلي القبطي دما وما يلي الإسرائيلي السبطى ماء ويمص القبطي ماء من فم السبطى فيصير دما وانما أرسلنا عليهم هذه البليات لتكون آيات اى دلائل وعلامات دالة على كمال قدرتنا مفصلات مبينات موضحات مميزات بين الهداية والضلالة والحق والباطل والرشد والغي فاستكبروا عنها مع وضوحها وسطوعها واعرضوا عن مدلولاتها وأصروا على ما هم عليه وكانوا قوما مجرمين مستحقين بالعذاب والعقاب فلم ينفعهم الآيات والنذر لخبث طينتهم ورداءة فطرتهموهم قد كانوا لما وقع عليهم الرجز وحين حل عليهم البلاء والمصيبة قالوا متضرعين متفزعين يا موسى الداعي للخلق الى الحق ادع لنا ربك الذي رباك بأنواع الكرامات بما عهد عندك من اجابة دعواتك وقبول حاجاتك والله لئن كشفت عنا الرجز بدعائك لنؤمنن لك مصدقين نبوتك ورسالتك ولنرسلن معك بني إسرائيل بلا ممانعة ولا مماطلةفلما كشفنا عنهم الرجز بدعاء رسولنا موسى وبلغ الزمان إلى أجل هم بالغوه اى عينوه وقدروه لإيمانهم وارسالهم ليتأملوا ويتفكروا فيها إذا هم ينكثون اى بعد ما وصل وقت الوفاء والإيفاء بالعهود والمواثيق بادروا الى النكث والنقض ثم لما بالغوا في النكث وخالفوا أمرنا وكذبوا بنبينافانتقمنا منهم اى أردنا انتقامهم وأخذهم فأغرقناهم في اليم اى البحر العميق لانهماكهم في بحر الغفلة والطغيان كل ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا الدالة الموصلة الى وحدتنا الذاتية وكانوا بسبب استغراقهم في بحر الغفلة والضلال عنها غافلين محجوبين لا يهتدون بهداية الرسل والأنبياءوبعد ما أغرقناهم في يم العدم واستأصلناهم عن قضاء الوجود بالمرة أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون بالقهر والغلبة سيما بقتل الأبناء واستحياء النساء مشارق الأرض المعهودة اى مصر ومشارقها الشام ونواحيها ومغاربها الصعيد ونواحيها التي باركنا فيها كثرنا فيها الخير والبركة وسعة الأرزاق وطيب العيش من جميع الجهات وبعد ما اورثناهم قد تمت اى كملت وحقت كلمت ربك الحسنى يا موسى بإنجاز الوعد والنصر وايراث الديار والأموال وغير ذلك على بني إسرائيل بما صبروا اى بسبب ما صبروا على اذياتهم المتجاوزة عن الحد ودمرنا اى خربنا وهدمنا ما كان يصنع فرعون وقومه من الابنية الرفيعة والقصور المشيدة وما كانوا يعرشون عليها مترفهين بطرين كمسرفي زماننا هذا احسن الله أحوالهم.ثم أشار سبحانه الى قبح صنيع بنى إسرائيل وخبث طينتهم وجهلهم المركوز في جبلتهم وسخافة طبعهم وركاكة فطنتهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتذكيرا للمؤمنين ليحذروا عن أمثال ما اتى به هؤلاء فقال وجاوزنا ببني إسرائيل اى عبرناهم سالمين غانمين البحر الذي قد أهلك عدوهم فأتوا اى مروا في طريقهم على قوم من بقية العمالقة يعكفون ويعبدون على أصنام تماثيل كانت معبودات لهم من دون الله قالوا اى بنوا إسرائيل من قساوة قلوبهم وضعف يقينهم بالله المنزه عن الأشباه والأمثال يا موسى المبعوث المرسل إلينا من الله الواحد الأحد اجعل لنا إلها اى تمثالا واحدا مشابها لله نعبده ونتقرب نحوه كما لهم آلهة يعبدونها ويتقربون نحوها ونحن كيف نعبد وندعو الى اله موهوم لا نراه ولا نشاهده وكيف نتضرع اليه ونتوجه نحوه ونستحيي منه ونخاف عنه ثم لما تفرس منهم موسى." (١)

"على الكفران والنسيان ووسعنا له طرق معاشه أعرض عنا وانصرف عن شكر نعمنا وعن الالتجاء والارتجاء بنا عنادا واستكبارا وصار من افراط عتوه الى حيث نأى وتباعد بجانبه عنا اى طوى كشحه ولوى عنقه وعطفه منا كأنه مستغن

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ١/٢٦٤

في ذاته مستقل في امره بحيث لا يخطر بباله احتياجه إلينا ولهذا تجبر واستعلى وبالغ في الجدال والمراء الى ان قال انا ربكم الأعلى وإذا مسه الشر وأزعجه البلاء وهجم عليه الشدة والعناء وترادفت عليه الوقائع والمصيبات قد كان من قلة تصبره وضعف يقينه وتدبره يؤسا عن روح الله شديد القنوط عن سعة لطفه ورحمته والطرفان اى افراط الاستغناء والاستكبار وتفريط اليأس والقنوط كلاهما مذمومان محظوران عقلا وشرعاقل يا أكمل الرسل كلاما ناشئا عن محض الحكمة منبئا عن الاستقامة والعدالة مبنيا عليهما كل من المحق والمبطل والهادي والضال يعمل ويقتدى على شاكلته وطريقته التي تشاكل وتشابه حاله ووقته إياها إذ كل ميسر موفق من لدنا لما خلق له سواء كان من رشد أو غي او ضلالة او هداية ولا علم لكم يا بنى آدم على حقيقة الأمر والحال فربكم أعلم بعلمه الحضوري بمن هو أهدى منكم وأقوم سبيلا وأوضح منهجا واسد طريقا فيوفقه على جهته ووجهته ومن هو على خلافه فعلى خلافه. ثم قال سبحانه تأييدا لحبيبه صلى الله عليه وسلم وتعليماويسئلونك يا أكمل الرسل فرق النصارى واليهود وجميع اهل الزيغ والضلال عن الروح المتعلق بالأجساد المحيي لها ومحركها بالإرادة والاختيار وإذا انفصل وافترق عنها ماتت ولم تتحرك وانقطع الشعور والإدراك عنها اى يسئلونك عن كميته وكيفية تعلقه وارتباطه بالأجسام وكيفية انفصاله عنها قل الروح نفسه وحقيقته وكيفية تعلقه بالأجسام وكيفية انفصاله عنها كلها صادرة ناشئة من أمر ربي اى من جملة ما حصل بامره الدال على تكوين المكونات وإيجاد الموجودات وهو قول كن الدال على سرعة نفوذ قضائه سبحانه واما كمية المقضى وكيفية حصوله وانفصاله فأمر قد استأثر الله به في غيبه ولم يطلع أحدا عليه لذلك قال وما أوتيتم يا ابن آدم من العلم المتعلق بالروح إلا قليلا الا وهو انيته وتحققه دون كميته وحقيقته لان اطلاع الإنسان انما هو بقدر قابليته واستعداده وليس في وسعه وطاقته ان يعلم حقيقة الخردلة وكيفية حصوله وتكونه فكيف حقيقة الروح وكيفية تعلقه بالبدن غاية ما في الباب ان المكاشفين من ارباب الأذواق ينكشفون بكيفية سريان الهوية الذاتية الإلهية التي هي منبع الروح على صفائح المكونات سريان الروح في البدن وسريان نور الشمس على مطلق الأضواء ويتفطنون منها ان ظهور الأشياء وحياتها ومنبع نشأها ونماءها انما هي تلك السراية هذا نهاية ما يمكن التكلم والتفوه عنه واما الاطلاع على كنهها فأمر لا يسعه مقدرة البشر.ثم قال سبحانه ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك اى والله ان شئنا وأردنا اذهاب القرآن المرشد لقاطبة الأنام لحككناه من المصاحف ومحوناه من الصدور والخواطر ايضا ثم بعد اذهابنا ومحونا لا تجد لك به علينا وكيلا اى لا تجد ظهيرا معينا لك يطالبنا بمجيئهإلا رحمة ناشئة من ربك يا أكمل الرسل نازلة إليك ان سألت منه سبحانه رده يرده إليك تلطفا وعطفا إن فضله سبحانه قد كان عليك كبيرا كثيرا مثل اصطفائك من بين البرية وارسالك الى كافة الخليقة وتأييدك في عموم الأوقات ونصرك على جميع الأعادي وغير ذلك ثم لما قال بعض المعاندين من الكفار الطاعنين في القرآن القاد حين به وبشأنه لو نشاء لقلنا مثل هذا القرآن الذي أنت جئت به يا محمد." (١)

"أحسن الذي كانوا يعملون يعنى احسن واولى وأوفر من الجزاء الذي يستحقون بأعمالهم بعد ايمانهم وأزيد منه بل بأضعافه وآلافه تفضلا منا إياهم وإحسانا عليهم وبعد ما قد حثهم سبحانه على الايمان والعمل الصالح اوصى لهم وأمرهم ببر الوالدين وبحسن المعاشرة معهما والتحنن نحوهما إذ هما من اقرب اسباب ظهورهم في نشأة الشهادة والبروز بمقتضى سنة

---

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٤٦٤/١

الله سبحانه فقالووصينا الإنسان بعد ما كلفناهم بالإيمان والعمل الصالح من ان يأتي كل منهم ويعمل بوالديه حسنا اى معاملة ذات حسن يستحسنها العقل والشرع ويرتضيها الحق وتقتضيها الفتوة بحيث لا يحوم حولها شائبة من ولا أذى ولا استخفاف ولا استحقار بل يتذللون لهما ويتواضعون معهما على وجه الانكسار التام والتذلل المفرط وعليكم ايها المكلفون امتثال عموم أوامرهما ونواهيهما سوى الشرك بالله والطغيان على الله والعدوان معه سبحانه ومع أنبيائه ورسله وخلص عباده وإن جاهداك ايها المؤمن المأمور على بر الوالدين ابواك وبالغا في حقك مقدمين أشد اقدام والحا عليك ابلغ إلحاح وأتم إبرام لتشرك بي شيأ من مظاهري ومصنوعاتي سيما ما ليس لك به علم يعني ليس علمك ويقينك متعلقا بألوهيته وربوبيته واستحقاقه للعبادة ولياقته للرجوع اليه في الخطوب والمهمات فلا تطعهما ولا تقبل منهما أمرهما المتعلق بالإضلال والإشراك ولا تمتثل بقولهما هذا بل اعرض عنهما وعن قولهما وأمرهما هذا ولا تمض على دينهما وملتهما إذ إلي مرجعكم ورجوعكم جميعا أصلا وفرعا مؤمنا وكافرا موحدا ومشركا وبعد رجوعكم الى فأنبئكم وأخبركم بما كنتم تعملون في دار الاختبار أحاسب عليكم أعمالكم واجازيكم على مقتضاها ان خيرا فخير وان شرا فشروالذين آمنوا منكم في دار الاختبار مخلصين وعملوا الصالحات تكميلا لإيمانهم وتتميما له بما هو من لوازمه ومتمماته لندخلنهم حين رجوعهم إلينا في السعداء الصالحين المقبولين الآمنين المستبشرين الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا منكم في النشأة الاولى وأصروا على الكفر والشرك والجحود والإنكار العياذ بالله ولم يرجعوا عنه سيما مع بعثة الرسل ونزول الكتب وورود الزواجر والروادع الكثيرة فيها لنعذبنهم البتة عذابا شديدا ولندخلنهم يوم يعرضون عليها في زمرة الأشقياء المردودين المغضوبين الذين لا نجاة لهم من النار ولا يرجى خلاصهم منها ابداومن الناس المجبولين على التزلزل والتذبذب من يقول خوفا من عذاب الله آمنا بالله بلا تمكن له واطمئنان في قلبه فإذا أوذي في سبيل الله من اعداء قد انقلب على كفره وحيث جعل فتنة الناس وإذا هم في شدة كعذاب الله القادر المقتدر بالقدرة الكاملة والقوة الشاملة على انواع المحن والابتلاءات وبالجملة هم يسوون بين خوف الله وخوف الناس فكما يؤمنون بالله من خوف عذابه يكفرون به من خوف عذاب الناس وتقريعهم وتشنيعهم بلا تفاوت بين الخوفين والعذابين بل يرجحون خوف الناس على خوف الله لذلك يختارون الكفر على الايمان من ضعف يقينهم وعدم رسوخهم وتمكنهم على الايمان وذلك من عدم ترقيهم من حضيض الجهل والتقليد الى ذروة المعرفة والتوحيد ومن غاية تزلزلهم وتلونهم لئن جاء نصر وعون للمؤمنين الباذلين مهجهم في سبيل الله من ربك يا أكمل الرسل وصاروا غالبين على اعداء الله بنصر الله إياهم وفازوا بالفتح والغنائم وانواع الكرامات ليقولن أولئك المذبذبون المتزلزلون مبالغين في دعوى الموافقة والمواخاة إنا كنا معكم ومن عدادكم موافقين ظاهرا وباطنا وفي دين الإسلام متمكنين مطمئنين سرا وجهرا." (١)

"والسيادة المبعدة له عن كنف مولاه لشديد قوى مبالغ فيه مباه به حريص في طلبه متعب نفسه في تحصيله وحبه وما هذا الا من غاية كفرانه بنعم الله وحرمانه عن مقتضى كرمه سبحانه وضعف يقينه بفضل الله وموائد انعامه وإحسانهأفلا يعلم ولا يدرك ولا يشعر الإنسان الكفور الكنود المحب للجاه والمال وقت إذا بعثر اى بعث ونشر وحشر ما في القبور من الموتىوحصل اى جمع وميز ما في الصدور من المكنونات والمضمرات خيرا كان او شراإن ربهم الذي أظهرهم من كتم العدم

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٢/٩٨

ورباهم بأنواع الكرم بهم وبعموم ما جرى عليهم من شئونهم وتطوراتهم يومئذ وهو يوم القيامة التي فيها تبلى السرائر وتكشف الضمائر لخبير وبصير بعموم ما جرى عليهم في نشأة الاختبار خيرا كان او شرا فيجازيهم على مقتضى علمه وخبرته بلا فوت شيء من ذلك ومع علمه سبحانه بهم وبما صدر عنهم يعملون عملا سيئا يؤاخذون عليه. نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالناخاتمة سورة العادياتعليك ايها الإنسان الكامل المجبول على حكمة المعرفة والإيقان ان تشمر ذيلك الى ما جبلت لأجله وتخلى خلدك عن مطلق الاشغال العائقة عن التوجه الحقيقي نحو الحق فلك ان ترى يوم الجزاء بين يديك ونصب عينيك وبالجملة لا تغفل عن الله فانه يرقبك في أولاك وأخراك وفي عموم أوقاتك وازمانك وحالاتك[سورة القارعة]فاتحة سورة القارعةلا يخفى على الموقنين المنكشفين بسرائر النشأتين ان النشأة الاولى ما هي الا لاكتساب المعارف والحقائق الكامنة في مطاوى التكاليف الإلهية المكنونة في سرائر أوامره ونواهيه وحكمه وأحكامه والثانية انما هي للجزاء المترتب على تلك المعارف والحقائق ولا شك ان من تهاون وتقاصر عن ما لزمه في الاولى فقد ضل وغوى واستحق الويل واللظى ولحق بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة يجازون بمقتضاها وللتهويل على اصحاب الغفلة وتقريعهم على ترك ما أوجب عليهم وأمرهم سمى سبحانه يوم القيامة بالقارعة وابهمها تفظيعا وتهويلا فقال بعد التيمن بسم الله المتصف بالقهر واللطف حسب النشأتين الرحمن على عموم المطيعين من عباده في النشأة الاولى الرحيم على المخلصين منهم في النشأة الاخرى يوصلهم الى أقصى درجات النعيم[الآيات]القارعة اى الساعة الموعودة المعهودة التي تقرع الأسماع من هولها وهيبتها وتدهش العقول من شدتها وصولتها ثم ابهمها سبحانه تهويلا فقالما القارعة المذكورة واية شيء هي ثم ابهمها مرة اخرى مخاطبا لحبيبه صلى الله عليه وسلم تأكيدا لتهويلها ومبالغة على تفظيعها فقالوما أدراك وأعلمك يا أكمل الرسل ما القارعة العجيبة الشأن الفظيعة العظيمة الهائلة المهولة ثم عد سبحانه لوازمها وما يترتب عليها لينتقل منها إليها وانما أشار سبحانه بهذه الطريقة ايضا الى شدة هولها وفظاعتها فيكون تهويلا وتأكيدا على تأكيد ومبالغة غب مبالغة اذكر يا أكمل الرسل لمن تذكر واتعظيوم يكون الناس من نهاية افزاعهم واخوافهم كالفراش المبثوث اى كالطير المتهافت المتساقط على النار من شدة اضطرابه يعنى يكون الناس." (١)

"ضعفها وعدم ادخارها، وترزيقه لكم على قوتكم وادخاركم فإنه هو المسبب وحده فإن الفريقين تارة يجدون وتارة لا يجدون فصار الإدخار وعدمه غير معتد به ولا منظورا إليه، وقرأ ابن كثير بعد الكاف بألف وبعد الألف همزة مكسورة، والباقون بعد الكاف همزة مفتوحة وبعدها ياء مشددة، ووقف أبو عمرو على الياء، ووقف الباقون على النون، وحمزة في الوقف يسهل الهمزة على أصله.تنبيه: كأين كلمة مركبة من كاف التشبيه وأي: التي تستعمل استعمال من وما ركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب إلا بالنون ليفصل بين المركب وغير المركب لأن كأي تستعمل غير مركبة كما يقول القائل: رأيت رجلا كأي رجل يكون وحينئذ لا يكون كأي: مركبا فإذا كان كأي ههنا مركبا كتب بالنون للتمييز ﴿وهو السميع﴾ لأقوالكم نخشى الفقر والضيعة ﴿العليم﴾ بما في ضمائركم.واختلف في سبب نزول هذه الآية فعن ابن عمر أنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الأنصار: «فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية   النخجواني ٥٢٦/٢

ويأكل فقال كل يا ابن عمر قلت: لا أشتهيه يا رسول الله قال لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاما ولم أجده فقلت: يا رسول الله إن الله المستعان فقال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت ﴿وكأين من دابة﴾ (العنكبوت: ٦٠)وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: للمؤمنين الذين كانوا بمكة وآذاهم المشركون «هاجروا إلى المدينة فقالوا: كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فنزلت» وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان لا يدخر شيئا» وقال صلى الله عليه وسلم «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا» وقال صلى الله عليه وسلم «أيها الناس ليس شيء يقربكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به، وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه، وإن الروح الأمين نفث في روعي أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته» .﴿ولئن﴾ اللام لام قسم ﴿سألتهم﴾ أي: كفار مكة وغيرهم ﴿من خلق السموات والأرض﴾ وسواهما على هذا النظام العظيم ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ لإصلاح الأقوات ومعرفة الأوقات وغير ذلك من المنافع ﴿ليقولن الله﴾ أي: الذي له جميع صفات الكمال لما تقرر في نظرهم من ذلك وتلقوه من آبائهم موافقة للحق في نفس الأمر ﴿فأنى﴾ أي: فكيف ومن أي وجه ﴿يؤفكون﴾ أي: يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك، فإن قيل: ذكر في السموات والأرض الخلق، وفي الشمس والقمر التسخير؟ أجيب: بأن مجرد خلق السموات والأرض آية ظاهرة بخلاف خلق الشمس والقمر فإنهما لو كانا في موضع واحد لا يتحركان ما حصل الليل والنهار." [1]

"الفصل الثاني١٩٣٨ - «عن أبي هريرة قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: " جهد المقل، وابدأ بمن تعول» ". رواه أبو داود.ــــــــالفصل الثاني١٩٣٨ - (عن أبي هريرة قال: يا رسول الله أي الصدقة أفضل؟ قال: " جهد المقل ") بضم الجيم ويفتح، قال الطيبي: الجهد بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة، وقيل: هما لغتان، أي أفضل الصدقة ما يحتمله حال القليل المال، والجمع بينه وبين ما تقدم أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين اهـ وقيل: المراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله " «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى» "، وقال ابن الملك: أي أفضل الصدقة ما قدر عليه الفقير الصابر على الجوع أن يعطيه، والمراد بالغنى في قوله " «أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى» " من لا يصبر على الجوع والشدة، توفيقا بينهما، فمن يصبر فالإعطاء في حقه أفضل، ومن لا يصبر فالأفضل في حقه أن يمسك قوته ثم يتصدق بما فضل اهـ وحاصل ما ذكروه أن تصدق الفقير الغني القلب ولو كان قليلا أفضل من تصدق الغني بكثرة المال ولو كان كثيرا، فهو من أدلة أفضلية الفقير الصابر على الغني الشاكر، وأن عبادة الأول مع قلتها أفضل من الثاني مع كثرتها، فكيف بتساويهما، ويحتمل أن يكون المراد من الحديث ما ورد في حديث مرفوعا: " «سبق درهم مائة ألف درهم، رجل له درهمان أخذ أحدهما فتصدق به، ورجل له مال كثير فأخذ من عرضه مائة ألف فتصدق بها» "، رواه النسائي عن

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١٥١/٣

أبي ذر، وهو والحاكم وابن حبان عن أبي هريرة على ما في الجامع الصغير للسيوطي " وابدأ " أي أيها المتصدق أو المقل " بمن تعول " رواه أبو داود.." (١)

"١٢٥٩ – (أفضل الصدقة) أي من أفضلها: وكذا يقال فيما يأتي (جهد) روي بضم الجيم وفتحها فبالضم الوسع والطاقة وهو الأنسب هنا وبالفتح المشقة والمبالغة والغاية (المقل) بضم فكسر أي مجهود وقليل المال: يعني قدرته واستطاعته وإنما كان ذلك أفضل لدلالته على الثقة بالله والزهد فصدقته أفضل الصدقة وهو أفضل الناس بشهادة خبر: أفضل الناس رجل يعطي جهده والمراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله الآتي: أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى أو يقال الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين فالمخاطب بهذا الحديث أبو هريرة وكان مقلا متوكلا على الله فأجابه بما يقتضيه حاله والمخاطب بالحديث الآتي حكيم بن حزام وكان من أشراف قريش وعظمائها وأغنيائها ووجوهها في الجاهلية والإسلام (وابدأ) بالهمز وتركه (بمن تعول) أي بمن تلزمك مؤنته وجوبا فقدمه على التصدق تقديما للواجب على المندوب ولا يتناول ترفه العيال وإطعامهم لذيذ المطاعم بما زاد على كفايتهم لأن من لم تندفع حاجته أولى بالصدقة ممن اندفعت حاجته في مقصود الشارع(د) في الزكاة وسكت عليه وأقره المنذري –[٣٧]– (ك) فيها (عن أبي هريرة) وقال صحيح على شرط مسلم وأقره الذهبي." (٢)

"١٢٦٠ – (أفضل الصدقة) قال الراغب: ما يخرج من المال تقربا كالزكاة لكن الصدقة في الأصل للمتطوع به والزكاة للواجب وقيل يسمى الواجب صدقة إذا تحرى الصدق في فعله (ما كان عن ظهر غنى) أي ما كان عفوا قد فضل عن غنى فزاد لفظ ظهرا إشباعا للكلام وتمكينا وقيل هذا عبارة عن تمكن المتصدق عن غنى ما كقولهم هو على ظهر سير أي متمكن منه وتنكير غنى ليفيد أنه لا بد للمتصدق من غنى ما إما غنى النفس وهو الاستغناء عما بذل بسخاء نفس ثقة بالله كما كان للصديق وإما غنى مال حاصل في يده والأول أفضل اليسارين للخبر الآتي: ليس الغنى عن كثرة المال والعرض وإلا لما ندب له التصدق بجميع ماله ويترك نفسه وعياله في الجوع والشدة (واليد العليا) المعطية وقيل المتعففة (خير من السفلى) أي الآخذة ومحصول ما في الآثار إعلاء الأيدي المنفقة ثم المتعففة عن الأخذ ثم الآخذة بلا سؤال وأسفل الأيدي المانعة والسائلة وقد تقرر أنه لا تدافع بين ذا وما قبله لأن في الصابرين على الإضافة المؤثرين على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة والثاني فيمن ليس كذلك (وابدأ بمن تعول) قال الطيبي: يشمل النفقة على العيال وصدقتي الواجب والتطوع وأن يكون ذلك الإنفاق من الربح لا من صلب المال فعليه كان الظاهر أن يؤتى بألف فعدل إلى الواو ومن الجملة الإخبارية إلى الإنشائية تفويضا للترتيب إلى الذهن واهتماما بشأن الانفاق وفيه أن تبقية بعض المال أفضل من التصدق بكله ليرجع كلا على الناس إلا لأهل اليقين كالصديق وأضرابه ومحصوله أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين كما مر (٣) قال الزمخشري: أصل العليا اسم لمكان مرتفع وليست بتأنيث الأعلى بدليل انقلاب الواو ياء ولو كانت صفة لقيل العلوى

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ١٣٥٣/٤

(٢) فيض القدير المناوي ٣٦/٢

(٣) تنبيه

كالعشوى والقنوى والحذرى في تأنيث أفعالها ولأنها استعملت منكرة وأفعل التفضيل ومؤنثه ليسا كذلك(حم م ن عن حكيم بن حزام) ولد في جوف الكعبة وعاش مئة وعشرين سنة: ستين في الجاهلية وستين في الإسلام القرشي الشريف جاهلية وإسلاما." (١)

"٢٣٨٤ – (إن للشيطان لمة) بالفتح قرب وإصابة من الإلمام وهو القرب (يابن آدم وللملك لمة) المراد بها فيهما ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق) فإن الملك والشيطان يتعاقبان تعاقب الليل والنهار فمن الناس من يكون ليله أطول من نهاره وآخر بضده ومنهم من يكون زمنه نهارا كله وآخر بضده قال القاضي: والرواية الصحيحة إيعاد على زنة إفعال في الموضعين (فمن وجد ذلك) أي إلمام الملك (فليعلم أنه من الله) يعني مما يحبه ويرضاه (فليحمد الله) على ذلك (ومن وجد الأخرى) أي لمة الشيطان (فليتعوذ بالله من الشيطان) تمامه ثم قرأ ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾ اه قال القاضي: والإيعاد وإن اختص بالشر عرفا يقال أوعد إذا وعد وعدا شرا إلا أنه استعمل في الخير للازدواج والأمن من الاشتباه بذكر الخير بعده اه ونسب لمة الملك إلى الله تعالى تنويها بشأن الخير وإشادة بذكره في التمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها كما قاله العارف السهروردي ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا ومالها وجاهها وطلب المنزلة والرفعة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لم يفرق وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن كل من أكل من الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام (٢) قال الغزالي: الآثار الحاصلة في القلب هي الخواطر سميت به لأنها تخطر بعد أن كان القلب غافلا عنها والخواطر هي المحركة للإرادات وتنقسم إلى ما يدعو إلى الشر أعني ما يضر في العاقبة وإلى ما يدعو إلى -[٥٠٠]- الخير أي ما ينفع في الآخرة فهما خاطران مختلفان فافتقر إلى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى إلهاما والمذموم يسمى وسواسا وهذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف الأسباب فمهما استنار حيطان البيت بنور النار وأظلم سقفه واسود علم أن سبب السواد غير سبب الاستنارة وكذا الأنوار في القلب وظلماته سببان فسبب الخاطر الداعي للخير يسمى ملكا والداعي للشر شيطانا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول لمة الملك يسمى توقيفا واللطف الذي به تهيأ القلب لقبول وسواس الشيطان إغواءا وخذلانا فإن المعاني مختلفة إلى أسامي مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله شأنه إفاضة الخير وإفادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف والشيطان عبارة عن خلق شأنه الوعيد بالشر والأمر بالفحشاء فالوسوسة في مقابلة الإلهام والشيطان في مقابلة الملك والتوفيق في مقابلة الخذلان وإليه يشير بآية ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله أمضاه وما كان من عدوه جاهده والقلب بأصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة وآثار الشياطين صلاحا

---

(١) فيض القدير المناوي ٣٧/٢

(٢) تنبيه

متساويا لكن يترجح أحدهما باتباع الهوى والاكباب على الشهوات والإعراض عنها ومخالفتها واعلم أن الخواطر تنقسم إلى ما يعلم قطعا أنه داعي إلى الشر فلا يخفى كونه وسوسة وإلى ما يعلم أنه داعي إلى الخير فلا يشك كونه إلهاما وإلى ما يتردد فيه فلا يدري أنه من لمة الملك أو لمة الشيطان فإن من مكايد الشيطان أن يعرض الشر في معرض الخير والتمييز بينهما غامض فحق العبد أن يقف عند كل هم يخطر له ليعلم أنه لمة الملك أو لمة الشيطان وأن يمعن النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى الطبع ولا يطلع عليه إلا بنور اليقين وغزارة العلم ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا﴾(ت ن) كلاهما في التفسير (حب عن ابن مسعود) قال الترمذي حسن غريب لا نعلمه مرفوعا إلا من حديث أبي الأحوص وسندهما سند مسلم إلا عطاء بن السائب فلم يخرج له مسلم إلا متابعة." (١)

"٢٤٩٣ - (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله تعالى) إذ لولا ضعفه لما فعل ذلك لأن من قوي بيقينه علم أن الله تعالى هو النافع الضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لأحد غيره من الأمر شيء فلا يهاب أحدا ولا يخشاه حتى يرضيه لخوف لحوق ضرر منه إليه (وأن تحمدوهم) أي تصفهم بالجميل (على رزق الله) أي على ما وصل إليك على يدهم من رزق الله لأن الله هو الرزاق وحده (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) أي على ما منعهم ما بأيديهم عنك مع أن المانع إنما هو الله لا هم فإنهم مأمورون مسخرون. (إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص) أي اجتهاد مجتهد متهالك على تحصيله قالوا: والحرص الشح على الشيء أن يضيع أو يتلف (ولا يرده) عنك (كراهة كاره) حصوله لك فما لم يقدر لك لم يأتك على كل حال وما قدر لك خرق الحجاب وطرق عليك الباب (وإن الله بحكمته) أي بإحاطته بالكليات والجزئيات بأسرها وإتقان صنعها ووضعها في مواضعها اللائقة بها (وجلاله) أي عظمته التي لا تتناهى (جعل الروح) بفتح الراء أي الراحة وطيب النفس قال في الصحاح وغيره الروح بالفتح من الاستراحة وكذا الراحة (والفرح) أي السرور والنشاط والانبساط قالوا: والفرح لذة القلب بنيل ما يشتهى (في الرضى واليقين) فمن أوتي يقينا استحضر به قوله تعالى ﴿قل كل من عند الله﴾ فشاهد الخير عيانا فقر وسكن ولم يضطرب فما سمع بأذنه من خبر ربه أبصره بعين قلبه وبصر القلب هو اليقين فمن تيقن أن الكل من الله وبالله ولله نال الثواب ورضي عن الله ورضي الله عنه ولم يلتفت لغيره (وجعل الهم والحزن في الشك) أي التردد وعدم الجزم بأن الكل بإرادته تعالى وتقديره (والسخط) أي عدم الرضى بالفضاء ومن كان بهذه الحالة لم يصبر على ضيق ولم يرضى بمكروه فما ترى إلا ساخطا للقضاء جازعا عند البلاء فيحبط عمله ولا يغني عنه ذلك شيئا(حل هب عن أبي سعيد) الخدري وظاهر صنيع المصنف أن البيهقي خرجه وأقره والأمر بخلافه بل تعقبه بقوله محمد بن مروان السدي أي أحد رجاله ضعيف انتهى وفيه أيضا عطية العوفي أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال ضعفوه وموسى بن بلال قال الأزدري ساقط." (٢)

"٢٧٩٢ - (أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته) أي في باطنه وظاهره والقصد الوصية بإخلاص التقوى وتجنب الرياء فيها قال حجة الإسلام: وإذا أردنا تحديد التقوى على موضع علم السر نقول الحد الجامع تبرئة القلب عن شر لم

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/٤٩٩

(٢) فيض القدير المناوي ٢/٥٣٩

يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير كذلك وقاية بينك وبين كل شر قال: وهنا أصل أصيل وهو أن العبادة شطران اكتساب وهو فعل الطاعات واجتناب وهو تجنب السيئات وهو التقوى وشطر الاجتناب أصلح وأفضل وأشرف للعبد من الاكتساب يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم واشتغل المنتبهون أولو البصائر والاجتناب إنما همتهم حفظ القلوب عن الميل لغيره تعالى والبطون عن الفضول والألسنة عن اللغو والأعين عن النظر إلى ما لا يعنيهم (وإذا أسأت فأحسن) ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ (ولا تسألن أحدا) من الخلق (شيئا) من الرزق ارتقاء إلى مقام التوكل فلا تعلق قلبك بأحد من الخلق بل بوعد الله وحسن كفايته وضمانه ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وقد قال أهل الحق: ما سأل إنسان الناس إلا لجهله بالله تعالى وضعف يقينه بل إيمانه وقلة صبره وما تعفف متعفف إلا لوفور علمه بالله وتزايد معرفته به وكثرة حيائه منه (ولا تقبض أمانة) وديعة أو نحوها مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين ثم استعمل في الأعيان مجازا فقيل الوديعة أمانة ونحو ذلك والنهي للتحريم إن عجز عن حفظها وللكراهة إن قدر ولم يثق بأمان نفسه وإن وثق بأمانة نفسه فإن قدر ووثق ندب بل إن تعين وجب (ولا تقض بين اثنين) لخطر أمر القضاء وحسبك في خطره خير من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين والخطاب لأبي ذر وكان يضعف عن -[٧٦]- ذلك كما صرح به في الحديث(حم عن أبي ذر) قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح وفيه قضية اه. وقضية كلام المصنف أن هذا هو الحديث بتمامه والأمر بخلافه بل سقط منه بعد ولا تسأل أحدا وإن سقط سوطك هكذا هو ثابت في رواية أحمد وكأنه سقط من القلم." (١)

"-[٥٣٣]- ٤٢٢٨ - (دعوه) أي المريض (يئن (١)) أي يستريح بالأنين أي يقول آه ولا تنهوه عنه (فإن الأنين اسم من أسماء الله تعالى) أي لفظ آه من أسمائه لكن هذا لم يرد في حديث صحيح ولا حسن وأسماؤه تعالى توقيفية (يستريح إليه العليل) فيه رد لما رواه أحمد عن طاوس أن أنين المريض شكوى وقول جمع شافعية منهم أبو الطيب وابن الصباغ أنين المريض وتأوهه مكروه رده النووي بأنه ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مخصوص وهذا لم يثبت فيه بل ثبت الأذن فيه نعم استعماله بالذكر أولى وكثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين ومشعرة بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء أما إخبار المريض صديقه أو طبيبه عن حاله فلا بأس به اتفاقا وحكى ابن جرير في كتابه الآداب الشريفة والأخلاق الحميدة خلافا للسلف أن أنين المريض هل يؤخذ به ثم رجح الرجوع فيه إلى النية فإذا نوى به تسخط قضاء ربه أوخذ به أو استراحة من الألم جاز(الرافعي) إمام الدين في تاريخ قزوين (عن عائشة) قالت: دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعندنا عليل يئن فلنا له: اسكت فذكره______________(١) قال في المصباح: أن الرجل يئن بالكسر أنينا وأنا بالضم صوت فالذكر آن على وزن فاعل والأنثى آنة اه." (٢)

"-[٤١]- ٦٣٨٠ - (كلم المجذوم) أي من أصابه الجذام (وبينك وبينه قيد) بكسر فسكون (رمح أو رمحين) لئلا يعرض لك جذام فتظن أنه أعداك مع أن ذلك لا يكون إلا بتقدير الله وهذا خطاب لمن ضعف يقينه ووقف نظره عند الأسباب وما رواه الخطيب عن أنس كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم على بساط فأتاه مجذوم فأراد أن يدخل عليه

---

(١) فيض القدير المناوي ٧٥/٣

(٢) فيض القدير المناوي ٥٣٣/٣

فقال: يا أنس اثن البساط لا يطأ عليه بقدمه اه. فلعله كان بحضرة من قصر نظره ووقف عند السبب(ابن السني وأبو نعيم معا (في) كتاب (الطب) النبوي (عن عبد الله بن أبي أوفى) قال ابن حجر في الفتح: وسنده واه." [(١)]

"٦٣٨٣ - (كل) معي أيها المجذوم (بسم الله ثقة بالله) أي كل معي أثق ثقة بالله (وتوكلا على الله) أي وأتوكل توكلا عليه فالفعل المقدر منصوب على الحال والثقة الاعتماد هذا درجة من قوي توكله واطمأنت نفسه على مشاركة الأسباب وليس من هذا القبيل من ضعف يقينه ووقف مع الأسباب فإن مباعدته للمجذوم واتقاءه إياه أولى فلا تناقض بين الأخبار كما زعمه بعض الضالين(٤) في الطب (حب ك) في الأطعمة (عن جابر) قال: أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيد مجذوم فوضعها في قصعة ثم ذكره قال ابن حجر: حديث حسن وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وفيه نظر اه. وقال ابن الجوزي: تفرد به المفضل بن فضالة وليس بذلك ولا يتابع عليه إلا من طريق لين." [(٢)]

"٧٧٩٥ - (ما أخاف على أمتي) أمة الإجابة (إلا ضعف اليقين) لأن سبب ضعفه ميل القلب إلى المخلوق وبقدر ميله له يبعد عن مولاه وبقدر بعده عنه يضعف يقينه واليقين استقرار العلم الذي لا يتغير في القلب والسكون إلى الله ثقة به ورضى بقضائه وذلك صعب عسير على من شاء الله. قال القشيري: حرام على قلب شم رائحة اليقين وفيه سكون لغير الله. واليقين استقرار الفؤاد وقد وصف الله المؤمنين بالإيمان بالغيب والإيمان التصديق ولا يصدق الإنسان بالخبر حتى يتقرر عنده فيصير كالمشاهدة والمشاهدة بالقلب هو اليقين فإذا ضعف البصر لم يعاين الشيء كما هو ولم يبصر الغيب الذي يجب الإيمان به من توحيد الله وإجلاله وهيبته فلا تكون عبادته لربه كأنه يراه ولم يبصر الدار الآخرة التي هي المنقلب ولم يبصر الثواب والعقاب الباعثين على الطاعة والمعصية فمن لم يبصر هذا بقلبه لم يتيقنه وإن أقر بلسانه وصدق من جهة الخبر فهو في حيرة وعمى فاستبان أنه إذا ضعف اليقين ضعف الإيمان(طس هب عن أبي هريرة) قال الهيثمي: رجاله ثقات." [(٣)]

"يسحت البركة أي يذهبها وهو بضم فسكون الحرام أو ما خبث من المكاسب فلزم عنه العار (وقبول القاضي الرشوة) بتثليث الراء ما يعطاه ليبطل حقا أو يحق باطلا (كفر) أي إن استحل أو هو زجر وتهويل ويا لجمله فبذل الرشوة وقبولها كبيرة وهي للقاضي أقبح وأعظم كما أفاده تعبيره في الأول بسحت وفي الثاني بكفر (حم في) كتاب (الزهد عن علي) أمير المؤمنين(أخذنا فألك) بالهمزة وتركه أي كلامك الحسن أيها الناطق (من فيك) وإن لم تقصد خطابنا قاله لما خرج في عسكر فسمع من يقول يا حسن أو لما خرج لغزوة خيبر فسمع عليا يقول يا خضرة فأسل فيها سيف (د عن أبي هريرة) الدوسي (ابن السني وأبو نعيم معا في) كتاب (الطب) النبوي (عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده) عمرو بن عوف (فر) وكذا أبو الشيخ (عن ابن عمر) ابن الخطاب ورواه العسكري عن سمرة(أخر) بضم فكسر مشددا (الكلام في القدر) محركا أي في نفي كون الأشياء كلها بتقدير الله (لشرار أمتي) وفي لفظ لشرار هذه الأمة (في آخر الزمان) أي زمن الصحب فزمنهم هو الزمان وهذا من معجزاته وعلامات نبوته إذ هو إخبار عن غيب وقع (طس ك) في التفسير (عن أبي هريرة) قال

---

(١) فيض القدير المناوي ٥/٤١

(٢) فيض القدير المناوي ٥/٤١

(٣) فيض القدير المناوي ٥/٤١٤

ك صحيح واعترض(أخروا الأحمال) جمع حمل بكسر فسكون أي اجعلوها بحيث يسهل حملها على الدابة لئلا تتأذى (فإن الأيدي) أي أيدي الدواب المحمول عليها (مغلقة) بغين معجمة أي مثقلة بالحمل (والأرجل موثقة) بضم فسكون أي كأنها مشدودة بوثاق والقصد الرفق بالدابة ما أمكن (د في مراسيله عن) ابن شهاب (الزهري) مرسلا (ووصله البزار) في مسنده (ع طس عنه) أي الزهري (عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة نحوه) وهو حسن(أخرجوا) إرشادا (منديل) بكسر الميم وفتحها (الغمر) بفتح المعجمة والميم أي الخرقة المعدة لمسح الأيدي من وضر اللحم والدسم (من بيوتكم) أي من الأماكن التي تبيتون فيها (فإنه مبيت) بفتح فكسر مصدر بات أي حيث يبيت ليلا (الخبيث) الشيطان الرجيم (ومجلسه) لأنه يحب الدنس ويأوى إليه (فر عن جابر) ابن عبد الله وإسناده ضعيف(أخسر الناس صفقة) أي أشد المؤمنين خسرانا وأعظمهم حسرة يوم القيامة (رجل) يعني مكلفا وذكر الرجال غالبي (أخلق) أي أتعب (يديه) أفقرهما بالكد والجهد وخصهما لأن المزاولة بهما غالبا (في) بلوغ (آماله) جمع أمل وهو الرجاء (ولم تساعده) أي تعاونه (الأيام) أي الأوقات (على) بلوغ (أمنيته) أي على الظفر بمطلوبه من نحو مال ومنصب وجاه (فخرج من الدنيا) بالموت (بغير زاد) يوصله إلى المعاد وينفعه يوم يقوم الأشهاد (وقدم على الله تعالى بغير حجة) أي معذرة يعتذر بها وبرهان يتمسك به على تفريطه (ابن النجار في تاريخه) تاريخ بغداد (عن عامر بن ربيعة) العنزي البدري (وهو مما بيض له الديلمي) لعدم وقوفه على سنده(أخشى ما خشيت على أمتي) أي أخوف ما خفت عليهم (كبر البطن) يعني الانهماك في الأكل والشرب الذي يحصل منه كبرها (ومداومة النوم) المفوت للعقوق المطلوبة شرعا الجالب لبغض الرب وقسوة القلب (والكسل) أي التقاعس عن النهوض إلى معاظم الأمور وكفايات الخطوب والفتور عن العبادات (وضعف اليقين) استيلاء الظلمة على القلب المانعة من ولوج النور فيه (قط في) كتاب (الأفراد) بفتح الهمزة وكذا الديلمي (عن جابر) بن عبد الله." [1]

"أن يستثني في كل حديثه) أي يعقب كل حديث يمكن تعليقه بقوله إن شاء الله لتحققه أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن قال تعالى ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله فتندب المحافظة على ذلك (طبر عن أبي هريرة) // (ضعيف لضعف معارك بن عباس بل قيل بوضعه) //(ان من تمام الصلاة) أي مكملاتها (إقامة الصف) يعني تسويته وتعديله عند إرادة الدخول فيها فهو سنة مؤكدة (حم عن جابر) // (بإسناد حسن) //(ان من تمام الحج أن تحرم (بالنسك (من دويرة أهلك) أي من وطنك وهذا قاله لمن قال له ما معنى وأتموا الحج وأخذ بقضيته جمع ففضلوا الإحرام منه عليه من الميقات وعكس آخرون لأدلة أخرى (عد هب عن أبي هريرة) // (وإسناده واه جدا) //(ان من حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة) أي الخط لأنه عون له على الدين والدنيا وكذا يعلمه القرآن والآداب وكل ما يضطر إلى معرفته (وأن يحسن اسمه) بأن يسميه بأحب الأسماء إلى الله أو نحو ذلك (وأن يزوجه) أو يسريه (إذا بلغ) فإنه بذلك يحفظ عليه شطر دينه وهذا كله من الحقوق المندوبة ووراء ذلك حقوق واجبة كتعليمه الصلاة وأن النبي بعث بمكة وتوفي بالمدينة وغير ذلك كما مر ويأتي وأجرة التعليم في مال الطفل إن كان له مال (ابن النجار) في تاريخه (عن أبي هريرة) // (بإسناد ضعيف لكن له شاهد) //(ان من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه) الله (الإنابة) أي التوبة والرجوع إليه لأنه بذلك يكثر من الطاعات

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/٥٠

ويتزود من القربات (ك عن جابر) وصححه وأقروه(ان من شر الناس عند الله منزلة) بفتح الميم رتبة (يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته) زوجته أو أمته (وتفضي إليه) بالمباشرة والجماع (ثم ينشر سرها) أي يبث ما حقه أن يكتم من ذلك فيحرم إفشاء ذلك بلا حاجة (م عن أبي سعيد) الخدري(ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد) أي إنسان مكلف حر أو عبد (أذهب آخرته بدنيا غيره) أي باع دينه بدنيا غيره ولهذا أطلق عليه الفقهاء أنه أخس الأخساء (هـ طب عن أبي أمامة) الباهلي(ان من ضعف اليقين) بفتح الضاد لغة تميم وضمها في لغة قريش (أن ترضي الناس بسخط الله تعالى) إذ لولا ضعفه لما تجرأت على ذلك (وأن تحمدهم) أى تصفهم بالجميل (على رزق الله) أى على ما وصل إليك على يدهم من رزق الله (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) أي على إمساكهم ما بأيديهم عنك مع أن المانع هو الله وهم مأمورون مقهورون (ان رزق الله لا يجره) إليك (حرص حريص) أي اجتهاد مجتهد متهافت على تحصيل ذلك لك (ولا يرده) عنك (كراهة كاره) حصوله لك فما لم يقدر لك لم يأتك بكل حال وما قدر لك خرق الحجب وطرق عليك الباب (وأن الله بحكمته) أي بإحاطته بالكليات والجزئيات (وجلاله) عظمته التي لا تتناهى (جعل الروح) بفتح الراء الراحة (والفرح) السرور والنشاط والانبساط (في الرضا) بالقضاء (واليقين) فمن أوتي يقينا شاهد به قل كل من عند الله قر قلبه وسكن فلم يضطرب (وجعل الهم والحزن في الشك) أي التردد في أن الكل بإرادته وتقديره (والسخط) أي عدم الرضا بالقضاء ومن هذا حاله لم يرض بمكروه فلا يزال ساخطا للقضاء جازعا عند البلاء ولا يفيده ذلك شيئا (حل هب عن أبي سعيد) الخدري // (بإسناد ضعيف) //(ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره) أي جعله بارا صادقا في يمينه لكرامته عليه ضمن على معنى العزم أي أقسم عازما على الله أن يفعل (حم ق د ن هـ عن أنسان من فقه الرجل) يعني الإنسان أي من علامة معرفته." [(١)]

"زبد البحر لمحتهن) كناية عبر بها عن الكثرة عرفا قال النووي ومن قالهن أكثر من مائة فله الأجر المذكور (حم عن أبي ذر) // بإسناد حسن //(كلمات من قالهن عند وفاته دخل الجنة لا إله إلا الله الحليم الكريم) يقولها (ثلاثا) من المرات (الحمد لله رب العالمين) بقولها (ثلاثا تبارك الذي بيده الملك يحيي ويميت وهو على كل شئ قدير) ظاهر السياق أن هذه يقولها واحدة (ابن عساكر عن عليكلمات لا يتكلم بهن أحد في مجلسه عند فراغه) أي عند انتهاء لفظ ذلك المجلس وإرادة القيام منه (ثلاث مرات إلا كفر بهن عنه) ما وقع فيه من اللغو (ولا يقولهن في مجلس خير ومجلس ذكر إلا ختم الله بهن عليه كما يختم بالخاتم على الصحيفة) والكلمات المذكورة هي (سبحانك اللهم) ربنا (وبحمدك لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك) فإنهن يجبرن ما وقع بذلك المجلس من الهفوات والسقطات (د حب عن أبي هريرة) // بإسناد صحيح //(كلمتان أراد بالكلمة الكلام (خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان) وصفهما بالخفة والثقل لبيان قلة العمل وكثرة الثواب (حبيبتان) أي محبوبتان والمراد أن قائلهما محبوب (إلى الرحمن) لتضمنهما المدح بالصفات السلبية المدلول عيها بالتنزيه والثبوتية التي يدل عليها الحمد (سبحان الله وبحمده) الواو للحال أي أسبحه متلبسا بحمدي له أو عاطفة أي اسبحه والتبس بحمده أو الحمد مضاف للفاعل والمراد لازمه أو ما يوجبه (سبحان الله العظيم) فيه جواز السجع إذا وقع بغير تكلف (حم ق ت هـ عن أبي هريرةكلمتان إحداهما ليس لها ناهية دون العرش والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض لا إله إلا الله

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/٣٥٠

والله أكبر طب عن معاذ) بن جبل // بإسناد حسن أو ضعيف //(كلمتان قالهما فرعون ما علمت لكم من إله غيري إلى قوله أنا ربكم الأعلى كان بينهما أربعون عاما فأخذه الله نكال الآخرة والأولى ابن عساكر عن ابن عباس(كلم الله موسى ببيت لحم) أي كلمه الله فيه (ابن عساكر عن أنس(كلم المجذوم) أي من أصابه الجذام (وبينك وبينه قيد) بكسر فسكون أي قدر (رمح أو رمحين) لئلا يعرض لك جذام فتظن أنه أعداك مع إن ذلك لا يكون إلا بتقدير الله وذا خطاب لمن ضعف يقينه ووقف نظره عند الأسباب (ابن السني وأبو نعيم في الطب) النبوي (عن عبد الله بن أبي أوفى) // بإسناد واه //(كل الثوم نيأ) أمر إباحة (فلولا إني أناجي الملك لأكلته) عورض بحديث النهي عن أكل الثوم وأجيب بأن هذا حدبث // لا يصح // فلا يقاوم الصحيح وبان الأمر بعد النهي للإباحة (حل وأبو بكر في الغيلانيات عن علي) // بإسناد واه //(كل الجنين في بطن الناقة) التي ذكيتها فإن ذكاتها ذكاته (قط عن جابركل معي) أيها المجذوم (بسم الله ثقة بالله) أي اثق ثقة بالله (وتوكلا على الله) أي وأتوكل توكلا عليه هذا درجة من قوى توكله واطمأنت نفسه على مشاركة الأسباب فلا تعارض (٤ حب ك عن جابر) // بإسناد حسن // وتصحيح ابن حبان والحاكم قال ابن حجر فيه نظر(كل فلعمري من أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق) قاله لمن رقى معتوها في القعود بالفاتحة ثلاثا غدوة وعشية وجمع بزاقة فنفل فشفى فأعطوه جعلا فقال لا حتى أسأل المصطفى فذكره (حم د ك عن عم خارجة قال ك // صحيح // وأقروه(كل ما أصميت) أي ما أسرعت إزهاق روحه من الصيد (ودع ما أنميت) أي ما أصبته بنحو سهم أو كلب فمات وأنت تراه والإنماء أن يصيب إصابة." (١)

"فقال رجل ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال ومن أشرك ثلاث مرات وهي أرجى آية في القرآن على الاصح (حم عن ثوبان) واسناده حسن(ما أحب اني حكيت انسانا) أي ما يسرني ان اتحدث بعيبه او ما يسرني ان احاكيه بأن افعل مثل فعله او اقول مثل قوله على وجه التنقيص (وان لي كذا كذا) أي ولو اعطيت كذا كذا من الدنيا أي شيأ كثيرا منها بسبب ذلك (دت عن عائشة) قال الذهبي فيه من لا يعرف فقول المؤلف حسن ممنوع(ما أحد أعظم عندي يدا من ابي بكر) أي ما أحد أكثر عطاء وانعاما علينا منه (وواساني بنفسه) أي جعل نفسه وقاية لي فقد سد المنفذ في الغار بقدمه خوفا عليه من لدغ حية فجعلت الحية تلدغه ودموعه تجري فلا يرفعها خوفا عليه (وماله وانكحني ابنته) عائشة فقد بذل المال والنفس والاهل والولد (طب عن ابن عباس) وفيه ارطاة أبو حاتم ضعيف فقول المؤلف حسن ممنوع الا أن يريد لشواهده(ما أحد أكثر من الربا الا كان عاقبة أمره الى قلة) يمحق الله الربا ويربي الصدقات (هـ عن ابن مسعود) ورواه عنه الحاكم أيضا واسناده صحيح(ما أحدث رجل إخاء) بكسر الهمزة ممدودا (في الله تعالى) أي لاجله لا لغرض آخر من نحو احسان أو خوف أو تقية (الا أحدث الله له درجة في الجنة) أي أعدله منزلة عالية فيها بسبب احداثه ذلك الاخاء فيه (ابن أبي الدنيا في كتاب الاخوان عن أنس) واسناده ضعيف لكن له جابر(ما أحدث قوم بدعة الا رفع مثلها من السنة) لانهما متناوبان في الاديان تناوب المتقابلات في الاجسام (حم عن غضيف) بالتصغير (ابن الحرث) الثمالي أو الكندي واسناده كما قال المنذري ضعيف(ما أحرز الوالد أو الوالد فهو لعصبته من كان) فيه ان عصبة المعتق يرثون (حم ده عن

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٢٢٠

عمر) بن الخطاب واسناده حسن(ما أحسن القصد) أي التوسط بين التفريط والافراط (في الغنى) بالكسر والقصر فانه اذا اقتصد في غناء لم يندرع في الانفاق فيقع في الاسراف المذموم (ما أحسن القصد في الفقر) ولذلك لما رأى المصطفى رجلا في ثياب وسخة فقال أما يملك هذا ما يغسل به ثيابه (وأحسن القصد في العبادة) فانه اذا اقتصد لا يمل فلا ينقطع روى الحكيم ان المصطفى قال في قوله تعالى اعملوا آل داود شكرا قال من كان فيه ثلاث خصال فقد أوتي ما أوتي آل داود خشية الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر وكلمة العدل في الرضا والغضب وكان المصطفى [صلى الله عليه وسلم] يربط الحجر على بطنه من الجوع ولا يترك التطيب وكان يتعاهد نفسه ولا تفارقه المرآة والسواك والمقراض حضرا ولا سفرا والقصد في الاصل الاستقامة في الطريق ثم استعير للتوسط في الامور (البزار عن حذيفة) بن اليمان اسناده حسن أو صحيح(ما أحسن عبد الصدقة) بان دفعها عن طيب قلب من أطيب ماله (الا أحسن الله الخلافة في تركته) أي على أولاده والمراد انه تعالى يخلفه في أولاده وعياله بحسن الخلافة من الحفظ لهم وحراسة مالهم أو أراد بالبركة المال واحسان خلافته دوام ثواب ما أوجده له من وجوه البر (ابن المبارك) في الزهد (عن ابن شهاب) الزهري (مرسلا) واسناده صحيح(ما أحل الله شيأ أبغض اليه من الطلاق) لما فيه من قطع حبل الوصلة المأمور بالمحافظة على توثيقه (د عن محارب بن دثار مرسلا) هو السدوسي الكوفي (ك عن ابن عمر) باسناد صحيح(ما أخاف على أمتي الاضعف اليقين) لان سبب ضعفه ميل القلب الى المخلوق وبقدر ميله له يبعد عن ربه." (١)

"وبقدر بعده عنه يضعف يقينه (طس هب عن أبي هريرة) باسناد صحيح(ما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من النساء والخمر) لانهما أعظم مصايد الشيطان والنساء اعظم فتنة وخوفا (يوسف الخفاف في مشيخته عن علي) أمير المؤمنين(ما اختلج عرق ولا عين الا بذنب وما يدفع الله عنه) أي عن ذلك العرق أو عن تلك العين أو الضمير للانسان المذنب (اكثر) وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير (طس والضياء) المقدسي (عن البراء) بن عازب باسناد حسن(ما اختلط حبي بقلب عبد الا حرم الله جسده على النار) أي منعه عن النار كما في قوله تعالى وحرام على قرية وأصله حرم الله النار على جسده والاستثناء من أعم عام الصفات أي ما عبد اختلط حبي بقلبه كائنا بصفة التحريم والمراد تحريم نار الخلود (حل عن ابن عمر) باسناد ضعيف(ما اختلفت أمة بعد نبيها) أي بعد موته (الا ظهر اهل باطلها على أهل حقها) أي غلبوا عليهم وظفروا بهم لكن ريح الباطل يخفق ثم يسكن ودولته تظهر ثم تضمحل (طس عن ابن عمر) باسناد ضعيف(ما أخذت الدنيا من الآخرة الا كما أخذ المخيط) بالكسر الابرة (غرس في البحر من مائه) فان الدنيا منقطعة فانية ولو كانت مدتها أكثر مما هي والآخرة أبدية ولا نسبة للمحصور الى غير المحصور (طب عن المستورد) واسناده حسن(ما أخشى عليكم الفقر) الذي لخوفه تقاطع أهل الدنيا وحرصوا وادخروا (ولكن أخشى عليكم التكاثر) أي ليس خوفي عليكم من الفقر بل من الغنى الذي هو مطلوبكم (وما أخشى عليكم الخطأ ولكن أخشى عيكم التعمد) فيه حجة لمن فضل الفقر على الغنى (ك هب عن أبي هريرة) قال ك على شرط مسلم وأقروه(ما أذن الله) بكسر الذال يعني استمع ولا يجوز حمله هنا على الاصغاء فهو مجاز عن تقريب القارئ وقبول قراءته (لشئ ما أذن) بكسر المعجمة المخففة (النبي

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٣٣٩

حسن الصوت) يعني ما رضى الله من المسموعات شيأ هو أرضى عنده ولا أحب اليه من قول نبي (يتغنى بالقرآن) أي يجهر به ويحسن صوته بالقراءة بخشوع وترقيق وتحزن وأراد بالقرآن ما يقرأ من الكتب المنزلة من كلامه (حم ق دن ه عن أبي هريرةما أذن الله لعبد في شئ أفضل من ركعتين) أي من صلاة ركعتين (أو أكثر من ركعتين وان البرليذر فوق راس العبد ما كان في الصلاة) أي مدة دوام كونه مصليا (وما تقرب عبد الى الله عزوجل بأفضل مما خرج منه) يعني بأفضل من كلامه (حم ت عن أبي امامة) قال الذهبي واه(ما أذن الله لعبد في الدعاء) أي النافع المقبول (حتى أذن له في الاجابة) لان الدعاء هو غدو القلب اليه حتى يجول بين يديه والنفس حجاب للقلب فهو لا يمكنه الغدو اليه حتى تزال الحجب وترتفع الموانع (حل عن أنس) واسناده ضعيف(ما أرى الامر) أي الموت (الا أعجل من ذلك) أي من أن يبني الانسان لنفسه بناء فوق مالا بد منه (ت ه عن ابن عمرو) بن العاص قال مر النبي ونحن نعالج خصا فذكره(ما ارسل على) قوم (عاد) هم قوم هود الذين عصوا ربهم (من الريح الا قدر خاتمي هذا) يعني هو شئ قليل جدا فهلكوا بها حتى انها كانت تحمل الفسطاط والظعينة فترفعها في الجو كانها جرادة (حل عن ابن عباس) وقال غريب(ما ازداد رجل من السلطان قربا الا ازداد عن الله بعدا) فان القرب الى الظالم معصية لانه اكرام له وقد أمر الله بالاعراض عنه فبقدر قربه منه يبعد عن الله (ولا كثرت اتباعه الا كثرت شياطينه ولا كثر ماله الا اشتد." (١)

"المقدار الجامعة من العلوم والمعارف ما يفوق الحصر دليل على أنه علم ما يؤول إليه أمر ابن عباس من العلم والمعرفة وكمال الأخلاق وحسن الأحوال (احفظ ا) بملازمة تقواه، واجتناب نواهيه، وما لا يرضاه (يحفظك) بالجزم، في نفسك وأهلك، ودنياك ودينك لاسيما عند الموت، إذ الجزاء من جنس العمل، ومنه ﴿وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم﴾ (البقرة: ٤٠) وهذا من جوامع كلمه فقد جمعت سائر أحكام الشريعة قليلها وكثيرها (احفظ ا) بما ذكر (تجده تجاهك) أي: تجده معك بالحفظ والإحاطة والتأييد والإعانة حيثما كنت فتأنس به وتغنى به عن خلقه، فهو كالتأكيد لما قبله، وهو من المجاز البليغ لاستحالة الجهة التي هي مدلول «تجاه» عليه تعالى، وتجاه بضم التاء وأصله وجاه بضم الواو وكسرها فأبدلت فوقية كما في تراث: ومعناه أمام كما جاء في ذلك الرواية الآتية: أي: تجده معك بالحفظ فهو نظير ﴿إن الله مع المتقين﴾ (التوبة: ٣٦) ونحوه، إذ هي معية معنوية لا ظرفية، وخص الإمام من بين باقي الجهات الست بالذكر إشعارا بشرف المقصد وبأن الإنسان مسافر إلى الآخرة والمسافر إنما يطلب أمامه لا غير، فكأن المعنى: تجده حيثما توجهت وتيممت من أمر الدنيا والآخرة (إذا سألت) أي: أردت السؤال (فاسأل ا) أن يعطيك مطلوبك قال تعالى: ﴿واسئلوا الله من فضله﴾ (النساء: ٣٢) ولا تسأل غيره فإن خزائن الوجود بيده تعالى وأزمتها إليه * إذ لا قادر ولا معطي ولا متفضل غيره * فهو حق أن يقصدويسأل، ولا فائدة في سؤال الخلق إذ لا يملكون نفعا ولا ضرا لأنفسهم فضلا عن غيرهم، وما أحسن قول الأستاذ أبي الحسن الشاذلي: أيست من نفع نفسي لنفسي؟ فكيف لا أيأس من نفع غيري لنفسي، ورجوت الله لغيري، فكيف لا أرجوه لنفسي، وإنما يميل القلب إلى المخلوق ويركن إليه لضعف يقينه ووقوعه في الغفلة عن حقائق الأشياء، وبقدر بعده من مولاه يكون ركونه لمن سواه.ولما نجا من تلك الهوة وتيقظ من تلك الغفلة أصحاب التوكل واليقين أعرضوا عن السوري،

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ٢/٣٤٠

وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرم وجود المولى، لأنه المتكفل لكل متوكل بما يحب ويتمنى، قال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ (الطلاق: ٣) (وإذا استعنت) أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدارين (فاستعن با) لأنه القادر على كل." (١)

"أعلمه (في قلوبهم) والعائد مفعول أول والظرف مفعول ثان (من الجزع) بالجيم والزاي والعين المهملة، قال في «النهاية» : هو الحزن الخوف. وقال في «المصباح» جزع الرجل جزءا من باب تعب تعبا: إذا ضعفت بنيته عن حمل ما نزل به ولم يجد صبرا ومن بيانية لما (والهلع) هكذا في نسخ الرياض تبعا لبعض نسخ البخاري وسيأتي معناه، وفي نسخة أخرى منه «الضلع» بالضاد المعجمة: أي الميل والاعوجاج وفي أخرى بالظاء المثالة المفتوحة مع ما يليها: أي مرض القلب وضعف اليقين (وأكل) أفوض (أقواما إلى ما جعل الله في قلوبهم من الغناء) بفتح الغين المعجمة ثم نون ومد وهو الكفاية، وفي رواية الكشميهني بكسر أوله والقصر: ضد الفقر (والخير منهم عمرو بن تغلب) هذا آخر الخبر المرفوع وقوله: (فوا ما أحب أن لي بكلمة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حمر النعم) الباء للبدلية والمراد من الكلمة معناها اللغوي وما قاله فيه: أي بدل ما قاله فيه من إدخاله إياه في أهل الخير والغني وقيل: المراد التي قالها في حق غيره، فالمعنى: لا أحب أن يكون لي حمر النعم بدلا من الكلمة المذكورة التي لي، أو أن يكون لي ذلك وقال: تلك الكلمة في حق. وفي «المصباح» : وحمر النعم بضم المهملة وسكون الميم: كرائمها وهو مثل في كل نفيس ويقال: إنه جمع أحمر وإن أحمر من أسماء الجنس (رواه البخاري) في مواضع من «صحيحه» منها في الجهاد والتوحيد وانفرد به عن باقي الستة (الهلع هو أشد الجزع) بمعناه قوله في «الصحاح» أفحش الجزع، ومقتضى كلام «المصباح» عدم اعتبار الأفضلية فيه (وقيل: الضجر) وفي «المشارق» للقاضي عياض: الجزع والهلع هما بمعنى، وقيل: الهلع قلة الصبر، وقيل: الحرص، يقال:رجل هلع وهلوع وهلواع وهلواعة: جزوع حريص اهـ. فلعل المصنف أراد يكتب قيل: الحرص فسبق القلم فكتب ما ذكر، والله أعلم.٦ – (وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه: أن النبي قال: اليد العليا خير من اليد." (٢)

"أو الإخبار عن جواز وقوعها، فإن أريد الوجوب فهو بأحد ثلاثة أشياء: تعجيل ما سأله، أو يكفر عنه به، أو يدخر له، فإذا قال دعوت. . . إلخ، بطل وجوب أحد هذه الثلاثة، وعري الدعاء عن جميعها، وإن أريد الجواز فيكون الإجابة بفعل ما دعا به، ومنعه قوله: دعوت فلم يستجب ؛ لأنه من ضعف اليقين والتسخط. وفي مسلم والترمذي عن أبي هريرة مرفوعا: " «لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم ما لم يستعجل» "، قيل: وما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجاب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء ". ويستحسر بمهملات استفعال من حسر، إذا أعيا وتعب، وتكرار دعوت للاستمرار أي دعوت مرارا كثيرة. قال المظهري: من له ملالة من الدعاء لا يقبل دعاؤه ؛ لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل، فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة، وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها، وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعائه في الدنيا ليعطى عوضه في الآخرة، وإما أن يؤخر القبول ليلح ويبالغ في

---

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٢٣٤/١

(٢) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٥٠٩/٤

ذلك، فإن الله يحب الملحين في الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار، ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له. والحديث رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم عن يحيى بن يحيى كلاهما عن مالك به.." (١)

"بحدوث العالم كله ولم نعلم اوله والحق تعالى متفرد بأوائل الكائنات بل هم في شك بلكه ايشان در شك اند اى مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين فى إقرارهم بأنه تعالى رب السموات والأرض وما بينهما يلعبون لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان بل مخلوطا بهزؤ ولعب وهو خبر آخر وفى كشف الاسرار در كمان خويش بازي ميكنند فالظرف متلق بالفعل او بل هم حال كونهم فى شك مستقر فى قلوبهم يلعبون كما فى قوله فهم فى ريبهم يترددون وفيه أشار الى ان من استولت عليه الغفلة اداه ذلك الى الشك ومن لزم الشك كان بعيدا من عين الصواب قال بعضهم وصف اهل الشك والنفاق باللعب وذلك لترددهم وتحيرهم فى امر الدين واشتغالهم بالدنيا واغترارهم بزينتها قال اويس القرني رضى الله عنه أف لهذه القلوب قد خالطها الشك فما تنفعها العظة وعن الشيخ فتح الموصلي قدس سره قال رأيت فى البادية غلاما لم يبلغ الحنث يمشى ويحرك شفتيه فسلمت عليه فرد الجواب فقلت له الى اين يا غلام فقال الى بيت الله الحرام قلت فيما ذا تحرك شفتيك قال بالقرءان قلت فانه لم يجر عليك قلم التكليف قال رأيت الموت يأخذ من هو أصغر منى سنا فقلت خطوك قصير وطريقك بعيد فقال انما على نقل الخطى وعلى الله الإبلاغ فقلت فأين الزاد والراحلة فقال زادى يقينى وراحلتي رجلاىسدره توفيق بود كرد علايق ... خواهى كه بمنزل برسى راحله بگذارقلت اسألك عن الخبز والماء قال يا عماه أرأيت لو أن مخلوقا دعاك الى منزله أكان يجمل بك ان يحمل معك زادك فقلت لا قال ان سيدى دعا عباده الى بيته وأذن لهم فى زيارته فحملهم ضعف يقينهم على حمل زادهم وانى استقبحت ذلك فحفظت الأدب معه أفتراه يضيعنى فقلت كلا وحاشى ثم غاب عن عينى فلم أره الا بمكة فلما رآنى قال يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف فى اليقينسيراب كن ز بحر يقين جان تشنه را ... زين بيش خشك لب منشين بر سراب ريبفارتقب الارتقاب چشم داشتن يعنى منتظر شدن والمعنى فانتظر يا محمد لكفار مكة على ان اللام للتعليل وبالفارسية پس تو منتظر باش براى ايشان يوم تأتي السماء بدخان مبين ظاهر لا شك فيه ويوم مفعول ارتقب والباء للتعدية يعنى آن روز كه آسمان دودى آرد آشكارا ويجوز أن يكون ظرفاله والمفعول محذوف اى ارتقب وعد الله فى ذلك اليوم أطلق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع على سبيل الكناية او المجاز المرسل والمعنى فانتظر لهم يوم شدة ومجاعة فان الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان اما لضعف بصره او لأن فى عام القحط يظلم الهوىء لقلة الأمطار وكثرة الغبار ولذا يقال لسنة القحط السنة الغبراه كما قالوا عام الرمادة والظاهر ان السنة الغبراء ما لا تنبت الأرض فيها شيأ وكانت الريح إذا هبت ألقت ترابا كالرماد او لان العرب تسمى الشر الغالب دخانا واسناد الإتيان الى السماء لان ذلك يكفها عن الأمطار فهو من قبيل اسناد الشيء الى سببه وذلك ان قريشا لما بالغوا فى الاذية له عليه السلام دعا عليهم

(١) شرح الزرقاني على الموطأ الزرقاني، محمد بن عبد الباقي ٤٦/٢

فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر أي عقابك الشديد يعنى خذهم أخذا شديدا واجعلها عليهم سنينا كسني يوسف وهى السبع الشداد فاستجاب الله دعاءه فاصابتهم سنة اى قحط حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام." (١)

"الشيء بعد الطلب ألذ أو لاختبار كونه طالبا حقيقيا أو لعدم استعداده لذلك عسى أن يكون مستعدا بعد الستة «يا أبا ذر ما يقال لك بعد» من العلم والحكمة ويحتمل أن يقول هذا الكلام النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – في يوم واحد لكمال الاستشراق.«فلما كان اليوم السابع قال أوصيك بتقوى الله» بأن تطيعه فلا تعصيه وتشكره فلا تكفره والتقوى أس كل فلاح ونجاح في الدارين.قال الإمام الغزالي ليس في العالم خصلة للعبد أجمع للخير وأعظم للأجر وأجل في العبودية وأعظم في القدر وأوفى بالحال وأنجح للآمال من هذه الخصلة التي هي التقوى وإلا لما أوصى الله بها خواص خلقه فهي الغاية التي لا متجاوز عنها ولا مقتصر دونها وقد جمع الله فيها كل نصح ودلالة وإرشاد وتأديب وتعليم فهي الجامعة لخير الدارين الكافية لجميع المهمات المبلغة إلى أعلى الدرجات كذا في شرح الجامع الصغير للمناوي «في سر أمرك وعلانيته» في باطنه وظاهره والقصد الوصية بإخلاص التقوى وتجنب الرياء فيهاقال حجة الإسلام إذا أردنا تحديد التقوى على موضع علم السر نقول حدها الجامع تبرئة القلب من شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير ذلك وقاية بينك وبين كل شر قال هنا أصل هو العبادة وشطران اكتساب هو فعل الطاعات واجتناب هو تجنب السيئات، وهو التقوى، وهو أفضل من الأول فاشتغال المبتدئين أن يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم واشتغال المنتهين أولي البصائر، والاجتناب إنما هو حفظ القلوب عن الميل لغيره تعالى والبطون عن الفضول والألسنة عن اللغو والأعين عن النظر إلى ما لا يعنيهم «، وإذا أسأت» إلى أحد «فأحسن» في فوره – ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤]– فلا تتركه يسخط عليك فربما يدعو الله عليك فيجيبه «ولا تسألن أحدا» من الخلق «شيئا» من الرزق ارتقاء إلى مقام التوكل فلا تعلق قلبك بأحد من الخلق بل بوعد الله وحسن كفايته وضمانه – ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ [هود: ٦]وقد قال أهل الحق ما سأل إنسان الناس إلا لجهله بالله تعالى وضعف يقينه بل إيمانه وقلة صبره وما تعفف متعفف إلا لوفور علمه بالله تعالى وتزايد معرفته وكثرة حيائه منه، وإن سقط سوطك كالعصا فلا تطلب من إنسان مناولته بل ينزل هو فيتناوله بيده «ولا تقبضن أمانة» خوفا للخيانة والنهي للتحريم إن عاجزا عن حفظها، وإن قدر فندب بل إن تعين فواجب (قش) القشيري.(عن أبي سعيد الخدري – رضي الله تعالى عنه – أنه «جاء رجل إلى النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – فقال يا نبي الله أوصني فقال له عليك بتقوى الله فإنها» أي التقوى «جماع كل خير» من." (٢)

"﴿لنهدينهم سبلنا﴾ [العنكبوت: ٦٩] طرقنا الموصلة إلينا، وقال الله تعالى ﴿والذين اهتدوا﴾ [محمد: ١٧] بإتيان العبادات ﴿زادهم﴾ [محمد: ١٧] الله ﴿هدى﴾ [محمد: ١٧] بخواطر تدلهم على كيفية الوصول إليه سبحانه وتعالى (أو) أن يكون (شرا عقيب ذنب) كبيرة أو صغيرة (إهانة) لذلك العبد من الله تعالى بشؤم ذلك الذنب قال الله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ [المطففين: ١٤] فيؤدي الذنب إلى قسوة القلب أولها خاطر ثم يؤدي إلى القسوة والرين

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨/٤٠٦

(٢) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢/١٨

(وعقوبة) عاجلة في الدنيا (فيسمى) الخاطر (خذلانا) هو ترك العون وضد التوفيق (وإضلالا) قيل أي إضاعة وتحييرا وقيل هذا إذا أبقى للعبد في الجملة اختيارا.وأما إذا اشتد حتى سلب الاختيار منه بالكلية فيسمى ختما وطبعا في هذه الحالة لا يتصور العلاج (وإما بواسطة ملك) عطف على قوله إما ابتداء (موكل من الله – تعالى – على ابن آدم جاثم) مكب وملازم (على أذن قلبه اليمنى) يلهمه (يقال له الملهم ولدعوته الإلهام ولا تكون) هذه الدعوة (إلا إلى خير) قال النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة» يعني نزلة بالدعوة كما في المنهاج.وزاد في الجامع الصغير قوله – عليه الصلاة والسلام – «فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق وأما لمة الملك فإيعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد هذه فليعلم أنها من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان» .قال عبد الرءوف المناوي الإيعاد يستعمل في الشر والخير أيضا ثم قال الفرق والتمييز بين اللمتين لا يهتدي إليه أكثر الناس والخواطر بمنزلة البذر فمنها ما هو بذر السعادة ومنها ما هو بذر الشقاوة.وسبب اشتباه الخواطر أربعة أشياء لا خامس لها ضعف اليقين أو قلة العلم بمعرفة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد التقوى أو محبة الدنيا مالها وجاهها، وطلب المنزلة والرفعة عند الناس فمن عصم من هذه الأربعة فرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلي بها لم يفرق، وانكشاف بعض الخواطر دون بعض لوجود بعض هذه الأربعة دون بعض واتفقوا على أن كل من أكل الحرام لا يفرق بين الوسوسة والإلهام.(وعلامته) أي خاطر الملك (كونه مترددا) إذ الملك بمنزلة ناصح يدخل معك من كل وجه ويعرض عليك كل نصح رجاء إجابتك ورغبتك في الخير (وفي الفروع والأعمال الظاهرة) في الأكثر؛ لأن الملك لا يطلع على العقائد والأعمال الباطلة في أكثرهم كما في المنهاج فالإطلاق ليس بحسن (وبلا سبق طاعة أو معصية في الأغلب) هذا مخالف أيضا لما في المنهاج حيث قال: وإن كان أي خاطر الخير مبتدأ فمن الملك في الأغلب.واعلم أنه قال فيه أيضا معرفة خاطر الخير من الله أو من الملك بثلاثة إن قويا فمن الله – تعالى – وإن مترددا فمن الملك وإن عقيب اجتهاد وطاعة فمن الله وإن ابتداء فمن الملك في الأغلب وإن في الأصول فمن الله وإن في الفروع والأعمال الظاهرة فمن الملك في الأكثر فقد عرفت زيادة قوله أو معصية فافهم (أو بواسطة) الظاهر عطف على قوله وأما بواسطة ملك أو على قوله إما ابتداء فالأولى وإما بواسطة (طبيعة مائلة إلى الشهوات) ونيل اللذات كيف كانت من حسن أو قبح (يقال لها النفس) لعل هي النفس الأمارة بالسوء التي تميل إلى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب إلى الجهة السفلية فهي مأوى الشر ومنبع الأخلاق الذميمة والأفعال السيئة (و) يقال أي يسمى (لدعوتها هوى) .وفسر أيضا بميل النفس إلى مقتضيات الطبع والإعراض عن الجهة العلوية." (١)

"(خ م عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال: قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى» لفظ ظهر مقحم والغنى هنا مجرد عدم الاحتياج إلى الغير في النفقة والكسوة لا الغنى الشرعي؛ لأن من لم يكن كذلك يندم غالبا ونكر غنى للتفخيم، ولا ينافيه «أفضل الصدقة جهد المقل» ؛ لأن الفضيلة تتفاوت حسب الأشخاص، وقوة التوكل أو المراد بالمقل الغني القلب كما في الفيض، وفي الجامع الصغير «ليس الغنى عن

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٣٧/٢

كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» قال النووي مذهبنا أن التصدق بجميع المال مستحب لمن لا دين عليه، ولا له عيال لا يصبرون ويكون هو يصبر على الفقر فإن لم يجمع هذه الشروط فمكروه. آخر الحديث في الجامع الصغير «وابدأ» أمر من البدء أي ابتدئ «بمن تعول» أي بمن تلزمك نفقته والمعنى أفضل الصدقة ما أخرجه من ماله بعد استيفاء قدر كفاية عياله، وقيل المراد بظهر الغنى ما يفضل عن العيال، وعن النووي أي أفضل الصدقة ما أبقت بعدها غنى يستظهر به صاحبها على مصالحه إذ المتصدق بماله كله يندم عند الحاجة، وقيل أي ما كان بعد الصدقة ما يقوم بحقوق النفس والعيال، وعليه يشكل بنحو قوله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم﴾ [الحشر: ٩] إذ نزولها لأنصاري آثر على احتياج نفسه أو على احتياج صبيه فقيرا مهاجريا وقوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ [الإنسان: ٨] أي على شدة الحاجة إليه، وقوة الشهوة له لعل الجواب عن الحديث السابق جواب هنا أيضا ثم في فصل الهمزة من الجامع وقع أفضل الصدقة الحديث.قال المناوي: وفيه أن تبقية بعض المال أفضل من التصدق بكله إلا لأهل اليقين كالصديق وأضرابه، ومحصوله أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص، وقوة التوكل وضعف اليقين كما مر.وعن الطبراني «خير الصدقة ما أبقت غنى» أي ما بقيت لك بعد إخراجها كفاية لك؛ ولعيالك، وقيل ما حصل به للسائل غنى عن سؤال كمن أراد أن يتصدق بألف فأعطاه لمائة رجل لم يظهر عليهم الغنى بخلاف إعطائه لواحد «اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول» .(غ) البغوي (عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنه «جاء رجل إلى النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – فقال عندي دينار» قيل وزنه إحدى وسبعون شعيرة والمشهور أن تدويره في خلافة الفاروق – رضي الله عنه – وكان قبله على شبه النواة بلا نقش ثم نقش في زمان ابن الزبير كما نقل عن القهستاني «فقال أنفقه على نفسك» ، وفي حديث آخر «ابدأ بنفسك» «قال عندي دينار آخر قال أنفقه على ولدك قال عندي آخر قال أنفقه على أهلك قال عندي آخر قال أنفقه على خادمك قال عندي آخر قال أنت أعلم به» أي أنت مخير بين الإنفاق وبين الادخار، وفي حديث آخر «ابدأ بمن تعول» .(م عن جابر – رضي الله عنه – أنه قال: «قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – ابدأ بنفسك» أي بما تحتاجه." (١)

"محجور عليه من التصرف في ماله حتى في منافع نفسه إلا بإذن الولي (وأقبح السؤال ما كان بوجه الله تعالى)اختلف الفقهاء في إعطاء من يسأل بوجه الله فالأكثر على أنه مستحب رعاية لجانب وجه الله تعالى وعن عبد الله بن المبارك ومن تابعه لا يعطى له زجرا له كما في الحاشية أقول والذي يقتضيه الأصل التفصيل إن السؤال من قبيل الجواز سيما الواجب فيعطى لأنه حينئذ يصلح أن يكون لوجه الله وإلا فلا لعدم الصلاحية له اعلم أن مقدار الغنى المحرم للسؤال يتوقف على تفصيل وهو أنه – صلى الله تعالى عليه وسلم – «قال لا حق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم به صلبه وثوب يواري به عورته وبيت يسكنه فما زاد فهو حساب؛ هذه أجناسها. وأما أقدارها فالثوب مثلا يراعى فيه ما يليق بذوي الدين وهو ثوب واحد وقميص ومنديل وسراويل ومداس»وكذا أثاث البيت لا يطلب كون الأواني من النحاس والصفر فيما يكفي فيه الخزف فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أخس أجناسه ما لم يكن في غاية البعد عن العادةوأما الطعام فقدره في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو الشعير والأدم على الدوام فضل وقطعه بالكلية إضرار وفي طلبه في

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية   محمد الخادمي ٥٥/٣

بعض الأحوال رخصة وأما المسكن فأقله ما يجزي من حيث المقدار وذلك من غير زينة ثم هذه الأمور مما يحتاج إليه حقيقة ثم الحاجة إليها إما في الحال من طعام يوم وليلة أو ثوب يلبسه أو مأوى يسكنه فلا شك في حل السؤال وأما في المستقبل فثلاث درجات أما ما يحتاج في غد وبعد أربعين يوما أو خمسين أو بعد سنة فالسائل الذي له ولعياله قوت سنة فسؤاله حرام لأن ذلك غاية الغنى وأما ما دون السنة فلا يحل له السؤال إن كان غنيا في الحال إلا أن يخاف فوت الفرصة في الاستقبال بأن لا يجد من لا يعطيه إذا أخر لأن البقاء سنة ممكن عادة ويدخل فيه خروج طلبة العلوم في المواسم لإدخار قوت سنة لأنهم يتفرغون للعلم ولا يعتدون للكسب وليس لهم أموال صالحة لمصارفهم الضرورية وإن كان لعلة خوف العجز في المستقبل ضعيفا وكان ما لأجله السؤال من ضعف اليقين والإصغاء إلى تخويف الشيطان وحال من يسأل لحاجة وراء يومه وحال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة سيان في كونهما من حب الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وإن كانا مباحين في الفتوى الظاهرة والله أعلم (طب عن أبي موسى الأشعري – رضي الله تعالى عنه – عن النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – أنه قال «ملعون من سأل بوجه الله» تتمة الحديث – «وملعون من يسأل بوجه الله ثم منع سائله ما لم يسأل هجرا» – أي قبيحا لا يليق بالسؤالقال العراقي لعنة فاعل ذلك لا يناقضها استعاذة النبي بوجه الله لأن ما هنا جانب طلب تحصيل الشيء من المخلوق وذاك في سؤال الخالق أو المنع في الأمر الدنيوي والجواز في الأخروي قيل عن الهيتمي في رجال هذا الحديث من لم أعرفه (د عن جابر – رضي الله تعالى عنه – أنه قال قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «لا يسأل بوجه الله إلا الجنة» استفيد منه أن سؤال الله بوجهه من حطام الدنيا منهي فإنه تعالى أعظم من أن يسأل به شيء من متاع الدنيا بل يسأل به الجنة نحو نسألك الجنة بوجهك الكريم ونسألك بوجهك الكريم أن تدخلنا الجنة روي نفيا ونهيا وقيل معناه لا تسألوا من الناس شيئا بوجه الله تعالى نحو أعطني شيئا بوجه الله فإن الله أعظم من أن يسأل به شيء من الحطام وذكر الجنة إنما هو للتنبيه به على الأمور العظام لا للتخصيص فلا يسأل الله بوجهه في الأمور الدنية بخلاف الأمور العظام تحصيلا أو دفعا (ومن." (١)

"(أخسر الناس صفقة) هو البيعة وهي المرة من التصفيق باليدين وذلك لأن المتتابعين يلصق أحدهما يده بيد الآخر فاستعير (رجل أخلق) بالخاء المعجمة والقاف أبلى (بدنه؟ في آماله ولم تساعده الأيام على أمنيته) هذه حقيقة عرفية يقال أسعده الدهر وخدمته الأيام والمراد لم يصل إلى مطلوبه ومناه فإن الأمنية بضم الهمزة وتشديد المثناة التحتية هي ما يطلبه الإنسان ويتمناه (فخرج من الدنيا بغير زاد) الزاد هو ما يتزوده المسافر ونحوه لسفره وزاد الآخرة التقوى كما قال تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ [البقرة: ١٩٧] (وقدم على الله تعالى بغير حجة) الحجة البرهان الذي يفلح به المخاصم خصمه وينتصر به عليه والمراد هنا بغير عمل يكون له كالحجة في دفع العذاب عنه وينجو به صاحبه كما ينجو به صاحب الحجة وإلا فلا حجة للعبد على ربه وإنما جعله أخسر الناس صفقة لأنه أضاع عمره في طلب مناه من الدنيا ولم تنله ففاتته الدنيا والآخرة، ومن أنفق عمره في طلب مناه وناله فهو خاسر الصفقة ولكن ما فاته الدارين أخسر صفقة منه فإنه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين (ابن النجار (ﷺ١) في تاريخه عن عامر بن ربيعة) هو: ابن كعب بن مالك بن

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ٢٢٨/٣

ربيعة أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة وشهد بدرا والمشاهد كلها (رَحِمَهُ اللَّهُ٢) (وهو مما بيض له الديلمي) صاحب مسند الفردوس أي لم يذكر له إسنادا.٢٩٤ - " أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن، ومداومة النوم، والكسل، وضعف اليقين (قط) في الأفراد عن جابر" (ض).(أخشى ما خشيت على أمتي كبر البطن) بكسر الكاف وفتح الموحدة هو رَحِمَهُ اللَّهُ____________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أخرجه الديلمي في الفردوس (١٤٥٧) قال المناوي (١/ ٢٥١) وهو مما بيض له الديلمي لعدم وقوفه له على سند، وابن النجار في تاريخه وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٧).(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) انظر: الإصابة (٣/ ٥٧٩)..." [1]

"كناية عن التوسع في الدنيا والاستكثار منها وعدم القنوع من طلبها كما أن كبير البطن لا يشبع من مأكول ولا يقنع منه ويحتمل أن يراد الحقيقة أي كبر البطن لما يتسع له من الطعام كما يومئ إليه قوله (ومداومة النوم والكسل) فإنهما من فروع التوسع في المأكول، وليس الأمر في الحقيقة موجه إلى سعة خلقه إذ لا اختيار فيه بل إلى إعطاء الإنسان لنفسه شهواتها وتوسعه في المأكولات فإنه يتولد عنه كل داء وزيادة داعي الشهوات ومن الكسل عن الطاعات ومن النوم الذي هو ضياع للأوقات عن عمل الدنيا والآخرة (وضعف اليقين) فإنه يكون لضعف الإيمان في القلب (قط (رَحِمَهُ اللَّهُ١) في الإفراد عن جابر) رمز المصنف لضعفه لأن فيه محمد بن القاسم الأزدي كذبه أحمد والدارقطني.٢٩٥ - " اخضبوا لحاكم، فإن الملائكة تستبشر بخضاب المؤمن (عد) عن ابن عباس" (ض).(اخضبوا لحاكم) أمر إرشاد وقيل إيجاب وهو عام لكل خضاب إلا أنه يأتي النهي عن السواد فالمراد بالصفرة ونحوها (فإن الملائكة تستبشر بخضاب المؤمن) وذلك لما فيه من إظهار القوة والجلد والإغاضة لأعداء الله (عد عن ابن عباس (رَحِمَهُ اللَّهُ٢)) رمز المصنف لضعفه إلا أن له شواهد تحسنه.٢٩٦ - " اخفضي ولا تنهكي، فإنه أنضر للوجه، وأحظى عند الزوج (طب ك) عن الضحاك بن قيس (صح) ".رَحِمَهُ اللَّهُ____________(رَحِمَهُ اللَّهُ١) أخرجه الدارقطني في الأفراد كما في أطراف بن طاهر (٢/ ٤٣١ رقم ١٨٣٨) في الكنز (٧٤٣٤)، والديلمي (٨٨)، وفي إسناده محمد بن القاسم الأزدي كذبه أحمد والدارقطني انظر: المغني في الضعفاء (٥٩١٥)، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٨) والسلسلة الضعيفة (٢١٥٨): موضوع.(رَحِمَهُ اللَّهُ٢) أخرجه ابن عدي في الكامل (٣/ ٣٦٥) في ترجمة سعيد بن زربي وقال: ما يروى عنه بأشياء لا يتابعه عليه أحد وعامة حديثه على ذلك، وقال الألباني في ضعيف الجامع (٢٣٩) والسلسلة الضعيفة (٢١٠٩): موضوع.." [2]

"(إن من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبدا) اسم إن وفي ذكره بعنوان العبودية توبيخ شديد وإعلام بأنه خالف مولاه وأطاع من عصاه ولذا لم يقل رجلا أو إنسانا. (أذهب آخرته بدنيا غيره) أي باعها بشيء ما له غيره كالذين يبايعون ملوك الدنيا على سفك ما يحرم من الدماء وأخذ الأموال ليتم الملك لمن أمرهم ونحوه. (هـ طب عن أبي أمامة (رَحِمَهُ اللَّهُ١).٢٤٧٨ - "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله تعالى، وأن تحمدهم على رزق الله تعالى، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص، ولا يرده كراهة كاره، وإن الله بحكمته وجلاله جعل

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٥٤/١

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤٥٥/١

الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط" (حل هب) عن أبي سعيد.(إن من ضعف اليقين) بوعد الله وتصديقه. (أن ترضى الناس بسخط الله تعالى) فإنك لا تفعل ذلك إلا ودينك ضعيف وأنه يعاقبك على ما فعلته (وأن تحمدهم على رزق الله) الذي نلته منهم أي تفردهم بالحمد وتقول لولا فلان ما أعطيت كذا ولا كان كذا ومثل ألفاظ العبودية الجارية على الألسنة والأقلام الفضل لفلان فتحصر ذلك عليه وأما مجرد حمدهم في الجملة والاعتراف بإحسانهم فهو من السنة لحديث: "لا يشكر الله من لم يشكر الناس" تقدم معناه ويأتي. (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) وتحسبهم منعوك شيئا كتبه الله فإنه لا راد لما أراد ولذا قال: (إن رزق الله لا يجره إليك حرص حريص) على جره إليك فإن الحرص الشح على الشيء أن يضيع أو يتلف. (ولا يرده كراهة كاره) أي أنه يصير إليك وهذا شيء قد جربه كل أحد وعلم صدقه. (وإن الله تعالى بحكمته)ﷺ______________(ﷺ١) أخرجه ابن ماجة (٣٩٦٦)، والطبراني في الكبير (٨/ ١٢٢) رقم (٧٥٥٩)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٠٨)، والضعيفة (٢٢٢٩).." [١]

"ضعف يقينه، وخيف عليه فساد اعتقاده (الطحاوي (ﷺ١) عن أبي ذر).٦٣٧٢ - "كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه من شجرة مباركة". (ت) عن عمر (حم ت ك) عن أبي أسيد (صح) ".(كلوا الزيت) دهن الزيتون (وادهنوا به) قال الزين العراقي: المراد بالادهان دهن الشعر به وقيده في رواية "يدهن شعر الرأس به". (فإنه من شجرة مباركة) كما وصفها الله تعالى بالبركة لكثرة منافعها أو لأنها تنبت بالأرض المقدسة ويلزم من بركتها بركة ما يخرج منها من الزيت. (ت) عن عمر (حم ت ك) (ﷺ٢) عن أبي أسيد) بفتح الهمزة وكسر المهملة، قال الحاكم: صحيح وأقره الذهبي ورمز المصنف له بالصحة، وقال ابن عبد البر: في سنده من الطريقين اضطراب.٦٣٧٣ - "كلوا الزيت وادهنوا به؛ فإنه طيب مبارك". (هـ ك) عن أبي هريرة (صح) ".(كلوا الزيت وادهنوا به) الأمر في مثله للإباحة، وقيل: للندب لمن قدر على استعماله، ووفق مزاجه. (فإنه طيب مبارك) كثير الخير والنفع، قال ابن القيم (ﷺ٣): الدهن في البلاد الحارة من أسباب حفظ الصحة وإصلاح البدن وهو كالضروري لهم، فأما في البلاد الباردة فضار وكثرة دهن الرأس فيها خطر بالبصر. (هـ ك) (ﷺ٤) عن أبي هريرة) رمز المصنف لصحته، قال الحاكم: صحيح،ﷺ______________(ﷺ١) أخرجه الطحاوي (٤/ ٣١٠)، والديلمي في الفردوس (٣٣٤٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤١٩٨).(ﷺ٢) أخرجه الترمذي (١٨٥١) عن عمر، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٩٧)، والترمذي (١٨٥٢)، والطحاوي في مشكل الآثار (٣٨٠٣)، وابن قانع (١/ ٤٢)، والطبراني (١٩/ ٢٦٩ رقم ٥٩٧)، وانظر: بيان الوهم (٢/ ٣١٣)، والحاكم (٢/ ٤٣٢)، عن أبي أسيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٩٨)، وحسنه في الصحيحة (٣٧٩).(ﷺ٣) زاد المعاد (٤/ ٢٨٢).(ﷺ٤) أخرجه ابن ماجة والحاكم (٢/ ٤٣٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٠٣).." [٢]

"ومحارب هو الكوفي القاضي من أكابر العلماء الزهاد (ك عن ابن عمر) رمز المصنف لصحته، وقال الحاكم: صحيح، وقال الذهبي: على شرط مسلم.٧٧٧٦ - "ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين. (طس هب) عن أبي هريرة (ض) ".(ما

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٤/١٣٣

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٨/٢٢٢

أخاف على أمتي) في أمر دينها وفساد قلوبها (إلا ضعف اليقين) لأن سببه ميل القلب إلى المخلوق وبقدر ميله إليه يبعد عن مولاه وبقدر بعده عنه يضعف يقينه واليقين استقرار العلم الذي لا يتغير في القلب والسكون الله ثقة به ورضى بقضائه وذلك صعب عسير إلا على من يشاء الله ويسره لليسرى ولذا خافه - صلى الله عليه وسلم - لعزة حصوله للمؤمنين. (طس هب (رحمه الله ١) عن أبي هريرة) رمز المصنف لضعفه، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.٧٧٧٧ - "ما أخاف على أمتي فتنة أخوف عليها من فتنة النساء والخمر. يوسف الخفاف في مشيخته عن علي".(ما أخاف على أمتي فتنة) تشغلهم عن الدين وتوقعهم في الضلال المبين. (أخوف عليها من فتنة النساء والخمر) لأنهما أعظم مصائد الشيطان وذلك أن الله حبب إلى بني آدم النساء بالطبع والجبلة ثم أمرنا بمجاهدة النفس حتى لا نتعدى المحبة الشرعية وكان إخراج آدم من الجنة على يد حواء، وكان قتل إحدى بني آدم لأخيه بسبب النساء، وأما الخمر فإنه جماع الإثم إذا سكر هذى وإذا هذى افترى ويفضي به إلى الزنا وإلى القتل وإلى كل بلاء في الدنيا والدين وهو مشاهد، (يوسف الخفاف) (رحمه الله ٢) بالخاء المعجمة والفاء [٤/ ١٠٠] المشددةرحمه الله______________(رحمه الله ١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٨٦٩)، والبيهقي في الشعب (٣١)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٧)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٩٨٧)، والضعيفة (١٩٩٤).(رحمه الله ٢) أخرجه المحاملي في أماليه (١/ ١٧٧)، والخطيب في تاريخه (١٤/ ٧٩)، والديلمى في الفردوس (٦٢٩٣)، وأورده ابن أبي حاتم في العلل (١/ ٤٣٦) وقال: قال أبو زرعة هذا حديث منكر، =." [1]

"٧٨٠٧ - "ما أعطى أهل بيت الرفق إلا نفعهم. (طب) عن ابن عمر (ض) ".(ما أعطى) مبني للمجهول. (أهل بيت الرفق) القصد في الأمور كلها. (إلا نفعهم) فإن الرفق خير كله، وتمام الحديث عند أبي نعيم: "ولا منعوه إلا ضرهم". (طب (رحمه الله ١) عن ابن عمر) رمز المصنف لضعفه، وقال المنذري: إسناده جيد، وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامي وهو ثقة.٧٨٠٨ - "ما أعطى الرجل امرأته فهو صدقة. (حم) عن عمرو بن أمية الضمري" (ح).(ما أعطى الرجل امرأته) من أي شيء لطعام أو غيره. (فهو صدقة) مع حسن النية كما سلف. (حم (رحمه الله ٢) عن عمرو بن أمية الضمري) بفتح المعجمة وسكون الميم رمز المصنف لحسنه، وقال الهيثمي: فيه محمد بن أبي حميد (رحمه الله ٣) وهو ضعيف.٧٨٠٩ - "ما أعطيت أمة من اليقين أفضل مما أعطيت أمتي. الحكيم عن سعيد بن مسعود الكندي".(ما أعطيت أمة) عام لكل أمة، إذ هو نكرة في سياق النفي. (من اليقين) وهو صدق الثقة بالله وحقيقة الإيمان به، وهو من أفضل صفات أهل الإيمان، بل كل معصية لا تصدر إلا عن ضعف اليقين (أفضل مما أعطيت أمتي) أمة الإجابة،رحمه الله______________(رحمه الله ١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٣٠) رقم (١٣٢٦١)، والبيهقي في الشعب (٦٥٥٨)، وانظر الترغيب والترهيب (٣/ ٢٧٩)، والمجمع (٨/ ١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٤١)، والصحيحة (٩٤٢).(رحمه الله ٢) أخرجه أحمد (٤/ ١٧٩)، وانظر قول الهيثمي في المجمع (٣/ ١١٩)، وصححه الألباني في

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٩/٣٣٥

صحيح الجامع (٥٥٤٠)، وحسنه في الصحيحة (١٠٢٤).(رَحِمَهُ اللَّهُ٣) انظر المغنى في الضعفاء (٢/ ٥٧٣)، والكاشف (٢/ ١٦٦).." [1]

"بالخواتيم. قال الحافظ ابن رجب: فإذا كان البداية، والختام ذكرا، فهو أولى أن يكون حكم الذكر شاملا للجميع. انتهى.الثالثة: قوله في الخبر: حتى أنينه في مرضه، ربما أشعر بأنه مما يكتبه كاتب السيئات ؛ لأنه يكتب كل ما أهمل كاتب الحسنات، ويدل له قول علمائنا يكره الأنين، قال في الفروع: على الأصح لأنه يترجم عن الشكوى، ما لم يغلبه، مع أنه جاء في الحديث " «المريض أنينه تسبيح وصياحه تكبير، ونفسه صدقة، ونومه عبادة، وتقلب من جنب إلى جنب جهاد في سبيل الله» " لكن قال الحافظ ابن حجر: إنه ليس بثابت. وقد روى الإمام أحمد في الزهد عن طاوس أنه قال: أنين المريض شكوى. قال ابن حجر في شرح البخاري: وقد جزم أبو الطيب ابن الصباغ وجماعة من الشافعية أن أنين المريض مكروه، وتأوهه مكروه. وتعقبه الإمام النووي فقال: هذا ضعيف، أو باطل، فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك. ثم قال: فلعلهم أرادوا بالكراهية خلاف الأولى، فإنه لا شك أن اشتغاله بالذكر أولى. انتهى.قال الحافظ ابن حجر: ولعلهم أخذوه بالمعنى من كون كثرة الشكوى تدل على ضعف اليقين، وتشعر بالتسخط للقضاء وتورث شماتة الأعداء. انتهى.الرابعة: جاء في الأحاديث أن الحافظين يقيمان على قبر المؤمن يسبحان الله - تعالى - ويهللانه ويكبرانه، ويكتب ثوابه للميت إلى يوم القيامة وأنهما يلعنان الكافر، ففي حديث أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - مرفوعا " «إذا قبض العبد المؤمن صعد ملكاه إلى السماء، فقال الله وهو أعلم: ما جاء بكما؟ فيقولان: رب قبضت عبدك، فيقول لهما: ارجعا إلى قبره فسبحاني واحمداني وهللاني إلى يوم القيامة، فإني قد جعلت مثل أجر تسبيحكما وتحميدكما وتهليلكما له ثوابا مني، فإذا كان العبد كافرا فمات، صعد ملكاه إلى السماء فيقول لهما الله: ما جاء بكما؟ فيقولان: رب قبضت عبدك وجئناك، فيقول لهما: ارجعا إلى قبره فالعناه إلى يوم القيامة، فإنه كذبني وجحدني، وإني جعلت لعنتكما عذابا أعذبه به يوم القيامة» " وروي أيضا من حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - مرفوعا، وفيه: " «فائذن لنا أن نسكن السماء، فيقول سمائي مملوءة من ملائكتي يسبحوني، فيقولان ائذن لنا نسكن الأرض." [2]

"باب (٣١) قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ١ وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ ٢.وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ ٣ -.عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضى الناس بسخط الله

---

(١) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٣٥٢/٩

(٢) لوامع الأنوار البهية السفاريني ٤٥٢/١

سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان في صحيحه.______________١ سورة آل عمران آية: ٢.١٧٥ سورة التوبة آية: ٣.١٨ سورة العنكبوت آية: ١٠.." (١)

"موتوا، فماتوا كلهم أجمعون، ومرت عليهم مدة ثمانية أيام أو أكثر حتى انتفخوا، وقيل: صاروا عظاما، فمر عليهم نبي الله (حزقيل) ، فدعا الله تعالى، واستشفع فيهم، فأحياهم الله، وعاشوا دهرا، عليهم سيما الموت لا يلبسون ثوبا إلا عاد كالكفن، واستمر في أسباطهم. هـ.قال الأصمعي: لما وقع الطاعون بالبصرة، خرج رجل منها على حمار معه أهله، وله عبد يسوق حماره، فأنشأ العبد يقول:لن يسبق الله على حمار ... ولا على ذي مشعة طيارقد يصبح الله أمام الساري «١» فرجع الرجل بعياله.والآية تدل على أن الفرار من الطاعون حرام في تلك الشريعة، كما حرم في شرعنا، وروى عبد الرحمن ابن عوف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم هذا الوباء ببلد فلا تقدموا عليه، وإذا وقع ببلد وأنتم فيه فلا تخرجوا منه» .قلت: وقد اختلف الأئمة في حكم الفرار والقدوم: فمنهم من شهر المنع فيهما تمسكا بظاهر الحديث، ومنهم من شهر الكراهة. والمختار في الفرار: التحريم، وفي القدوم: التفصيل، فمن قوي يقينه، وصفا توحيده، حل له القدوم، ومن ضعف يقينه، بحيث إذا أصابه شيء نسب التأثير لغير الله حرم عليه القدوم.وفي حديث عائشة- رضي الله عنها- قلت: يا رسول الله، ما الطاعون؟ قال: «غدة كغدة البعير، المقيم فيه كالشهيد، والفار منه كالفار من الزحف» . قال ابن حجر: كون المقيم فيه له أجر شهيد إنما بشرط أن يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له، وأن يسلم إليه أمره ويرضى بقضائه، وأن يبقى في مكانه ولا يخرج منه بقصد الفرار، فإذا اتصف الجالس بهذه القيود حصل له أجر الشهادة. ودخل تحته ثلاث صور، الأولى: من اتصف بذلك فوقع له الطاعون ومات فهو شهيد. والثانية: من وقع به ولم يمت به فهو شهيد وإن مات بعد ذلك. والثالثة: من لم يقع به أصلا ومات بغيره عاجلا أو آجلا فهو شهيد، إذا حصلت فيه القيود الثلاثة، ومن لم يتصف بالقيود الثلاثة فليس بشهيد، ولو مات بالطاعون. والله أعلم هـ.وأما القدوم من بلد الطاعون إلى البلد السالمة منه فجائز. ولا يمنع من الدخول، قاله الباجي وابن حجر والحطاب وغيرهم لقوله- عليه الصلاة والسلام-: «لا عدوى ولا طيرة» وأما قوله عليه الصلاة والسلام:______________(١) ذكر القرطبي البيت الثاني كاملا، وهو:أو يأتى الحتف على مقدار ... قد يصبح الله أمام الساري." (٢)

"ثم ذكر الحق تعالى علة انهزام من انهزم، فقال:[سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٥]إن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور حليم (١٥٥)يقول الحق جل جلاله: إن الذين تولوا منكم وانهزموا يوم أحد يوم التقى الجمعان جمع المسلمين وجمع الكفار إنما كان السبب في انهزامهم أن الشيطان استزلهم، أي: طلب زللهم فأطاعوه، أي: زين لهم الفرار فأطاعوه، بسبب بعض ما كسبوا من الإثم، كمخالفة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، والحرص على الغنيمة، وذنوب اقترفوها قبل الجهاد، فإن المعاصي تجر بعضها بعضا، كالطاعة، ولقد عفا الله عنهم فيما فعلوا من الفرار لتوبتهم واعتذارهم إن الله غفور للذنوب، حليم لا يعاجل بعقوبة المذنب كي يتوب.الإشارة: إن

---

(١) التوحيد لابن عبد الوهاب   محمد بن عبد الوهاب ص/٩١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد   ابن عجيبة ١/٢٦٩

الذين تولوا منكم يا معشر الفقراء، ورجعوا عن صحبة الشيوخ، حين التقى في قلبهم الخصمان:خصم يرغبهم في الثبوت، وخصم يدلهم على الرجوع، ثم غلب خصم الرجوع فرجعوا، إنما استزلهم الشيطان بسوء أدبهم، فإن تابوا ورجعوا، أقبلوا عليهم، وقبل الله توبتهم، وعفا عنهم، فإنه سبحانه غفور حليم.ثم حذر من التشبه بالمنافقين فى ضعف اليقين، وما ينشأ عنه من مقالة الجاهلين، فقال:[سورة آل عمران (٣) : آية ١٥٦]يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير (١٥٦)قلت: (غزي) : جمع غاز، كعاف وعفى، وإنما وضع (إذا) موضع (إذ) لحكاية الحال.يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا ونافقوا، كعبد الله بن أبي، وأصحابه، وقالوا لإخوانهم في النسب، أو في المذهب، أي: قالوا لأجلهم أو في شأنهم، إذا ضربوا في الأرض أي: سافروا للتجارة أو غيرها فماتوا، أو كانوا غزى أي: غازين فقتلوا في الغزو: لو كانوا عندنا مقيمين ما ماتوا وما قتلوا، وإنما نطقوا بذلك ليجعل الله ذلك القول الناشئ عن الاعتقاد الفاسد حسرة في قلوبهم بالاغتمام على ما فات، والتحسر على ما لم يأت، والله هو يحيي ويميت بلا سبب في الإقامة والسفر، فليس يمنع حذر من قدر، والله بما تعملون، أيها المؤمنون بصير، ففيه تهديد لهم على أن يماثلوا المنافقين في هذا الاعتقاد الفاسد، ومن قرأ بالياء فهو تهديد لهم. والله تعالى أعلم.." (١)

"قلت: (الذين) : صفة المنافقين، أو نصب على الذم، و (نستحوذ) : نغلب، استحوذ: غلب، جاء على أصله، ولم يعل كاستعاذ والقياس: استحاذ، يستحيذ، كاستعاذ يستعيذ، لكنه صحح تنبيها على الأصل.يقول الحق جل جلاله: إن الله سيجمع المنافقين والكافرين، أي: الخائضين والقاعدين معهم، في جهنم جميعا خالدين فيها. الذين يتربصون بكم أي: ينتظرون بكم الدوائر، أي: ما يدور به الزمان والدهر عليكم، وهم المنافقون، فإن كان لكم فتح من الله كالنصر والغنيمة قالوا للمؤمنين: ألم نكن معكم على دينكم، فأعطونا مما غنمتم، وإن كان للكافرين نصيب دولة أو ظهور على المسلمين، قالوا لهم: ألم نستحوذ عليكم أي: نغلبكم ونتمكن من قتلكم، وأبقينا عليكم فمنعناكم من قتل المسلمين لكم، بأن خذلناهم بتخييل ما ضعفت به عزيمتهم عليكم، وتوانينا في مظاهرتهم عليكم، فأشركونا مما أصبتم. وإنما سمي ظفر المسلمين فتحا، وظفر الكافرين نصيبا لخسة حظه، فإنه حظ دنياوي، استدراجا ومكرا، بخلاف ظفر المسلمين، فإنه إظهار الدين، وإعانة بالغنيمة للمسلمين.فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيدخل أهل الحق الجنة، ويدخل أهل الخوض النار، ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا أي: حجة، أو غلبة في الدنيا والآخرة، وفيه دليل على عدم صحة ملك الكافر للمسلم، فيباع عليه إن اشتراه، ويفسخ نكاحه إن تزوج مسلمة. والله تعالى أعلم الإشارة: (المرء مع من أحب) من أحب قوما حشر معهم، فمن أحب أهل الخوض حشر مع الخائضين، ومن أحب أهل الصفا حشر مع المخلصين، وإن كان مذبذبا يميل مع كل ريح حشر مع المخلطين، وهو من خف عقله وضعف يقينه، إن رأى بأهل النسبة من الفقراء عزا ونصرا وفتحا انحاز إليهم، وقال: ألم نكن معكم، وإن رأى لأهل الإنكار من العوام صولة وغلبة رجع إليهم، وقال: ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من دعاء الصالحين عليكم، فما لهذا عند الله من خلاق. وفي الحديث: «ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها» . فالله يحكم

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٢٤/١

بينهم يوم القيامة، فيرفع أهل الصفا مع المقربين، ويسقط أهل الخوض مع الخائضين، وليس لأهل الخوض من أهل الإنكار سبيل ولا حجة على أهل الصفا من الأبرار، إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.ثم ذكر أحوالهم الشنيعة، فقال:[سورة النساء (٤) : الآيات ١٤٢ الى ١٤٣]إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا (١٤٢) مذبذبين بين ذلك لآ إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا (١٤٣)." (١)

"قال: لا تسمع كلامهم فإن كلامهم قسوة، قلت: لا بد لي، قال: فلا تعاملهم، فإن معاملتهم خسران وحسرة ووحشة، قلت: أنا بين أظهرهم، لا بد لي من معاملتهم، قال: لا تسكن إليهم فإن السكون إليهم هلكة، قلت: هذا لعله يكون، قال: يا هذا، تنظر إلى اللاعبين، وتسمع إلى كلام الجاهلين، وتعامل البطالين، وتسكن إلى الهلكى، وتريد أن تجد حلاوة المعاملة في قلبك مع الله عز وجل!! هيهات، هذا لا يكون أبدا. هـ.وفي الخبر المروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخوف ما أخاف على أمتي ضعف اليقين» «١» . وإنما يكون برؤية أهل الغفلة ومخالطة أرباب البطالة والقسوة، وتربية اليقين وصحته إنما تكتسب بصحبة أهل اليقين واستماع كلامهم، والتودد إليهم وخدمتهم. وفي بعض الأخبار: (تعلموا اليقين بمجالسة أهل اليقين) ، وفي رواية: «فإني أتعلمه» ، والحاصل: أن الخير كله في صحبة العارفين الراسخين في عين اليقين. أو حق اليقين، وما عداهم يجب اعتزالهم، كيفما كانوا، إلا بقصد الوعظ والتذكير، ثم يغيب عنهم، وإلى هذا أشار ابن الفارض رضى الله عنه بقوله:تمسك بأذيال الهوى واخلع الحيا ... وخل سبيل الناسكين وإن جلواوبالله التوفيق.وأصل تنوير القلب باليقين والمعرفة: هو أكل الحلال وتجنب الحرام، كما بينة الحق تعالى بقوله:[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١١٨ الى ١٢١]فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين (١١٨) وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه وإن كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين (١١٩) وذروا ظاهر الإثم وباطنه إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون (١٢٠) ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون (١٢١)يقول الحق جل جلاله: فكلوا مما ذكر اسم الله عليه عند ذبحه، ولا تتورعوا منه، إن كنتم بآياته مؤمنين، فإن الإيمان يقتضي استباحة ما أحل الله تعالى، واجتناب ما حرمه، وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه أي: ما يمنعكم منه، وأي غرض لكم في التحرج عن أكله؟. وقد فصل لكم فى الكتاب،____________(١) ذكره بنحوه السيوطي فى الجامع الصغير، وعزاه للطبرانى فى الصغير والبيهقي فى الشعب، من حديث أبى هريرة، وحسنه.." (٢)

"قال القشيري: إنما يمس المتقين طيف الشيطان في ساعات غفلتهم عن ذكر الله، ولو أنهم استداموا ذكر الله بقلوبهم لما مسهم طائف الشيطان، فإن الشيطان لا يقرب قلبا في حال شهوده الله لأنه يخنس عند ذلك، ولكل عازم فترة، ولكل عالم هفوة، ولكل عابد شدة، ولكل قاصد فترة، ولكل سائر وقفة، ولكل عارف حجبة. قال- عليه الصلاة والسلام-:

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥٧٨/١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٦٣/٢

«الحدة تعتري خيار أمتي» «١» . فأخبر بأن خيار الأمة، وإن جلت رتبتهم، لا يتخلصون عن حدة تعتريهم في بعض أحوالهم، فتخرجهم عن دوام الحلم. هـ. وكأنه يشير إلى أن طائف الشيطان يمس الواصلين والسائرين، وهو كذلك بدليل أول الآية في قوله: وإما ينزغنك ... الآية، ومسه للسائر أو الواصل زيادة به، وترقية له، وتحويش له إلى ربه، والله تعالى أعلم.ثم رد الله على من طلب الآيات، فقال:[سورة الأعراف (٧) : آية ٢٠٣]وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون (٢٠٣)يقول الحق جل جلاله: وإذا لم تأتهم أي: الكفار، بآية بمعجزة مما اقترحوا، أو من القرآن حين يتأخر الوحي، قالوا لولا هلا اجتبيتها أي: تخيرتها وطلبتها من ربك، أو هلا اخترعتها وتقولتها من نفسك كسائر ما تقرأ؟ قل إنما أتبع ما يوحى إلي من ربي فلا أطلب منه آية، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر «٢» ، أو: لا أخترع القرآن من عند نفسي، بل أتبع ما يوحى إلي من ربي.هذا القرآن بصائر للقلوب من ربكم، أي: من عند ربكم، بها تبصر الحق وتدرك الصواب، وهدى ورحمة لقوم يؤمنون وإرشاد أو طمأنينة لقلوب المؤمنين.الإشارة: قد تقدم مرارا ما في طلب الآيات من ضعف اليقين، وعدم الصدق بطريق المقربين، وإنما على الأولياء أن يقولوا: هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون بطريق المخصوصين. وبالله التوفيق.ثم أمر بالإنصات للقرآن، الذي هو أعظم الآيات، فقال:[سورة الأعراف (٧) : آية ٢٠٤]وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون (٢٠٤)يقول الحق جل جلاله: وإذا قرئ القرآن، مطلقا، فاستمعوا له وأنصتوا لكي تعتبروا وتتدبروا، فإنما نزل لذلك، وهل على الوجوب أو الاستحباب- وهو الراجح؟ قولان، وقيل: الاستماع المأمور به__________(١) أخرجه الطبراني فى الكبير (١١/ ٦٤) عن ابن عباس رضى الله عنه، وضعفه السيوطي فى الجامع الصغير (ح ٣٨٠٨) .(٢) من الآية ٢٩ من سورة الكهف.." (١)

"الرزق، والشك في الرزق شك في الرزاق، وصدوا عن طريق اليقين، والغنى برب العالمين، لهم عذاب في الحياة الدنيا بالذل والحرص والحرمان.قال بعض العارفين: لو قيل للطمع: من أبوك؟ لقال: الشك في المقدور، ولو قيل له: ما حرفتك؟ لقال: الذل والهوان، ولو قيل له: ما غايتك؟ لقال: الحرمان. وفي الحكم: «ما بسقت أغصان ذل إلا على بذر طمع» . وقالالشاعر: العبد حر ما قنع ... والحر عبد ما طمعولعذاب الآخرة أشق حيث يسقط بضعف يقينه عن درجة المقربين على سبيل الدوام، وما لهم من الله من واق يقيهم من غم الحجاب، وعدم اللحوق بالأحباب الذين ترقوا إلى القرب من الحبيب. والله تعالى أعلم.ثم وصف الجنة تشويقا وترغيبا فى سلوك طريقها وهو الإيمان، فقال:[سورة الرعد (١٣) : آية ٣٥]مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥)قلت: مثل الجنة: مبتدأ. قال سيبويه: الخبر محذوف، أي: فيما يتلى عليكم صفة الجنة. وقال الفراء: الخبر هو: تجري ... إلخ، وعلى قول سيبويه يكون تجري: حالا من العائد المحذوف، أي: التي وعدها المتقون حال كونها تجري ... إلخ. والمراد بالمثل هنا: الصفة، لا ضرب المثل. وظلها: مبتدأ حذف خبره، وظلها كذلك.والأكل بضم الهمزة: المأكول، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها، وأما الأكل بالفتح فمصدر.يقول الحق جل جلاله: صفة الجنة التي وعدها المتقون هي غرف

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٢/٢٩٩

وقصور تجري من تحتها الأنهار من ماء وخمر وعسل ولبن، أكلها دائم ما يؤكل من ثمارها وأنواع أطعمتها لا ينقطع، وظلها دائم، لا ينسخ بالشمس كظلال الدنيا، تلك الجنة الموصوفة بهذه الأوصاف هي عقبى الذين اتقوا الشرك والمعاصي، هي مآلهم وعاقبة استقرارهم، وعقبى الكافرين النار لا محيد عنها، هى مآلهم وإليها رجوعهم.وفي ترتيب العقبيين إطماع للمتقين، وإقناط للكافرين.الإشارة: مثل جنة المعارف التي وعدها المتقون لكل ما يشغل عن الله هي حضرة مقدسة، يتنعم فيها أسرار العارفين، تجري من تحت قلوبهم أنهار العلوم والحكم، لذتها وقوت الأرواح فيها دائم، وهي الفكرة في ميادين أنوار." (١)

"خلق السموات والأرض دالا بذلك على توحيده، وكماله في أوصافه وتدابيره، المقتضية لترتب دار الجزاء على دار العمل، بحيث لا يسوي بين مبطل ومحق، فأرشد بخلق الأشياء إلى حكمته دلالة، ثم بإنزال الوحي بذلك قالة، ومع وضوح الأمر في دلالتهما أعرض الذين كفروا من غير دليل عقلي ولا نقلي متواتر ولا آحاد، على أن ما اقتضاه الوحي إلى محمد من التوحيد، والجزاء المرتب على الإخلاص له، والصدق في عبودية الله، والدعاء إلى محاسن الأخلاق، مما اجتمعت عليه الرسل قبله، فليس بمبدع من عنده. هـ. من الحاشية.الإشارة: حم يا حبيب ممجد، قد مجدناك بإنزال كتابتا، وعززناك برسالتنا، ما خلقنا الكائنات إلا ملتبسة بأسرار الحق، وأهل الغفلة معرضون عن هذا.قال القشيري: حميت قلوب أهل عنايتي، فصرفت عنها خواطر التجويز، ورميتها في مشاهد اليقين بنور التحقيق، فيها شواهد برهانهم، أي: برهان العيان- فأضفنا إليها لطائف إحساننا، فكملت منالها من عين الوصلة.وغديناهم بنسيم الأنس في ساحات القربة. (العزيز) المعز للمؤمنين بإنزال الكتب، (الحكيم) لكتابه عن التبديل والتحويل. هـ. وخواطر التجويز هي خواطر الشك في المقدور، يجوز الوقوع وعدمه بسبب ضعف اليقين، فإذا انتفى عن القلب خواطر التجويز، دخله السكون والطمأنية، وارتاح في ظل برد الرضا والتسليم. والله تعالى أعلم.ثم وبخهم على الشرك بعد ظهور بطلانه، فقال:[سورة الأحقاف (٤٦) : الآيات ٤ الى ٦]قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السماوات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين (٤) ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون (٥) وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين (٦)يقول الحق جل جلاله: قل يا محمد، توبيخا وتبكيتا لهم: أرأيتم أخبروني ما تدعون من دون الله، ما تعبدون من الأصنام من دون الله، أروني ماذا خلقوا من الأرض أي شيء خلقوا في الأرض إن كانوا آلهة؟ أم لهم شرك في السماوات أي: أم لهم شركة مع الله في خلق السموات، حتى يتوهم." (٢)

"وقوله: مالفخر إلا لأهل العلم.. الخ، يعني: لو كان الفخر مباحا ما أبيح إلا لهم، وإلا فهم أولى بالتواضع، اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد قال: «من تواضع دون قدره رفعه الله فوق قدره» «١» فما رفع الله قدر العلماء إلا بتواضعهم حتى ينالهم الشريف والوضيع، والصغير والكبير، والقوي والضعيف، فمن لم يكن هكذا فليس بعالم لأن الخشية تحمل على التواضع، ومن لم يخش فليس بعالم حقيقة. قال تعالى: إنما يخشى الله من عباده العلماء «٢» .وقوله تعالى: إن أكرمكم عند الله أتقاكم، اعلم أن نصيب كل عبد من الله تعالى على قدر تقواه، وتقواه على قدر توجهه إلى الله، وتوجهه

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٢/٣

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٢٤/٥

على قدر تفرغه من الشواغل، وتفرغه على قدر زهده، وزهده على قدر محبته ومحبته على قدر علمه بالله، وعلمه على قدر يقينه، ويقينه على قدر كشف الحجاب عنه، وكشف الحجاب على قدر جذب العناية، وجذب العناية على قدر السابقة، وهي سر القدر الذي لم يكشف في هذه الدار. وسقوط العبد من عين الله على قدر قلة تقواه، وقلة تقواه على قدر ضعف توجهه، وضعف توجهه على قدر تشعب همومه، وتشعب همومه على قدر حرصه ورغبته في الدنيا، ورغبته في الدنيا على قدر ضعف محبته في الله، وضعف محبته على قدر جهله به، وجهله على قدر ضعف يقينه، وضعف اليقين من كثافة الحجاب، وكثافة الحجاب من عدم جذب العناية، وعدم جذب العناية من علامة الخذلان السابق، الذي هو سر القدر. والله تعالى أعلم.ثم إن أساس التقوى: الإيمان الصادق دون الكاذب، الذي أشار إليه بقوله:[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١٤ الى ١٥]قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥)يقول الحق جل جلاله: قالت الأعراب أي: بعض الأعراب آمنا، نزلت في نفر من بني أسد، قدموا المدينة في سنة جدبة، فأظهروا الإسلام، ولم يؤمنوا في السر، وأفسدوا طرق المدنية بالعذرات، وأغلوا__________(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وأخرج أحمد فى المسند (٣/ ٣٦) وابن ماجه فى (الزهد ٣/ ٢/ ١٣٩٨، ح ٤١٧٦) عن أبي سعيد الخدري، قال: قال صلى الله عليه وسلم: «من يتواضع لله سبحانه درجة يرفعه الله به درجة، ومن يتكبر على الله درجة، يضعه الله به درجة، حتى يجعله فى أسفل سافلين» .(٢) الآية ٢٨ من سورة فاطر.." (١)

"عشر. فما وجدنا فيها غير بيت أي: غير أهل بيت من المسلمين، وفيه دليل على أن الإسلام والإيمان واحد، أي: باعتبار الشرع، وأما في اللغة فمختلف، والإسلام محله الظاهر، والإيمان محله الباطن. وتركنا فيها أي: في قراهم آية للذين يخافون العذاب الأليم أي: من شأنهم أن يخافوا لسلامة فطرتهم، ورقة قلوبهم، وأما من عداهم من ذوي القلوب القاسية، فإنهم لا يعتبرون بها، ولا يعدونها آية.الإشارة: الإشارة بإبراهيم إلى القلب، وأضيافه: تجليات الحق، فنقول حينئذ: هل بلغك حديث إبراهيم القلب، حين يدخل عليه أنوار التجليات، مسلمة عليه، فينكرها أول مرة، حيث لم يألف إلا رؤية حس الكائنات، فراغ إلى أهله: عوالمه، فجاء بعجل سمين النفس أو السوى، فقربه إليهم، بذلا لها في مرضاة الله، فقال: ألا تأكلون منها، لتذهب عني شوكتها إذ لا تثبت أنوار الشهود إلا بعد محق النفس وموتها، فأوجس منهم خيفة لان صدمات التجلي تدهش الألباب، إلا من ثبته الله، قالوا: لا تخف، أي: لا تكن خوافا، إذ لا ينال هذا السر إلا الشجعان، كما قال الجيلاني «١» :وإياك حزما لا يهولك أمرها ... فما نالها إلا الشجاع المقارعوبشروه بغلام عليم، وهو نتيجة المعرفة، من اليقين الكبير، والطمأنينة العظمى، فأقبلت النفس تصيح، وتقول:أألد هذا الغلام، من هذا القلب، وقد كبر على ضعف اليقين، وأنا عجوز، شخت في العوائد، عقيم من علوم الأسرار؟!، فتقول القدرة: كذلك قال ربك، هو علي هين، أتعجبين من قدرة الله، «من استغرب أن ينقذه الله من شهوته، وأن يخرجه من وجود غفلته. فقد استعجز القدرة الإلهية، وكان الله

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٥/٤٣٧

على كل شيء مقتدرا» «٢» إنه هو الحكيم في ترتيب الفتح على كسب المجاهدة، العليم بوقت الفتح، وبمن يستحقه. قال إبراهيم القلب أو الروح: فما خطبكم أيها التجليات، أو الواردات الإلهية، قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين، وهم جند النفس، لنرسل عليهم حجارة من طين، مسومة عند ربك للمسرفين، وهم الأذكار والأوراد والمجاهدات والرياضات والمعاملات المهلكة للنفس وأوصافها، فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، سالمين من الهلاك، وهو ما كان لها من الأوصاف الحميدة، والعلوم الرسمية، إذ لا تخرج المجاهدة إلا من كان مذموما، فما وجدنا فيها من ذلك إلا النذر القليل إذ معاملة النفس جلها مدخولة، وتركنا فيها آية من تزكية النفس، وتهذيب أخلاقها، للذين يخافون العذاب الأليم، فيشتغلون بتزكيتها لئلا يلحقهم ذلك العذاب.______________(١) الشيخ عبد الكريم الجيلي فى عينيته (ص ٧٨) .(٢) حكمة عطائية رقم (١٩٧) انظر تبويب الحكم (ص ١٨) .." (١)

"حجابا كما تقدم، إلا فتنة لأهل الغفلة، الكافرين بوجود الخصوصية، اختبارا لمن يقف معها، فتحجبه عن ربه، ولمن يتخلص منها، فينفذ إلى ربه، ليستيقن أهل العلم بالله حين يطهروا منها، ويزداد السائرون إيمانا بمجاهدتهم في التخلص منها، ولا يبقى في القلب ريب ولا وهم، وليقول الذين في قلوبهم مرض من ضعف اليقين: ماذا أراد الله بخلق هذه الأمراض في قلوب العباد؟ فيقال: أراد بذلك إضلال قوم عن حضرته، بالوقوف مع تلك الحجب، وهداية قوم، بالنفوذ عنها، وما يعلم جنود ربك القاطعة عنه بقهره تعالى، والموصلة إليه برحمته، إلا هو. وقال الورتجبي: جنوده: عظمته وكبرياؤه وسلطانه وقهره، الذي صدرت منه جنود السموات والأرض، وله جنود قلوب العارفين، وأرواح الموحدين، وأنفاس المحبين، التي يستهلك بها كل جبار عنيد، وكل قهار عتيد. قيل: قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم: إنكم لا تقفون على المخلوقات، فكيف تقفون على الأسامي والصفات؟ !. هـ.ثم حذر من سقر الحظوظ، والسقوط في مهاوي اللحوظ، وأقسم أنها من الدواهي الكبر لمن ابتلي بها، حتى سقط في الحضيض الأسفل من الناس، فمن شاء فليتقدم إلينا بالهروب منها، ومن شاء فليتأخر بالسقوط فيها، والغرق في بحرها. والعياذ بالله.يقول الحق جل جلاله: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ أي: مرهونة، محبوسة عند الله تعالى بكسبها. ورهينة: فعلية، بمعنى مفعولة، وإنما دخلتها التاء، مع أن فعيلا بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، تقول: رجل جريح، وامرأة جريح؛ لأنها هنا لم تتبع موصوفا اصطلاحيا، ومن قال: إن الخبر في معنى الصفة فهي تابعة له، جعل " رهينة " اسما بمعنى الرهن، كالشتيمة بمعنى الشتم، وقيل: إن التاء في رهينة للنقل مع الوصفية للاسمية، لا للتأنيث، كما في نصيحة وذبيحة. هـ. فكل واحد مرهون بذنبه.﴿إلا أصحاب اليمين﴾ فإنهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم، كما يفك." (٢)

"قولكم لا نجد ما ننفق بالمدينة العليم بما فى قلوبكم من ضعف اليقين اخرج عبد بن حميد وابن ابى حاتم والبيهقي وابن عساكر بسند ضعيف وكذا ذكر البغوي عن ابن عمر قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الأنصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال يا ابن عمر كل فقلت لا أشتهيها

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٧٦/٥

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ١٨١/٧

يا رسول الله قال لكنى أشتهيها وهذه صبح رابعة منذ لم اطعم طعاما ولم أجده فقلت انا لله المستعان قال يا ابن عمر لو سالت ربى لاعطانى مثل ملك كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر رض إذا عمرت وبقيت فى قوم يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين قال فو الله ما برحنا ولارمنا حتى نزلت وكأين من دابة الاية. عن انس قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغد. رواه الترمذي وصححه وعن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغذ وخماصا وتروح بطانا- رواه الترمذي وابن ماجة وعن ابن مسعود- قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا قد أمرتكم به وليس من شى يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا قد نهيتكم عنه وان روح القدس نعت فى روعى ان نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها الا فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق ان تطلبوا بمعاصي الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته- رواه البغوي فى شرح السنة وذكره فى المعالم-.ولئن سألتهم يعنى اهل مكة شرط فى جواب قسم محذوف من خلق السماوات والأرض وسخر الشمس والقمر جملة استفهامية واقعة بتأويل المفرد فى محل النصب على المصدرية لقوله سالتهم تقديره سالتهم هذا السؤال ليقولن الله فاعل لفعل محذوف تقديره ليقولن خلقهن الله وقوله ليقولن جواب للقسم لفظا وجزاء للشرط بمعنى يعنى والله لا يقولن الا هذا الجواب لما تقرر فى العقول من انتهاء الممكنات الى واحد واجب لذاته فأنى يؤفكون يعنى فكيف يصرفون عن توحيدهم بعد إقرارهم بذلك.الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له يحتمل ان يكون الموسع له والمضيق عليه واحدا على التعاقب فى الزمان وان يكون على." (١)

"كعذاب الله﴾ ، هو الخوف منهم أن ينالوه بما يكره بسبب الإيمان بالله، وذلك من جملة الخوف من غير الله، وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة، وفي الآية رد على المرجئة والكرامية، وفيها الخوف على نفسك، والاستعداد للبلاء إذ لا بد منه مع سؤال الله العافية.[من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله] .قال: عن أبي سعيد مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".ش: هذا الحديث رواه أبو نعيم في "الحلية"، والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال: ضعيف، وفيه أيضا عطية العوفي، أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين، وقال: ضعفوه وموسى بن بلال، قال الأزدي: ساقط.قلت: إسناده ضعيف، ومعناه صحيح، وتمامه: "وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط".قوله: (إن من ضعف اليقين) ، قال في "المصباح": والضعف بفتح الضاد في لغة تميم وبضمها في لغة قريش: خلاف القوة والصحة. واليقين المراد به: الإيمان كله كما قال ابن مسعود: "اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان"رواه الطبراني بسند صحيح، ورواه أبو نعيم في "الحلية" والبيهقي في "الزهد"." (٢)

"من حديثه مرفوعا ولا يثبت رفعه. قاله الحافظ: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق كما في حديث ابن عباس مرفوعا: "فإن استطعت أن تعمل بالرضى في اليقين فافعل، وإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا".

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢١٣/٧

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤٢٢

وفي رواية أخرى في إسنادها ضعف: "قلت: يا رسول الله: كيف أصنع باليقين؟ قال: أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك" ١.قوله: (أن ترضي الناس بسخط الله) . أي: تؤثر رضاهم على رضى الله، فتوافقهم على ترك المأمور، أو فعل المحظور استجلابا لرضاهم فلولا ضعف اليقين لما فعلت ذلك، لأن من قوي يقينه علم أن الله وحده هو النافع الضار، وأنه لا معول إلا على رضاه، وليس لسواه من الأمر شيء كائنا ما كان فلا يهاب أحدا، ولا يخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى: ﴿ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله وكفى بالله حسيبا﴾ ٢.قوله: (وأن تحمدهم على رزق الله) ، أي: تحمدهم وتشكرهم على ما وصل إليك على أيديهم من رزق، بأن تضيفه إليهم وتنسى المنعم المتفضل على الحقيقة وهو الله رب العالمين الذي قدر هذا الرزق لك، وأوصله إليك بلطفه ورحمته فإنه لطيف لما يشاء وهو العليم الحكيم فإذا أراد أمرا قيض له أسبابا ولا ينافي ذلك حديث: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله". لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق، والمراد بشكر الناس عدم كفر إحسانهم ومجازاتهم على ذلك بما استطعت، فإن لم تجد فجازهم بالدعاء.قوله: (وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله) ، أي: إذا طلبتهم شيئا فمنعوك ذممتهم على ذلك، فلو علمت يقينا أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأن المخلوق مدبر ﴿لا يملك﴾ لنفسه ﴿ضرا ولا_____________١ أبو داود: السنة (٤٧٠٠) .٢ سورة الأحزاب آية: ٣٩.." (١)

"نفعا﴾ فضلا عن غيره، وأن الله لو قدر لك رزقا؛ أتاك ولو اجتهد الخلق كلهم في دفعه، وإن أرادك بمنع لم يأتك مرادك ولو اجتمع الخلق كلهم في إيصاله إليك؛ لقطعت العلائق عن الخلائق وتوجهت بقلبك إلى الخالق تبارك وتعالى، ولهذا قرر ذلك بقوله: "إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره". فلا ترض الخلق بما يسخط الله، ولا تحمدهم على رزق الله، ولا تذمهم على ما لم يؤتك الله طلبا لحصول رزق من جهتهم، ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ ، [فاطر: ٢] .قال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعد الله ولا برزق الله، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفا منهم، ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين، وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما يقدر، كان ذلك من ضعف يقينك فلا تخفهم ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله فهو المذموم، ولما قال بعض وفد بني تميم: "أي محمد أعطني فإن حمدي زين وذمي شين"= قال صلى الله عليه وسلم: "ذاك الله" ت.وفي الحديث أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال داخلة في الإيمان وإلا لم تكن هذه الثلاث من ضعفه وأضدادها من قوته.." (٢)

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤٢٣

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد سليمان بن عبد الله آل الشيخ ص/٤٢٤

"بأمثال هذه الترهات، ويجب عليهم إذا اشتروا بيتا جديدا، أو استأجروه أو ظفروا بجواد، أو تزوجوا عقيلة أو جارية، أن يدعوا الله أن يقدر فيها الخير، ويبارك فيها، ويتعوذوا بالله من شرها، وشر ما جبلت عليه، ولا يشغلوا نفوسهم بالحكم على أمور قد مضت، فيقولوا وافقنا الأمر الفلاني، ولم يوافقنا الأمر الفلاني.أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا عدوى (ﷺ١) ولا هامة ولا صفر» .وقد اشتهر في الجهال أن الذي أصيب بالنهامة فيأكل ولا يشبع، ويسميه الأطباء بجوع الكلب، والعامة بجوع البقر، فقد دخل في بطنه عفريت أو شيطان يأكل كل ما يتناوله الإنسان فلا يشبع، وكانوا يسمونهﷺ__________(ﷺ١) وردت أحاديث بنفي العدوى كما جاء في الحديث الذي رواه البخاري، ووردت أحاديث أخرى في إثباتها، ومنها «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وكثرت أقوال العلماء في ذلك والمرجح حمل الخطاب بالنفي والإثبات على حالتين مختلفتين فحيث جاء «لا عدوى» كان المخاطب بذلك من قوي يقينه وصح توكله بحيث يستطيع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى فعلى هذا يحمل حديث جابر في الأكل مع المجذوم كما سيأتي في متن الكتاب وسائر ما ورد من جنسه، وحيث جاء «فر من المجذوم» كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه فلا يكون له قوة على دفع اعتقاد العدوى فأريد بذلك من أرباب اعتقاد العدوى، وقد فعل صلى الله عليه وسلم كلا الأمرين ليتأسى به كل من الطائفتين، وقال بعضهم: إن المراد بالنفي أن شيئا لا يعدي بطبعه نفيا لما كانت الجاهلية تعتقده بل بإجراء الله تعالى العادة في التعدي، انتهى مقتبسا من «لامع الدراري على جامع البخاري» للمحدث الكبير الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي.." (١)

"أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا﴾عن أبي سعيد الخدري- رضي الله عنه- مرفوعا: " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله__________تعالى ﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ أي: من الإيمان والنفاق﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ ١ أي: صدقوا فثبتوا على٢ الإسلام عند البلاء، قيل: نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بألسنتهم، فإذا أصابهم بلاء من الناس، أو مصيبة في أنفسهم افتتنوا٣.﴾ عن أبي سعيد الخدري –رضي الله عنه- مرفوعا:"إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله٤ ﴿وذلك بأن تترك شيئا أوجبه الله عليك، أو تفعل شيئا حرمه الله عليك خوفا أو رجاء لغير الله تعالى، وتؤثر رضا المخلوق بما يسخط الخالق، وهو من ضعف اليقين، وعدم التصديق بوعد الله ووعيده﴾ وأن تحمدهم على رزق الله ﴿لأنهم لا يستحقون الحمد والثناء، فصرفك الثناء الذي يستحقه المنعم إلى من لا يستحقه من ضعف اليقين أيضا.قال الشاعر:لا تخضعن لمخلوق على طمع ... فإن ذلك نقص منك في الدين__________١ سورة العنكبوت، الآية: ١٠-٢.١١ في "الأصل": (في) ، والمثبت من بقية النسخ.٣ تفسير الآية إلى هذا الموضع منقول من "تفسير البغوي": (٣/٤٦٢) .٤ في "المؤلفات": (بسخط الله تعالى) ، وفي بقية النسخ: (بسخط الله) ، وهو الموافق لأصل الحديث.." (٢)

---

(١) رسالة التوحيد المسمى ب تقوية الإيمان الدهلوي، إسماعيل بن عبد الغني ص/١٥٧

(٢) تحقيق التجريد في شرح كتاب التوحيد عبد الهادي البكري ٢/٣٤٧

"وهو من زعم أن لله شريكا أو كذب بالحق لما جاءه أي: كذب بالرسول الذي أرسل إليه، والكتاب الذي أنزله على رسوله. وقال السدي: كذب بالتوحيد، والظاهر شموله لما يصدق عليه أنه حق. ثم هدد المكذبين وتوعدهم فقال: أليس في جهنم مثوى للكافرين أي: مكان يستقرون فيه، والاستفهام للتقرير، والمعنى: أليس يستحقون الاستقرار فيها وقد فعلوا ما فعلوا؟ ثم لما ذكر حال المشركين الجاحدين للتوحيد الكافرين بنعم الله أردفه بحال عباده الصالحين، فقال: والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا أي: جاهدوا في شأن الله لطلب مرضاته، ورجاء ما عنده من الخير لنهدينهم سبلنا، أي: الطريق الموصل إلينا. قال ابن عطية: هي مكية نزلت قبل فرض الجهاد العرفي «١» ، وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته، وقيل: الآية هذه نزلت في العباد. وقال إبراهيم بن أدهم: هي في الذين يعملون بما يعلمون وإن الله لمع المحسنين بالنصر والعون، ومن كان معه لم يخذل، ودخلت لام التوكيد على مع بتأويل كونها اسما، أو على أنها حرف، ودخلت عليها لإفادة معنى الاستقرار كما تقول: إن زيدا لفي الدار، والبحث مقرر في علم النحو.وقد أخرج ابن مردويه عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما نزلت هذه الآية إنك ميت وإنهم ميتون «٢» قلت: يا رب أيموت الخلائق كلهم ويبقى الأنبياء؟ فنزلت كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون» . وينظر كيف صحة هذا، فإن النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن يسمع قول الله سبحانه إنك ميت وإنهم ميتون يعلم أنه ميت، وقد علم أن من قبله من الأنبياء قد ماتوا، وأنه خاتم الأنبياء، فكيف ينشأ عن هذه الآية ما رواه عنه علي رضي الله عنه من قوله: «أيموت الخلائق ويبقى الأنبياء» فلعل هذه الرواية لا تصح مرفوعة، ولا موقوفة. وأخرج عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، والبيهقي، وابن عساكر، قال السيوطي بسند ضعيف عن ابن عمر قال: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة فجعل يلتقط التمر ويأكل، فقال لي: مالك لا تأكل؟ قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: لكني أشتهيه وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم ويضعف اليقين.قال: فو الله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكأين من دابة لا تحمل رزقها الآية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما، ولا أخبأ رزقا لغد» . وهذا الحديث فيه نكارة شديدة لمخالفته لما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان يعطي نساءه قوت العام كما ثبت ذلك في كتب الحديث المعتبرة. وفي إسناده أبو العطوف الجوزي، وهو ضعيف. وأخرج ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس وإن الدار الآخرة لهي الحيوان قال: باقية. وأخرج ابن أبي الدنيا، والبيهقي في الشعب عن أبي جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان، وهو يسعى لدار الغرور» وهو مرسل.__________(١) . قتال الأعداء.(٢) . الزمر: ٣٠.." (١)

"عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: " إن من ضعف اليقين أن ترضي..

الإيمان تحصل له اللذة ابتداء، ثم يصير له الألم الدائم، والإنسان لا بد أن يعيش مع الناس، والناس لهم تصورات وإرادات،

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٤/٢٤٥

فيطلبون منه أن يوافقهم عليها، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم – إلى أن قال: فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية: " من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا "١.فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة، كما كانت للرسل وأتباعهم. ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان، وأنه إذا أوذي في الله جعل فتنة الناس له هي أذاهم، ونيلهم إياه بالمكروه – وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم – جعل ذلك في فراره منه، وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب، وهذا من ضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة عذاب الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله، وغبن كل الغبن إذا استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه، قال: إني كنت معكم والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق" اهـ.قوله: وعن أبي سعيد مرفوعا: " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره "٢.هذا الحديث رواه أبو نعيم في "الحلية" والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي، وقال ضعيف، وتمام هذا الحديث: " وأنه بحكمته جعل الروح والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط ".قوله: "إن من ضعف اليقين " الضعف بفتح وسكون وتضم ضاده مع سكون العين__________١ سيأتي تخريجه ص (١٧٢) .٢ أبو نعيم في الحلية ٥/١٠٦ و ٤١/١٠ ، والبيهقي في شعب الإيمان رقم (٢٠٧) ، وفي إسناده محمد بن مروان السدي متهم بالكذب انظر فيض القدير ٥٣٩/٢ للمناوي و " ضعيف الجامع " (٢٠٠٧) .." (١)

"وعن عائشة – رضي الله عنها –: أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال: " من التمس رضى الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس "رواه ابن حبان في صحيحه "

"١ ....

............ذنبه، وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله: " إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا ترده كراهية كاره ".وقال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى وما وعد الله به أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره. فإذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم. وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم. وإرضاؤهم بما يسخطه، إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم وذلك من ضعف اليقين. وأما إذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين   عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٦٨

يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم، ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان.قوله: "من التمس " أي طلب، قال شيخ الإسلام: "وكتبت عائشة إلى معاوية ويروى أنها رفعته: " من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئا "هذا لفظ المرفوع، ولفظ الموقوف: " من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاما "وهذا من أعظم الفقه في الدين، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه، وكان عبده الصالح، والله يتولى الصالحين، والله كاف عبده. ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ٢ والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب، ومن أرضى الناس_______________١ رواه الترمذي رقم (٢٤١٦) في الزهد: باب رقم ٦٤، وأبو نعيم في الحلية٨/١٨٨، وابن حبان رقم (١٥٤١) و (١٥٤٢) "موارد" من حديث عائشة – رضي الله عنها –، وهوحديث صحيح كما قال الألباني في " صحيح الجامع" رقم (٥٨٨٦) و (٥٩٧٣) .٢ سورة آية: ٢–٣.." (١)

"الألم الزائل المفارق عن قرب. وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله، فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال: إني كنت معكم، والله أعلم بما انطوى عليه صدره من النفاق". انتهى.وفي الآية رد على المرجئة والكرامية. ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: آمنا بالله. مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله، فلا ينفع القول والتصديق بدون العمل. فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفا وخلفا، والله سبحانه وتعالى أعلم.وفيه الخوف من مداهنة الخلق في الحق. والمعصوم من عصمه الله.قوله: " عن أبي سعيد مرفوعا. " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله؛ إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره " ١".هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي، وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال: ضعيف. وفيه أيضا عطية العوفي: ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين. ومعنى الحديث صحيح، وتمامه: " وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط " ٢.قوله: "إن من ضعف اليقين" الضعف بضم ويحرك، ضد القوة، ضعف ككرم ونصر، ضعفا، وضعفة، وضعافية، فهو ضعيف وضعوف وضعفان. والجمع: ضعاف وضعفاء وضعفة وضعفى، أو الضعف – بالفتح– في الرأي وبالضم في البدن، فهي ضعيفة وضعوف. و "اليقين" كمال الإيمان. قال ابن مسعود: " اليقين الإيمان كله، والصبر نصف الإيمان " رواه أبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعا: قال: ويدخل في ذلك تحقيق الإيمان بالقدر السابق، كما في حديث ابن عباس مرفوعا. ٣" فإن_______________١ ضعيف. أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦) ، (١٠/ ٤١) ، والبيهقي في الشعب (١/ ١٥١ ،

---

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/١٧٠

١٥٢) . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٠٧) .٢ صحيح موقوفا. وعلقه البخاري في صحيحه (١/ ٤٧) كتاب الإيمان. وقال الحافظ في الفتح (١/ ٤٨) : وصله الطبراني بسند صحيح.. "وأخرجه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعا ولا يثبت رفعه" ا. هـ.٣ ضعيف. الرواية الأولى جزء من حديث رواه الحاكم (٣/ ٥٤١) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣١٤) بإسناد ضعيف. والرواية الثانية أخرجها الآجري في الشريعة ص (١٩٨) بسند ضعيف أيضا، والحديث ضعفه ابن رجب في جامع العلوم والحكم ص (١٨٤) .." (١)

"المعنى بقوله في الحديث: " إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره ". كما قال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ ١.قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : " اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله وما وعد الله أهل طاعته، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بسخط الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه؛ فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة. فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مئونتهم. وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين. وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم. فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كانوعن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس " ٢ رواه ابن حبان في صحيحه.ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك؛ ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم. ولما قال بعض وفد بني تميم: "أي محمد أعطني؛ فإن حمدي زين وذمي شين ". قال النبي صلى الله عليه وسلم " ذاك الله " ٣. ودل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأعمال من مسمى الإيمان".قوله: "وعن عائشة –رضي الله عنها– أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ". رواه ابن حبان في صحيحه".هذا الحديث رواه ابن حبان بهذا اللفظ، ورواه الترمذي عن رجل من أهل المدينة قال: "كتب معاوية رضي الله عنه إلى عائشة –رضي الله عنها–: أن اكتبي لي كتابا توصيني فيه، ولا تكثري علي، فكتبت عائشة –رضي الله عنها– إلى معاوية: سلام عليك، أما بعد:__________١ سورة فاطر آية: ٢.٢ صحيح. ابن حبان (١٥٤٢– موارد) . والترمذي: كتاب الزهد (٢٤١٤) باب (٦٤) . وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٧٣) .٣ حسن. أحمد (٣/ ٤٨٨) ، (٦/ ٣٩٣ ، ٣٩٤) عن الأقرع بن حابس، والترمذي كتاب التفسير (٣٢٦٧) : باب ومن سورة الحجرات وقال: حديث حسن غريب من حديث البراء، وحسنه الأرناؤوط في تخريج جامع الأصول (٢/ ٣٦٣) .." (٢)

---

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٤٨

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ص/٣٥٠

"متن الباب ٣١باب: قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] . وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٩] .وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] .عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان في "صحيحه".فيه مسائل:الأولى: تفسير آية آل عمران.الثانية: تفسير آية براءة.الثالثة: تفسير آية العنكبوت.الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.." (١)

"شرح الباب ٣١باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] .وقوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٩] .واعلم أن الخوف خوفان:الأول: خوف من الله وهذا الذي هو أحد جناحي طير الإيمان فالمحبة رأسه والخوف والرجاء جناحاه، وهذا هو المأمور به وهو علامة الإيمان كما قال تعالى: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ . [آل عمران: ١٧٥] .الثاني: خوف مع الله بمعنى أنك تخاف من غيره مثل خوفه أو أشد كما ذكر الله في شأن المنافقين إذ هم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية، وهذا الخوف هو الخوف الشركي المنهي عنه الذي صاحبه يخلد في النار ولا يكون هذا إلا عدم إيمانه بالله وعظمته وجلاله وقهريته وملكوتيته على جميع الخلق وقد ذم الله الذين جعلوا فتنة الناس كعذاب الله في وقوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] .ومعلوم بالضرورة أنه إذا لاحظ ما يجري عليه من محن الناس وفتنتهم عند نطقه بالحق وجعله كعذاب الله سواء حينئذ أرضاهم بسخط الله فيسخط عليه الله ويسخط عليه الناس.عن أبي سعيد مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص." (٢)

"وتتنزل فيه الرحمة والملائكة وينفر عنه الشيطانذكره النوويقال المنذري وأخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وبن ماجه بنحوه٢ - (باب [١٤٤٩] (طول القيام) في الصلاة)وفي بعض الروايات أفضل الصلاة طول القنوت (جهد المقل) بضم الجيم ويفتحقال الطيبي الجهد بالضم الوسع والطاقة وبالفتح المشقة وقيل هما لغتانانتهىقال في النهاية فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غيرانتهىأي أفضل الصدقة قدر ما يحتمله حال القليل المال والجمع بينه وبين قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقينوقيل المراد بالمقل الغني القلب ليوافق قوله أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنىوقيل المراد بالمقل الفقير الصابر على الجوع وبالغني في الحديث الثاني من لا يصبر على الجوع والشدة (وعقر جواده) وأصل العقر ضرب قوائم الحيوان بالسيف وهو قائم والجواد هو الفرس السابق الجيدوقد

---

(١) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٣٥١

(٢) فتح الله الحميد المجيد في شرح كتاب التوحيد حامد بن محسن ص/٣٥٣

تقدم هذا الحديث بهذا الإسناد مختصرا في باب افتتاح صلاة الليل بركعتين٣ – (باب الحث على قيام الليل)[١٤٥٠] (قام من الليل) أي بعضه (فصلى) أي التهجد (وأيقظ امرأته) بالتنبيه أو الموعظة وفي." (١)

"المقل أي قدر ما يحتمله حال القليل المال انتهوالمقل أي الفقير وقليل المال (وابدأ) أيها المتصدق أو المقل (بمن تعول) أي بمن تلزمك نفقته والجمع بين هذا الباب وبين ما تقدم أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين[١٦٧٨] (فوافق ذلك مالا عندي) أي صادف أمره بالتصدق حصول مال عندي فعندي حال من مال والجملة حال مما قبله يعني والحال أنه كان لي مال كثير في ذلك الزمان (أسبق أبا بكر) أي بالمبارزة أو بالمغالبة (إن سبقته يوما) من الأيام وإن شرطية دل على جوابها ما قبلها أو التقدير إن سبقته يوما فهذا يومه وقيل إن نافية أي ما سبقته يوما قبل ذلك فهو استئناف تعليل (فقلت مثله أي) أبقيت مثله يعني نصف ماله (بكل ما عنده) من المال (الله ورسوله) مفعول أبقيت أي رضاهما (إلى شيء) من الفضائل (أبدا) لأنه إذا لم يقدر على مغالبته حين كثرة ماله وقلة مال أبي بكر ففي غير هذا الحال أولى أن لا يسبقه ذكره علي القاريءقال المنذري وأخرجه الترمذي١ – (باب في فضل سقي الماء)(قال الماء) إما لعزته في المدينة في تلك الأيام أو لأنه أحوج الأشياء عادة(إن أم سعد) أراد به نفسه (فأي الصدقة أفضل) أي لروحها (قال الماء) إنما كان الماء أفضل لأنه أعم نفعا في الأمور الدينية والدنيوية خصوصا في تلك البلاد الحارة ولذلك من الله تعالى بقوله وأنزلنا من." (٢)

"أم خالد النميرية كانت من نساء العرب المشهورات بالعقل والذكاء والتدبير في قبيلتها بني نمير وهي مشهورة بأم خالد وشهرتها غلبت اسمها، ولذلك لم تأت الرواة عليه ولها أبيات في ولدها خالد وكان توفي في بعض الغزوات ودفن في الغربة وهي:إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضه ... أتتنا برايات نصاب هبوبهاأتتنا بمسك خالط المسك عنبر ... وريح خزامى باكرتها جنوبهاأحن لذكراه إذا ما ذكرته ... وتنهل عبرات تفيض غروبهاحنين أسير نازح شد قيده ... وأعوال نفس غاب عنها حبيبهاوقالت وهو يروى لأم الضحاك المحاربة:وكيف يساوي خالدا أو يناله ... خميص في التقوى بطين من الخمرأم الخير ابنة الحريش بن سراقة البارقية كانت من المتكلمات الخطيبات البليغات من نساء العرب وفدت على معاوية كما قال عبد الله بن عمر الغساني عن الشعبي أن معاوية كتب إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أم الخير ابنة الحريش ورحلها وأعلمه أنه مجازيه بالخير خيرا، وبالشر شرا بقولها فيه، فلما ورد عليه كتابه ركب إليها فأقرأها كتابه فقالت: وأما أنا فغير زائغة عن طاعته، ولا معتلة بكذب. ولقد كنت أحب لقاء أمير المؤمنين لأمور تختلج في صدري فلما شيعها وأراد مفارقتها قال لها: يا أم الخير إن أمير المؤمنين كتب إلي أنه مجازيني بالخير خيرا، وبالشر شرا فما عندك؟ قالت: يا هذا، لا يطعمك برك بي أن أسرك بباطل ولا يؤيسك معرفتي بك أن أقول فيك غير الحق فسارت خير مسير حتى قدمت على معاوية، فأنزلها مع الحرم.ثم أدخلها في اليوم الرابع وعنده جلساؤه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، قال لها: وعليك السلام يا أم الخير بحق ما دعوتني بهذا الاسم. قالت: يا أمير المؤمنين، لكل أجل كتاب. قال: صدقت، فكيف حالك يا خالة وكيف

---

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٤/٢٢٧

(٢) عون المعبود وحاشية ابن القيم العظيم آبادي، شرف الحق ٥/٦٥

كنت في مسيرك؟ قالت: لم أزل يا أمير المؤمنين في خير وعافية حتى سرت إليك فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق، قال معاوية: بحسن نيتي ظفرت بكم. قالت: يا أمير المؤمنين، يعيذك الله من دحض المقال وما تخشى عاقبته. قال: ليس هذا أردنا، أخبريني كيف كان كلامك إذ قتل عمار بن ياسر؟ قالت: لم أكن زورته قبل ولا رويته بعد وإنما كانت كلمات نفثها لساني عند الصدمة فإن أحببت أن أحدثك مقالا غير ذلك فعلت، فالتفت إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها؟ فقال رجل منهم: أنا أحفظ بعض كلامها يا أمير المؤمنين. قال: هات. قال: كأني بها بين بردين زائرين كثيفي النسيج وهي على جمل أرمك، وبيدها سوط منتشر الضفيرة، وهي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: "يا أيها الناس، اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة في عمياء مدلهمة، فأين تريدون رحمكم الله إفرارا عن أمير المؤمنين أم فرارا من الزحف، أم رغبة عن الإسلام، لأم ارتدادا عن الحق؟ أما سمعتم الله جل شأنه يقول: (ولنبلونكم حتى نعلم المجهدين منكم والصبرين ونبلوا أخباركم) (محمد: ٣١) .ثم رفعت رأسها إلى السماء وهي تقول: اللهم قد عيل الصبر وضعف اليقين وانتشرت الرغبة وبيدك يا رب أزمة القلوب فاجمع اللهم بها الكلمة على التقوى وألف القلوب على الهدى واردد الحق إلى أهله هلموا رحمكم الله إلى الإمام العادل والرضي التقي، والصديق الأكبر إنها إحن بدرية وأحقاد جاهلية وسببها واثب حين الغفلة ليدرك ثارات بني عبد شمس، ثم قالت: قاتلوا أئمة الكفر إنهم لا إيمان." (١)

"متن العلماء وشرح بالعلم صدورهم، وأعلا لهم سندا وصحح الحسن من حديثهم فصار موصولا غير مقطوع ولا متروك أبدا، وحمى قلوبهم عن ضعف اليقين في الدين، فلم تضطرب ولم تنكر الحق بل صارت لإفادته مقصدا. والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد وآله أئمة الهدى، وصحبه نجوم الاهتدا، ما اتصل الحديث وتسلسل، وسلم من العلل، والشذوذ سرمدا. وبعد فهذه قلنسوة التاج، صنعت بأفخر ديباج، بل غنية المحتاج وبل صدى المزاج، وزهرة الابتهاج والقصر المشيد بالأبراج، والمصباح المغني عن أبي السراج، بل الدرع الموصوف بلآلي عوالي غوالي، أحاديث موصولة إلى صاحب الإسراء والمعراج، رصعت باسم الكوكب الوضاح المستنير بأضواء مصباح الفلاح، المتشح باردية أسرار التحقيق والمتزر بملاءة أنوار التوفيق، المنصف في جدله غير محاب لقريب والآتي من تقريره بالعجب العجيب، ذي المناقب التي لا يستوعبها البنان واللسان، ولا يبلغ أداء شكره، ولو أطلقت اللسان بالثناء عليه على ممر الزمان، صاحبنا الفاضل العلامة الجمال محمد بن بدير الشافعي المقدسي رحمه الله تعالى آمين.إن الهلال إذا رأيت نموه ... أيقنت أن سيصير بدرا كاملاأضاء الله بدر كماله، وحرس مجده بجلاله، وهذا أوان الشروع في المقصود بعون الملك المعبود وكتب في آخرها ما نصه:أجزت له إبقاء ربي وحاطه ... بكل حديث حاز سمعي بإتقانوفقه وتاريخ وشعر رويته ... وما سمعت أذني وقال لسانيعلى شرط أصحاب الحديث وضبطهم ... بريئا عن التصحيف من غير نكرانكتبت له خطي واسمي محمد ... وبالمرتضى عرفت والله يرعانيولدت بعام ارخوا فك ختمه ... وبالله توفيقي وبالله تكلانيوكتب معها جواب كتابه ما نصه: أمعاطف أغصان النقا تترنح، أم القلوب بميلانها إلى المحبوب تتروح، ورنات أوتار العيدان بأنات أهل." (٢)

---

(١) الدر المنثور في طبقات ربات الخدور زينب فواز ص/٥٧

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر عبد الرزاق البيطار ص/١٥٠٧

"المقدسة بأنه صلب الرقبة أو كما تقول العرب ((عريض القفا)) على قرب عهده بالوثنية وإحاطة الشعوب الوثنية به من كل جانب لا يليق بحال البشر في طور ارتقائهم؛ إذ لا يربى الرجل العاقل بمثل ما يربى به الطفل أو اليافع، وفي سائر فصول سفر الخروج الثلاثة تفصيل لما قدمه بنو إسرائيل لصنع تلك الدار التي يقدس فيها الله، ولصنع الخيمة والتابوت وغير ذلك، وغرضنا منها معرفة حقيقة التابوت عندهم، فإنك لتجد في بعض كتب التفسير وكتب القصص عندنا أقوالا غريبة عنه، منها أنه نزل مع آدم من الجنة، ومنشأ تلك الأقوال ما كان ينبذ به الإسرائيليون من القصص بين المسلمين مخادعة لهم، ليكثر الكذب في تفسيرهم للقرآن فيضلوا به، ويجد رؤساء اليهود مجالا واسعا للطعن في القرآن يصدون به قومهم عنه.وفي آخر فصول سفر الخروج أن موسى – عليه الصلاة والسلام – وضع اللوحين اللذين فيهما شهادة الله – أي: وصاياه – لبني إسرائيل في التابوت، وفي كتبهم الأخرى أنه كان بعده عند فتاه يشوع – أي: يوشع – وأنهم كانوا يستنصرون بهذا التابوت، فإذا ضعفوا في القتال وجيء به وقدموه تثوب إليهم شجاعتهم، وينصرهم الله تعالى، أي ينصرهم بتلك الشجاعة التي تتجدد لهم بإحضار التابوت لا بالتابوت نفسه ولذلك غلبوا على التابوت فأخذ منهم عندما ضعف يقينهم وفسدت أخلاقهم، فلم يغن عنهم التابوت شيئا كما قال الأستاذ الإمام رحمه الله تعالى.أقول: وفي سفر تثنية الاشتراع (٣١: ٢٤ – ٣٠) ((أن موسى لما كمل كتابة هذه التوراة أمر اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلا: خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون شاهدا عليكم)) .ثم كانت حرب بين الفلسطينيين وبني إسرائيل على عهد عاليا أو عالي الكاهن، فانتصر الفلسطينيون وأخذوا التابوت من بني إسرائيل بعد أن نكلوا بهم تنكيلا فمات عالي قهرا، وكان صموئيل – الذي يدعى في الكتب العربية شمويل – قاضيا لبني إسرائيل من بعده، وهو نبيهم الذي طلبوا منه أن يبعث لهم ملكا ففعل كما تقدم، وجعل رجوع التابوت إليهم آية لملك طالوت الذي أقامه لهم، وقالوا في سبب إتيان التابوت: إن أهل فلسطين ابتلوا بعد أخذ التابوت بالفيران في زرعهم والبواسير في أنفسهم، فتشاءموا منه، وظنوا أن إله إسرائيل انتقم منهم فأعادوه على عجلة تجرها بقرتان، ووضعوا فيه صور فيران وصور بواسير من الذهب جعلوا كفارة لذنبهم.ومن المدون في التاريخ المقدس عندهم أنه لما أحرق البابليون هيكل سليمان فقدت التوراة وتابوت العهد معا لأنهما قد أحرقا فيه.." (١)

"هذا وإن لليقين مراتب ودرجات يعلو بعضها بعضا وحصرها بعضهم في ثلاث: علم اليقين، وحق اليقين، وعين اليقين. فالارتقاء من درجة إلى أخرى زيادة في نفس اليقين. ويروى عن أمير المؤمنين علي – رضي الله عنه – أنه قال: " لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا " وهذا القول مبني على أن اليقين يقبل الزيادة في نفسه، ومن أيقن بأن فلانا طبيب ماهر لأنه رآه نجح في معالجة بعض المرضى يضعف يقينه إذا رآه خاب في معالجة آخرين، ويزداد إذا رآه ينجح آونة بعد أخرى – ولا سيما – في معالجة الأمراض الباطنية التي يعسر تشخيصها.ثم إن فائدة الإيمان إنما تكون بإذعان النفس الذي يحرك فيها الخوف والرجاء وغيرهما من وجدانات الدين التي يترتب عليها ترك المنكر المنهي عنه وفعل المعروف المأمور به، ولولا ذلك لم يكن للدين فائدة في إصلاح حال البشر. وهل يقول عاقل إن الإذعان والخوف والرجاء من الأمور التي لا تقبل

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٢/٣٨٤

الزيادة والنقصان؟ أما إنه لوكان إذعان جميع المؤمنين في درجة واحدة لتساووا في الأعمال ولكنهم متفاوتون فيها تفاوتا عظيما كما هو ثابت بالمشاهدة، فثبت أنهم متفاوتون في منشئها من النفس وهو الإذعان الذي يقوى ويضعف بالتبع للإيمان، وهذا عين قبول الزيادة والنقصان.ومن هنا نفهم معنى إدخال السلف الصالح الأعمال في مفهوم الإيمان، فإن كل اعتقاد له أثر في النفس يتبعه عمل من الأعمال، فهي سلسلة مؤلفة من ثلاث حلقات يحرك بعضها بعضا، والإمام الغزالي يعبر عنها بالعلم والحال والعمل، فيقول: إن العلم بأن كذا يرضي الله – تعالى – أو كذا يسخطه مثلا يحدث في النفس حالا يترتب عليها فعل ما يرضيه ويقتضي مثوبته، وترك ما يسخطه ويقتضي عقوبته. ويقول: إن ترتب بعضها على بعض واجب. وعبارته: إن العلم يوجب الحال والحال يوجب العمل. فارجع إليه في كتاب التوبة وغيره من كتب المجلد الرابع من الإحياء.وأما زيادة الإيمان بزيادة متعلقاته وهي المسائل التي يؤمن بها المؤمن التي يعبر عنها بشعب الإيمان فهي ظاهرة لا تحتاج في بيانها إلى شرح طويل ؛ فإن هذه المسائل لا يمكن أن تتلقى إلا بالتدريج فكلما تلقى المؤمن مسألة منها ازداد إيمانا. وليس هذا خاصا بالكافر الذي يدخل في الإسلام، فإن الناشئ بين المؤمنين مثله في ذلك. وليست المسائل التي تزيد الإنسان معرفتها إيمانا محصورة في النصوص التي جاء بها الرسول – صلى الله عليه وسلم – ؛ فإن القرآن هدانا إلى التفكير والنظر في ملكوت السماوات والأرض لنزداد إيمانا ونعتبر ونستفيد، وذلك يفتح لنا أبوابا من العلم بالله وسننه لا نهاية لها. فكل ما نهتدي إليه في بحثنا ونظرنا من أسرار الكائنات وسنن الله – تعالى – في المخلوقات فإنا نزداد به علما بالله وإيمانا." (١)

"﴿١٣٨، ١٣٩﴾ ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما * الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ .البشارة تستعمل في الخير، وتستعمل في الشر بقيد كما في هذه الآية. يقول تعالى: ﴿بشر المنافقين﴾ أي: الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، بأقبح بشارة وأسوئها، وهو العذاب الأليم، وذلك بسبب محبتهم الكفار وموالاتهم ونصرتهم، وتركهم لموالاة المؤمنين، فأي شيء حملهم على ذلك؟ أيبتغون عندهم العزة؟وهذا هو الواقع من أحوال –[٢١٠]– المنافقين، ساء ظنهم بالله وضعف يقينهم بنصر الله لعباده المؤمنين، ولحظوا بعض الأسباب التي عند الكافرين، وقصر نظرهم عما وراء ذلك، فاتخذوا الكافرين أولياء يتعززون بهم ويستنصرون.والحال أن العزة لله جميعا، فإن نواصي العباد بيده، ومشيئته نافذة فيهم. وقد تكفل بنصر دينه وعباده المؤمنين، ولو تخلل ذلك بعض الامتحان لعباده المؤمنين، وإدالة العدو عليهم إدالة غير مستمرة، فإن العاقبة والاستقرار للمؤمنين، وفي هذه الآية الترهيب العظيم من موالاة الكافرين؛ وترك موالاة المؤمنين، وأن ذلك من صفات المنافقين، وأن الإيمان يقتضي محبة المؤمنين وموالاتهم، وبغض الكافرين وعداوتهم.." (٢)

"باب قول الله تعالى﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ ١ .وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ ٢

---

(١) تفسير المنار   محمد رشيد رضا ٤/١٩٨

(٢) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن   عبد الرحمن السعدي ص/٢٠٩

وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ ٣. وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره" ٤.وعن عائشة – رضي الله عنها – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من التمس رضا الله____________١ سورة آل عمران آية: ٢.١٧٥ سورة التوبة آية: ٣.١٨ سورة العنكبوت آية: ٤.١٠ رواه أبو نعيم (الحلية) ٥ /١٠٦، ١٠ /٤١ من طريق علي بن محمد بن مروان – وهو السدي – ثنا أبي ثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد مرفوعا. قال أبو نعيم: (غريب من حديث عمرو، تفرد به علي بن محمد بن مروان عن أبيه) . وقال المناوي (فيض القدير) ٢ /٥٣٩ حكاية عن البيهقي: (محمد بن مروان السدي أحد رجاله ضعيف) . وقال: وفيه – أيضا – عطية العوفي أورده الذهبي في الضعفاء والمتروكين وقال: ضعفوه. وللحديث طريق أخرى رواها أبو نعيم (الحلية) ١٠ /٤١ من طريق شيخه أبي الفتح ابن الحمصي أحمد بن الحسين بن محمد بن سهل فذكر أن علي بن جعفر البغدادي حدثهم قال: قال أبو موسى الدؤلي: ثنا أبو يزيد البسطامي ثنا أبو عبد الرحمن السفدي عن عمرو بن قيس الملائي عن عطية عن أبي سعيد الخدري مرفوعا. وقال: (وهذا الحديث مما ركب على أبي يزيد، والحمل فيه على شيخنا أبي الفتح فقد عثر منه على غير حديث ركبه) . وفيه– أيضا– عطية العوفي المتقدم.." (١)

"عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: «إن من ضعف اليقين: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره» .." (٢)

"قالها يا أبا عبيدة، نعم. نفر من قدر الله إلى قدر الله. أرأيت لو كان لك إبل فهبطت واديا له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائبا في بعض حاجته فقال: إن عندي من هذا علما، سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: "إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرار منه" قال فحمد الله عمر ثم انصرف. وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه١.وقوله، صلى الله عليه وسلم: "فلا تخرجوا فرارا منه" تقييد للنهي بخروج لقصد الفرار، فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته اللازمة، كما قيد –صلى الله عليه وسلم– الشهادة به للماكث ببلده، بما إذا كان صابرا محتسبا صحيح اليقين ثابت العزيمة قوي التوكل مستسلما لقضاء الله عز وجل، كما قال البخاري رحمه الله تعالى: باب أجر الصابر في الطاعون، حدثنا إسحاق أخبرنا حبان حدثنا داود بن أبي الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحي بن يعمر عن عائشة زوج النبي –صلى الله عليه وسلم– ورضي الله عنها أنها أخبرتنا أنها سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن الطاعون فأخبرها نبي الله، صلى الله عليه وسلم: "أنه كان عذابا يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث في بلده صابرا يعلم أنه لن يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد" ٢. فخرج بهذه الأوصاف من مكث في أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة، ومع هذا فلا يحل له الفرار منه

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط النفائس عبد الرحمن السعدي ص/١١٦

(٢) القول السديد شرح كتاب التوحيد ط الوزارة عبد الرحمن السعدي ص/١٣٠

لعموم النهي وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه، وإن خرج فرارا منه فهي معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله وعلى هذا يحمل حديث أنس عند البخاري أيضا قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: "الطاعون شهادة______________١ مالك في الموطأ "٢/ ٨٩٤ -٨٩٦" في الجامع، باب ما جاء في الطاعون، والبخاري "١٠/ ١٧٨-١٧٩" في الطب، باب ما يذكر في الطاعون، ومسلم "٤/ ١٧٤٠/ ح٢٢١٩" في السلام، باب الطاعون والطيرة والكهانة.٢ البخاري "١٠/ ١٩٢" في الطب، باب أجر الصابر على الطاعون، وفي الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل وفي القدر، باب "قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا".." (١)

"لكل مسلم" ١ فإن مفهوم الحديث الأول أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لا يكون شهيدا وذلك لضعف يقينه، وقد يقال هو شهيد في الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات، كما أن شهداء المعركة الذين يقتلون في معركة الكفار ليسوا سواء؛ بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم وما في قلوبهم، وذلك معلوم من الدين بالضرورة. والله تبارك وتعالى أعلم.الكلام على الطيرة والتطير والغول:وأما الطيرة فهي: ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤما بسماع بعض الكليمات القبيحة كيا هالك أو يا ممحوق ونحوها. وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وما شاكلها إذا صاحت، قالوا إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أو العجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقدا عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لا يبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤما به وكراهة له، وكثير منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليوم خيرا قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أنه لا يجد خيرا، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادي والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولا يعقد فيها نكاحا ولا يعمل فيها عملا مهما ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات في بعض الساعات فلا يستقبلها في سفر ولا أمر حتى تنقضي تلك الساعة أو الساعات. وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين؛ يزعمون أن هناك فلكا دوارا يكون كل يوم أو ليلة في جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة في الوقت الذي يكون فيها هذا الفلك لا ينال خيرا ولا يأمن شرا، وهم في ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله______________١ البخاري "١٠/ ١٧٨" في الطب، باب ما يذكر في الطاعون وفي الجهاد، باب الشهادة سبع سوى القتل، ومسلم "٣/ ١٥٢٢/ ح١٩١٦" في الإمارة، باب بيان الشهداء.." (٢)

"فى الآخرة، هذا، إلى ما يلقى هؤلاء المشركون الضالون من خزى وخذلان فى الدنيا، وعذاب شديد في الآخرة.وفي قوله تعالى: «ولا يستخفنك الذين لا يوقنون» - إشارة لافتة إلى ما قد يرد على النبي- صلوات الله وسلامه عليه- من تلك الخواطر التي تساور بعض النفوس، من المؤمنين الذين اشتدت عليهم وطأة البلاء، وطال بهم الانتظار لملاقاة ما وعدهم الله من نصر، ففى ساعات الضيق والعسرة، قد يتسرب إلى بعض المؤمنين شىء من القلق، وربما شىء من الشك والريب،

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٣/٩٨٩

(٢) معارج القبول بشرح سلم الوصول حافظ بن أحمد حكمي ٣/٩٩٠

ذلك أن للنفس البشرية حدا من الاحتمال والصبر على المكاره، إذا بلغته زايلتها القدرة على الاحتمال، وآذنها الصبر بالرحيل، وعندئذ تنحل العزيمة، ويضعف اليقين، وتبرد حرارة الإيمان، وفي هذا يقول الله تعالى:«أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله؟» (٢١٤: البقرة) .. فهذه حال تعرض المؤمنين، ولن يعصهم منها إلا التحصن بالإيمان، واللياذ باليقين الذي يدفع كل شك في قدرة الله، وفي تحقيق ما وعد المؤمنين به، من نصر، وعافية مما هم فيه من بلاء.فقوله تعالى: «ولا يستخفنك الذين لا يوقنون» دعوة للمؤمنين أن يوثقوا إيمانهم بالله، وأن يمتحنوا هذا الإيمان على محك الشدائد والمحن، فعلى هذا المحك يظهر معدن الإيمان، وتعرف حقيقته..والاستخفاف: أصله من الخفة، والمراد به التحول من حال إلى حال، والانتقال من وضع إلى وضع، عند كل خاطرة، ولأية مسة.. فإن." (١)

"وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ ١ الآية (١) . وعن أبي سعيد مرفوعا: " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله (٢) ،ـــــ(١) أي ومن بعض الناس من يدعي الإيمان بلسانه، ولم يثبت في قلبه: ﴿فإذا أوذي في الله﴾ ، أي لأجل الله جل وعلا، فأصابته محنة اعتقد أنها من نقمة الله فارتد عن الإسلام. قال ابن عباس: يعني فتنته أن يرتد عن دينه إذا أوذي في الله. وقال ابن القيم: ((أخبر عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة، أنه إذا أوذي في الله: ﴿جعل فتنة الناس﴾ له -وهي أذاهم ونيلهم له بالمكروه، وهو الألم الذي لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم- جعل ذلك في فراره منه، وتركه السبب الذي يناله به،: ﴿كعذاب الله﴾ الذي فر منه المؤمنون بالإيمان، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب، وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم، ففر من ألم عذابهم إلى عذاب الله، فجعل ألم فتنة الناس بمنزلة ألم عذاب الله، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال: إني كنت معكم، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق)) اهـ. فلا ينبغي للعبد أن يخاف غير الله، ولا يصدق عليه الإيمان الشرعي إلا باعتقاد القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح، وفيه الخوف من مداهنة الخلق، والمعصوم من عصمه الله، ومطابقة الآية للترجمة أن الخوف من الناس أن ينالوه بما يكره بسبب الإيمان بالله من جملة الخوف من غير الله.(٢) الضعف بالضم في لغة قريش، وبالفتح في لغة تميم ضد القوة والصحة، فالمضموم مصدر ضعف ضعفا كقرب قربا، والمفتوح من باب قتل، واليقين ضد =ـــــــــــــــــ١ سورة العنكبوت آية: ١٠.." (٢)

"إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره (١) ".ـــــ(١) بل كل شيء بقضاء الله وقدره سبحانه وبحمده، قال تعالى: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ ١. ومن علم أن المتفرد بالعطاء والمنع هو الله وحده، وأنه هو الذي يرزق بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب، لم يمدح مخلوقا على رزق، ولم يذمه على منع، ويفوض أمره إلى الله، ويعتمد عليه في أمر دينه ودنياه، ويسلم قلبه له، وقد بايع جماعة

---

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١١/٥٥٠

(٢) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢٤٦

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يسألوا الناس شيئا ولم يبح إلا لضرورة، محافظة على كمال الحب لله، وإخلاص التوكل عليه. قال شيخ الإسلام: اليقين يتضمن اليقين في القيام بأمر الله، وما وعد الله أهل طاعته، واليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره، فإذا أرضيتهم بقدر الله لم تكن موقنا لا بوعده ولا برزقه، فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم، فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله نصرك ورزقك، وكفاك مؤنتهم، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفا منهم، ورجاء لهم، وذلك من ضعف اليقين، وإذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر كان ذلك من ضعف يقينك، فلا تخفهم ولا ترجهم، ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم، ولما قال بعض وفد بني تميم: " أي محمد أعطني فإن حمدي زين وذمي شين ". قال: "ذلك الله عز وجل".______________١ سورة فاطر آية: ٢.." (١)

"والخطاب هنا على نحو الخطاب في الآيات السابقة المبني على تنزيل المخاطبين منزلة أسلافهم لحمل تبعتهم عليهم بناء على ما تقرر من أن خلق السلف يسري إلى الخلف كما بيناه فيما مضى وسنبينه إن شاء الله تعالى عند قوله: أفتطمعون أن يؤمنوا لكم [البقرة: ٧٥] .وإنما تعلقت إرادة الله تعالى بكشف حال قاتلي هذا القتيل مع أن دمه ليس بأول دم طل في الأمم إكراما لموسى عليه السلام أن يضيع دم في قومه وهو بين أظهرهم وبمرأى منه ومسمع لا سيما وقد قصد القاتلون استغفال موسى ودبروا المكيدة في إظهارهم المطالبة بدمه فلو لم يظهر الله تعالى هذا الدم في أمة لضعف يقينها برسولها ولكان ذلك مما يزيدهم شكا في صدقه فينقلبوا كافرين فكان إظهار هذا الدم كرامة لموسى ورحمة بالأمة لئلا تضل فلا يشكل عليكم أنه قد ضاع دم في زمن نبينا صلى الله عليه وسلم كما في حديث حويصة ومحيصة الآتي لظهور الفرق بين الحالين بانتفاء تدبير المكيدة وانتفاء شك الأمة في رسولها وهي خير أمة أخرجت للناس.وقوله: كذلك يحي الله الموتىالإشارة إلى محذوف للإيجاز أي فضربوه فحيي فأخبر بمن قتله أي كذلك الإحياء يحي الله الموتى فالتشبيه في التحقق وإن كانت كيفيةالمشبه أقوى وأعظم لأنها حياة عن عدم بخلاف هاته فالمقصد من التشبيه بيان إمكان المشبه كقول المتنبي:فإن تفق الأنام وأنت منهم ... فإن المسك بعض دم الغزالوقوله: كذلك يحي الله الموتىمن بقية المقول لبني إسرائيل فيتعين أن يقدر وقلنا لهم كذلك يحي الله الموتى لأن الإشارة لشيء مشاهد لهم وليس هو اعتراضا أريد به مخاطبة الأمة الإسلامية لأنهم لم يشاهدوا ذلك الإحياء حتى يشبه به إحياء الله الموتى.وقوله: لعلكم تعقلونرجاء لأن يعقلوا فلم يبلغ الظن بهم مبلغ القطع مع هذه الدلائل كلها.وقد جرت عادة فقهائنا أن يحتجوا بهذه الآية على مشروعية اعتبار قول المقتول:دمي عند فلان موجبا للقسامة ويجعلون الاحتجاج بها لذلك متفرعا على الاحتجاج بشرع من قبلنا، وفي ذلك تنبيه على أن محل الاستدلال بهذه الآية على مشروعية ذلك هو أن إحياء الميت لم يقصد منه إلا سماع قوله فدل على أن قول المقتول كان معتبرا في أمر الدماء. والتوراة قد أجملت أمر الدماء إجمالا شديدا في قصة ذبح البقرة التي قدمناها، نعم إن الآية لا تدل على." (٢)

(١) حاشية كتاب التوحيد عبد الرحمن بن قاسم ص/٢٤٨

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٥٦١/١

"[سورة الأحزاب (٣٣) : آية ١٥]ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار وكان عهد الله مسؤلا (١٥)هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة وهم الذين قال فريق منهم إن بيوتنا عورة [الأحزاب: ١٣] واستأذن النبيء صلى الله عليه وسلم أي كانوا يوم أحد جبنوا ثم تابوا وعاهدوا النبيء صلى الله عليه وسلم أنهم لا يولون الأدبار في غزوة بعدها، وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى: إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما [آل عمران: ١٢٢] فطرأ على نفر من بني حارثة نفاق وضعف في الإيمان فذكرهم الله بذلك وأراهم أن منهم فريقا قلبا لا يرعى عهدا ولا يستقر لهم اعتقاد وأن ذلك لضعف يقينهم وغلبة الجبن عليهم حتى يدعوهم إلى نبذ عهد الله. وهذا تنبيه للقبيلين ليزجروا من نكث منهم. وتأكيد هذا الخبر بلام القسم وحرف التحقيق وفعل كان، مع أن الكلام موجه إلى المؤمنين تنزيلا للسامعين منزلة من يتردد في أنهم عاهدوا الله على الثبات.وزيادة من قبل للإشارة إلى أن ذلك العهد قديم مستقر وهو عهد يوم أحد.وجملة لا يولون الأدبار بيان لجملة عاهدوا.والتولية: التوجه بالشيء وهي مشتقة من الولي وهو القرب، قال تعالى: فول وجهك شطر المسجد الحرام [البقرة: ١٤٤] .والأدبار: الظهور. وتولية الأدبار: كناية عن الفرار فإن الذي استأذنوا لأجله في غزوة الخندق أرادوا منه الفرار ألا ترى قوله إن يريدون إلا فرارا [الأحزاب: ١٣] ، والفرار مما عاهدوا الله على تركه.وجملة وكان عهد الله مسؤلا تذييل لجملة ولقد كانوا عاهدوا إلخ ...والمراد بعهد الله: كل عهد يوثقه الإنسان مع ربه.والمسئول: كناية عن المحاسب عليهكقول النبيء صلى الله عليه وسلم: «وكلكم مسؤول عن رعيته» ،وكما تقدم آنفا عند قوله تعالى: ليسئل الصادقين عن صدقهم [الأحزاب: ٨] وهذا تهديد.." (١)

"حقيقي لأنهم كانوا مؤمنين ولكنهم ظنوا أن استغفار النبيء صلى الله عليه وسلم لهم يمحو ما أضمروه من النكث وذهلوا عن علم الله بما أضمروه كدأب أهل الجهالة فقد قتل اليهود زكرياء مخافة أن تصدر منه دعوة عليهم حين قتلوا ابنه يحيى ولذلك عقب قولهم هنا بقوله تعالى: بل كان الله بما تعملون خبيرا الآية.وجملة يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم في موضع الحال. ويجوز أن تكون بدل اشتمال من جملة سيقول لك المخلفون.والمعنى: أنهم كاذبون فيما زعموه من الاعتذار، وإنما كان تخلفهم لظنهم أن النبيء صلى الله عليه وسلم يقصد قتال أهل مكة أو أن أهل مكة مقاتلوه لا محالة وأن الجيش الذين كانوا مع النبيء صلى الله عليه وسلم لا يستطيعون أن يغلبوا أهل مكة، فقد روي أنهم قالوا: يذهب إلى قوم غزوه في عقر داره (ﷺ١) بالمدينة يعنون غزوة الأحزاب وقتلوا أصحابه فيقاتلهم وظنوا أنه لا ينقلب إلى المدينة وذلك من ضعف يقينهم.قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا.أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما فيه رد أمرهم إلى الله ليعلمهم أن استغفاره الله لهم لا يكره الله على المغفرة بل الله يفعل ما يشاء إذا أراده فإن كان أراد بهم نفعا نفعهم وإن كان أراد بهم ضرا ضرهم فما كان من النصح لأنفسهم أن يتورطوا فيما لا يرضي الله ثم يستغفرونه. فلعله لا يغفر لهم، فالغرض من هذا تخويفهم من عقاب ذنبهم إذ تخلفوا عن نفير النبيء صلى الله عليه وسلم وكذبوا في الاعتذار ليكثروا من التوبة وتدارك الممكن كما دل عليه قوله تعالى بعده قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم [الفتح: ١٦] الآية.فمعنى إن أراد بكم ضرا أو أراد بكم نفعا هنا الإرادة التي جرت على وفق علمه تعالى

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٨٩/٢١

من إعطائه النفع إياهم أو إصابته بضر وفي هذا الكلام توجيه بأنﷺ________(ﷺ١) العقر بضم العين وفتحها: الأصل والمكان. [.....]."(١)

"والتعليق بالشرط في قوله: إن كنتم مؤمنين قصد به تهييج غيرتهم على الإيمان إذ قد علم الله أنهم مؤمنون ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن من الغلبة، كانوا بمنزلة من ضعف يقينه فقيل لهم: إن علمتم من أنفسكم الإيمان، وجيء بإن الشرطية التي من شأنها عدم تحقيق شرطها، إتماما لهذا المقصد.[١٤٠، ١٤١][سورة آل عمران (٣) : الآيات ١٤٠ الى ١٤١]إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين (١٤٠) وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين (١٤١)إن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس.تسلية عما أصاب المسلمين يوم أحد من الهزيمة بأن ذلك غير عجيب في الحرب، إذ لا يخلو جيش من أن يغلب في بعض مواقع الحرب، وقد سبق أن العدو غلب. والمس هنا الإصابة كقوله في سورة البقرة [٢١٤] مستهم البأساء والضراء. والقرح- بفتح القاف في لغة قريش- الجرح، وبضمها في لغة غيرهم، وقرأه الجمهور: بفتح القاف، وقرأه حمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم، وخلف: بضم القاف، وهو هنا مستعمل في غير حقيقته، بل هو استعارة للهزيمة التي أصابتهم، فإن الهزيمة تشبه بالثلمة وبالانكسار، فشبهت هنا بالقرح حين يصيب الجسد، ولا يصح أن يراد به الحقيقة لأن الجراح التي تصيب الجيش لا يعبأ بها إذا كان معها النصر، فلا شك أن التسلية وقعت عما أصابهم من الهزيمة.والقوم هم مشركو مكة ومن معهم.والمعنى إن هزمتم يوم أحد فقد هزم المشركون يوم بدر وكنتم كفافا. ولذلك أعقبه بقوله: وتلك الأيام نداولها بين الناس. والتعبير عما أصاب المسلمين بصيغة المضارع في يمسسكم لقربه من زمن الحال، وعما أصاب المشركين بصيغة الماضي لبعده لأنه حصل يوم بدر.فقوله: فقد مس القوم قرح ليس هو جواب الشرط في المعنى ولكنه دليل عليه أغنى عنه على طريقة الإيجاز، والمعنى: إن يمسكم قرح فلا تحزنوا أو فلا تهنوا وهنا بالشك في وعد الله بنصر دينه إذ قد مس القوم قرح مثله." (٢)

"القرآن. وفيه إيماء إلى أن صفاتهم تسيرها آراؤهم الحصيفة فليسوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، وليسوا ممن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة بأن يكون لينا في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال، قال:حليم إذا ما الحلم زين أهله ... مع الحلم في عين العدو مهيبوقال تعالى: أشداء على الكفار رحماء بينهم [الفتح: ٢٩] .وقوله: يجاهدون في سبيل الله صفة ثالثة، وهي من أكبر العلامات الدالة على صدق الإيمان. والجهاد: إظهار الجهد، أي الطاقة في دفاع العدو، ونهاية الجهد التعرض للقتل، ولذلك جيء به على صيغة مصدر فاعل لأنه يظهر جهده لمن يظهر له مثله. وقوله:ولا يخافون لومة لائم صفة رابعة، وهي عدم الخوف من الملامة، أي في أمر الدين، كما هو السياق.واللومة الواحدة من اللوم. وأريد بها هنا مطلق المصدر، كاللوم لأنها لما وقعت في سياق النفي فعمت زال منها معنى الواحدة كما يزول معنى الجمع في الجمع المعمم بدخول ال الجنسية لأن (لا) في عموم النفي مثل (ال) في

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٦٢/٢٦

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٩٩/٤

عموم الإثبات، أي لا يخافون جميع أنواع اللوم من جميع اللائمين إذ اللوم منه: شديد، كالتقريع، وخفيف واللائمون:منهم اللائم المخيف، والحبيب فنفى عنهم خوف جميع أنواع اللوم. ففي الجملة ثلاثة عمومات: عموم الفعل في سياق النفي، وعموم المفعول، وعموم المضاف إليه. وهذا الوصف علامة على صدق إيمانهم حتى خالط قلوبهم بحيث لا يصرفهم عنه شيء من الإغراء واللوم لأن الانصياع للملام آية ضعف اليقين والعزيمة.ولم يزل الإعراض عن ملام اللائمين علامة على الثقة بالنفس وأصالة الرأي. وقد عد فقهاؤنا في وصف القاضي أن يكون مستخفا باللائمة على أحد تأويلين في عبارة المتقدمين، واحتمال التأويلين دليل على اعتبار كليهما شرعا.." (١)

"والفتنة مرج أحوال الناس واضطراب نظامهم من جراء أضرار ومصائب متوالية، وقد تقدم تحقيقها عند قوله: إنما نحن فتنة في سورة البقرة [١٠٢] . وهي قد تكون عقابا من الله للناس جزاء عن سوء فعلهم أو تمحيصا لصادق إيمانهم لتعلو بذلك درجاتهم إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات [البروج: ١٠] الآية. وسمى القرآن هاروت وماروت فتنة، وسمى النبيء صلى الله عليه وسلم الدجال فتنة، وسمى القرآن مزال الشيطان فتنة لا يفتننكم الشيطان[الأعراف: ٢٧] . فكان معنى الابتلاء ملازما لها.والمعنى: وظنوا أن الله لا يصيبهم بفتنة في الدنيا جزاء على ما عاملوا به أنبياءهم، فهنالك مجرور مقدر دال عليه السياق، أي ظنوا أن لا تنزل بهم مصائب في الدنيا فأمنوا عقاب الله في الدنيا بعد أن استخفوا بعذاب الآخرة، وتوهموا أنهم ناجون منه، لأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم لن تمسهم النار إلا أياما معدودة.فمن بديع إيجاز القرآن أن أومأ إلى سوء اعتقادهم في جزاء الآخرة وأنهم نبذوا الفكرة فيه ظهريا وأنهم لا يراقبون الله في ارتكاب القبائح، وإلى سوء غفلتهم عن فتنة الدنيا وأنهم ضالون في كلا الأمرين.ودل قوله: وحسبوا ألا تكون فتنة على أنهم لو لم يحسبوا ذلك لارتدعوا، لأنهم كانوا أحرص على سلامة الدنيا منهم على السلامة في الآخرة لانحطاط إيمانهم وضعف يقينهم. وهذا شأن الأمم إذا تطرق إليها الخذلان أن يفسد اعتقادهم ويختلط إيمانهم ويصير همهم مقصورا على تدبير عاجلتهم، فإذا ظنوا استقامة العاجلة أغمضوا أعينهم عن الآخرة، فتطلبوا السلامة من غير أسبابها، فأضاعوا الفوز الأبدي وتعلقوا بالفوز العاجل فأساؤوا العمل فأصابهم العذابان العاجل بالفتنة والآجل.واستعير عموا وصموا للإعراض عن دلائل الرشاد من رسلهم وكتبهم." (٢)

"عام للمؤمنين بعدم إقامتهم في دار ظلم ومعصية وبهروبهم منها إلى أرض الله الواسعة حيث تكون لهم حرية العبادة والعمل في سبيله. ومنها أنها نداء للمؤمنين في مكة أو المستضعفين منهم للهروب والخروج من مكة لتكون لهم تلك الحرية.ومنها أن النبي صلى الله عليه وسلم لما اشتد الأذى على المسلمين في مكة وأمرهم بالخروج إلى المدينة قال بعضهم كيف نخرج إليها وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا ويسقينا فأنزل الله الآية الأخيرة. ومنها أنها نزلت في جماعة تخلفوا عن الهجرة من مكة تحسبا من الموت والعوز والضيق في أرض الغربة. ومنها حديث رواه ابن أبي حاتم عن ابن عمر جاء فيه: «أنه دخل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بستانا من بساتين الأنصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقط الرطب بيده ويأكل فقال: كل يا ابن عمر، قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: ولكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٣٨/٦

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٧٦/٦

أطعم طعاما ولم أجده، فقلت: إنا لله، الله المستعان. قال: يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطاني مثل كسرى وقيصر أضعافا مضاعفة ولكني أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حثالة من الناس يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين.قال: فو الله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت وكأين من دابة ... إلخ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله عز وجل لم يأمرني بكنز الدنيا ولا باتباع الشهوات فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله. ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبئ رزقا لغد» «١» . وحديث ابن عمر والقول الذي قبله يقتضيان أن تكون الآيات أو الآية [٥٩] مدنية نزلت لحدتها مع أنه ليس هناك رواية ما بذلك فيما اطلعنا عليه.وقد قيل مثل القول الذي قبل الحديث في مناسبة الآيات الأولى من السورة وأوردناه وعلقنا عليه. والحديث لم يرد في كتب الأحاديث الصحيحة. والأقوال الأخرى محتملة الصحة على ما يلهمه فحوى الآيات وروحها أيضا حيث يلهمان أنها نزلت في ظرف اشتدت فيه الأزمة على المسلمين في مكة. وقد تضمنت_______________(١) النص من تفسير ابن كثير. وقد عقب المفسر عليه بقوله هذا حديث غريب. وأبو العطوف الجزري- وهو أحد رواته- ضعيف. ومع ذلك فإن المفسر البغوي روى هذا النص بخلاف يسير بطرقه.." (١)

"باب قول الله تعالى ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم﴾ الاية...بابقول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ "٨١) . وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ "٨٢" الآية. وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ "٨٣" الآية.عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على مالم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره".وعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من التمس رضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس" رواه ابن حبان في صحيحه.فيه مسائل:الأولى: تفسير آية آل عمران.الثانية: تفسير آية براءة.." (٢)

"فيه مسائل:الأولى "تفسير آية آل عمران) أي قوله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه﴾ والمعنى يخوفكم بأوليائه.الثانية "تفسير آية براءة" أي قوله تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر﴾ الآية. والشاهد قوله: ﴿ولم يخش إلا الله﴾ فأثنى على من أفرده بالخشية فدل على أنها عبادة.الثالثة "تفسير آية العنكبوت" أي قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ ففيها ذم لمن ترك الواجب عليه خوفا من فتنة المخلوق.الرابعة "أن اليقين يضعف ويقوى" أي لقوله: "إن من ضعف اليقين" إلخ فمنطوقه يدل على ضعفه ومفهومه يدل على قوته.الخامسة "علامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث" أي أن ترضي الناس بسخط الله وتحمدهم على رزق الله وتذمهم على ما لم يؤتك الله.السادسة "أن إخلاص الخوف لله من الفرائض" أي لقوله: ﴿وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ فجعله شرطا

---

(١) التفسير الحديث   محمد عزة دروزة ٥/٠٠٥

(٢) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد   عبد الله الدويش ص/١٦٤

في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه لأن المشروط ينتفي عند انتفاء شرطه.السابعة "ذكر ثواب من فعله" أي هو حصول إيمان فاعله ولكونه سببا لرضى الله عن صاحبه.الثامنة "ذكر عقاب من تركه" أي هو انتفاء الإيمان عنه وسخط الله عليه كما في حديث عائشة.." (١)

"﴿الفصل الثاني﴾١٩٥٨- (١١) عن أبي هريرة، قال: يا رسول الله! أي الصدقة أفضل؟ قال: ((جهد المقل، وابدأ بمن تعول)) . رواه أبوداود.١٩٥٩- (١٢) وعن سليمان بن عامر،ـــــ١٩٥٨- قوله: (أي الصدقة أفضل قال جهد المقل) بضم الميم وكسر القاف من الإقلال أي قليل المال يقال أقل الرجل أي قل ماله وافتقر. قال في النهاية: الجهد بالضم الوسع والطاقة، وبالفتح المشقة. وقيل: المبالغة والغاية. وقيل: هما لغتان في الوسع والطاقة. فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير، ومن المضموم حديث الصدقة أي الصدقة أفضل. قال: جهد المقل أي قدر ما يحتمله حال القليل المال - انتهى. والجمع بينه وبين ما تقدم من قوله - صلى الله عليه وسلم - خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى، إن الفضيلة متفاوتة بحسب الأشخاص وقوة التوكل وضعف اليقين. قال البيهقي (ج٤ ص١٨٠) يختلف ذلك باختلاف أحوال الناس في الصبر على الشدة والفاقة والاكتفاء بأقل الكفاية، وساق أحاديث تدل على ذلك. وقال ابن الملك: أي أفضل الصدقة ما قدر عليه الفقير الصابر على الجوع أن يعطيه، والمراد بالغني في قوله خير الصدقة ما كان عن ظهر غني من لا يصبر على الجوع والشدة توفيقا بينهما، فمن يصبر فالإعطاء في حقه أفضل، ومن لا يصبر فالأفضل في حقه أن يمسك قوته، ثم يتصدق بما فضل - انتهى. وقال الشوكاني: بعد ذكر المعارضة بين الحديثين، ويؤيد هذا المعنى أي حديث جهد المقل قوله تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾ [الحشر:٩] ويؤيد الأول حديث الظهر قوله تعالى: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط﴾ [الإسراء:٢٩] ويمكن الجمع بأن الأفضل لمن كان يتكفف الناس إذا تصدق بجميع ماله أن يتصدق عن ظهر غني، والأفضل لمن يصبر على الفاقة أن يكون متصدقا بما يبلغ إليه جهده، وإن لم يكن مستغنيا عنه. ويمكن أن يكون المراد بالغني غني النفس، كما في حديث أبي هريرة عند الشيخين ليس الغني عن كثرة العرض ولكن الغني عن النفس - انتهى. (رواه أبوداود) في الزكاة وسكت عنه هو والمنذري، وأخرجه أيضا أحمد، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والذهبي، وأخرجه البيهقي (ج٤ ص١٨٠) من طريق الحاكم.١٩٥٩- قوله: (وعن سليمان بن عامر) كذا في جميع النسخ الحاضرة مصغرا وهو خطأ من النساخ، والصواب سلمان مكبرا، هكذا وقع في جميع الأصول وكتب الرجال وليس في الصحابة أحد اسمه سليمان بن عامر بالتصغير، وسلمان هذا هو سلمان بن عامر بن أوس بن حجر بن عمرو بن الحارث الضبي صحابي، سكن البصرة،." (٢)

"فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء)) . رواه مسلم.٢٢٥٠- (٦) وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((دعوة المرء المسلم لأخيه،ـــــجواز وقوعها فإذا كانت بمعنى الإخبار عن الوجوب فالإجابة تكون لأحد الثلاثة أشياء إما أن يعجل ما سأل فيه وإما أن يكفر عنه به، وإما أن يدخر له فإذا قال دعوت فلم يستجب لي بطل

---

(١) التوضيح المفيد لمسائل كتاب التوحيد عبد الله الدويش ص/١٦٦

(٢) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٦/٣٧٤

وجوب أحد هذه الثلاثة الأشياء وعري الدعاء من جميعها. وإذا كان بمعنى جواز الإجابة فالإجابة تكون حينئذ بفعل ما دعا به خاصة، ويمنع من ذلك قول الداعي قد دعوت فلم يستجب لي لأن ذلك من باب القنوط وضعف اليقين والسخط – انتهى. (فيستحسر) أي ينقطع ويمل ويفتر وهو بمهملات استفعال من حسر إذا أعي وتعب وانقطع عن الشي. وقال الجزري: الاستحسار الاستنكاف عن السؤال وأصله من حسر الطرف إذا كل وضعف نظره يعني أن الداعي إذا تأخرت إجابته تضجر ومل فترك الدعاء واستنكف – انتهى. (عند ذلك) أي عند رؤيته عدم الاستجابة في الحال (ويدع) بفتح الدال المهلة (الدعاء) أي يتركه مطلقا أو ذلك الدعاء. قال المظهري: من كان له ملالة من الدعاء لا يقبل دعاءه، لأن الدعاء عبادة حصلت الإجابة أو لم تحصل فلا ينبغي للمؤمن أن يمل من العبادة وتأخير الإجابة إما لأنه لم يأت وقتها فإن لكل شيء وقتا مقدارا في الأزل فما لم يأت وقته لا يكون ذلك الشي، وإما لأنه لم يقدر في الأزل قبول دعاءه في الدنيا وإذا لم يقبل دعاءه يعطيه الله في الآخرة من الثواب عوضه، وإما أن يؤخر قبول دعاءه ليلح ويبالغ في الدعاء فإن الله تعالى يحب الإلحاح في الدعاء مع ما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار، ومن يكثر قرع الباب يوشك أن يفتح له، ومن يكثر الدعاء يوشك أن يستجاب له فلا ينبغي أن يترك الدعاء. وقال ابن بطال: المعنى إنه يسأم فيترك الدعاء كالمان بدعاءه أو إنه أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة فيصير كالمبخل للرب الكريم الذي لا تعجزه الإجابة ولا ينقصه العطاء. وفي هذا الحديث أدب من آداب الدعاء وهو أنه يلازم الطلب ويديم الدعاء ولا يستبطىء الإجابة ولا ييأس منها، لما في ذلك من الانقياد والاستسلام وإظهار الافتقار حتى قال بعض السلف لأنا أشد خشية أن أحرم الدعاء من أحرم الإجابة وكأنه أشار إلى حديث ابن عمر الآتي في الفصل الثاني من فتح له منكم باب الدعاء فتحت له أبواب الرحمة – الحديث. (رواه مسلم) وأخرج أيضا مالك والبخاري والترمذي وأبوداود وابن ماجه نحوه مختصرا ومطولا بألفاظ، وفي الباب عن أنس عند أحمد وأبي يعلى والبزار والطبراني، وفيه أبوهلال الراسبي وهو ثقة، وفيه خلاف وبقية رجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح، وعن عبادة الصامت أخرجه الطبراني في الأوسط، وفيه مسلمة بن علي وهو ضعيف كذا في مجمع الزوائد. ٢٢٥٠– قوله: (دعوة المرء المسلم) أي الشخص الشامل للرجل والمرأة (لأخيه) في الدين أي المسلم." (١)

"إن العقيدة السليمة الخالصة التي تستمد من الكتاب والسنة، ولا يخالطها شيء من شوائب الشرك، وألوان البدع، والخرافات لتبعث من دان لله إلى العمل الصالح، والأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، وتجعل منه رجلا مثاليا في الحياة، إن حكم عدل، وإن قال فقوله سديد، وإن عمل كان على جادة الكتاب والسنة، وإن عاشر الناس: وجدوا منه خير سيرة، فمظهره يشرح للناس الإسلام، ويفسره تفسيرا عمليا بقوله وعمله وخلقه، ومن ضعف يقينه أو كانت عقيدته مدخولة قد شابها كثير من البدع والخرافات، أو غلب عليه الغرور والاعتداد برأيه، وإن خالف وحي السماء، أو طغت عليه الشبه، واستولت عليه الشكوك والأوهام، ضرب في كل واد وأخذ في بنيات الطريق وضل السبيل.من أجل ذلك نجد جماعة أنصار السنة المحمدية يكثرون من الكلام في التوحيد في دروسهم، وخطبهم، وقادة الإصلاح المؤيدون من الله بوحيه ونصره، أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.هذا وإن جماعة أنصار السنة المحمدية قد أخذت على نفسها أن تعتصم بكتاب الله،

---

(١) مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح عبيد الله الرحماني المباركفوري ٣٤٩/٧

وتهتدي بهدي الرسول صلى الله عليه وسلم، وتجعل سيرة السلف الصالح نصب أعينها عقيدة، وقولا، وعملا لا تؤثر على ذلك شيئا، ولا ترضى به بديلا من آراء الرجال الضالة، وأهوائهم الزائفة، عملا بقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾ وما في معناه من الآيات والأحاديث، والتزمت ما ألزمها الله به من الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، وعهدت إلي برئاسة الجماعة بعد وفاة مؤسسها بمصر، ورئيسها السابق، فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن الدعوة إلى الدين، ونشر التوحيد خير الجزاء." (١)

"وفي هذا دليل على عظم الدين، وأنه لا ينبغي للإنسان أن يتساهل به، ومع الأسف أننا في عصرنا الآن يتساهل الكثير منا في الدين، فتجد البعض يشترى الشيء وهو ليس في حاجة إليه، بل هو من الأمور الكمالية، يشتريه في ذمته بالتقسيط أو ما أشبه ذلك، ولا يهمه هذا الأمر.وقد تجد إنسانا فقيرا يشترى سيارة بثمانين ألفا أو يزيد، وهو يمكنه أن يشتري سيارة بعشرين ألفا، كل هذا من قلة الفقه في الدين، وضعف اليقين، احرص على ألا تأخذ شيئا بالتقسيط، وإن دعتك الضرورة إلى ذلك فاقتصر على أقل ما يمكن لك، الاقتصار عليه بعيدا عن الدين. نسأل الله أن يحمينا وإياكم مما يغضبه، وأن يقضي عنا وعنكم دينه ودين عباده.٢١٨- وعن أبي هريرة - رضي الله عنه- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أتدرون ما المفلس؟ " قالوا": المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. فقال: " إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار" رواه مسلم.." (٢)

"أنفسكم آيات ﴿أفلا تبصرون﴾ وآيات هنا محذوفة، ولهذا نقول في الإعراب: في أنفسكم، جار ومجرور، خبر لمبتدأ محذوف والتقدير: وفي أنفسكم آيات.والحكمة - والله أعلم - ونحن في علمنا القاصر نظن أن الله حذف هذه الآيات لأنها أمس بالإنسان من الأرض وأدخل بالإنسان من الأرض، لأنها هي في نفسه، في أنفسكم آيات: ليس في تركيب الجسم فحسب، وليس فيما أودعه الله تعالى من القوة فحسب، بل حتى في تقلبات الأحوال، فالإنسان تجده يتقلب من سرور إلى حزن، ومن غم إلى فرح، تقلبات عجيبة عظيمة، حتى إن الإنسان في لحظة يجد نفسه متغيرا، وأحيانا يجد نفسه متغيرا بدون سبب، يكون منشرح الصدر واسع البال مسرورا، وإذا به يغتم بدون سبب، وأحيانا بالعكس، هذا بالنسبة للأحوال النفسية، كذلك أيضا بالنسبة للأحوال الإيمانية، وهي أعظم وأخطر، تجد الإنسان في بعض الأحيان يكون عنده من اليقين ما كأنه يشاهد أمور الغيب مشاهدة حسية، كأنما يرى كل ما أخبر به الله من علوم الغيب، وفي بعض الأحيان يقل هذا اليقين، لأسباب قد تكون معلومة، وقد تكون غير معلومة، لكن من الأسباب المعلومة قلة الطاعة، فإن قلة الطاعة من أسباب ضعف اليقين، فإذا قلت طاعة الإنسان ضعف يقينه، قال الله تعالى: ﴿فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض

---

(١) فتاوى ورسائل سماحة الشيخ عبد الرزاق عفيفي - قسم العقيدة عبد الرزاق عفيفي ص/٣١٨

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ٥٢٧/٢

ذنوبهم﴾ ومنها: اللهو، والغفلة، ولهذا قال الصحابة – رضي الله عنهم – لرسول الله – عليه الصلاة والسلام – إنا إذا كنا عندك وذكرت الجنة والنار فكأنما نراها رأي العين، فإذا ذهبنا إلى أهلنا." [1]

"عن أبي سعيد (مرفوعا: (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله،...________وقوله: ﴿بما في صدور العالمين﴾ ، المراد بالعالمين: كل من سوى الله؛ لأنهم علم على خالقهم، فجميع المخلوقات دالة على كمال الله وقدرته وربوبيته.والله أعلم بنفسك منك ومن غيرك؛ لعموم الآية.وفي الآية تحذير من أن يقول الإنسان خلاف ما في قلبه، ولهذا لما تخلف كعب بن مالك في غزوة تبوك قال للرسول (حين رجع: (إني قد أوتيت جدلا، ولو جلست إلى غيرك من ملوك الدنيا؛ لخرجت منهم بعذر، لكن لا أقول شيئا تعذرني فيه فيفضحني الله فيه ((١) .الشاهد من الآية: قوله: ﴿فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ ، [العنكبوت: من الآية١٠] ، فخاف الناس مثل خوف الله تعالى.قوله: في حديث أبي سعيد: "إن من ضعف اليقين": "من": للتبعيض، والضعف ضد القوة، ويقال: ضعف بفتح الضاد أو ضعف بضم الضاد، وكلاهما بمعنى واحد؛ أي: من علامة ضعف اليقين.قوله: " أن ترضي الناس بسخط الله ":"أن ترضي": اسم إن مؤخرا، و "من ضعف اليقين": خبرها مقدما والتقدير: إن إرضاء الناس بسخط الله من ضعف اليقين.________(١) أخرجه البخاري في (المغازي، باب حديث كعب بن مالك/٣/١٧٦) ، ومسلم في (التوبة، باب حديث توبة كعب/٤/٢١٢٠) .." [2]

"وأن تحمدهم على رزق الله،...________قوله: "بسخط الله": الباء للعوض، يعني: أي تجعل عوض إرضاء الناس سخط الله، فتستبدل هذا بهذا؛ فهذا من ضعف اليقين.واليقين أعلى درجات الإيمان، وقد يراد به العلم، كما تقول: تيقنت هذا الشيء، أي: علمته يقينا لا يعتريه الشك، فمن ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله؛ إذ إنك خفت الناس أكثر مما تخاف الله، وهذا مما ابتليت به الأمة الإسلامية اليوم؛ فتجد الإنسان يجيء إلى شخص فيمدحه، وقد يكون خاليا من هذا المدح، ولا يبين ما فيه من عيوب، وهذا من النفاق وليس من النصح والمحبة، بل النصح أن تبين له عيوبه ليتلافاها ويحترز منها، ولا بأس أن تذكر له محامده تشجيعا إذا أمن في ذلك من الغرور.قوله: " وأن تحمدهم على رزق الله ": الحمد: وصف المحمود بالكمال، مع المحبة والتعظيم، ولكنه هنا ليس بشرط المحبة والتعظيم؛ لأنه يشمل المدح.و"رزق الله": عطاء الله؛ أي: إذا أعطوك شيئا حمدتهم، ونسيت المسبب وهو الله، والمعنى: أن تجعل الحمد كله لهم متناسيا بذلك المسبب، وهو الله؛ فالذي أعطاك سبب فقط، والمعطي هو الله، ولهذا قال النبي (: (إنما أنا قاسم، والله يعطي ((١) .أما إن كان في قلبك أن الله هو الذي من عليك بسياق هذا الرزق، ثم شكرت الذي أعطاك؛ فليست هذا داخلا في الحديث، بل هو من الشرع؛ لقوله: (من صنع إليكم معروفا؛ فكافئوه، فإن لم تجدوا ما________(١) رواه البخاري (كتاب فرض الخمسة/٣١١٦) .." [3]

---

(١) تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد ابن عثيمين ص/١٢٨

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٧٧

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٧٨

"وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله،...______________تكافئونه به؛

فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأتموه ((١) .إذن الحديث ليس على ظاهره من كل وجه، فالمراد بالحمد: أن تحمدهم الحمد المطلق ناسيا المسبب وهو الله (، وهذا من ضعف اليقين، كأنك نسيت المنعم الأصلي، وهو الله (الذي له النعمة الأولى، وهو سفه أيضا؛ لأن حقيقة الأمر أن الذي أعطاك هو الله، فالبشر الذي أعطاك هذا الرزق لم يخلق ما أعطاك، فالله هو الذي خلق ما بيده، وهو الذي عطف قلبه حتى أعطاك، أرأيت لو أن إنسانا له طفل، فأعطى طفله ألف درهم وقال له: أعطها فلانا، فالذي أخذ الدراهم يحمد الأب؛ لأنه لو حمد الطفل فقط لعد هذا سفها؛ لأن الطفل ليس إلا مرسلا فقط، وعلى هذا؛ فنقول: إنك إذا حمدتهم ناسيا بذلك ما يجب لله من الحمد والثناء؛ فهذا هو الذي من ضعف اليقين، أما إذا حمدتهم على أنهم سبب من الأسباب، وأن الحمد كله لله (فهذا حق، وليس من ضعف اليقين.قوله: " وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ": هذه عكس الأولى؛ فمثلا: لو أن إنسانا جاء إلى شخص يوزع دراهم، فلم يعطه، فسبه______________(١) أخرجه أحمد (٢/ ٦٨، ٩٩، ١٢٧) ، والبخاري في "الأدب المفردة" (٢١٦) ، وأبو داود في (الزكاة، باب عطية من سأل بالله/٢/٣١٠) ، والنسائي في (الزكاة، باب من سأل بالله/٥/ ٨٢) ، والطبراني في "الكبير" (١٣٤٦٥، ١٣٤٦٦) ، وابن حبان (٢٠٧١) ، والحاكم (١/ ٤١٢) - وصححه على شرطهما ووافقه الذهبي-، وأبو نعيم في "الحلية" (٩/ ٥٦) ، والبيهقي (٤/١٩٩) . والحديث صححه الحافظ في "تخريج الأذكار"؛ كما في "الفتوحات الربانية" (٥/ ٢٥٠) ، وحسنه السخاوي في "الفتوحات (٧/١٢١) .." [١]

"الثالثة: تفسير آية (العنكبوت) .الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.السابعة: ذكر ثواب من فعله.الثامنة: ذكر عقاب من تركه.______________الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ ، [التوبة: من الآية١٨] ، وسبق.الثالثة: تفسير آية العنكبوت: وهي قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ ، [العنكبوت: من الآية١٠] ، وقد تكلمنا على تفسيرها فيما سبق.الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى: تؤخذ من الحديث: "إن من ضعف اليقين ... " الحديث.الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث: وهي: أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله.السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض: وتؤخذ من قوله (في الحديث: "من التمس ... " الحديث، ووجهه ترتيب العقوبة على من قدم رضا الناس على رضا الله تعالى.السابعة: ذكر ثواب من فعله: وهو رضا الله عنه، وأنه يرضي عنه الناس، وهو العاقبة الحميدة.الثامنة: ذكر عقاب من تركه: وهو أن يسخط الله عليه ويسخط عليه الناس، ولا ينال مقصوده.." [٢]

".. إذا لج لؤم من سفيه لراشد ... توهم رشدا في سفاهه لائمعجبت من الإنسان يعجب وهو في ... نقائص أحوال قسيم السوائميرى جوهر النفس الطليق فيزدهي ... ويذهل عن أعراض جسم لوازمديون اضطرار تقتضي كل ساعة

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٧٩

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ابن عثيمين ٢/٨٥

... فتقترض الأعمار بين المغارموكل فمغرور بحب حياته ... ويغريه بالأدنى خفاء الخواتموجماع مال لا انتفاع له به ... كما مص مشروطا زجاج المحاجمومن عرف الدنيا تيقن أنها ... مطية يقظان وطيفة حالمفلله ساع في مناهج طاعة ... لإيلاف عدل أو لإتلاف ظالمولما حضرت عبد الله بن المبارك الوفاة قال لغلامه: اجعل رأسي على الأرض. فبكى غلامه قال: ما يبكيك؟ قال: ذكرت ماكنت فيه من النعيم وأنت هو ذا تموت على هذه الحال فقال: إني سألت ربي أن أموت على هذه الحال.ثم قال: لقني يا أخي لا إله إلا الله إذا الحال تغير، ولا تعد علي إلا إن تكلمت بعد بكلام. ودخل الحسن البصري على رجل وهو في سياق الموت يجود بنفسه فقال: إن أمرا هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله. ولما حضرت أبا ذر الوفاة قال: يا موت اخنق وعجل فإني أحب لقاء الله.ودخل أبو الدرداء رضي الله عنه على رجل محتضر يجود بنفسه فوجده يقول: الحمد لله. فقال له: أصبت يا أخي أن الله إذا قضى أمرا أحب من عبده أن يحمده عليه. ودخل سفيان الثوري على ولد يجود بنفسه وأبواه يبكيان عنده فقال لهما: لا تبكيا فإني قادم على من هو أرحم منكما. ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى، قالوا: ما يبكيك؟ قال: بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط في النار. وروي أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار.." (١)

"النعم ثلاثة: نعمة حاصلة يعلم بها العبد، ونعمة منتظرة يرجوها، ونعمة هو فيها لا يشعر بها. فإذا أراد إتمام نعمته على عبده، عرفه نعمته الحاضرة، وأعطاه من شكره قيدا يقيدها به حتي لا تشرد فإنها تشرد بالمعصية وتبقي بالشكر، ووفقه لعمل يستجلب به النعمة المنتظرة، وبصره بالطرق التي تسدد وتقطع طريقها، ووفقه لاجتنابها، وإذا بها قد وافقته إليه على أتم الوجوه، وعرفه النعم التي هو فيها ولا يشعر بها.ويحكي أن أعرابيا دخل على الرشيد فقال: أمير المؤمنين ثبت الله عليك النعم التي أنت فيها بإدامة شكرها، وحقق لك النعم التي ترجوها بحسن الظن به ودوام طاعته، وعرفك النعم التي أنت فيها ولا تعرفها لتشكرها، فأعجبه ذلك منه وقال: ما أحسن تقسيمه.قال شقيق بن إبراهيم: أغلق باب التوفيق عن الخلق من ستة أشياء: اشتغالهم بالنعمة عن شكرها، ورغبتهم في العلم وتركهم العمل والمسارعة إلي الذنب وتأخير التوبة، والاغترار بصحبة الصالحين وترك الاقتداء بأفعالهم، وإدبار الدنيا عنهم وهم يتبعونها، وإقبال الآخرة عليهم وهم معرضون عنها.قلت: وأصل ذلك: عدم الرغبة والرهبة، وأصله ضعف اليقين، وأصله ضعف البصيرة، وأصله مهانة النفس ودناءتها، واستبدال الذي هو أدني بالذي هو خير.الناس منذ خلقوا لم يزالوا مسافرين، وليس لهم حط من رحالهم إلا في الجنة أو النار، والعاقل يعلم أن السفر مبني على المشقة وركوب الأخطار، ومن المحال عادة أن يطلب فيه نعيم ولذة وراحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر.." (٢)

".. رب يربي العالمين ببرهويزيدهم من فضله ويواصليعطيهموا ما أملوا من جودهونواله أبدا إليهم واصلتعصيه وهو يسوق نحوك دائمانعما وعن شكر لها أنت غافلستر الذنوب وزاد في بذل العطاما لا تكون لبعضه تستاهلمتفضل أبدا وأنت لجودهتنسى وتغفل هل تعي يا غافليدنوا وتبعد ثم أنت لفضلهبقبائح العصيان منك تقابلوإذا دجى ليل الخطوب وأظلمتطرق

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٨٢/٢

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٤٧٤/٤

السلامة بل قلاك النازلوعلمت أن لا منجي ثم تلاحمتسبل الخلاص وخاب فيها الآملوأيست من وجه النجاة فماطرق وقد عظم البلا المتنازلوقنطت من ضعف اليقين ولم يكنسبب ولا يدنو لها متناوليأتيك من الطافه الفرج الذي." (١)

"(فصل)المراقبة في ثلاثة أشياء: مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه ومراقبة الله عند ورود المعصية بتركها ومراقبة الله في الهم والخواطر والسر والإعلان قال تعالى: ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون﴾ [القصص: ٦٩] وقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك» .قالت أسماء بنت عميس: إنا لعند علي بن أبي طالب بعد ما ضربه ابن ملجم، إذ شهق ثم أغمى عليه ثم أفاق فقال: مرحبا مرحبا، الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الجنة فقيل له ما ترى، قال هذا رسول الله وأخي جعفر وعمي حمزة وأبواب السماء مفتحة والملائكة ينزلون يسلمون علي ويبشرون وهذه فاطمة قد طاف بها وصائفها من الحور وهذه منازلي في الجنة "لمثل هذا فليعمل العاملون".عن كثير بن زيد قال: كبر حكيم بن حزام حتى ذهب بصره ثم اشتكى فاشتد وجعه فقلت لأحضرنه ولأنظرن ما يتكلم به فإذا هو يهمهم ويقول لا إله إلا الله أحبك وأخشاك حتى مات. انتهى.ولما حضرت أبا هريرة الوفاة بكى قالوا ما يبكيك، قال: بعد السفر وقلة الزاد وضعف اليقين وخوف الوقوع من الصراط في النار.ولما حضرت معاذ بن جبل الوفاة قال: أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ثم قال مرحبا بالموت زائر مغيب وحبيب جاء على فاقة اللهم إني كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك.اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الأشجار ولكن لطول ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ومكابدة." (٢)

"صفاقم؛ فضعف فيهم اليقين بالله، فأرضوا الناس بسخط الله، وجاملوهم في معاصي الله، وتعلقوا بهم واشتغلوا عن الله؛ رغبة في نوال حطام الدنيا، أو خوفا من سخطهم؛ فوكلهم الله إلى من تعلقوا بهم ورجوهم، أو خافوا سخطهم؛ فلم يغنوا عنهم من الله شيئا. أولئكم –يا عباد الله– ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا. فحذار من مثل صنيعهم حذار.روت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «من أرضى الله بسخط الناس: كفاه الله مؤونة الناس؛ ومن أرضى الناس بسخط الله: لم يغنوا عنه من الله شيئا» ؛ وفي رواية أخرى: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس» . وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، مرفوعا إلى النبي – صلى الله عليه وسلم – ن قال: «إن من ضعف اليقين: أن ترضى الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره» . وإنها –يا عباد الله– لإرشادات نبوية كريمة، من شأنها أن توجه النفوس للفعال الحقيقي. فالمنعم في الحقيقة هو الله، والمتفرد بالمنع هو رب الأرباب؛ لا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع؛ ومن الناس إلا أسباب ووسائل لإيصال الخير والنعمة، أو الشر والنقمة.فاتقوا الله عباد الله، واملئوا قلوبكم باليقين الصادق والإيمان بالله، وعلقوا القلوب

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان   عبد العزيز السلمان ٦/٣٧٣

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار   عبد العزيز السلمان ١/٣٥

والآمال به وحده دون سواه؛ واذكروا على الدوام قول رسول الله: «من التمس رضا الله بسخط الناس: رضي الله عنه وأرضى عنه الناس؛ ومن التمس رضا الناس بسخط الله: سخط الله عليه، وأسخط عليه." (١)

"في البلاد الإسلامية – جدير ببيان عنه فأقول: ((الشعب)) في لسان العرب، يعني طبقة من طبقات النسب، قال الله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ الآية [الحجرات/ ١٣] .وكانت الأمة الإسلامية – قبل نشوب الاستعمار فيها – جارية على السداد، فلا تسمع ولا تقرأ إلا قولهم: المسلمين: الأمة المسلمة: الأمة الإسلامية. جماعة المسلمين. أمة محمد – صلى الله عليه وسلم –، وهذا من الألفاظ الكريمة، مثل: المؤمنين، المتقين، المحسنين، التي تربطهم بدينهم: الإسلام. لكن بعد أن أطيح بالحكم بالإسلام، ونشبت يد الأعداء في دياره وعملوا على تذويب هوية أمته، وتفريغها من دينها الحق ما وجدوا إلى ذلك سبيلا، خلفوا في بلاد المسلمين صنائع لهم ينفثون في الأمة مبادئهم، وينفذون خططهم حتى في اللفظ والاصطلاح، وهل يستهين بذلك إلا من قل نصيبه من العلم، وضعف يقينه؟لقد بذرت تلك الصنائع ألفاظا؛ لتحويل المسلمين عن الارتباط بإسلامهم إلى قطيع مسحوب الهوية، فألبسوهم الألقاب الجديدة البديلة للألقاب الإسلامية الأصلية، فصاروا: الشعب: الجمهور. الجماهير. الموطنون. المجتمع. ولعل أول صعقة في ذلك كانت على يد: جمال عبد الناصر في: مصر. ثم سرت إلى ما شاء الله من بلدان العالم الإسلامي؛ حينئذ صار لزاما بيان أصل هذا اللفظ في هذا المعنى:لفظ: ((الشعب)) بهذا المعنى – إطلاقه على الأمة – هو مصطلح عبراني لدى اليهود، فهو يعني عندهم: ((بني إسرائيل)) الذي يجمع ثلاثة أوصاف: أنهم أبناء رجل واحد هو: ((إسرائيل)) أي: يعقوب – عليه السلام – وأن هذا الأب الذي يجمعهم (مختار) ؛ لهذا لقبوا أنفسهم: ((الشعب المختار)) أو ((شعب الله المختار)) وأن أرضا واحدة تجمعهم هي: ((فلسطين)) .فانظر كيف يساق المسلمون." (٢)

"المثال الثالث: أشراط الساعة:ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها وأشباه ذلك مما صح به النقل.__________(أ) ما أشراط الساعة؟(ب) وما الدجال؟(ج) ومن أين ينزل ابن مريم؟(د) ومن يأجوج ومأجوج؟(هـ) وما الدابة؟(و) ومتى تطلع الشمس من مغربها؟(أ) قال الله تعالى: ﴿فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها﴾ .والشرط لغة: العلامة، والمراد: علامات قربها، وأعظم أشراطها بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، فهو آخر الأنبياء، وقد ورد ذكر أشراط الساعة في الكتاب والسنة، فنصدق بها، ولو استبعدها من ضعف يقينه.(ب) فمن ذلك خروج الدجال وهو: الكذاب الأشر الذي يدعي أنه الرب، فيجري الله على يديه أمورا من الخوارق، فتنة وابتلاء، وقد تواترت الأحاديث في شأنه، بما يوجب القطع بما تضمنه مجموعها، وقد سردها ابن كثير في الجزء الأول من النهاية، ووصفه فيها بأنه أعور العين اليمنى كأنها." (٣)

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار   عبد العزيز السلمان ٢/٢٦٧

(٢) معجم المناهي اللفظية   بكر أبو زيد ص/٣٠٩

(٣) التعليقات على متن لمعة الاعتقاد لابن جبرين   ابن جبرين ص/١٣٩

"بيان أن الأعمال من الإيمان وأنه يزيد وينقصمر بنا في العقيدة زيادة الإيمان ونقصانه، ودليل ذلك من الكتاب والسنة، وأنه قول أهل السنة والجماعة، والأدلة على ذلك، وفائدة الإيمان بزيادة الإيمان ونقصانه، وفائدة اعتقاد ذلك، والنقص والخلل الحاصل في إيمان من أنكر ذلك.من اعتقد أن الأعمال من مسمى الإيمان فإنه يحرص على استكثار الأعمال الصالحة، ومن اعتقد أن الإيمان يزيد بالطاعة حرص على الاستكثار من أنواع الطاعات، ومن عرف أن إيمانه ينقص بالمعاصي ابتعد عن كل المعاصي حتى لا ينقص بها إيمانه؛ وذلك لأنه يحس أو يستحضر أنه كلما نقص إيمانه بسبب معصية ضعف يقينه، ونقص حظه من الآخرة ومن الأجر، فهو يبتعد عن هذه الآثام التي تكون سببا في نقص الإيمان.لا شك أن الإيمان إذا كان يقبل الزيادة فإنه يقبل النقصان، وقد ذكرنا بعض الأدلة التي تدل على زيادة الإيمان، والأمثلة التي تكون سببا في زيادة الإيمان وفي نقصه، وأن الإنسان إذا استحضر أنه بالكلمة الطيبة يزيد إيمانه، وبالكلمة الخبيثة ينقص إيمانه، وبالنفقة في وجوه الخير يزيد إيمانه، وبالنفقة لغير الله ينقص إيمانه، وبسماع كلام الله وبسماع الخير ونحوه يزيد إيمانه، وبسماع اللغو واللهو والإثم ونحو ذلك ينقص إيمانه، وبالخطوات التي يخطوها إلى عبادة أو إلى مكان عبادة يزداد إيمانه، وبالخطوات التي يخطوها إلى إثم أو محرم ينقص إيمانه؛ من استحضر مثل هذا في جميع أعماله فإنه ولابد سيكون منتبها في كل لحظة، وفي كل عمل، إذا أراد أن يتكلم لم يقدم على الكلام إلا بعد أن يتحقق أنه خير، وأنه زيادة في إيمانه، وأنه يكتب له به حسنات، فيقدم عليه، وإذا أراد أن يتوجه إلى طريق وإلى مسير تفكر: هل له فيه خير؟ وهل هو إيمان أو كفر؟ وهل هو من شعب الإيمان أو من شعب الكفر؟ فلا يقدم إلا بعدما يتحقق أنه عمل بر وخير وهكذا في بقية الأحوال.." (١)

"الدين الباطل، ودخوله في الدين الحق جعل فتنة الناس له أى جعل عذابهم له، وإيذاءهم إياه كعذاب الله أى بمنزلة عذاب الله في الشدة والألم، فيترتب على ذلك أن يتزلزل إيمانه، ويضعف يقينه، بل ربما رجع إلى الكفر بعد الإيمان.وفي جعل هذا البعض فتنة الناس كعذاب الله دليل واضح على ضعف إيمانه، وفساد تفكيره، لأن عذاب الناس له دافع، أما عذاب الله فلا دافع له، ولأن عذاب الناس يترتب عليه ثواب عظيم، أما عذاب الله فهو بسبب غضب الله- سبحانه- على من عصاه، ولأن عذاب الناس معروف أمده ونهايته أما عذاب الله فلا يعرف أحد مداه أو نهايته.ثم بين- سبحانه- حال هذا الفريق إذا ما من الله- تعالى- على المؤمنين الصادقين بنصر، فقال: ولئن جاء نصر من ربك، ليقولن إنا كنا معكم.والضمير في قوله: ليقولن بضم اللام يعود إلى من في قوله: من يقول.باعتبار معناها، كما أن إفراد الضمائر العائدة إليها باعتبار لفظها، أى: هكذا حال ضعاف الإيمان، عند الشدائد يساوون عذاب الناس بعذاب الله، ولا يثبتون على إيمانهم أما إذا جاءكم النصر- أيها الرسول الكريم- فإن هؤلاء الضعاف في إيمانهم، يقولون بكل ثقة وتأكيد: إنا كنا معكم مشايعين ومؤيدين، ونحن إنما أكرهنا على ما قلنا، ومادام الأمر كذلك فأشركونا معكم فيما ترتب على النصر من مغانم وخيرات.وقوله- سبحانه-: أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين رد عليهم في دعواهم الإيمان، وفي قولهم للمؤمنين: إنا كنا معكم والاستفهام لإنكار ما زعموه، ولتقرير علم الله- تعالى- الشامل للسر والعلانية.أى: إن الله- تعالى- عالم بما في صدور العالمين جميعا من خير وشر، وإيمان وكفر. وإن هؤلاء الذين يقولون آمنا، ليس الله- تعالى- في حاجة إلى قولهم، فهو- سبحانه- يعلم

---

(١) شرح الطحاوية لابن جبرين ابن جبرين ٢/٤٥

السر وأخفى وليعلمن الله– تعالى– علما تاما الذين آمنوا به حق الإيمان وليعلمن حال المنافقين، علما لا يخفى عليه شيء من حركاتهم وسكناتهم. وسيجازيهم بما يستحقون من عقاب. وأكد– سبحانه– علمه بلام القسم وبنون التوكيد، للرد على دعاوى ضعاف الإيمان بأقوى أسلوب، وأبلغه، حتى يقلعوا عن نفاقهم، ويتبعوا المؤمنين الصادقين في ثباتهم.ثم حكى– سبحانه– بعد ذلك ما زعمه أئمة الكفر من دعاوى باطلة، ورد عليها فقال:وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم.أى: وقال الذين كفروا للذين آمنوا على سبيل التضليل والإغراء: اتبعوا سبيلنا أى." (١)

"والتعبير بإذا الفجائية في قوله إذا هم يقنطون، للإشارة إلى سرعة يأسهم من رحمة الله– تعالى– حتى ولو كانت المصيبة هينة يسيرة، وذلك لضعف يقينهم وإيمانهم. إذ القنوط من رحمة الله، يتنافى مع الإيمان الحق.ثم عقب– سبحانه– على أحوالهم هذه، بالتعجيب من شأنهم، وبالتقريع لهم على جهلهم، فقال: أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر.أى: أجهل هؤلاء الناس الذين لم يخالط الإيمان قلوبهم، ولم يشاهدوا بأعينهم أن الله– تعالى– بمقتضى حكمته، يوسع الرزق لمن يشاء من عباده. ويضيقه على من يشاء منهم، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا يسأل عما يفعل.إن واقع الناس يشهد ويعلن: أن الله– تعالى– يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، فما لهؤلاء القوم ينكرون هذا الواقع بأفعالهم القبيحة، حيث إنهم يبطرون عند السراء، ويقنطون عند الضراء؟ فالمقصود بالآية الكريمة توبيخهم على عدم فهمهم لسنن الله في خلقه.ثم ختم– سبحانه– الآية بقوله: إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون أى: إن في ذلك الذي ذكرناه لكم من أحوال الناس، ومن قدرتنا على كل شيء لآيات واضحات، وعبر بينات، لقوم يؤمنون بما أرشدناهم إليه، ويعملون بما يقتضيه إيمانهم.ثم بين– سبحانه– بعد ذلك ما يجب على المسلم بالنسبة للمال الذي وهبه الله إياه، فقال– تعالى–:[سورة الروم (٣٠) : الآيات ٣٨ الى ٤٠]فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون (٣٨) وما آتيتم من ربا ليربوا في أموال الناس فلا يربوا عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (٣٩) الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون (٤٠)." (٢)

"فيه من أخطاء فإن الإيمان يوجب قوة القلب، وصدق العزيمة، والصمود في وجه الأعداء، والإصرار على قتالهم حتى تكون كلمة الله هي العليا.والتعليق بالشرط في قوله إن كنتم مؤمنين المراد منه التهييج لنفوسهم حتى يكون تمسكها بالإيمان أشد وأقوى، إذ قد علم الله– تعالى– أنهم مؤمنون، ولكنهم لما لاح عليهم الوهن والحزن بسبب ما أصابهم في أحد صاروا بمنزلة من ضعف يقينه، فقيل لهم: إن كنتم مؤمنين حقا فاتركوا الوهن والحزن وجدوا في قتال أعدائكم، فإن سنة الله في خلقه اقتضت أن تصيبوا من أعدائكم وأن تصابوا منهم إلا أن العاقبة ستكون لكم.فالآية الكريمة تحريض للمؤمنين على الجهاد والصبر، وتشجيع على القتال وتسلية لهم عما أصابهم، وبشارة بأن النصر في النهاية سيكون حليفهم.ثم أضاف– سبحانه– إلى ذلك تسلية جديدة لهم، فأخبرهم بأن ما أصابهم من جراح وآلام قد أصيب أعداؤهم بمثله فقال– تعالى–: إن يمسسكم

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي   محمد سيد طنطاوي ١٨/١١

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي   محمد سيد طنطاوي ٨٨/١١

قرح فقد مس القوم قرح مثله.فقال الفخر الرازي: واعلم أن هذا من تمام قوله- تعالى- ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون فبين- تعالى- أن الذي يصيبهم من القرح لا يصح أن يزيل جدهم واجتهادهم في جهاد العدو، وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى «١» .والمراد بالمس هنا: الإصابة بالجراح ونحوها.والقرح- بفتح القاف- الجرح الذي يصيب الإنسان، والقرح- بضم القاف- الألم الذي يترتب على ذلك وقيل هما لغتان بمعنى واحد وهو الجرح وأثره.والمعنى: إن تكونوا- أيها المؤمنون- قد أصابتكم الجراح من المشركين في غزوة أحد، فأنتم قد أنزلتم بهم من الجراح في غزوة بدر مثل ما أنزلوا بكم في أحد، ومع ذلك فإنهم بعد بدر قد عادوا لقتالكم، فأنتم أولى بسبب إيمانكم ويقينكم ألا تهنوا وألا تحزنوا لما أصابكم في أحد وأن تعقدوا العزم على منازلتهم حتى يظهر أمر الله وهم كارهون.وقيل: إن المعنى إن تصبكم الجراح في أحد فقد أصيب القوم بجراح مثلها في هذه المعركة ذاتها.______________(١) تفسير الفخر الرازي ج ٩ ص ١٤.." (١)

"وقوله ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا الغرض منه تأكيد الوعيد، لأن كل عاقل يعلم أن الله- تعالى- لا يضره كفر الكافرين.أى: ومن ينقلب على عقبيه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بأن يرجع إلى ما كان عليه من الكفر والضلال، فلن يضر الله شيئا من الضرر وإن قل، إنما يضر نفسه بتعريضها للسخط والعذاب، وبحرمانها من الأجر والثواب.ثم أتبع- سبحانه- هذا الوعيد بالوعد فقال: وسيجزي الله الشاكرين أى: وسيثيب الله- تعالى- الثابتين على الحق والصابرين على الشدائد الشاكرين له نعمه في السراء والضراء، سيثيبهم على ذلك بالنصر في الدنيا وبرضوانه في الآخرة.وعبر هنا بالشاكرين ولم يعبر بالصابرين مع أن الصبر في هذا الموطن أظهر، وذلك لأن الشكر في هذا المقام هو أسمى درجات الصبر، لأن هؤلاء المؤمنين الصادقين الذين وقفوا إلى جانب النبي صلى الله عليه وسلم في ساعة العسرة، لم يكتفوا بتحمل البلاء معه فقط، بل تجاوزوا حدود الصبر إلى حدود الشكر على هذه الشدائد التي ميزت الخبيث من الطيب، فالشكر هنا صبر وزيادة، وقليل من الناس هو الذي يكون على هذه الشاكلة، ولذا قال تعالى وقليل من عبادي الشكور فالآية الكريمة قد تضمنت عتابا وتوبيخا لأولئك المسلمين الذين ضعف يقينهم، وفترت همتهم، عند ما أرجف المرجفون في غزوة أحد بأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قتل.كما تضمنت الثناء الجزيل على أولئك الثابتين الصابرين الذين لم تؤثر في قوة إيمانهم تلك الأراجيف الكاذبة، بل مضوا في جهادهم وثباتهم بدون تردد أو تزعزع ولقد كان الثابتون حول رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة أحد كثيرين ومن بينهم أنس بن النضر- رضى الله عنه-، فقد روى البخاري عن أنس- رضى الله عنه- قال: غاب عمى أنس بن النضر عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله. غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين، لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما أصنع.فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون. قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء- يعنى المسلمين-. وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء- يعنى المشركين-.ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ. فقال: يا سعد بن معاذ!! الجنة ورب النضر إني لأجد ريحها من دون أحد.قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع.قال أنس: فوجدنا به بضعا

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٧٣/٢

وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل، وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه.." (١)

"والاستفهام في قوله- تعالى- ألم تر للتعجيب من حال أولئك الذين كانوا يظهرون التشوق إلى القتال فلما فرض عليهم جبنوا عنه.وقوله كفوا أيديكم من الكف بمعنى الامتناع أى: امتنعوا عن مباشرة القتال إلى أن تؤمروا به.والمعنى: ألم ينته علمك يا محمد أو ألم تنظر بعين الدهشة والغرابة إلى حال أولئك الذين كانوا يظهرون شدة الحماسة للقتال، فقيل لهم كفوا أيديكم أى: عن القتال لأنكم لم تؤمروا به بعد وأقيموا الصلاة فإن الصلاة تخلص النفس من أدران المآثم، وتجعلها تتجه إلى الله وحده وآتوا الزكاة فإن الزكاة تطهر النفوس من الشح والبخل، وتربط بين الناس برباط المحبة والتعاون.ثم بين- سبحانه- حالهم بعد أن فرض عليهم القتال فقال: فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية.أى: فحين فرض عليهم القتال وأمروا بمباشرته بعد أن صارت للمسلمين دولة بالمدينة، حين حدث ذلك، إذا فريق منهم- وهم الذين قل إيمانهم، وضعف يقينهم، وارتابت قلوبهم- يخشون الناس أى يخافونهم خوفا شديدا كخشية الله أو أشد خشية أى: يخافون من الكفار أن يقتلوهم كما يخافون من الله أن ينزل بهم بأسه، أو أشد من ذلك.فالمراد بالناس في قوله يخشون الناس أولئك الأعداء الذين كتب الله على المؤمنين قتالهم.." (٢)

"سبب النزول: عن البراء قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب أن يتوجه نحو الكعبة فأنزل الله تعالى ﴿قد نرى تقلب وجهك في السمآء﴾ الآية فقال السفهاء من الناس – وهم اليهود – ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها؟ قال تعالى ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ إلى آخر الآية، أخرجه البخاري.التفسير: ﴿سيقول السفهآء من الناس﴾ أي سيقول ضعفاء العقول من الناس ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ أي ما صرفهم وحولهم عن القبلة التي كانوا يصلون إليها وهي بيت المقدس، قبلة المرسلين من قبلهم؟ ﴿قل لله المشرق والمغرب﴾ أي قل لهم يا محمد الجهات كلها لله له المشرق والمغرب فأينما ولينا وجوهنا فهناك وجه الله ﴿يهدي من يشآء إلى صراط مستقيم﴾ أي يهدي عباده المؤمنين إلى الطريق القويم الموصل لسعادة الدارين ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ أي كما هديناكم إلى الإسلام كذلك جعلناكم يا معشر المؤمنين أمة عدولا خيارا ﴿لتكونوا شهدآء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾ أي لتشهدوا على الأمم يوم القامة أن رسلهم بلغتهم، ويشهد عليكم الرسول أنه بلغكم ﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليهآ﴾ أي وما أمرناك بالتوجه إلى بيت المقدس ثم صرفناك عنها إلى الكعبة ﴿إلا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه﴾ أي إلا لنختبر إيمان الناس فنعلم من يصدق الرسول، ممن يشكك في الدين ويرجع إلى الكفر لضعف يقينه ﴿وإن كانت لكبيرة إلا على الذين هدى الله﴾ أي وإن كان هذا التحويل لشاقا وصعبا إلا على الذين هداهم الله ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ أي ما صح ولا استقام أن يضيع الله صلاتكم إلى بيت المقدس بل يثيبكم عليها، وذلك حين سألوه صلى الله عليه وسلم عمن مات وهو يصلي إلى بيت

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٨٤/٢

(٢) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٢٢/٣

المقدس قبل تحويل القبلة فنزلت، وقوله تعالى ﴿إن الله بالناس لرءوف رحيم﴾ تعليل للحكم أي أنه تعالى عظيم الرحمة بعباده لا يضيع أعمالهم الصالحة التي فعلوها ﴿قد نرى تقلب وجهك في السمآء﴾ لأنه كثيرا ما رأينا تردد بصرك يا محمد جهة السماء تشوقا لتحويل القبلة ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾ أي فلنوجهنك إلى قبلة تحبها، - وهي الكعبة - قبلة أبيك إبراهيم ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ أي توجه في صلاتك نحو الكعبة المعظمة ﴿وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ أي وحيثما كنتم أيها المؤمنون فتوجهوا في صلاتكم نحو الكعبة أيضا ﴿وإن الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم﴾ أي إن اليهود والنصارى ليعلمون أن هذا التحويل للقبلة حق من عند الله ولكنهم يفتنون الناس بإلقاء الشبهات ﴿وما الله بغافل عما يعملون﴾ أي لا يخفى عليه شيء من أعمالهم وسيجازيهم عليها، وفيه وعيد وتهديد لهم.البلاغة: ١ - في قوله ﴿ينقلب على عقبيه﴾ استعارة تمثيلية حيث مثل لمن يرتد عن دينه بمن ينقلب على عقبيه أفاده الإمام الفخر.٢ - ﴿لرءوف رحيم﴾ الرأفة: شدة الرحمة وقدم الأبلغ مراعاة للفاصلة وهي الميم في قوله ﴿صراط مستقيم﴾ وقوله ﴿رءوف رحيم﴾ وكلاهما من صيغ المبالغة.." (١)

"يظن المنافقون أن الأحزاب الذين هزمهم الله تعالى شر هزيمة لم يذهبوا؛ ذلك من شدة الخوف والجبن، ولو عاد الأحزاب إلى «المدينة» لتمنى أولئك المنافقون أنهم كانوا غائبين عن «المدينة» بين أعراب البادية، يستخبرون عن أخباركم ويسألون عن أنبائكم، ولو كانوا فيكم ما قاتلوا معكم إلا قليلا لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم.." (٢)

"(خ م ت د حم) ، وعن أبي ذر - رضي الله عنه - قال: (سئل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (رحمه الله ١) أي الأعمال أفضل؟، قال: " إيمان بالله ورسوله " ، قيل: ثم ماذا؟، قال: " الجهاد في سبيل الله، (وفي رواية: الجهاد سنام العمل) (رحمه الله ٢) قيل: ثم ماذا؟، قال: " حج مبرور (رحمه الله ٣) ") (رحمه الله ٤) (قيل: فأي الصلاة أفضل؟ ، قال: " طول القنوت ، (وفي رواية: طول القيام ") (رحمه الله ٥) قيل: فأي الصدقة أفضل؟ " ، قال: " جهد المقل (رحمه الله ٦) ") (رحمه الله ٧) (قيل: فأي الرقاب أفضل؟ ، قال: " أغلاها ثمنا ، وأنفسها عند أهلها ") (رحمه الله ٨) (قيل: فأي الهجرة أفضل؟ ، قال: " من هجر ما حرم الله عليه " ، قيل: فأي الجهاد أفضل؟ ، قال: " من جاهد المشركين بماله ونفسه " ، قيل: فأي القتل أشرف؟ ، قال: " من أهريق دمه ، وعقر جواده ") (رحمه الله ٩) (قال: فإن لم أستطع) (رحمه الله ١٠) وفي رواية: (فإن لم أفعل؟) (رحمه الله ١١) (قال: " تعين صانعا ، أو تصنع لأخرق (رحمه الله ١٢) ") (رحمه الله ١٣) (قال: فإن لم أستطع) (رحمه الله ١٤) وفي رواية: (فإن لم أفعل؟) (رحمه الله ١٥) (قال: " تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك") (رحمه الله ١٦) رحمه الله__________(رحمه الله ١) السائل هو أبو ذر الغفاري. فتح الباري (ج ١ / ص ٤٣)(رحمه الله ٢) (ت) ١٦٥٨ ، (حم) ٧٨٥٠ ، والتقدير: " الجهاد في سبيل الله ، فإنه سنام العمل " ، وسنام كل شيء أعلاه. تحفة الأحوذي (ج ٤ / ص ٣٣٤)(رحمه الله ٣) (مبرور) أي: مقبول ، ومنه: بر حجك.وقيل: المبرور: الذي لا يخالطه إثم ، وقيل: الذي لا رياء فيه.(فائدة): قال النووي: ذكر في هذا الحديث الجهاد بعد الإيمان ، وفي حديث أبي ذر لم يذكر الحج ، وذكر العتق ،

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٩٠/١

(٢) التفسير الميسر مجموعة من المؤلفين ص/٤٢٠

وفي حديث ابن مسعود بدأ بالصلاة ، ثم البر ، ثم الجهاد ، وفي الحديث المتقدم ذكر السلامة من اليد واللسان.قال العلماء: اختلاف الأجوبة في ذلك باختلاف الأحوال ، واحتياج المخاطبين ، وذكر ما لم يعلمه السائل والسامعون ، وترك ما علموه. ويمكن أن يقال: إن لفظة " من " مرادة ، كما يقال: فلان أعقل الناس والمراد: من أعقلهم ، ومنه حديث " خيركم ، خيركم لأهله " ، ومن المعلوم أنه لا يصير بذلك خير الناس.فإن قيل: لم قدم الجهاد ، وليس بركن ، على الحج ، وهو ركن؟ ،فالجواب: أن نفع الحج قاصر غالبا ، ونفع الجهاد متعد غالبا ، أو كان ذلك حيث كان الجهاد فرض عين ، ووقوعه فرض عين إذ ذاك متكرر ، فكان أهم منه ، فقدم ، والله أعلم. (فتح – ح٢٦)(رحمه الله٤) (خ) ٢٦ ، ٢٣٨٢ ، (م) ١٣٥ – (٨٣) ، (س) ٣١٢٩(رحمه الله٥) (د) ١٤٤٩(رحمه الله٦) الجهد: الوسع والطاقة، أي: أفضل الصدقة قدر ما يحتمله حال القليل المال.والجمع بينه وبين قوله: " أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى "أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص ، وقوة التوكل ، وضعف اليقين.وقيل: المراد بالمقل: الغني القلب ، ليوافق قوله: " أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى ".وقيل: المراد بالمقل: الفقير ، الصابر على الجوع ، وبالغني في الحديث الثاني: من لا يصبر على الجوع والشدة. عون المعبود (٣/ ٣٨٢)(رحمه الله٧) (د) ١٤٤٩ ، (حم) ١٥٤٣٧ ، انظر المشكاة: ٣٨٣٣(رحمه الله٨) (خ) ٢٣٨٢ ، (م) ١٣٦ – (٨٤) ، (جة) ٢٥٢٣ ، (حم) ٩٠٢٦(رحمه الله٩) (د) ١٤٤٩ ، (حم) ١٥٤٣٧ ، صحيح الترغيب والترهيب: ١٣٦٥(رحمه الله١٠) (حم) ٩٠٢٦ ، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده حسن.(رحمه الله١١) (خ) ٢٣٨٢(رحمه الله١٢) (الأخرق): الذي لا يتقن ما يحاول فعله.(رحمه الله١٣) (خ) ٢٣٨٢ ، (م) ١٣٦ – (٨٤)(رحمه الله١٤) (حم) ٩٠٢٦(رحمه الله١٥) (خ) ٢٣٨٢(رحمه الله١٦) (م) ١٣٦ – (٨٤) ، (خ) ٢٣٨٢ ، (خد) ١٦٢ ، (حم) ٩٠٢٦." [1]

"(د حم) ، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قلت: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل؟، قال: " جهد المقل (رحمه الله١) وابدأ بمن تعول " (رحمه الله٢)رحمه الله______________(رحمه الله١) الجهد: الوسع والطاقة، وبالفتح: المشقة.أي: أفضل الصدقة قدر ما يحتمله حال القليل المال.والجمع بينه وبين قوله " أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى " أن الفضيلة تتفاوت بحسب الأشخاص ، وقوة التوكل ، وضعف اليقين.وقيل: المراد بالمقل: الغني القلب ، ليوافق قوله: " أفضل الصدقة ما كان عن ظهر غنى ".وقيل: المراد بالمقل: الفقير الصابر على الجوع.وبالغني في الحديث الثاني: من لا يصبر على الجوع والشدة. عون (٣/ ٣٨٢)(رحمه الله٢) (د) الزكاة (١٦٧٧) ، (حم) ٨٦٨٧." [2]

"رضي الله عنه على الصدقات.وروى أبو داود عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: ولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من بني مخزوم على الصدقة.والنص على العامل في الآية يدل على أن أخذ الزكاة إلى الإمام، ويجب دفعها له، ولا يجزي رب المال أن يعطيها إلى المستحقين، ويؤكده قوله تعالى:خذ من أموالهم صدقة [التوبة ٩/ ١٠٣] .لكن يعارض ذلك قوله تعالى: والذين في أموالهم حق معلوم، للسائل والمحروم [المعارج ٧٠/ ٢٥- ٢٤] والحق يجوز لمن يجب عليه دفعه للسائل والمحروم مباشرة. لذا فصل العلماء فقالوا:أ- إن كان مال الزكاة خفيا (باطنا) كالنقود:

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٦/٢٧٧

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٧/٢٣٣

فيجوز بالإجماع للمالك أن يفرقه بنفسه أو أن يدفعه إلى الإمام.ب- وإن كان مال الزكاة ظاهرا كالماشية والزرع والثمر: فيجب دفعه إلى الإمام في رأي الجمهور لأن حق المطالبة فيه للإمام، فيدفع إليه كالخراج والجزية.وقال الشافعي في الجديد: يجوز للمالك توزيعه بنفسه لأنه زكاة كزكاة المال الخفي.٤- المؤلفة قلوبهم: وهم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام، يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم. وهم نوعان: مسلمون وكفار، يعطون ليتقوى إسلامهم.أما الكفار حال كونهم كفارا: فيعطون من الزكاة في مذهب الحنابلة والمالكية، ترغيبا في الإسلاملأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «أعطى المؤلفة قلوبهم من المسلمين والمشركين» «١» .______________(١) نيل الأوطار: ٤/ ١٦٦ [.....]."[1]

"مثمر مقبل في غاية الجودة، فجمع بين القوت والفاكهة. فقوله: وحففناهما بنخل أي وجعلنا النخل محيطا بالجنتين.والرجلان أخوان أو صديقان أو شريكان من بني إسرائيل، أحدهما: كافر مغتر بدنياه، والثاني: مؤمن موحد بالله.والقصد من هذا المثل العظة والعبرة، فقد آل حال الكافر المغرور إلى الدمار والإفلاس، لكفران النعم وعصيان الله، وظل المؤمن الفقير على طاعة الله، بالرغم من معاناته الشدائد والمتاعب، فآتاه الله الخلود في الجنة.كلتا الجنتين آتت أكلها أي أخرجت الجنتان ثمرها.ولم تظلم منه شيئا ولم تنقص منه شيئا في كل عام.وفجرنا خلالهما نهرا أي وشققنا وأجرينا وسط الجنتين نهرا، تتفرع عنه عدة جداول، لسقي جميع الجوانب.وكان له ثمر أي وكان لصاحب البستانين أنواع أخرى من المال من النقدين (الذهب والفضة) بسبب التجارة وتنمية ثمار الأرض.وأدى به هذا الغنى إلى الزهو والكبرياء والاغترار بالمال، شأن كل غني مغرور. فقال لصاحبه وهو يحاوره: أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا أي فقال صاحب هاتين الجنتين لصاحبه المؤمن الفقير، وهو يجادله ويخاصمه ويحاوره الحديث، ويفتخر عليه: أنا أكثر منك ثروة، وأعز نفرا، أي أكثر خدما وحشما وولدا، وأقوى عشيرة ورهطا يدافعون عني.وازداد به الغرور ظنه استمرار تلك الثروة وعدم فنائها لقلة عقله وضعف يقينه بالله، وهذا ما حكاه القرآن عنه:ودخل جنته وهو ظالم لنفسه ... أي ودخل هذا الثري المترف بستانه ذا." [2]

"ولا ألم، قال الله تعالى: الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس «١» ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا [البقرة: ٢/ ٢٧٥] . ثم قال الله تعالى مبينا حال المؤمنين الصالحين:إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون (٢٧٧) [البقرة: ٢/ ٢٧٧] .آية الدينينظم الإسلام شؤون المعاملات والعقود بين الناس على أساس من الحق والعدل والحكمة، وصان حقوق الناس وحفظ أموالهم وندبهم إلى توثيق عقودهم ومعاملاتهم المؤجلة بالكتابة والسندات، والشهادة والشهود، على سبيل الاحتياط للناس، وتجنبا من احتمال إنكار أصل الحق أو عدم الاعتراف به، بسبب قلة التدين، وضعف اليقين، وفساد الذمة، واستبداد الطمع والجشع.جاء تنظيم المعاملات في أطول آية في القرآن الكريم، عناية بها، وحرصا على المصالح، ومنع المنازعات والخصومات بسبب المال، قال الله تعالى:[سورة البقرة (٢) : آية ٢٨٢]يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب أن يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذي عليه

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٦٩/١٠

(٢) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٥٢/١٥

الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيئا فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا ولا تسئموا أن تكتبوه صغيرا أو كبيرا إلى أجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا إذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد وإن تفعلوا فإنه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم (٢٨٢)«٢» «٣» «٤»ـــــــــــــــــ(١) الجنون والخبل.(٢) الإملال هو الإملاء، أي وليمل وليقر.(٣) لا ينقص.(٤) أن يملي ويقر.." (١)

"وفي الحديث: «أن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأطاب الكلام، وتابع الصلاة والصيام، وقام بالليل والناس نيام» (أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي مالك الأشعري مرفوعا) ﴿وعلى ربهم يتوكلون﴾ في أحوالهم كلها في دينهم ودنياهم، ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمصار، ولهذا قال تعالى: ﴿وكأين من دآبة لا تحمل رزقها﴾ أي لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تدخر شيئا لغد، ﴿والله يرزقها وإياكم﴾ أي الله يقيض لها رزقها على ضعفها وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء، والحيتان في الماء، قال تعالى: ﴿وما من دآبة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾، وروى ابن حاتم عن ابن عمر قال: خرجت مع الرسول صلى الله عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: «يا ابن عمر ما لك لا تأكل؟» قال، قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: «لكني أشتهيه وهذا صبح رابعة منذ لم أذق طعاما، ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر، فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟» قال فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دآبة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم"، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله عز وجل لم يأمروني بكنز الدنيا، ولا باتباع الشهوات، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية، فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارا ولا درهما ولا أخبأ رزقا لغد (الحديث أخرجه ابن أبي حاتم وفي إسناده ضعف كذا قال ابن كثير)، وعن أبي هريرة قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سافروا تربحوا، وصوموا تصحوا وغزوا تغنموا» (أخرجه الإمام أحمد، ورواه البيهقي عن ابن عمر مرفوعا باللفظ (سافروا تصحوا وتغنموا). وقوله: ﴿وهو السميع العليم﴾ أي السميع لأقوال عباده ﴿العليم﴾ بحركاتهم وسكناتهم.." (٢)

"- ٢٠ - يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبآئكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاوهذا أيضا من صفاتهم القبيحة في الجبن والخور والخوف، ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ بل

---

(١) التفسير الوسيط للزحيلي وهبة الزحيلي ١٦٢/١

(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٤٣/٢

هم قريب منهم وإن لهم عودة إليهم، ﴿وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم﴾ أي ويودون إذا جاءت الأحزاب أنهم لا يكونون حاضرين معكم في المدينة، بل في البادية يسألون عن أخباركم وما كان من أمرهم مع عدوكم، ﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا﴾ أي ولو كانوا بين أظهركم لما قاتلوا معكم إلا قليلا، لكثرة جبنهم وذلتهم وضعف يقينهم والله سبحانه وتعالى العالم بهم.." (١)

"﴿كلتا الجنتين آتت أكلها﴾ أي أخرجت ثمرها ﴿ولم تظلم منه شيئا﴾ أي لم تنقص منه شيئا ﴿وفجرنا خلالهما نهرا﴾ أي والأنهار متفرقة ههنا وههنا ﴿وكان له ثمر﴾ قيل، المراد به المال، وقيل: الثمار، وهو أظهر ههنا، ﴿فقال﴾ أي صاحب هاتين الجنتين ﴿لصاحبه وهو يحاوره﴾ أي يجادله ويخاصمه، يفتخر عليه ويترأس ﴿أنا أكثر منك مالا وأعز نفرا﴾ أي أكثر خدما وحشما وولدا، قال قتادة: تلك والله أمنية الفاجر، كثرة المال، وعزة النفر. وقوله: ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ أي بكفره وتمرده وتجبره وإنكاره المعاد، ﴿قال ما أظن أن تبيد هذه أبدا﴾ وذلك اغترار منه، لما رأى فيها من الزروع والثمار والأشجار والأنهار المطردة في جوانبها وأرجائها ظن أنها لا تفنى ولا تفرغ ولا تهلك ولا تتلف، وذلك لقلة عقله وضعف يقينه بالله وإعجابه بالحياة الدنيا وزينتها، وكفره بالآخرة، ولهذا قال: ﴿وما أظن الساعة قآئمة﴾ أي كائنة، ﴿ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها منقلبا﴾ أي ولئن كان معاد ورجعة إلى الله ليكونن لي هناك أحسن من هذا الحظ عند ربي، ولولا كرامتي عليه ما أعطاني هذا، كما قال في الآية الأخرى ﴿ولئن رجعت إلى ربي إن لي عنده للحسنى﴾، وقال: ﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولدا﴾.." (٢)

"والغفلة تأتي عقبي النسيان والترك، قال تعالى: ((ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه. [الكهف: ٢٨]والغفلة صفة ذم ونقص نهى الله عز وجل عنها عباده وحذر منها ونزه نفسه العلية عنها فقال عز وجل (وما الله بغافل عما تعملون) [البقرة: ٧٤]وقال تعالى (وما كنا عن الخلق غافلين) [المؤمنون: ١٧]وقال تعالى ((ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون)) [إبراهيم: ٤٢]، ونهى نبيه صلى الله عليه وسلم وحذره في الوقوع في الغفلة حاثا على كثرة الذكر وملازمته.قال تعالى ((واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين) [الأعراف: ٢٠٥]وبين الله سبحانه وتعالى أن أهل النار أهل الغفلة فقال عز وجل (والذين هم عن آياتنا غافلون *أولئك مأواهم النار) [يونس ٨،٧]إن الإعراض عن دار الخلود يورث في هذه الدنيا هشاشة في المواقف والنوازل، وإيثارا للراحة والسلامة، وملاينة للأعداء، وتنصلا من المسؤوليات الجسام؛ فمن كانت الدنيا همه وشغله؛ أتراه يبذل وقته وماله وقلمه في سبيل الله تعالى؛ فضلا عن أن يقدم مهجته؟!قال تعالى: (ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون) [الروم ٦، ؟]أي أن قلوبهم وإرادتهم توجهت إلى الدنيا وشهواتها فعملت لها وغفلت عن الآخرة فلا تشتاق إلى الجنة ولا تخشى النار، وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة.والغفلة عن الآخرة، وضعف اليقين بأحوال القيامة قد شمل القاصي والداني، والبر والفاجر، والذكر والأنثى – إلا ما شاء الله – فمستقل ومستكثر، وفتش نفسك هل أنت سالم؟!لقد حذر السلف الصالح

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٨٨/٢

(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٤١٩/٢

من الغفلة عن الآخرة، وعدم تذكر أهوال الآخرة وزواجرها؛(حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع له شمله، وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له.." (١)

"(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح البخاري) أنها قالت: لما قدم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعك أبو بكر وبلال قالت فدخلت عليهما فقلت يا أبت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك قالت وكان أبو بكر إذا أخذته الحمى يقول كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله وكان بلال إذا أقلع عنه يرفع عقيرته فيقول ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل وهل أردن يوما مياه مجنة وهل تبدون لي شامة وطفيل قال قالت عائشة فجئت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته فقال اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد وصححها وبارك لنا في صاعها ومدها وانقل حماها فاجعلها بالجحفة.ومن حسن العيادة . أيضا . التنفيس في أجل المريض كأن يقال له: لابأس عليك ستشفى بإذن الله، أو إن هذا المرض ليس خطيرا وسيعافيك الله –إن شاء الله– ونحو هذا الكلام، ما لم تظهر عليه علامات قرب أجله، وذلك لأن التنفيس عن أجل المريض، يساعد كثيرا في سرعة البرء من المرض، وهذا علاج مجرب ومعروف بين الناس.﴿تنبيه﴾: شكوى المريض لا تخلو من حالين:الأولى: أن تكون على سبيل التضجر والجزع، وهذا لا شك في كراهيته لأنه دليل على ضعف اليقين وعدم الرضا بقضاء الله وقدره.والثانية: على سبيل الإخبار عن الحال دون الالتفات إلى المخلوقين أو التعلق بهم، وهذا لا ريب في إباحته والدليل يعضده.(حديث عائشة الثابت في صحيح ابن ماجة) قالت: رجع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من البقيع فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي وأنا أقول وا رأساه فقال بل أنا يا عائشة وا رأساه ثم قال ما ضرك لو مت قبلي فقمت عليك فغسلتك وكفنتك وصليت عليك ودفنتك.." (٢)

"(حديث أبي سعيد رضي الله عنه الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أوصني، قال عليك بتقوى الله فإنها جماع كل خير.(وقد أمر النبي بالتقوى سرا وعلانية بنص السنة الصحيحة كما جاء في الحديث الآتي:(حديث أبي ذر رضي الله عنه الثابت في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أوصيك بتقوى الله تعالى في سر أمرك و علانيته و إذا أسأت فأحسن و لا تسألن أحدا شيئا و لا تقبض أمانة و لا تقض بين اثنين.[*] قال الإمام المناوي رحمه الله تعالى في فيض القدير:(أوصيك بتقوى الله في سر أمرك وعلانيته) أي في باطنه وظاهره والقصد الوصية بإخلاص التقوى وتجنب الرياء فيها قال حجة الإسلام: وإذا أردنا تحديد التقوى على موضع علم السر نقول الحد الجامع تبرئة القلب عن شر لم يسبق عنك مثله بقوة العزم على تركه حتى يصير كذلك وقاية بينك وبين كل شر قال: وهنا أصل أصيل وهو أن العبادة شطران اكتساب وهو فعل الطاعات واجتناب وهو تجنب السيئات وهو التقوى وشطر الاجتناب أصلح وأفضل وأشرف للعبد من الاكتساب يصوموا نهارهم ويقوموا ليلهم

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١/١٨٨

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١٠/١١٣

واشتغل المتنبهون أولو البصائر والاجتناب إنما همتهم حفظ القلوب عن الميل لغيره تعالى والبطون عن الفضول والألسنة عن اللغو والأعين عن النظر إلى ما لا يعنيهم(وإذا أسأت فأحسن) ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾(ولا تسألن أحدا) من الخلق(شيئا) من الرزق ارتقاء إلى مقام التوكل فلا تعلق قلبك بأحد من الخلق بل بوعد الله وحسن كفايته وضمانه ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها﴾ وقد قال أهل الحق: ما سأل إنسان الناس إلا لجهله بالله تعالى وضعف يقينه بل إيمانه وقلة صبره وما تعفف متعفف إلا لوفور علمه بالله وتزايد معرفته به وكثرة حيائه منه(ولا تقبض أمانة) وديعة أو نحوها مصدر أمن بالكسر أمانة فهو أمين ثم استعمل في الأعيان مجازا فقيل الوديعة أمانة ونحو ذلك والنهي للتحريم إن عجز عن حفظها وللكراهة إن قدر ولم يثق بأمان نفسه وإن وثق بأمانة نفسه فإن قدر ووثق ندب بل إن تعين وجب(ولا تقض بين اثنين) لخطر أمر القضاء وحسبك في خطره خير من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين والخطاب لأبي ذر وكان يضعف عن [ص ٧٦] ذلك كما صرح به في الحديث.(والتقوى هي الميزان الصحيح والمقياس الدقيق المعتبر لتفضيل الناس بعضهم على بعض:." (١)

"لأن الانحراف والفتور والتراجع ينشأ عن ضعف اليقين، كلما كان الإيمان أقوى كلما تحققت الاستقامة، وتكاملت، وتمت، قال تعالى: ((فاصبر إن وعد الله حق)) [الروم:٦٠].فاليقين يحمل على الصبر، والصبر هو قاعدة الاستقامة، فكل من الصبر واليقين عماد للاستقامة.فالاستقامة والسير على الطريق، وامتثال الأوامر، واجتناب النواهي تفتقر إلى اليقين والصبر.فما يؤتى الإنسان إلا من ضعف إيمانه، ومن ضعف يقينه، ومن ضعف صبره.(٣) الإخلاص لله تعالى ومتابعة السنة:وهما شرطا قبول العمل المتلازمين، قال تعالى: (قل إنمآ أنا بشر مثلكم يوحى إلي أنمآ إلهكم إله واحد فمن كان يرجو لقآء ربهوقال تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) (البينة: الآية: ٥).(حديث أبي هريرة صحيح مسلم): أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال – قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه(حديث جندب ابن عبد الله في الصحيحين): أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال من سمع سمع الله به ومن يرائي يرائي الله به.(حديث أبي أمامة صحيح النسائي): أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال إن الله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغي به وجهه.(٤) محاسبة النفس:قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) [سورة: الحشر – الأية: ١٨][*] (قال ابن كثير رحمه الله تعالى: أي حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم. اهـ.فالمحاسبة تحفظ المسلم من الميل عن طريق الاستقامة.(٥) حفظ الجوارح عن المحرمات:." (٢)

"رحبت ... حتى يعاودها فتسكن نفسه وتقر عينه، ولو عطل المجرم المعصية، وأقبل على الطاعة، لضاقت عليه نفسه وضاق صدره وأعيت عليه مذاهبه حتى يعادوها، حتى إن كثيرا من الفساق ليواقع المعصية من غير لذة يجدها ... "

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٢١/٥

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٩٤/٥

١.والعواطف المستقرة المتوجهة إلى حب المعاصي مخالفة للفطرة، وبذلك ينتج عنها قلق وخوف يلازم القلب، يقوى بقوة تلك العواطف ويضعف بضعفها.والقلق والخوف من أقوى الموجهات القلبية إلى الجنوح إلى العديد من العادات والأعمال التي يصطاد بها المروجون للأفكار الهدامة، وإذا كان القلق ناتجا عن شبهة –ثارت في القلب لضعف اليقين– كان دافعا إلى الخوض في المناهج المخالفة للحق، طالبا اليقين، وسيأتي تفصيل ذلك عند الكلام على أثر الإيمان في طمأنينة القلب في الفصل القادم إن شاء الله.وخلاصة ما تقدم: أن المعاصي تحدث أثرا عظيما في القلب، ينتج عنه بعد العاصي عن الله، ويغطي الران القلب فيظلم، وتضعف بصيرته وتعقله كما تزداد فيه مادة الشر، وتتوجه الإرادات إليه، وبذلك تنهد الأسوار المنيعة التي كانت تحوط القلب وتحصنه من مخططات ووساوس_______________١ المصدر السابق ص٥٧، ٥٨.." [(١)]

"تقول: "إن للقائم غيبة ويجحده أهله" وحينما سأل زرارة – الموضوع عليه الخبر (رحمه الله١) . – عن سبب ذلك قال أبو جعفر – فيما تزعم الرواية –: "يخاف، وأومأ بيده إلى بطنه" (رحمه الله٢) .ومن الفجوات كذلك أنه لا أحد من أسرة الحسن ولا غيرهم، يعلم بولادته ولا بمنشئه فوضعوا روايات تقول: "يبعث الله لهذا الأمر غلاما منا، خفي الولادة والمنشأ" (رحمه الله٣) .ومن تتبع رواياتهم بهذه الطريقة وجد العجب.كما قاموا من جهة أخرى بوضع روايات تجعل من انتظار الفرج بخروج القائم من أفضل الأعمال وأعظمها وذلك – فيما يظهر – لطرد الملل من طول الانتظار، وإزالة الأسى الناتج عن شدة الترقب، والشعور بالحرمان من صحبة القائم الإمام. جاء في الكافي: "أقرب ما يكون العباد من الله جل ذكره وأرضى ما يكون عنهم إذا افتقدوا حجة الله جل وعز ولم يظهر لهم ولم يعلموا مكانه وهم في ذلك يعلمون أنه لم تبطل حجة الله جل ذكره ولا ميثاقه، فعندها فتوقعوا الفرج صباحا ومساء" (رحمه الله٤) .فجعلوا الغيبة أمارة على ظهور الفرج مع أنه قد مضى اليوم على الغيبة أكثر من ألف ومائة سنة، ولم يقع شيء من هذه الوعود، فما تأثير ذلك على من يقرأ أمثال هذه الأماني من الشيعة؟! ألا يزداد الشك ويضعف اليقين، وقد يبحث عن مذهب آخر سوى الإسلام، لأنه قيل له – زورا وبهتانا – إن هذا المهدي الموعود متفق عليه بين السنة والشيعة.ولهم روايات كثيرة في عقيدة الانتظار، وقد ذكر المجلسي منها (٧٧) روايةرحمه الله_______________(رحمه الله١) لأنه مات قبل نشوء فكرة الغيبة(رحمه الله٢) الغيبة للنعماني: ص١١٨(رحمه الله٣) أصول الكافي: ١/٣٤١-٣٤٢، الغيبة للنعماني: ص١١٢(رحمه الله٤) أصول الكافي: ١/٣٣٣، بحار الأنوار: ٥٢/١٤٥." [(٢)]

"مستمرة، إيثارا للسلامة، وطلبا للراحة، واستصغار للدعوة وأصحابها، ألا يكون هذا أعظم إثما ممن تخلف عن معركة واحدة.ألا يكون موقف هذا المعتزل للدعوة والدعاة يوحي بعدم اكتراثه واهتمامه بالإسلام والمسلمين؟إن الخوف من أهم الأسباب التي تقعد بضعاف الإيمان عن الموالاة في الله والمعاداة فيه.إن الذين يعيشون لبطونهم وفروجهم، أخوف ما يخافون على حظوظهم الدنيوية، ولذلك تراهم يضحون بالإسلام والمسلمين، من أجل ذلك، فيدفعهم الخوف والجبن إلى تملق كل صاحب سلطة، ومجاراة كل طاغية، وإلى تحريف الكلم عن مواضعه طلبا لرضا ذوي السلطان، وأقل هؤلاء درجة من يلوذون

---

(١) أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة   عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع ١/٣٦٩

(٢) أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد –   ناصر القفاري ٢/٨٥٩

بالصمت، في أشد المواقف حاجة إلى كلمة الحق عند السلطان الجائر.فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره» (رحمهم الله١) وهذا يدل على أن إيثار رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه، نوع من الشرك، لأنه قدم رضا المخلوق على رضا الخالق عز وجل، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه (رحمهم الله٢).فالواجب على المسلم إذا عرف الحق أن يتبعه وأن يقول به دونرحمهم الله______________(رحمهم الله١) الجامع الفريد ص (١٤٤).(رحمهم الله٢) المصدر السابق ص (١٤٥).." (١)

"الأصل في هذه المسألة أنه لا يجوز إعطاء الكفار من أهل الحرب وما دونهم مساعدات مالية أو عينية، إلا لغرض يراد به صالح الإسلام والمسلمين، فبذل المال للكفار بلا هدف أو غاية سامية شرعية أمر لا يجوز لأنه حينئذ يدخل في مجال التبذير في أقل الأحوال والله عز وجل قد ذم المبذرين وعدهم إخوان الشياطين وبالرجوع إلى الكتاب والسنة نجد أن هناك أدلة تبيح بذل المال للكفار عند تأليف قلوبهم على الإسلام قال الله تعالى: (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم) (رحمهم الله١)، ولم يرد ذكر للمؤلفة قلوبهم فيما عدا هذه الآية وقد اختلف المفسرون في المراد بالمؤلفة قلوبهم على أقوال منها ما يلي:أولا: إن المراد بالمؤلفة قلوبهم قوم كانوا في صدر الإسلام ممن يظهر الإسلام يتألفون بدفع سهم من الصدقة إليهم لضعف يقينهم (رحمهم الله٢).ثانيا: قال الزهري: إن المؤلفة قلوبهم من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنيا (رحمهم الله٣).ثالثا: قال بعض المتأخرين: إنهم صنف من الكفار يعطون ليتألفوا على الإسلام، وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف، ولكن يسلمون بالعطاء والإحسان (رحمهم الله٤).رابعا: قال بعض العلماء هم قوم أسلموا في الظاهر ولم تستيقن قلوبهم، فيعطون ليتمكن الإسلام في صدورهم (رحمهم الله٥).خامسا: قال جماعة إن المؤلفة قلوبهم هم قوم من عظماء المشركينرحمهم الله______________(رحمهم الله١) سورة التوبة آية (٦٠).(رحمهم الله٢) انظر تفسير القرطبي ج٨ ص١٧٨.(رحمهم الله٣) انظر تفسير القرطبي ج٨ ص١٧٨.(رحمهم الله٤) انظر تفسير القرطبي ج٨ ص١٧٩.(رحمهم الله٥) المصدر السابق المكان نفسه.." (٢)

"وإياكم وهو السميع العليم﴾ (رحمهم الله١).ومن لطائف ما ذكر في تفسير هذه الآية ما أورده ابن كثير رحمه الله: «ثم أخبرهم تعالى أن الرزق لا يختص ببقعة، بل رزقه تعالى عام لخلقه حيث كانوا وأين كانوا، بل كانت أرزاق المهاجرين حيث هاجروا أكثر وأوسع وأطيب، فإنهم بعد قليل صاروا حكام البلاد في سائر الأقطار والأمطار؛ ولهذا قال: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها﴾ أي: لا تطيق جمعه وتحصيله ولا تؤخر شيئا لغد، ﴿الله يرزقها وإياكم﴾ أي: الله يقيض لها رزقها على ضعفها، وييسره عليها، فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه، حتى الذر في قرار الأرض، والطير في الهواء والحيتان في

---

(١) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٤١٠/١

(٢) الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية محماس الجلعود ٧٧٣/٢

الماء، قال الله تعالى: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ (رحمه الله٢).وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: خرجت مع رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى دخل بعض حيطان المدينة، فجعل يلتقط من التمر ويأكل، فقال لي: «يا بن عمر، مالك لا تأكل؟» قال: قلت: لا أشتهيه يا رسول الله، قال: «لكني أشتهيه، وهذه صبح رابعة منذ لم أذق طعاما ولم أجده، ولو شئت لدعوت ربي فأعطاني مثل ملك قيصر وكسرى فكيف بك يا بن عمر إذا بقيت في قوم يخبئون رزق سنتهم بضعف اليقين؟». قال: فوالله ما برحنا ولا رمنا حتى نزلت: ﴿وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم﴾ (رحمه الله٣). فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله لم يأمرني بكنز الدنيا، ولا بإتباع الشهوات، فمن كنز دنياه يريد بها حياة باقية فإن الحياة بيد الله، ألا وإني لا أكنز دينارارحمه الله_____________(رحمه الله١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.(رحمه الله٢) سورة هود، الآية: ٦.(رحمه الله٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.." (١)

"باب قول الله تعالى ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ (آل عمران:١٧٥)وقوله ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ (التوبة:١٨).وقوله ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ (العنكبوت:١٠).عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا (إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره). (رحمه الله١)وعن عائشة رضي الله عنها؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من التمس رضى الله بسخط الناس؛ رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله؛ سخط الله عليه وأسخط عليه الناس). رواه ابن حبان في صحيحه. (رحمه الله٢)فيه مسائل:الأولى: تفسير آية (آل عمران).الثانية: تفسير آية (براءة).الثالثة: تفسير آية (العنكبوت).الرابعة: أن اليقين يضعف ويقوى.الخامسة: علامة ضعفه، ومن ذلك هذه الثلاث.السادسة: أن إخلاص الخوف لله من الفرائض.السابعة: ذكر ثواب من فعله.الثامنة: ذكر عقاب من تركه.رحمه الله_____________(رحمه الله١) موضوع. أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦). الضعيفة (١٤٨٣).(رحمه الله٢) صحيح. ابن حبان في صحيحه (٢٢٦). صحيح الجامع (٦٠٩٧).." (٢)

"[باب قول الله تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين]" باب قول الله تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ [آل عمران: ١٧٥] [آل عمران: ١٧٥] . وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾ [التوبة: ١٨] [التوبة: ١٨] . وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] [العنكبوت: ١٠] .وعن أبي سعيد –رضي الله عنه– مرفوعا: «إن من ضعف اليقين أن

---

(١) ثقة المسلم بالله تعالى في ضوء الكتاب والسنة محمد بن إبراهيم الرومي ص/٧٩

(٢) التوضيح الرشيد في شرح التوحيد خلدون نغوي ٢٨٦/١

ترض الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره» (ﷺ١) وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» (ﷺ٢) رواه ابن حبان في صحيحه.ـــــQ. . . . .

. .ﷺـــــــــــــــ(ﷺ١) أخرجه أبو نعيم في " الحلية" ٥ / ١٠٦ و ١٠ / ٤١ والبيهقي في " شعب الإيمان " (٢٠٣) وإسناده ضعيف.(ﷺ٢) أخرجه ابن حبان ١ / ٢٤٧.." (١)

". . . . . .ــــــQالسلف في تفسيرها. ﴿يخوف أولياءه﴾

[آل عمران: ١٧٥] يعني: يخوفكم أولياءه، وهذا ظاهر من الآيات قبلها كقوله: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ [آل عمران: ١٧٣] [آل عمران: ١٧٣] ." وقوله: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٨] [التوبة: ١٨] : وجه الدلالة من الآية قوله ﴿ولم يخش إلا الله﴾ [التوبة: ١٨] وهذا نفي واستثناء، وتقدم أن مجيء أداة الاستثناء بعد النفي يدل على الحصر والقصر، فالآية دالة بظهور على أن الخشية يجب أن تكون من الله، وأن الله أثنى على أولئك لأنهم جعلوا خشيتهم لله وحده دون ما سواه، والخشية أخص من الخوف.وقوله: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] [العنكبوت: ١٠] : قوله: ﴿جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾ [العنكبوت: ١٠] بأن خاف منها، وترك ما أوجب الله عليه، أو أقدم على ما حرم الله عليه، خشية من كلام الناس." وعن أبي سعيد -رضي الله عنه- مرفوعا: «إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤت الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية." (٢)

". . . . . .ــــــQكاره» (ﷺ١) وجه الاستدلال من هذا الحديث قوله: " إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله "." من ضعف اليقين ": يعني من أسباب ضعف الإيمان، والذي يضعف الإيمان ارتكاب المحرمات؛ لأن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، فدل على أن إرضاء الناس بسخط الله معصية وذنب ومحرم لأن هذا الذي أرضى الناس بسخط الله خافهم أو رجاهم، وهذا مناسبة إيراد الحديث في الباب." وعن عائشة -رضي الله عنها- أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه (ﷺ٢) هذا جزاء الذي أفرد الله بعبادة الخوف وجزاء الذي لم يكمل التوحيد في عبادة الخوف، فالذي التمس رضا الله بسخط الناس عظم الله وخافه، ولم يجعل فتنة الناس كعذاب الله؛ بل جعل عذاب الله- جل وعلا- أعظم فخاف الله وخشيه وطمع فيما عنده، فلم يلتفت إلى الناس، ولم يرفع بهم رأسا، فكان جزاؤه أن رضي الله عنه، وجعل الناس يرضون

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٣٦٧

(٢) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٣٧١

عنه.«ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» : لأنه ارتكب ذنبا بأن خاف الناس، وجعل خوفه من الناس سببا لعمل المحرم، أو ترك فريضة من فرائض الله؛ لهذا قال " من التمس رضا الناس بسخط الله " فكان جزاؤه أن سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس.مناسبة الباب لكتاب التوحيد أن التوكل على الله فريضة من الفرائض، وواجب من الواجبات، وأن إفراد الله - جل وعلا- به توحيد، وأن التوكل على غير الله شرك مخرج من الملة، والتوكل على الله شرط في صحة الإسلام، وشرط في صحة الإيمان فالتوكل عبادة عظيمة، فعقد المؤلف -رحمه الله- هذا الباب لبيان هذه العبادة.وحقيقة التوكل على الله - جل جلاله-: أن يعلم العبد أن هذا الملكوت إنما هو بيد الله- جل وعلا- يصرفه كيف يشاء، فيفوض الأمر إليه، ويلتجئ بقلبه في تحقيق مطلوبه وفي الهرب مما يسوءه، يلتجئ في ذلك ويعتصم بالله - جل جلاله- وحده، فينزل حاجته بالله ويفوض أمره إلى الله، ثم يعمل السبب الذي أمر الله به " فحقيقة التوكل في الشرع تجمع تفويض الأمر إلى الله- جل وعلا-، وفعل الأسباب، بل إن نفس الإيمان سبب من الأسباب التي يفعلها المتوكلون على الله، بل إن نفس التوكل على الله- جل وعلا- سبب من الأسباب، فالتوكل حقيقته في الشرع تجمع عبادة قلبية عظيمة، وهي تفويض الأمر إليه، والالتجاء إليه، والعلم بأنه لا أمر إلا أمره، ولا شيء إلا بما قدره وأذن به كونا، ثم فعل السبب الذي أوجب الله- جل وعلا- فعله أو‌رحمه الله______________(‌رحمه الله١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٥ / ١٠٦ والبيهقي في شعب الإيمان (٢٠٣) .(‌رحمه الله٢) أخرجه ابن حبان في الصحيح ١ / ٢٤٧ وابن أبي شيبة في المصنف ١٣ / ٤٣٦- ٥٧٣.." (١)

"ج. استخرج أربع فوائد من الآية مع ذكر المأخذ.د. وضح مناسبة الآية لباب: إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه.هـ. وضح مناسبة الآية للتوحيد.وعن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعا: "إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله، إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره"١.شرح الكلمات:ضعف: الضعف هو ضد القوة.اليقين: هو كمال الإيمان.أن ترضي الناس بسخط الله: تؤثر رضاء الناس على رضاء الله.وأن تحمدهم على رزق الله: أي تشكرهم على ما وصلك على أيديهم من النعمة، وتنسى المنعم الحقيقي وهو الله.وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله: أي إذا طلبت منهم شيئا ومنعوك ذممتهم على ذلك، ونسيت أن المانع الحقيقي هو الله.الشرح الإجمالي:يخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أن من ضعف إيمان الشخص ويقينه أن يجامل الناس في أقواله وأفعاله على حساب الدين، فيؤثر رضاء______________١ أبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٦) . والبيهقي في الشعب (١/ ١٥١، ١٥٢) . وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٠٠٧) .." (٢)

"تب أيها المسكين من الكسل، فقد استعاذ النبي - صلى الله عليه وسلم - منه، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: "اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين، وغلبة الرجال" (‌رحمه الله١)، فاستعذ بالله وانتفض قائما، واعمل بما علمت، هذه توبة ..(٢) ضعف اليقين في الوعد والوعيد:قال رسول الله - صلى

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد صالح آل الشيخ ص/٣٧٢

(٢) الجديد في شرح كتاب التوحيد محمد بن عبد العزيز القرعاوي ص/٢٩٢

الله عليه وسلم -: "من قال: سبحان الله العظيم وبحمده، غرست له نخلة في الجنة" (رحمه الله٢)، أنا قلت الآن: سبحان الله وبحمده ونظرت في الساعة فإذا هي ثانية واحدة، لو ثبت يقينك في هذا الوعد أنك تكتسب بالثانية الواحدة نخلة في الجنة، وقد قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: "ما من نخلة في الجنة إلا وساقها من ذهب" (رحمه الله٣) فوزن ساق نخلة من ذهب مئات الكيلوات، هذا ثمن كل ثانية من عمرك، وأنت تضيعه شذر مذر .. لا تبالي ولا تذر، وإنما أتيت من ضعف يقينك، لو ثبت يقينك في ذلك الوعدة ما ضيعت لحظة من عمرك وما ركنت إلى الكسل وترك العمل .. اعمل يا كسلان.(٣) الترخص المهين: بعض الناس يريد التفلت من الدين ولكن بدين، فهو يبحث عن الرخص، ويتخذ الخلاف بين العلماء مسوغا للهروب، فكل المسائل عنده فيها خلاف بين العلماء، وهو يرجح فيها بهواه، ويختار ما يوافق شهوته، ويظن أنه على شيء، ﴿ويحسبون أنهم على شيء ألا إنهم هم الكاذبون (١٨) استحوذرحمه الله________________(رحمه الله١) متفق عليه، البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٨).(رحمه الله٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١١)، وصححه الألباني (٦٤٢٩) في "صحيح الجامع".(رحمه الله٣) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٧١)، وصححه الألباني (٥٦٣٧) في "صحيح الجامع".." [(١)]

"خطر النظر في كتب أهل البدع والإصغاء إليهمقال المصنف: [وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم] .لأن المبتدعة قد يوردون شبها، ويميلون إلى ما تشابه من نصوص الكتاب والسنة، فإذا قرأ الإنسان كتبهم واطلع عليها وسمع كلامهم ربما تأثر بذلك، فالأصل أن تربى النفوس ويربى الطلبة على العقيدة الصحيحة، والأصل أيضا ألا يمكن لأهل البدع، فلا يأتي قائل يقول: دعونا نتحاور، ودعه يا أخي يشرح بدعته، فنحن مع نبي وعقيدة سليمة لا نخاف، فنقول: كيف لا نخاف؟! فالبدعة إذا ظهرت وانتشرت في الكتب، أو سجلت البدعة في أشرطة، أو أذيعت بوسائل الإعلام، وسمعها الكثير، فربما أن عشرة أو عشرين أو ثلاثين من العلماء ومن طلاب العلم لا يتأثرون، لكن كم من صغار الطلبة، وكم من ضعفاء الناس وعامتهم من إذا سمع مثل هذه الشبه، واستقرت في نفسه وقلبه سيتأثر! فلا شك أن هناك كثيرين سيتأثرون، لهذا فمنهج أهل السنة والجماعة عدم السماح لهم، وعدم فتح الحوار معهم؛ لأن الحوار معناه إيذان بأنه قد يكون الحق معهم، والأمر واضح جدا أنهم مبتدعون، والحوار ليس بين حق وباطل، لا نأتي إلى يهودي ونقول له: تعال نتحاور معك أمام العالمين وأمام المسلمين جميعا، وإنما نقول: أنت مبطل من أول الطريق، ونقول للنصراني: أنت مبطل من أول الطريق، ولا نفتح الحوار معهم؛ لأن الحوار يكون في مسائل الاجتهاد بين علماء المسلمين وفقهائهم، هذا هو الحوار الذي يفيد وينفع، أما أن يؤتى بمبطل ويقال: تعال ربما يكون باطلك حقا، فهذا خطأ، ولم يفعله السلف رحمهم الله تعالى.ولهذا فإن السلف ما فتحوا باب الحوار، وإنما ناقشوا وردوا، فردوا في زمن محنة خلق القرآن على المعتزلة، وهكذا ردوا على القدرية، وردوا على الرافضة، وردوا على الخوارج، لكن لم يفتحوا باب الحوار معهم، وفرق بين هذا وهذا، ولهذا فإن من الواجب التربوي على الشباب وعلى المبتدئين في طلب العلم أن يغرسوا أولا في أنفسهم العلم النقي الصافي من عقيدة السلف، ثم يأخذون مما عدا ذلك ما يحتاجون إليه، وحينما تنتشر بدعة أو حينما يظهر خطر شبهة أو نحو ذلك، يتعلمون الرد عليها بالطرق السليمة، وبمناهج سليمة، ومن علماء موثوقين.أما أن يأتي إنسان فيقرأ في كتب الفلاسفة أو في كتب المتكلمين،

(١) أسرار المحبين في رمضان   محمد حسين يعقوب ص/٥٨

وربما يمكث سنين طويلة، فإن هذا يخاف عليه أن يتشرب شبهة أو بدعة، وقد سبق أن ذكرنا مثالا مهما جدا وهو: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من سمع منكم بـ الدجال فلا يذهب إليه) ، وسبق أن بينا أن الدجال يؤيده الله بخوارق فتنة للناس: يأمر السماء فتمطر، ويأمر الأرض فتنبت، ويأمر الخربات فتأتي بكنوزها، ويقتل الرجل ويعيده، ولهذا يقول عليه الصلاة والسلام: (من سمع منكم بـ الدجال فلا يذهب إليه، فإن الرجل قد يسمع بـ الدجال فيقول: هذا هو الدجال الذي أخبرنا عنه الرسول، فإذا ذهب إليه ورآه وسمع منه لا يزال به حتى يصدقه) ، ولا حول ولا قوة إلا بالله! فهنا جاء الخطر، وهذا الإنسان الذي صدق بالرسول صلى الله عليه وسلم لو بقي بتصديقه وقال: لا حاجة لي في أن أذهب إلى الدجال لسلم، وهكذا نفس الشيء بالنسبة لكثير منا، فالبعض منا يقول: أنا عقيدتي قوية، وما عندي مانع أن أقرأ في كتب الفلسفة، أو في كتب المنطق، أو في كتب المفكرين اليساريين والشيوعيين والملاحدة، ثم لا يزال يقرأ ويقرأ حتى يتأثر، وكثير منهم قد لا يصل به ذلك إلى الإلحاد، لكن يضعف إيمانه ويضعف يقينه بالقرآن والسنة، وهذا من الآثار الخطيرة بالنسبة للفلسفة وعلمها، فإنها حتى ولو لم توصل الإنسان إلى الإلحاد والكفر بالله إلا أنها تضعف إيمانه، وتضعف ثقته بالكتاب، وتضعف ثقته بالسنة، ولهذا تجد المتشبعين بكتب الفلسفة وعلم الكلام وأهل البدع ونحو ذلك، تجد هؤلاء عن بكرة أبيهم إلا ما عصم ربي يستهينون بالقرآن، ويستهينون بالسنة، حتى ولو لم يصرح أحدهم بذلك، فإن القرآن عنده ما وضع إلا للعوام، والسنة ما هي إلا أمور يسيرة ليس فيها حقائق علمية، هكذا يؤمنون.فمن أين جاء هذا التهوين لتلك المصادر الحقة التي لا يأتيها الباطل أبدا؟ جاءهم من خوضهم في علم الكلام والفلسفة والمنطق، فظنوا أن تلك العقول وذلك المنطق وأولئك الفلاسفة عندهم من العلم واليقين والوصول إلى الحقائق ما ليس في الكتاب والسنة، ولهذا قال المصنف: (والإصغاء إلى كلامهم) .ثم قال: [وكل محدثة في الدين بدعة] .وهذا بنص حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وتفصيل البدعة ليس هذا موضع الكلام فيه.." (١)

"(٢/ ٥٨٢)، والحافظ في "لسانه" (٣/ ٤٢٦) فالحمل عليه أولى. والله أعلم. جنة المرتاب/ ١١٥؛ التسلية/ رقم ١٩١١١٥ - عبد الرحمن بن المبارك: العائشي أحد شيوخ البخاري. تنبيه ٤/ رقم ١٩١٢١١٠٦ - عبد الرحمن بن النعمان بن معبد بن هوذة الأنصاري: [عن أبيه، عن جده] ترجمه البخاري في "الكبير" (٣/ ١/ ٣٥٧)، وابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٢/ ٢/ ٢٩٤)، وحكى هذا عن ابن معين، قال: "ضعيف". وقال ابن المديني: "مجهول". أما أبو حاتم فقال: "صدوق". جنة المرتاب/ ١٩١٣٣٦٢ - عبد الرحمن بن باباه: [عن ابن عمر، وعنه مطر الوراق] لم أهتد إليه (١).وليس هو: عبد الرحمن بن بابي المترجم في التاريخ الكبير (٣/ ١/ ٢٦٤)، والجرح والتعديل (٢/ ٢/ ٢١٦)، والثقات (٥/ ٩٧) لابن حبان، والمشهور أن الذي يروي عن ابن عمر هو عبد الله بن باباه، ولكني لم أجد لمطر الوراق عنه رواية، ولم يذكره المزي في الرواة عنه، فالله أعلم. ووقع في روعي أنه عبد الرحمن ابن البيلماني مولى عمر، واستبعدته. كتاب البعث/ ٧٢ ح ١٩١٤٣٣ - عبد الرحمن بن بديل: صدوق. التسلية/ رقم ١٩١٥١٣٨ - عبد الرحمن بن بزرج: [عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، مرفوعا: ما أخاف على أمتي إلا ضعف اليقين]، ترجمه البخاري، وكذا ابن أبي حاتم في "الجرح والتعديل" (٢/

---

(١) شرح لمعة الاعتقاد للمحمود عبد الرحمن بن صالح المحمود ٣٧/١٢

٢/ ٢١٦) ولم يذكرا فيه جرحا ولا تعديلا. فهو مجهول الحال. النافلة ج٢/ ٢١١ ــــــــــــــــــــ(١) قلت: ترجمه ابن حبان في الثقات ٧/ ٧٣ وقال: عبد الرحمن بن باباه، يروي عن طاوس، روى عنه إبراهيم بن نافع. اهـ. وترجمه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٥/ ٣٠٢ وسماه عبد الرحمن بن يحيى بن باباه، وزاد في الرواة عنه: سعيد ابن حسان. والله أعلم.." (١)

"" فبقدر ما يميل القلب إلى مخلوق يبعد عن مولاه لضعف يقينه ووقوعه في هوة الغفلة عن حقائق الأمور التي تيقظ لها أصحاب التوكل واليقين، فأعرضوا عما سواه وأنزلوا جميع حوائجهم بباب كرمه وجوده " اهـ.وفي " الفتوحات الوهبية بشرح الأربعين النووية "، قال إبراهيم بن مرعي المالكي ص ١٧٨:"وإذا استعنت أي: طلبت الإعانة على أمر من أمور الدنيا والدين، ولذا حذف المعمول المؤذن بالعموم: " فاستعن بالله"؛ لأنه القادر على كل شيء، وغيره عاجز عن كل شيء، والاستعانة إنما تكون بقادر على الإعانة، وأما من هو كل على مولاه لا يقدر على إنفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره، فكيف يؤهل للاستعانة أو التمسك بسببه؟ ! ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه، فهو عن غيره أو أعجز، ليت الفحل يهضم نفسه.فاستعانة مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون، فلا تستعن إلا بمولاك فهو دليلك في أخراك وأولاك، كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه؟ ! فمن لا يستطيع دفع نازلة عن نفسه كيف يدفعها عن غيره، من أبناء جنسه؟ ! فلا تنتصر إلا به فهو الولي الناصر، ولا تعتصم إلا بحبله فإنه العزيز القادر " انتهى.فهذه شذرة من كلام أهل العلم، يبين بها خروج الكاتب بمفاهيمه عن فهمهم ومن كان كذلك فليس منهم.الثالث: إذا كان هذا كلام العلماء فيمن هو حي يقدر على إجابة السؤال وإعانة الطالب، فما ظنك بالميت الذي هو أضعف في إجابته من الحي، بل لا يجيب حيا سأله في أمر يتعلق به، فالميت مشغول بنفسه: إما في نعيم وروضة وإما في جحيم وحفرة.." (٢)

"يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح العبادة ولبها، وكان ذلك دليلا على قلة معرفته بذنوبه وسوء عاقبتها وقلة معرفته برحمة ربه، وشدة احتياجه إليه، وضعف يقينه بالله عز وجل وإجابته للدعاء.ولهذا قال في الحديث: " وليعزم المسألة "، أي ليجزم في طلبته، ويحقق رغبته، ويتيقن الإجابة، فإنه إذا فعل ذلك دل على علمه بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة، وعلى أنه مفتقر إلى ما يطلب مضطر إليه، وعلى أنه محتاج إلى الله مفتقر إليه، لا يستغني عن مغفرته ورحمته طرفة عين١.ولهذا فإن الواجب على المسلم إذا دعا الله أن يجتهد ويلح في الدعاء، ولا يقل: " إن شئت "، كالمستثني، بل يدعو دعاء البائس الفقير بإلحاح وصدق وجد واجتهاد، مع الثقة الكاملة بالله والطمع فيما عنده، وحسن الظن به سبحانه، وهو جل وعلا يقول كما في الحديث القدسي: " أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حين يذكرني "، أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما٢.وإنا نسأل الله الكريم أن يرزقنا حسن الظن به وعظيم الثقة فيما عنده، وأن يوفقنا لكل خير يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة.ـــــــــــــــ١ انظر: تيسير العزيز الحميد (ص:٦٥١ - ٦٥٢) .٢ صحيح البخاري (رقم:٧٤٠٥) ، وصحيح مسلم (رقم:٢٦٧٥) .." (٣)

---

(١) نثل النبال بمعجم الرجال أبو إسحق الحويني ٢/٢٨٢

(٢) هذه مفاهيمنا صالح آل الشيخ ص/١٧٥

(٣) فقه الأدعية والأذكار عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ٢/١٤٩

"حيل الشيطان في إيقاع الإنسان في الشركقال رحمه الله: [ثم لما صار على أكثر من الأمة ما صار -يعني من ترك الصراط المستقيم، والانحراف عن الهدي المستقيم هدي النبي صلى الله عليه وسلم- أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم] ، وهذا هو دأب الشيطان -أعاذنا الله وإياكم منه-؛ فإنه يأتي للمؤمن ويظهر له الطاعة بثوب قبيح تنفر منه النفس وتزهد فيه، وتنصرف عنه، ويأتي إلى البدعة والمعصية فيكسوها أجمل الحلل، ويبهرجها ويزخرفها بأحسن الزخارف، حتى يقبل عليها من ضعف إيمانه ولم يرسخ يقينه، وأما أهل الإيمان والبصائر فإنهم لا تغريهم هذه المظاهر، بل ينظرون إلى الأمور بالبصيرة التي يمن الله سبحانه وتعالى بها على المتقين، فيفرقون بين الحق والباطل، ولا تختلط عندهم هذه الأمور، بل هي عندهم في غاية الظهور، فالشيطان يظهر الشرك بمظهر محبة الصالحين، ويظهر الداعين إلى التوحيد بأنهم لا يحبون الصالحين ولا يعظمونهم حق تعظيمهم، فإذا جئت إلى رجل وقلت له: يا أخي! لا تتوجه إلى القبر في الدعاء، وتوجه إلى القبلة، واسأل ربك الذي يملك خزائن السماوات والأرض جل وعلا، ولا تسأل هذا المقبور الذي لا يملك لنفسه حولا ولا طولا قال: أنت لا تعرف قدر الصالحين، ولا تقدر أولياء الله.وهذا في الحقيقة من جهله، وأنه لم يقدر الله حق قدره، ولو قدر الله حق قدره ما توجه إلى مقبور بين التراب، ولتوجه إلى رب الأرباب، لكن لضعف يقينه وقلة بصيرته انطلت عليه هذه الصورة، وجعل تعظيم أهل القبور والصالحين بالانحناء لهم والركوع أو السجود، وغير ذلك مما يفعله أهل الشرك، وكل هذا مما يخالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، ومما يوقع في الشرك، والواجب على المؤمن أن يبعد نفسه عن كل ما خالف هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يعلم أن خير الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وإذا وقع المؤمن في شيء من هذا فإن الشيطان سيزينه له، لكن إن راجع المؤمن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهدي السلف الصالح سلم من هذه الشبه.وليعلم أنه لا أحد أعظم اتباعا للكتاب والسنة من رجل جعل الله عز وجل قصده ومعبوده، ولم يصرف إلى غيره نوعا من العبادة، فليحذر المؤمن من الشيطان، فإنه يأتي إلى هؤلاء ويزين لهم الشرك، ويقول لهم: هذا ليس شركا، إنما هذا من إجلال الصالحين ومن تعظيمهم.وحتى ينفرهم من دعوة التوحيد يقول: هؤلاء إنما يدعون إلى تنقص الصالحين والوقيعة فيهم، ولا يعظمونهم ولا يقدرونهم حق قدرهم.وهذه شبهة ضعيفة لا تنطلي إلا على ضعاف العقول.ولذلك قال المؤلف رحمه الله تعالى: [أظهر لهم الشيطان الإخلاص في صورة تنقص الصالحين والتقصير في حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم] ، والصحيح أنها غلو في الصالحين، ومجاوزة للحد، وإلا فالمؤمن لا يقع في هذا ولا يقرب منه، بل لا يعظم إلا ما عظمه الله ورسوله.ثم إن محبة الصالحين عبادة، لكن لا يجوز أن يتجاوز المؤمن في هذه العبادة حدها حتى يقع في الشرك، هذا هو الأصل الأول الذي ذكره المؤلف رحمه الله في هذه الأصول الستة.والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.." (١)

"به من الهدى والعلم، كمثل غيث أصاب الأرض، فكانت منها طائفة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب قد أمسكت الماء فنفع الله به الناس فشربوا منها ورعوا وسقوا، وأصابت طائفة أخرى إنما هي قيعان فلا تمسك ماء ولا تنبت كلأ، كذلك مثلي ومثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع

(١) شرح الأصول الستة خالد المصلح ٦/١

بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به"١.

خامسا: أن النخلة قد يخالطها دغل ونبت غريب ليس من جنسها قد يؤذي النخلة، ويضعف نموها، ويزاحمها في سقيها؛ ولهذا تحتاج النخلة في هذه الحالة إلى رعاية خاصة وتعاهد من صاحبها بحيث يزال عنها هذا الدغل والنوابت المؤذية، فإن فعل ذلك كمل غرسه، وإن أهمله أوشك أن يغلب على الغرس فيكون له الحكم ويضعف الأصل.

وهكذا الأمر بالنسبة للمؤمن، لا شك أنه يصادفه في الحياة أمور كثيرة قد توهي إيمانه وتضعف يقينه، وتزاحم أصل الإيمان الذي في قلبه؛ ولهذا يحتاج المؤمن أن يحاسب نفسه في كل وقت وحين، ويجاهدها في ذلك، ويجتهد في إزالة كل وارد سيئ على القلب، ويبعد عن نفسه كل أمر يؤثر على الإيمان كوساوس الشيطان، أو النفس الأمارة بالسوء، أو الدنيا بفتنها ومغرياتها أو غير ذلك، والله يقول: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ ٢.

سادسا: أن النخلة كما أخبر الله ﴿تؤتي أكلها كل حين﴾ والأكل الثمر، فهي تؤتي ثمرها كل حين ليلا ونهارا صيفا وشتاء إما تمرا أو بسرا أو رطبا.

وكذلك المؤمن يصعد عمله أول النهار وآخره، قال الربيع بن أنس: ﴿كل حين﴾ : "أي كل غدوة وعشية؛ لأن ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا

---

١ صحيح البخاري (١/٤٥) ، وصحيح مسلم (٤/١٧٨٧) .

٢ سورة: العنكبوت، الآية: (٦٩) .." [1]

---

(١) تأملات في مماثلة المؤمن للنخلة عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر ص/٢١٢